موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد السابع عشر

المقالات

ومقدمات لبعض الكتب العلمية

موسوعة
العلامة المحدث المتفنن
سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني
(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

١٧

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.

الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.

هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ – ٢٢٧٠٤٢٨٠ – ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد السابع عشر

المقالات ومقدِّمات لبعض الكُتُب العِلْمِيَّة

وتحتوي على:

١- مقالات في عِلْمِ الكَلامِ والمنطق.
٢- مقالات في القُرآنِ الكريمِ وعلومه.
٣- مقالات في الحديثِ الشَّريفِ وعلومه.
٤- مقالات في الفِقْهِ الإسلامي.
٥- مقالات في التصَوُّفِ الإسلامي.
٦- مقالات في فضائل النبيِّ ﷺ.
٧- مقالات حول مُباحثاتٍ مع المعاصِرين.
٨- مقالات مُتنوِّعَةٌ.
٩- مُقدِّمات لبعضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ.

(١)

مقالات في علم الكلام والمنطق

١- بحثٌ في معنى الإله[1]

لَفَتَ نظري حين تدريسي للطَّلَبة "شرح البُناني علىٰ السُّلَّم" بزاويتنا الصِّدِّيقية أنه مثَّل بلفظ «الإله» لنوعٍ مِن الكُلِّيِّ، فلم يعجبْني هذا التمثيل وكتبتُ عليه ثماني ملاحظاتٍ أحببْت أنْ أنقلَها إلىٰ القُرَّاء الكِرام:

قال صاحبُ "السُّلَّم":

فمُفهِمُ اشتراكٍ الكُلِّيُّ كأسَدٍ وعَكْسُهُ الجُزْئِيُّ

قال العلَّامة البناني في "شرحه": «يعني أنَّ الكلِّيَّ هو الذي يُفهِم الشركةَ في معناه، أي: لا يمنع نفس تصوُّر معناه من صدقه علىٰ مُتعدِّدٍ، كإنسانٍ وأسدٍ، فدخل في تعريف الكلِّيِّ أنواع».

فذكر النوع الأول ثمَّ قال: «وثانيها ما وُجد منه فردٌ واحدٌ إمَّا مع استحالة وجود غيرِه بدليلٍ خارجٍ عن تصوُّره، كالإله؛ أي: المعبود بحقٍّ فإنَّ مجرَّد تصوُّر معناه لا يمنع من صدقه علىٰ متعدِّدٍ، لكنْ قام الدليل القاطع علىٰ وجوب انفراد الله تبارك وتعالىٰ بالألوهيَّة واستحالة ثبوتها لغيره، وتفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه لا يمنعُ كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخُّصَه؛ لأنَّه بهذا المعنىٰ يحتمل أن يَصْدُق علىٰ كثيرٍ علىٰ سبيل البدليَّة». اهـ

وقال مُحشِّيه العلَّامة علي قصارة: «كان ينبغي إسقاطُ هذا القسم من أقسام الكلِّيِّ لأنَّه موهمٌ في مقام الألوهيَّة ما لا يصحُّ في حقِّه تعالىٰ مِن التعدُّد

---

(١) مجلة دعوة الحق.

والجِسْميَّةِ والتَّركيبِ فلا ينبغي إطلاقُه كما صرَّح به القرافيُّ في شرح "التَّنقيح" ونصُّه: «إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على واجبِ الوجودِ فيه إيهامٌ، تمنع من إطلاقه الشَّريعةُ فلذلك تركتُه أدبًا».اهـ

قال سيِّدي عيسى السّكتاني: «وكذا الجزئيُّ يوهم النِّسبة إلى جزء الشيء الموضوع للمجموع فذلك مستحيلٌ في حقِّه تعالى».اهـ

عُلِم مِن هذا أنَّ إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا للإيهام المذكور(١).

وهذا أول خطأ مِن البُناني رحمه الله تعالى.

الثاني: ويشاركه فيه القرافيُّ وأهلُ المنطق؛ أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى كالرحمن وفي النَّاس كثيرون اسمهم عبدُ الإله.

قال الفيُّوميُّ في "المصباح المنير": «الإلهُ المعبودُ وهو الله سبحانه وتعالى، ثُمَّ استعارهُ المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى».اهـ

وقال الراغبُ في "مفردات القرءان": «وإله حقُّه ألَّا يُجمعَ إذْ لا معبودَ سواه لكنَّ العربَ لاعتقادهم أنَّ ههُنا معبوداتٍ جمعوه فقالوا الآلهة».اهـ

وفي القرآن الكريم: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذه الآية مِن أدلَّة القائلين بأنَّ اللُّغة توقيفيَّةٌ.

تبيَّن مِن هذا أنَّ الإله عَلَمٌ خاصٌّ كما قلنا، وأنَّه لتضمُّنه معنى العبادة أطلقه

---

(١) صرَّح العلماء أيضًا بأنَّه لا يجوز وصفُ عِلم الله بأنَّه ضروريٌّ وإن كان له معنى صحيحٌ، لإيهامه معنى لا يليق بالله تعالى.

العرب على معبوداتهم على سبيل الاستعارة، وتوهَّم أهل المنطق أنَّ هذا إطلاقٌ حقيقيٌّ، زعموه كليًّا مع أنه عَلَمٌ خاصٌّ، ونظير هذا إطلاقُهم لفظَ حاتمٍ على الكريم اشتقاقًا مِن معنى الكرم الذي اشتهر به حاتم الطائي المعروف، ولم يُخرجه ذلك الإطلاق عن عَلَمِيَّته الشخصيَّة.

كذلك لفظ «الإله» لا يخرجه إطلاقه على المعبودات اشتقاقًا من معنى العبادة عن عَلَمِيَّته الخاصَّة بالله تعالى.

الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في المُمكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ واللوح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكواكب والروح والنفس والإنسان والحيوان والنبات وما إلى ذلك ممَّا يتركَّب مِن أجناس وفصول ويدخل في دائرة المقولات[1] العشر المجموعة في قول القائل:

زيد الطويلُ الأبيضُ ابنُ مالكِ ببيتِه بالأمسِ كان متَّكي

بيده غُصنٌ لواه فالتوى فهذه عشْرُ مقولاتٍ سَوى

---

(١) أخذتُ هذا العِلم عن شيخنا العلامة المُحقِّق الشيخ العباس بناني بجامعة القرويين أعاد الله لها مجدها، وهو أحد أربعة علماء عرفوا بالتحقيق.

وثانيهم: العلامة مولاي عبد الله الفضيلي، أخذتُ عنه "رسالة الوضع" ومقدِّمات "جمع الجوامع".

وثالثهم: العلامة الشيخ الراضي السناني صاحب "الشذرات" أخذت عنه بعض "جمع الجوامع".

ورابعهم: العلامة مولاي أحمد القادري أخذت عنه باب الجنايات من "المختصر" بـ"شرح الخرشي"، وأجازني أولهم بما يرويه عن سيدي أحمد بن الخيَّاط رحمهم الله جميعًا وأثابهم رضاه.

أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك، ليس شيءٌ مِن أسمائه وصفاته كليًّا يتركَّب مِن جنسٍ يشترك به مع غيره، ولا من فصل يميِّزه عنه بل أسماؤه وصفاته خاصَّةٌ به لخصوص العلَم الشَّخصي بمسمَّاه.

الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا ؛إذ هو ما له جزئياتٌ موجودةٌ كالحيوان، أو ممكنةُ الوجود كجبلِ ياقوتٍ.

والمحالُ عدمٌ محضٌ ليست له صورة في الذِّهن ولا يمكن أن تكون له صورةٌ، بل لا يُدرَك إلَّا بطريق التَّشبيه كأن يعقل اجتماعُ السَّواد والحلاوة في العنب مثلًا ثُمَّ يقال: مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض، وأحيانًا لا يمكن تقريبه بطريق التشبيه لكون الشيء موجودًا معدومًا في آنٍ واحدٍ فكيف يُتصوَّر كونه كليًّا له جزئيَّات؟!!.

والذين اعتبروا «الإله» و«شريك الباري» كُلِّيـيْن مخطئون واهمون لم يعرفوا معنى المحال على حقيقته، أو اشتبه عليهم الأمر حين وجدوا كليًّا جزئياتُه معدومةٌ كجبل ياقوت وبحر زِئْبق فاعتبروا المحال كليًّا مثلَه، لكن بينهما بونٌ شاسعٌ؛ لأنَّ الممكنَ المعدومَ قابلٌ للوجود وقد أخبر الله أنَّ في الجنَّة أنهارٌ ﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وهذه أمورٌ ممكنةٌ غير موجودةٍ في الدنيا وهي موجودةٌ في الآخِرة.

أمَّا المحال فإنه مُغرقٌ في العدَم لا يقبل الوجود بحال، لا في الخارج ولا في الذِّهن، ووجود جزئيَّات الكلِّيِّ مترتِّبٌ على وجود صورةٍ له في الذِّهن والمحال لا صورةَ له ولا يُذكر إلَّا منفيًّا.

والخلاصة: أنَّ الكليَّ لا يكون إلَّا في الممكنات فقط دون الواجب والمحال.

الخامس: قول البناني في بيان كلِّية الإله: «مجرَّد تصوُّر معناه لا يمنع من تعدُّد مصدوقِهِ لكنَّ الدليلَ القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالإلوهية» يشتمل على تناقضٍ؛ إذ حاصله أنَّ الإله مصدوقُه جائزُ التعدُّد عقلًا، والإله واجبُ الإنفراد في واحدٍ عقلًا، وهذا تناقضٌ واضحٌ لا خفاء فيه.

السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه؛ لأن جواز التعدُّد مفهومٌ ذاتيٌّ، وما بالذَّات لا يتخلَّف، وفي هذا من الخطر ما لا يخفى بل هو هدمٌ للتوحيد.

السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها؛ فالإله هو المعبود وكونه معبودًا بحقٍّ حكمٌ شرعيٌّ والحكم لا يدخل في الحدِّ. قال صاحب "السُّلَّم":

وعنــدهُمْ مِــنْ جُملــةِ المَــرْدودِ ... أنْ تــدخلَ الأحكــامُ في الحُــدودِ

الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا ؛إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير على سبيل البدليَّة».اهـ

إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت حتى أنه لم يفرِّق بين ما يُعيِّن المسمَّى ويُخصِّصه وبين ما ليس كذلك، ومن البدهيات في علم المنطق أنَّ التشخُّص في الجزئي يمنع الاشتراك فيه فـ«إنسان» كليٌّ يقبل الاشتراك، و«زيد» جزؤه لا يقبل الشركة لتشخُّصه وتعيُّنه.

فلو فرضنا أنَّ الإله بمعنى المعبود كليٌّ كما قال فإنَّ تفسيره بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه تخصيصٌ له بها لا يشاركه فيه غيره من المعبودات، فهو بمنزلة التشخُّص في «زيد»؛ ذلك أنَّ المعبوداتِ بجميعِ أنواعها من ملائكةٍ وإنسٍ وجنٍّ وحيوانٍ وأصنامٍ؛ لا يُجيز العقل في شيءٍ منها أن يكون مستغنيًا عن كلِّ ما سواه مفتقرًا إليه كلُّ ما عداه؛ لأنها ممكنةٌ والممكن لا يستغني عن المحلِّ والمُخصِّص.

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعيّنه؛ لأن التشخُّص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى[1].

يرد في هذا المقال ثلاثة إيرادات نذكرها مع الجواب عنها:

الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق من اعتبار شريك الباري كليًّا، وكذا الإله وأن لم يذكره بعضهم تأدُّبًا كما مرَّ، وتعريفُ المحال يقتضي كلِّيتَه أيضًا.

والجواب: مسائلُ المنطق يُعمَل فيها بما يقضي به العقلُ والفكر السليم لا بالإجماع أو قولِ الأكثر، والمنطق الحديث أبطل نظريَّاتٍ أطبق عليها القدماءُ في

---

(١) وحديث: «لا شخصَ أغيرُ من الله» من تصرُّف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب الطرق: «لا أحدَ أغيرُ من الله»، وفي روايةٍ: «لا شيءَ أغيرُ من الله» على أن النَّووي في "شرح مسلم" أوَّلَ «لا شخص» بـ«لا أحد» وقال: «عبَّر بالشخص عن أحد استعارة، وقيل: لا يدلُّ الحديث على إطلاق لفظ شخصٍ على الله وإنَّما يدلّ على وصفه بالغيرة لأنَّ «أفْعَلَ مِن» يدلّ على المشاركة في الصِّفة فقط، يقال: لا خيْلَ أسرعُ من فلان، وكان يقال في سلمة بن الأكوع: أسرع من الخيل يوضِّحه أنَّك لو قلت: لا إنسان أغير من الله لم يُفد أنَّ الله يُسمَّى إنسانًا.

المنطق القديم.

وبما لا يخفىٰ علىٰ دارس أنَّ الكلِّياتِ مبادئ التصوُّرات التي هي حدودٌ ورسومٌ لماهيَّاتِ الموجودات الممكنة، فالحدود والرُّسوم تتركَّب من أجناسٍ وفصول وخواصٍّ كما هو معلومٌ.

والموجوداتُ نوعان: موجوداتٌ بالفعل كالإنسان والشمس، وموجودات بالقوَّة كنهر لبنٍ وبحر زئبقٍ وجبل ياقوتٍ، فإنَّ هذه الأشياء ممكنة الوجود وإمكان الشيء كوقوعه فهي موجودةٌ بالقوة.

والكلِّيات التي تدخل في التعريف تقع علىٰ أشياء موجودةٍ في الذِّهن أو الخارج أو فيهما، والمحال لا يتصوَّر في العقل وجوده ويسمِّيه الحكماء منفيًّا وحكىٰ شارحُ "العقيدة الطَّحاوية" إجماعَ العقلاء علىٰ أنَّ المحال ليس بشيءٍ، والخلاف الذي حكاه صاحب "جمع الجوامع" بقوله: «فعلىٰ الأصحِّ المعدومُ ليس بشيءٍ ولا ذاتٍ ولا ثابتٍ» إنَّما هو في المعدوم الممكن كما قيَّده به شارحه الجلال المحلِّي فثبت أنَّ المحال لا يكون كليًّا والعقل لا يمكنه أن يتصوَّر شخصًا قائما قاعدًا ولا ثوباً أبيضَ أسودَ، وبالضرورة لا يمكن تصوُّر أفرادٍ لما لا يمكن تصوُّره في نفسه.

الثاني: قال الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع: «فإنَّ الجمع بين البياضِ والسوادِ جمعٌ بين الضِّدين، والجمع بين القيام والقعود جمع بين الضدين، والجمع بين الترقِّي والتدلِّي جمع بين الضِّدين، فتبيَّن أنَّ الجمع بين الضِّدين واقعٌ علىٰ كثيرين وأفَراده كلُّها ممتنعةُ الوجود في الخارج».اهـ

وهذا الكلام يشتمل علىٰ أوهام:

١- أنَّ الجمع بين الضِّدين مثالٌ لمحاولة فِعل المحال الذي هو اجتماع الضِّدين.

٢- أنَّ أفراد الكلِّي ما يتحقَّق فيها مفهومُه كالإنسان يتحقَّق في جزئيَّاته مفهومه الذي هو حيوانٌ ناطقٌ، وهذا إنَّما يتأتَّى في الماهيَّات الممكنة التي يتمايز أفرادُها بالتَّشخيص وغيرِه في الوجود الذِّهنيِّ أو الخارجيِّ.

وماهيَّة المحال عدمٌ بحتٌ لا تَقبَل الوجودَ في الخارج ولا في الذِّهن، والعدم لا تمايز فيه بين المُعدَمات.

٣- أنَّ الكلِّي إنَّما يطلق على شيءٍ موجود بالفعل أو بالقوَّة والمحال ليس بشيءٍ كما مرَّ بيانُه.

٤- أنَّ تعدُّد الأفراد في الأمثلة التي ذكرها الشيخ سعيد إنَّما هي أمثلة لمتعلِّق المحال أعني: الضِّدين فإنَّه لفظ عامٌ يشمل الأبيض والأسود والقيامَ والقُعود وغير ذلك من الأضداد الموجودة.

فالتعدُّد واقعٌ فيها، والتَّرقي والتدلِّي، والليل والنهار، والحياة والموت، لا في المحال الذي هو اجتماعها وهو المحكوم بنفيه وقد اشتبه الأمر على الشيخ سعيد رحمه الله تعالى، يوضح ذلك أنَّ المحالَ الذي لا يتعلَّق بضدَّين مثلًا كشريك الباري لا يُتصوَّر له أفراد أبدًا.

الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته، لأنَّه لا يجوز أن يقال: لازيدَ في الدار وإنما يقال: لا إنسانَ في الدار.

والجواب: أنَّ النَّفي توجَّه باعتبار الإطلاق المجازيِّ أي: لا معبودَ إلا الله،

وهذا كما يقال: لا حاتمَ إلا فلانٌ، أي: لا كريمَ، أو لاقُسَّ إلا فلانٌ، أي: لا فصيحَ، وهكذا.

فـ«إله» في الكلمة المشرَّفة كلِّيٌّ في المعنىٰ المجازيِّ كما أنَّ لفظ حاتم كلِّيٌّ لاستعماله في الكريم مجازًا، مع أنَّه في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ وكذلك قُس كلِّيٌّ لاستعماله في الفصيح مجازًا وهو في الحقيقة عَلَمٌ شخصيٌّ لقُسِّ بنِ ساعدة.

الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنىٰ «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كلِّ ما سواه ومُفتقرًا إليه كل ما عداه إلَّا الله، فهو علىٰ هذا كلِّيٌّ.

والجواب: أنَّ اختيار السنوسيِّ لهذا المعنىٰ هو الذي غرَّ البنانيَّ وأوقعه في ذلك الخطأ الذي مرَّ بيانُه، والسنوسيُّ إنَّما اختاره ليدَّعي أنَّ كلمة التوحيد شاملةٌ للصِّفاتِ الواجبة لله تعالىٰ لكنَّ اختيارَه غيرُ صحيحٍ لأمورٍ:

أحدها: أنَّه تكلَّف في إدخال تلك الصِّفات بما لا دليل عليه ولا حاجة تدعوإليه.

ثانيها: أنَّ الإله لم يستعملْه العرب إلا بمعنىٰ المعبود، كذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١].

فالإله في هذه الآياتِ وغيرها مفردًا ومثنىٰ ومجموعًا معناه: المعبود، ونفي

المعبودات في الكلمة المشرَّفة يكفي في إثبات التَّوحيد ونبْذِ الشرك ولذلك جعلها الشارع دليلًا على الإسلام وعنوانًا له لأنَّه يلزم بالضَّرورة من نفي المعبودات نفيُ لخصائص الألوهيَّة عنها وهي منتفيةٌ بضرورة العقل والمشاهدة كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

فلا حاجة إلى ما تكلَّفه السنوسي وغيره في شرح الكلمة المشرَّفة.

٢- النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى ربه بعيني رأسه وقلبه
بيان معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[١]

يكره جماعةٌ من المُتَسَلِّفة المدخولين أن يكون لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خصيصةٌ تميِّزه عمَّن سواه، وتبعًا لهذا الحقد القاتل منعوا أن يكون النبيُّ قد رأىٰ ربَّه ليلة إسرائه، علىٰ أنَّ المتأمِّل في حِكمة شقِّ صدره قُبَيل إسرائه كما رواه البخاريُّ، ثمَّ تكريمه بملاقاة الأرواح في بيت المقدس، ثمَّ رقيِّه إلىٰ سدرة المنتهىٰ واندماجه في العالم المحجوب، وقيامه فيها وراء السِّدرة يرىٰ كلَّ ذلك كان إعدادًا وتأهيلًا ليتأتىٰ له ملاقاةُ فيض التَّجلِّي، ولم يكن رفعه إلىٰ قاب قوسين ليقرب من مكان بالذات، تعالىٰ الله عن المكان، ولكنَّ قدسيَّةَ التَّجلِّي تستوجب أن يكون صاحبُ هذه الخصوصيَّة في مقامٍ لم يتهيَّأ لمخلوقٍ قبله، حتَّىٰ يتناسبَ مقامُه وقيامُه مع شرف الموهبة الكبرىٰ فيُرفع الحجاب عنه هو، ليرىٰ المحدود غير المحدود في نوره السَّرمدي كما شاء علىٰ ما شاء وإليك الدَّليل.

قال: النَّووي: إنَّه -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- رأىٰ ربَّه بعيني رأسه، وروىٰ التِّرمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ قال: رأىٰ محمد ربَّه. فقلت: أليس يقول الله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ؟ قال: ويحك ذاك إذا تجلَّىٰ بنوره الذي هو نوره وقد رأىٰ ربَّه مرَّتين.

وروىٰ النَّسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم أيضًا، عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ قال: أتعجبون أن تكون الخُلَّة لإبراهيمَ والكلامُ لموسىٰ والرؤيةُ لمحمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟.

---

(١) مجلة المسلم، السنة الرابعة، العدد الثاني عشر، رجب ١٣٧٤.

وللطبرانيِّ في "الأوسط" بإسنادٍ رجاله رجال الصحيح غير واحدٍ وثَّقه ابنُ حِبَّان، عن ابن عبَّاسٍ أنَّه كان يقول: إنَّ محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ ربَّه مرتين مرَّةً ببصره، ومرَّةً بفؤاده.

وروىٰ ابن خزيمة بإسنادٍ قويٍّ عن أنس بن مالكٍ قال: رأىٰ محمد ربَّه.

وروىٰ ابن خزيمة: عن عبد الرازق، عن معتمر بن سليمان، عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن -يعني: البصريَّ- يحلف بالله لقد رأىٰ محمدًا ربَّه.

وروىٰ ابن خزيمة أيضًا عن كعب قال: إنَّ الله قسَّم كلامه ورؤيته بين موسىٰ ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرَّتين وكلَّم موسىٰ مرَّتين.

وروىٰ أيضًا عن عروة بن الزبير إثبات الرُّؤية أيضًا.

وروىٰ ابن الجوزي عن الإمام أحمد عن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: «أصول السُّنة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والاقتداء بهم وذكر أشياء من العقيدة».

إلىٰ أن قال: «وإنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ ربَّه، فإنَّه مأثورٌ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صحيحٌ. رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ. ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ. ورواه عليُّ بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عبَّاسٍ. والحديث عندنا علىٰ ظاهره كما جاء عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

روىٰ الخلَّال في "كتاب السنة" عن المرْوَزيِّ: قلت لأحمد: إنَّهم يقولون إنَّ عائشة قالت: «مَن زعم أنَّ محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفِرْية»، فبأيِّ

معنىٰ تدفعُ قولَها؟ قال: بقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «رأيتُ ربِّي». قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكبرُ من قولِها.

وهذا الحديث رواه ابن عبَّاسٍ، وأشار إلىٰ طرقه في كلامه آنفًا.

وأفرد ابن خُزَيمة في كتاب التوحيد بابًا لرؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربه تعالىٰ وأطال الاستدلال لذلك، وأجاب عن كلام عائشة بأنَّها نفتْ الرؤية، وابن عبَّاسٍ وأنس وغيرهما أثبتوها، والإثبات مقدَّم علىٰ النَّفي.

ورُوي عن عبد الرزاق قال: ذكرتُ لمعْمَر حديث عائشة فقال: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عبَّاسٍ. قال ابن خزيمة: ومحال أن يقال: إن ابن عبَّاسٍ أعظم علىٰ الله الفرية ولا أظنُّ أحدًا من أهل العلم يتوهَّم أنَّ ابن عبَّاسٍ أثبت الرؤية بالظنِّ والرأي ولا أنسُ بن مالك ولا أبو ذرٍّ. هذا ملخَّص كلام ابن خزيمة.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فلا يدلُّ علىٰ نفي الرُّؤية لوجهين:

الأول: أنَّ الأبصار لفظٌ عامٌّ، أي: لا تدركه عموم أبصار الناس وخُصَّ منه بصرُ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ سبيل التمييز والإكرام، فتكون الآيةُ من قَبِيل العامِّ المخصوص وهو كثير في القرآن والسُّنة.

والثاني: أنَّ الإدراك معناه الإحاطة فالآية الكريمة تنفي الإحاطة، ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية، ألا ترىٰ أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم في الجنة؟ أمَّا حديث أبي ذرٍّ فقد أجاب ابن خزيمة بأنَّه كان قبل حصول الرؤية بالفعل.

٣- رؤية الله في المنام(١)

اطَّلعتُ في العدد السَّابع من المجلَّة على ما كتبه صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن خليفة حفظه الله، جوابًا عمَّن سأل: هل يرى النائم ربَّه في النوم؟ فاستحسنتُ ما أجاب به غاية الاستحسان، ورأيت أنَّ أعلِّق عليه بما يكون كالتَّتِمَّة له من ذكر مسائل تركَها. فأقول:

لا خلاف بين أهل السُّنَّة في أنَّ المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وردَّ بذلك القرآن، وتواترت به الأحاديث كما نصَّ عليه الحافظ الديلميُّ في مبحث العَلَق -بفتحتين- من "حياة الحيوان"، والمحدِّث الشِّهاب القسطلاني في الكلام على الإسراء من "المواهب"، وذكر الإمام النَّووي في "شرح مسلم" أنَّ عدَّة مَن روى ذلك عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عشرون صحابيًّا، وقد عدَّهم من قبله الحكيم التِّرمذي فأوصلهم إلى أحد وعشرين، زاد عليه الشَّيخ قاسم بن قُطْلُوبُغا الحنفيُّ في "حاشيته" على "المسايرة" أسماء سبعة من الصَّحابة فصار المجموع ثمانية وعشرين، وهم -كما في "نظم المتناثر" لأبي عبدالله السَّيد محمَّد بن جعفر الكتاني -: ابن مسعودٍ، وابن عمر، وابن عبَّاسٍ، وصُهَيب، وأنس، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وعمَّار بن ياسر، وجابر، ومعاذ، وثَوبان، وعمارة بن روبية الثَّقفي، وحذيفة، وأبو بكر الصِّديق، وزيد بن ثابت، وجرير بن عبدالله اليمني، وأبو أُمامة، وبُرَيدة الأسلمي، وأبو بَرْزة، وعبدالله بن الحرث، وابن جزء الزبيدي، وأبو رزين العقيلي، وعبادة بن

---

(١) مجلة الإسلام العدد (١٢)، السنة (٥)، ٢٢ ربيع ١٣٥٥.

الصَّامت، وكعب ابن عُجرة، وفضالة بن عبيدة، وأُبيٌّ بن كعب، وعبدالله بن عمرو، وعائشة، وليس هذا بآخر الممكن من ذلك، فمن فحص وتتبَّع وجد أكثر من هذا القدر يقينًا، وكذلك لا خلاف بين أهل السُّنَّة في جواز رؤية الله في الدُّنيا يقظةً وفي المنام، وخالفهم المعتزلة وكثيرٌ من أهل الفرق، قال السَّيد في "شرح المواقف" ما نصُّه: «قال الآمدي اجتمعت الأئمَّة من أصحابنا على أنَّ رؤيته تعالى في الدُّنيا والأخرى جائزةٌ عقلًا، واختلفوا في جوازها سمعًا في الدنيا، فأثبته بعضُهم ونفاه آخرون، وهل يجوز أنْ يُرى في المنام؟ فقيل: لا، وقيل: نعم، والحقُّ أنَّه لا مانع من هذه الرُّؤيا وإنْ لم تكن رؤيةً حقيقيَّةً».اهـ

في "شرح الإمام النووي على مسلم" ما نصُّه: «قال القاضي: واتَّفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحَّتها، وإنْ رآه الإنسان على صفةٍ لا تليق بحاله من صفات الأجسام؛ لأنَّ المرئيَّ غيرُ ذات الله تعالى إذْ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التَّجسيم، ولا اختلاف الأحوال.

قال ابن الباقلاني: «رؤية الله في المنام خواطرُ في القلب، وهي دلالاتٌ للرَّائي على أمورٍ ممَّا كان أو يكون كسائر المرئيَّات». اهـ

أمَّا وقوع رؤية الله تعالى في الدُّنيا يقظةً فلم يحصلْ لأحدٍ ولن يحصلَ، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣]، وقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لن يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموت**» رواه مسلمٌ في كتاب الفتن من "صحيحه" في الكلام على ابن صيَّاد، قال الجلال المحلِّي في "شرح جمع الجوامع": «نعم اختلف الصَّحابة في وقوعها له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج، والصَّحيح: نعم».اهـ

وكذا صحَّح وقوعها له جماعةٌ مِن العلماء وذكروا لذلك أدلَّةً لا يتحمَّلها هذا الموضعُ، ولم يأتِ المخالف كعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما بحُجَّةٍ تصلح للتمسُّك، وأمَّا وقوع رؤية الله تعالى في المنام فأنكره جماعةٌ منهم الحافظ ابنُ الصَّلاح وبالغوا في إنكاره، ولا حُجَّة لهم إلَّا أنَّهم قالوا: إنَّ المرئيَّ في النوم خيالٌ ومثالٌ وذلك على الله محال، ولو تأمَّلوا قليلًا لأدركوا أنَّ النَّوم لا يستحيل فيه شيءٌ من ذلك، ثمَّ هم محجوجون بما نقل السَّلف من رؤيتهم لله تعالى في النَّوم مما سنذكر بعضه إنْ شاء الله تعالى، فالصَّحيح أنَّ رؤيةَ الله في عالم الرؤيا واقعةٌ، وعلى ذلك جرى المعبِّرون كما قال المحلِّي في "شرح جمع الجوامع"، وقال الحافظ في "فتح الباري" ما نصُّه: جوَّز أهل التعبير رؤية الباري عزَّ وجلَّ في المنام مطلقًا، ولم يجروا فيها الخلاف في رؤيا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأجاب بعضهم عن ذلك بأمورٍ قابلةٌ للتأويل في جميع وجوهها، فتارة يُعبِّر بالسلطان، وتارة بالولد، وتارة بالسَّيد، وتارة بالرئيس، في أيِّ فنٍّ كان، فلما كان الوقوف على حقيقة ذاته ممتنعًا وجميع من يعبِّر به يجوز عليهم الصِّدق والكذب كانت رؤياه تحتاج إلى تعبيرٍ دائمًا، وقال أيضًا بعد كلام ما نصُّه: قال الغزاليُّ ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فإنَّ ذاته منزَّهة عن الشكل والصورة، ولكن تعريفاته تنتهي إلى العبد بواسطة مثال محسوسٍ مِن نورٍ أو غيره، ويكون ذلك المثال حقًّا في كونه واسطةً في التعريف فيقول الرَّائي: رأيت الله تعالى في المنام، لا يعني أنِّي رأيت ذات الله تعالى كما يقول في حقِّ غيره، وقال أبو القاسم القشيري ما حاصله: لو رأى الله على وصفٍ يتعالى عنه وهو يعتقد أنَّه منزَّهٌ عن ذلك، لايقدح في رؤيته بل يكون لتلك الرُّؤيا ضربٌ من التأويل، كما

قال الواسطيُّ: من رأىٰ ربَّه علىٰ صورة شيخٍ كان إشارةً إلىٰ وقار الرَّائي، وغير ذلك اهـ. وللغزالي في كتاب "المضنون به علىٰ غير أهله" كلامٌ نفيسٌ في هذا المعنىٰ، ولخَّصه العلَّامة العطَّار في "حاشية جمع الجوامع".

إذًا تقرَّر هذا وأنَّ رؤية الله في النَّوم جائزةٌ ولو رُئي علىٰ صفة يتعالىٰ عنها وأنَّ ذلك علىٰ ضربٍ من التأويل.

فلنذكر بعض من ورد عنه أنَّه رأىٰ الله في المنام فنقول:

أخرج الترمذي في "جامعه" قال: ثنا سلمة بن شبيب وعبد بن حُميد قالا: ثنا عبدالرزَّاق عن معمَّر، عن أيوب عن أبي قُلابة، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«أتاني الليلة ربِّي في أحسن صورةٍ»**، قال: أحسبه في المنام**«فقال: يا محمَّد هل تدري فيمَ يختصِم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا. فوضع يده بين كتفي حتى وجدتُ بردَها بين ثديي، أو قال: في نحري، فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض، قال: يا محمَّد هل تدري فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: نعم. في الكفَّارات والدرجات، والكفَّارات المكثُ في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخيرٍ ومات بخيرٍ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أُمُّه، وقال: يا محمَّد إذا صلَّيت فقل: اللَّهم إنِّي أسألك الخيرات وتركَ المنكرات، وحبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادك فتنةً فاقبضْني إليك غير مفتونٍ، قال: والدرجاتُ إفشاء السَّلام، وإطعامُ الطعام، والصَّلاةُ بالليل والنَّاسُ نيامٌ»** ثمَّ قال التِّرمذيُّ: وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عبَّاسٍ في هذا الحديث رجلًا: ثنا محمَّد بن بشار: ثنا معاذ بن هشام: ثني أبي عن قتادة عن أبي قلابة، عن خالد بن

اللَّجلاج، عن ابن عبَّاسٍ، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «أتاني ربِّي في أحسن صورةٍ، فقال: يا محمَّدُ، قلتُ: لبَّيك ربِّي وسَعْديك، قال: فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلتُ: ربِّي لا أدري، فوضع يده بين كتفيَّ فوجدتُ بردَها بين ثدييَّ فعلمتُ ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمَّد، قلت: لبيك ربِّ وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الدَّرجاتِ والكفَّاراتِ، وفي نقلِ الأقدام إلى الجماعات، وإسباغِ الوضوءِ في المكروهاتِ، وانتظارِ الصَّلاةِ بعد الصَّلاة، ومن يحافظ عليهنَّ عاش بخيرٍ ومات بخيرٍ، وكان من ذنوبه كيوم ولدتْه أمُّه» قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه، وفي الباب عن معاذ وعبدالرحمن بن عائش، وقد رُوي هذا الحديث عن معاذٍ عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بطوله وقال: «إنِّي نَعَسْتُ فاستثْقَلتُ نومًا، فرأيت ربِّي في أحسنِ صورةٍ فقال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟» اهـ كلام الترمذي.

قلت: أمَّا حديث معاذ فرواه أحمد والترمذيُّ من طريق أبي سلَّام عن عبدالرحمن بن عائش، عن مالك بن يَخَامِر، عن معاذ رضي الله عنه قال: احتبس علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذاتَ غداةٍ من صلاةِ الصُّبح حتَّىٰ كِدْنا نَتَراءىٰ قرْنَ الشَّمس، فخرج سريعًا فثوب بالصَّلاة فصلَّىٰ وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم قال: «كما أنتُم» ثمَّ أقبل إلينا فقال: «إنِّي قمتُ من اللَّيل فصلَّيت ما قُدِّر لي، فنَعَسْتُ في صلاتي حتَّى استثْقلتُ فإذا أنا بربِّي عزَّ وجلَّ في أحسنِ صورةٍ، فقال: يا محمَّد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب-أعادها ثلاثًا- فرأيتُه وضَعَ كفَّه بين كتِفيَّ حتى وجدتُ بردَ أنامله بين صدري، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ، فقال: يا محمَّد فيم يختصمُ الملأ الأعلى؟

قلت: في الكفَّاراتِ، قال: وما الكفَّاراتُ؟ قلتُ: نقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ والجلوسُ في المساجد بعد الصَّلواتِ، وإسباغُ الوضوء عند الكريهاتِ، قال: وما الدرجاتُ؟ قلتُ: إطعامُ الطعام، ولِينُ الكلام، والصَّلاةُ والنَّاس نيامٌ، قال: سلْ. قلتُ: اللهمَّ إنِّي أسألكَ فعلَ الخيراتِ وتركَ المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأنْ تغفرَ لي وترحمَني، وإذا أردتَ فتنةً بقومٍ فتوفَّني غيرَ مفتونٍ، وأسألكَ حبَّك وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ عملٍ يقرِّبُني إلى حبِّك» وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّها حقٌّ فادْرُسوها وتعلَّمُوها» قال التِّرمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وأمَّا حديث عبدالرحمن بن عائش فرواه الطَّبراني بطرقٍ وألفاظٍ منها أنَّه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «رأيت ربِّي في أحسن صورةٍ فقال: يا محمَّد فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: أنت أعلم -أي ربِّ-، فوضع كفَّه بين كتفي فوجدتُّ بردَها بين ثدييَّ فعلمتُ ما في السَّماوات وما في الأرض، ثمَّ تلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام: ٧٥]، ثمَّ قال: فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى يا محمَّد؟ فقلتُ: في الكفَّاراتِ، قال: وما هُنَّ؟ قلتُ: المشْيُ على الأقدام إلى الجماعاتِ، والجلوسُ في المساجد خلافَ الصَّلواتِ، وإسباغُ الوضوءِ أماكِنَه في المكارِهِ، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: منْ يفعلْ ذلك يَعِشْ بخيرٍ ويمتْ بخيرٍ ويكونُ كيومِ ولدتْه أمُّه، ومِنَ الدَّرجاتِ إطعامُ الطعامِ، وبذلُ السَّلام، وأنْ تقومَ باللَّيل والنَّاس نيامٌ، ثمَّ قال: يا محمَّد قل: اللَّهم إنِّي أسألك فعلَ الطيِّباتِ، وترْكَ المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأنْ تغفرَ لي وترحَمَني وتَتُوبَ عليَّ، وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فتوفَّني غير مفْتُونٍ»

فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تعلَّموهنَّ فوالذي نفسي بيده إنَّهنَّ لحقٌّ**»، ورجاله ثقاتٌ غير أنَّ فيه اضطرابًا كثيرًا ذكره الحافظ في ترجمة عبدالرحمن بن عائش من "الإصابة"، وللحديث طرقٌ وألفاظ غير ما ذكرنا، أورده الحافظ الهيثميُّ في كتاب التعبير من "مجمع الزوائد"، والحافظ السُّيوطي في تفسير سورة (ص) من "الدُّرّ المنثور" عند قوله تعالىٰ: ﴿مَاكَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩]، قال البيهقي في "الأسماء والصِّفات" عقِبَ روايته له ما نصُّه: ثمَّ تأويله عند أهل النَّظر علىٰ وجهين:

أحدهما: أنْ يكون معناه: وأنا في أحسن صورةٍ كأنَّه زاده كمالًا وحسنًا وجمالًا عند رؤيته.

والثاني: أنَّه بمعنىٰ الصِّفة ومعناه أنَّه تلقَّاه بالإكرام والإجمال، فوصفه بالجمال.

وأما قوله: «فوضع كفَّه بين كتِفيَّ» فكذا في روايتنا وفي رواية بعضهم يد، وتأويله عند أهل النَّظر: إكرام الله إياه، وإنعامه عليه حتىٰ وجد برد النِّعمة يعني: روحها وأثرها في قلبه، فعلم ما في السَّماء والأرض، وقد يكون المراد باليد: الصِّفة بما وجد من زيادة العلم، كتعلُّق اليد التي هي صفةٌ لخَلْق آدم عليه السَّلام تعلُّق الصِّفة بمقتضاها لا علىٰ معنىٰ المباشرة، وإنَّما أمره إذا أراد شيئًا أنْ يقول له كن فيكون، لا تجوز عليه ولا علىٰ صفاته التي هي من صفات ذاته مماسَّة أو مباشرة، تعالىٰ الله عزَّ اسمه عن شبه المخلوقين علوًّا كبيرًا.اهـ

وأخرج الحافظ ابن الجوزي قال: أخبرنا عبدالملك بن أبي القاسم: أنا عبدالله بن محمَّد الأنصاري: أنا محمَّد بن عبدالجليل بن أحمد: أنا محمَّد بن أحمد بن

إبراهيم، وأنا ابن ناصر: أنا أبو علي الحسن بن أحمد: أنا أبو محمَّد الخلال: أنا عبيدالله بن عبدالرحمن الزهري قالا: ثنا أحمد بن محمَّد بن مقسم: سمعت عبدالعزيز بن أحمد النهاوندي قال: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سمعتُ أبي يقول: رأيت ربَّ العزَّة عزَّ وجلَّ في المنام فقال: يا ربِّ ما أفضل ما تقرَّب به المتقرِّبون إليك؟ فقال: «كلامي يا أحمد»، قلت: يا رب بفهمٍ أو بغير فهمٍ؟ قال: «بفهمٍ وبغير فهمٍ».

وأخرج ابن الجوزي في "مناقب أحمد" أيضًا بإسناده إلىٰ يعقوب ابن أخي معروف عن محمَّد بن إسحق قال: رأيتُ القيامة قد قامتْ، ورأيت ربَّ العزَّة عزَّ وجلَّ -أسمع الكلام وأرىٰ النور- فقال: «ما تقول في القرآن؟» فقلت: كلامُك يا ربَّ العالمين، قال: «من أخبرك؟» فقلتُ: أحمد بن حنبل، فقال: «الحمد لله»، فدعىٰ أحمد فقال له: «ما تقول في القرآن؟» فقال: كلامُك يا ربَّ العالمين، قال: «ومنْ أين علمتَ؟» قال: فصفح أحمد ورقتين فإذا في ورقة شعبة عن المغيرة، وفي الأخرىٰ عطاء عن ابن عبَّاسٍ، فدعىٰ شعبة، فقال الله تعالىٰ: «ما تقول في القرآن؟» فقال: كلامك يا رب العالمين، فقال: «من أين علمت؟» قال: أنا عطاء عن ابن عبَّاسٍ، فلم يدع عطاء، ودعا ابن عبَّاسٍ، فقال: «ما تقول في القرآن؟» قال: كلامك يا رب العالمين، قال: «أين علمت؟» قال: أنا محمَّد رسول الله، فدعىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال الله له: «ما تقول في القرآن؟» فقال: «كلامُك يا ربَّ العالمين»، قال: «ومن أخبرك؟» قال: «جبريلُ عنك»، قال: «صدقتَ وصدقوا».

وأخرج ابن الجوزي أيضًا بسنده إلىٰ أبي الحسن بن الحسين الصوَّاف، قال:

رأيت ربَّ العزَّة في المنام فقال لي: «يا حسنُ من خالف ابن َحنبل عُذِّب»؛ أي: لأنَّه كان يقول: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ.

وقال أبو سعيد الواعظ في كتاب "التعبير": أخبرنا أبو القاسم الحسين بن هرون بعكًّا: ثنا أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم الأوزاعي: أخبرني عبدالرحمن بن واصل أبو زرعة الحاضري: ثنا أبو عبدالله التسترُيُّ قال: رأيت ربِّي في منامي كأنَّ القيامة قد قامت وقمتُ من قبري، فأُتيتُ بدابَّة فركبتُها ثمَّ عُرج بي إلىٰ السَّماء فإذا فيها جنَّة، وأردت أنْ أنزل فقيل لي: ليس هذا مكانك، فعُرج بي إلىٰ سماء سماء في كلِّ سماءٍ منها جنَّة حتىٰ صرتُ إلىٰ أعلىٰ علِّيين، فنزلت ثمَّ أردتُ أن أقعد فقيل لي: تقعدُ قبل أنْ ترىٰ ربَّك عزَّ وجلَّ؟ قلت: لا. فقمتُ فساروا بي فإذا الله تبارك وتعالىٰ قدَّامَهُ آدمُ عليه السَّلام، فلما رآني آدم عليه السَّلام أجلسني يمينَه جِلسةَ المستغيثِ قلتُ: يا ربِّ قد أفلجت علىٰ الشَّيخ بعفوك، فسمعت الله تعالىٰ يقول: «قمْ يا آدمُ قد عفونا عنك».

وقال أبو سعيد أيضًا: أنا أبو علي الحسن بن محمَّد الزبيري: ثنا محمَّد بن المسيِّب: ثنا عبدالله بن حنيف قال: ثني ابن أخت بشر بن الحرث قال: جاء رجلٌ إلىٰ بشر فقال: أنت بشر بن الحرث؟ قال: نعم. قال: رأيت الربَّ عزَّ وجلَّ في المنام، وهو يقول: ائت بشرًا فقل له: «لو سجدتَ لي علىٰ الجَمر ما أدَّيتَ شُكري لما قد بيَّنتُ اسمَك في النَّاس».

وقال أبو سعيد أيضًا: أنا أحمد بن أبي عمران الصُّوفي بمكَّة: أني أبو بكر الطَّرْطوسيُّ قال: قال عثمان الأحول تلميذ الخرَّاز: بات عندي أبو سعيد -يعني: الخرَّاز- فلما مضىٰ ثلث اللَّيل صاح بي يا عثمان قُم أسرجْ، فقمت

فأسرجت فقال لي: ويحك رأيت السَّاعة كأنِّي في الآخرة والقيامة قد قامت، فنوديت فأوقفت بين يدي ربِّي وأنا أرعُدُ لم يبق عليَّ شعرة إلَّا قد ماتت، فقال: «أنت الذي تشير إليَّ في السَّماع إلى سلمىٰ وبثينة، لولا أعلم أنَّك صادقٌ في ذلك لغذَّبتك عذابًا لا أعذِّبه أحدًا من العالمين».

وذكر القطب الشَّعراني رضي الله عنه في "الطبقات الكبرىٰ" عن أبي يزيد البسطامي أنَّه قال: رأيتُ ربَّ العزَّة في النوم فقلتُ: يا رب كيف أجدك؟ فقال: «فارقْ نفسَك وتعالَ إليَّ».

وذكر عبدالحكيم السِّيَالْكُوتي في "حاشية المواقف": أنَّ ممن ورد عنه رؤية الله تعالىٰ في النَّوم من الصَّحابة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ومن غيرهم أبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ، ومثل هذا كثيرٌ بالغٌ حدَّ التواتر، وأنا أعرف أناسًا رأوا الله تعالىٰ في المنام منهم شيخنا وشيخ شيوخنا خاتمة المحدِّثين بفاس السَّيد محمَّدبن جعفر الكتاني روَّح الله روحه، ونوَّر ضريحه، فقد أثبت ذلك في "مبشراته"، وبلغني أنَّ بعض المتعصِّبة من علماء بلده استنكروا ذلك لما سمعوه واستعظموه، وليت شعري ما حملهم علىٰ الاستنكار والاستعظام! أغاب عنهم ما ذكرناه وما ذكره أهل التعبير؟ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النساء: ٥٤].

والخلاصة: أنَّه لا داعي لاستنكار رؤية الله في المنام، إذ هي ثابتةٌ واقعةٌ وهي ضربٌ من المُبشِّرات، يكرم الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، ولما يقع فيها من الأوصاف المستحيلة علىٰ الله كرؤيته علىٰ صورة شيخٍ أو شابٍّ، أو مقبلًا أو مدبرًا، لكلِّ ذلك تأويلات تختلف بحسب حال الرَّائي، عقد لها أهل

التَّعبير في كتبهم بابًا خاصًّا، هذا ما رأينا كتابته في الحال، وقد كنَّا عزمنا على تحرير مثله، منذ زمنٍ حيث كان كتب في الموضوع نفسه، فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمَّد سليمان سليمان كتابة تحتاج إلى مناقشة، فلم تساعده الأقدار إذ ذاك على ذلك، ولكلٍّ أجلٍ كتابٌ.

٤- رؤية الأولياء لله(١)

قال مسروقٌ لعائشة رضي الله عنها: هل رأىٰ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربه عزَّ وجلَّ؟ فقالت: سبحان الله!! لقد قَفَّ شعري لما قُلتَ، يرحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا حتىٰ تسمع من يحدِّثُها أنَّ فلانًا الوليَّ يرىٰ الله عيانًا؟!

ورؤية النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربَّه مما اختلف فيها العلماء الصَّحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، فمِن مُثبتٍ لها ومن مُنكرٍ، وبنو هاشمٍ كما يقول ابن عبَّاسٍ: كلُّهم علىٰ إثباتها، والإمام أحمد ممن يثبتها أيضًا، ويقول: فيما يرويه عنه عبدوس بن مالك العطَّار، من كلامٍ له بيَّن به أصول السُّنَّة عند السَّلف: والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الأحاديث الصِّحاح، وأنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد رأىٰ ربَّه، فإنَّه مأثورٌ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صحيحٌ، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، ورواه عليُّ بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عبَّاسٍ، والحديث عندنا علىٰ ظاهره كما جاء عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والكلام فيه بدعةٌ، ولكن نؤمن به علىٰ ظاهره ولا نناظر فيه أحدًا، وسُئل عن ذلك كما في "تفسير العشاب" فقال: رآه رآه رآه رآه حتىٰ انقطع نفسه، وسُئل -كما جاء في "علل الأخلاق"- عن حديث أبي ذر: «**نورٌ أنَّى أراه رأيتُ نورًا**». فقال: ما زلت منكرًا له وما أدري ما وجهه؟

قلت: وابن خزيمة يوافق الإمام أحمد علىٰ إثبات الرؤية، ويُعلُّ حديث أبي ذرٍّ بما تجده في كتاب "التوحيد"، والكلام في هذا طويلٌ متشعِّبٌ أفرد بالتأليف

---

(١) مجلة الإسلام.

فيحتاج بَتُّ الرَّأي فيه إلىٰ دراسةٍ واسعةٍ تجمع أطراف ما كتب من الجانبين مع تمحيصٍ دقيقٍ، ثمَّ بعد ذلك لا يخفىٰ علىٰ الباحث الفَطِن ما هو الحقُّ الحقيق بالاتباع، ونرجع إلىٰ موضوعنا الذي أنشأنا المقال لأجله.

بلغني أنَّ محيي الدين بن العربي ذكر في "فتوحاته" أنَّه رأىٰ الله عيانًا، فأخذتني قشعريرةٌ من سماع هذا الكلام وعلَّتني الرَّمضاء، ثمَّ قلت لمحدِّثي -بعد وجوم-: هذا لا يصح عن ابن العربي، وإنْ صحَّ فهو مؤوَّلٌ يقينًا؛ لأنَّ إجماع الصُّوفيَّة ومعهم علماء الظَّاهر، قائمٌ علىٰ أنَّ رؤية الله في الدُّنيا يقظة لم تقع لأحدٍ غير نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، علىٰ ما في رؤيته من خلاف، وكلُّ قول يكون بمنطوقه أو مفهومه مخالفًا للإجماع يجب طرحه جانبًا أو تأويله بما يوافق الجماعة إن كان للتأويل فيه مجال، هذا ما قرَّرته حينئذٍ، ثمَّ ظهر لي بعد أن أتوسَّع في التقرير بعض التوسُّع وأعود عليه بالتنقيح والتهذيب، فلعلَّ فيه استبهامًا يحتاج إلىٰ بيانٍ، أو اعتراضًا يعوزه جوابٌ، أو نقصًا يتوقَّف علىٰ تتميمٍ وتكميلٍ مع ما في إذاعة ذلك ونشره من الفائدة لجمهرة القرَّاء، إذ الموضوع يتصل بصميم العقائد ويدخل في أمَّهات السَّمعيَّات من عِلم التوحيد، فإليك طائفةً من النُّصوص لا تتعلَّق بجواز الرُّؤية وإنْ دلَّت عليه التزامًا؛ إذ أنَّ ذلك مفروغٌ منه في موضعه، ولكنَّها تتسع الوقوع وتبيِّن حكم مدَّعيه.

في "صحيح" مسلم عن بعض أصحاب النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تعلَّموا أنَّ أحدًا منكم لن يرى ربَّه عزَّ وجلَّ حتَّى يموتَ**»، ومثله عند ابن خزيمة من حديث أبي أُمامة ومن حديث عبادة بن الصَّامت[1] وهو صريحٌ

---

(١) رواه أحمد أيضًا.

في منع الوقوع، ولذا قال الحافظ في "الفتح": «فإنْ جازت الرُّؤية في الدُّنيا عقلًا فقد امتنعت سمعًا» اهـ.

وفي "الفتح" أيضًا كلامٌ على حديث سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان عقب قوله: «**فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراك**»، تنبيهٌ دلَّ على سياق الحديث، على أنَّ رؤية الله في الدُّنيا بالأبصار غير واقعةٍ، وأمَّا رؤية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذاك لدليلٍ آخر، وقد صرَّح مسلمٌ في روايته من حديث أبي أُمامة بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**واعلموا أنَّكم لن تروا ربَّكم حتى تموتوا**».

وأقدم بعض غُلاة الصُّوفيَّة على تأويل الحديث بغير علمٍ، فقالوا: فيه إشارةٌ إلى مقام المحو والفناء وتقديره: فإنْ لم تكن -أي: فإنْ لم تَصِرْ شيئًا وفنيت عن نفسك- حتى كأنَّك ليس بموجودٍ فإنَّك حينئذٍ تراه، ثمَّ ردَّ هذا التأويل بما يطلب هناك.

وفي كتاب "التوحيد" بعد ذكر آيتي الرُّؤية يوم القيامة: حدَّثنا جلَّ ثناؤه أنَّها -يعني الرُّؤية- بعد الموت وأنَّهم لا يرونه قبل المات، ولو كان معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، على ما تتوهَّمه الجهميَّة المعطِّلة الذين يجهلون لغة العرب، فلا يُفرِّقون بين النَّظر وبين الإدراك، لكن معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾أي: أبصار أهل الدُّنيا قبل المات، ثمَّ استشهد بحديث أبي أُمامة: «**لنْ ترَوْا ربَّكم حتَّى تموتوا**» ثمَّ قال: فيه دلالةٌ واضحةٌ اهـ.

وفي "تفسير العشاب": وروى مالكٌ أنَّه سئل عن رؤية الله بالبصر في الدُّنيا فقال: لا يُرى الباقي بالفاني، وذكره القاضي عياض في "إكمال المعلم ولفظه"- بعد ذكر جواز الرُّؤية ووقوعها في الآخرة-، وأمَّا في الدنيا فقال مالكٌ: إنَّما لم يُرَ

سبحانه في الدُّنيا؛ لأنَّه باقٍ والباقي لا يُرىٰ بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارًا باقيةً رأوا الباقي بالباقي، هذا كلامُ الإمام مالك[١] شيخ الأئمَّة وأشدُّهم إتقانًا وتثبُّتًا، ويوافقه في المعنىٰ من كلام علية القوم، قول السهروردي في "أعلام الهدىٰ وعقيدة أرباب التقىٰ": أنَّ رؤية العيان متعذِّرةٌ في هذه الدَّار؛ لأنَّها دار الفناء والآخرة هي دار البقاء، فلقوم من العلماء نصيبٌ من علم اليقين في الدُّنيا، وللآخرين -أعلىٰ منهم مرتبة- نصيبٌ من عين اليقين، كما قال قائلهم: رأىٰ قلبي ربي، وقرأت في "استجلاب ارتقاء الغرف" للحافظ السَّخاوي: وفي "المجالسة" من طريق المدائني قال: بينما محمَّد بن علي بن الحسين عليهم السَّلام في فناء الكعبة أتاه أعرابي فقال له: هل رأيت الله حيث عبدته فأطرق وأطرق من كان حوله، ثمَّ رفع رأسه إليه فقال: ما كنت أعبد شيئًا لم أره، قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُدرَك بالحواسِّ، ولا يُقاسُ بالنَّاس، معروفٌ بالآيات، منعوتٌ بالعلامات،

(١) لما نقل ابن الصلاح عن أبي منصور التميمي أن أصحَّ الأسانيد الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر، واحتجَّ بإجماع أهل الحديث علىٰ أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي، اعترضه مغلطاي الحنفي برواية أبي حنيفة عن مالك إن نظرنا إلىٰ الجلالة وابن وهب والقَعْنبي إن نظرنا إلىٰ الإتقان، وأجيب عنه بأجوبةٍ منها ما قاله شيخ الإسلام الحافظ أنَّ رواية أبي حنيفة عن مالك لم تثبت وإنما أوردها الدارقطني ثم الخطيب لرواية وقعت لهما عنه بإسنادين فيهما فقال: وأيضًا فإن رواية أبي حنيفة عن مالك إنما هي ذكره في المذاكرة ولم يقصد الرواية عن كالشافعي الذي لازمه وأخذ عنه "الموطأ" إلخ ومعلوم أنَّ القعنبي وابن وهب أنزل من الشافعي بدرجات بل أجلية أبي حنيفة علىٰ الشافعي في مقام المنع.

لا يجوز في قضيَّته، بَانَ من الأشياء وبانت الأشياء منه، وليس كمثله شيءٌ، ذلك الله الذي لا إله إلَّا هو. فقال الأعرابي: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وهذا كلام أبي جعفر الباقر صفوة آل بيت النُّبوَّة، وممن جمع حسب الدِّين وشرف الأبوَّة. وفي "شرح صحيح مسلم" للإمام النووي بعد ذكر جواز الرُّؤية ووقوعها في الآخرة: وأمَّا رؤية الله تعالىٰ في الدُّنيا، فقد قدَّمنا أنَّها ممكنة ولكن الجمهور من السَّلف والخلف من المتكلِّمين وغيرهم أنَّها لا تقع في الدُّنيا، وحكىٰ الإمام أبو القاسم القشيري في "رسالته" المعروفة عن الإمام أبي بكر ابن فورك رضي الله عنه، حكىٰ فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري، أحدهما: وقوعها، والثاني: لا» اهـ.

وعبارة "الرسالة القشيرية": فصلٌ: فإنْ قيل: فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم في الدُّنيا علىٰ جهة الكرامة؟

فالجواب: عنه أنَّ الأقوىٰ فيه أنَّه لا يجوز، لحصول الإجماع عليه وقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رضي الله عنه يحكي عن أبي الحسن الأشعري أنَّه قال في ذلك قولين في كتاب "الرؤية الكبير".

قلت: قول أبي الحسن الأشعري لا يضرُّ الإجماعَ شيئًا كما ستعرفه، ألا ترىٰ أنَّ الإمام القشيريَّ حكىٰ الإجماع أولًا ثمَّ نقل قول الأشعري، ولو كان مؤثِّرًا شيئًا لما استجاز حكاية الإجماع، وفي "حادي الأرواح" بعد استيعاب أدلَّة الرُّؤية يوم القيامة استيعابًا بالغًا: والمنحرفون في باب رؤية الرَّب تبارك وتعالىٰ نوعان:

أحدهما: من يزعم أنَّه يُرىٰ في الدُّينا ويحاضِر ويسامِر.

والثاني: من يزعم أنَّه لا يُرىٰ في الآخرة البتَّة ولا يكلِّم عباده.

وما أخبر الله به رسوله وأجمع عليه الصَّحابة والأئمَّة يكذِّب الفريقين، وفي كتاب "التعرُّف لمذهب التصوُّف": وأجمعوا على أنَّه تعالى لا يُرى في الدُّنيا بالأبصار، ولا بالقلوب إلَّا من جهة الإيقان بأنَّه غاية الكرامة وأفضل النعم، ولا يجوز ذلك إلَّا في أفضل مكانٍ، ولو أعطوا في الدُّنيا أفضل النِّعم لم يكن بين الدُّنيا الفانية والجنة الباقية فرقٌ، ولمَّا منع الله كليمه موسى عليه السَّلام ذلك في الدُّنيا كان مَنْ دونه أحرى، ولا نعلم أحدًا من مشايخ هذه الطريق ولم نر في كتبهم ولا في مصنَّفاتهم ولا في رسائلهم ولا في الحكايات الصَّحيحة عنهم، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم زعم أنَّ الله يُرى في الدنيا أو رآه أحدٌ من الخلق، إلَّا طائفة غُلاة لم يعرفوا بأعيانهم، بل زعم بعض النَّاس أنَّ قومًا من الصُّوفيَّة ادعوه لأنفسهم، وقد أطبق المشايخ كلُّهم على تضليل من قال ذلك، وتكذيب من ادَّعاه وصنَّفوا في ذلك كتابًا، منهم أبو سعيد الخرَّاز والجُنيد في تكذيب من ادَّعاه وتضليله، وقالوا: من ادَّعى ذلك لم يعرف الله تعالى، وهذه كتبهم تشهد على ذلك، هذا كلامٌ صريحٌ موضِّحٌ كافٍ وشافٍ، وقد أقرَّه عليه شارحه علاء الدين القونوي والحافظ السُّيوطي في "تأييد الحقيقة العليَّة"، بل زاد القونوي: وقد يكون الشَّيطان تراءى لمن ادَّعى ذلك ودعاه لنفسه وربطه في الضَّلال.

قلت: مثل هذا -من المزالق الخطرة- يجد الشَّيطان فيه مجالًا واسعًا للتَّضليل والإغْواء، فلا ينجو إلَّا من أراد الله به خيرًا، كما ذكر العارف الشَّعراني في "الطبات"، و"اليواقيت" عن الشَّيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه قال: تراءى لِيَ مرَّة نورٌ عظيمٌ ملأ الأفق، ثم بدتْ لي صورةٌ تناديني يا عبدالقادرأنا ربُّك وقد أسقطتُ عنك التكاليف، فإنْ شئتَ فاعبدني وإنْ شئتَ

فاتركْ، فقلتُ له: اخسَأْ يا لعين فإذا ذلك النُّور قد صار ظلامًا وتلك الصورة صارت دخانًا ثمَّ خاطبني اللَّعين، وقال لي: يا عبدالقادر نجوتَ منِّي بعلمك بأحكام ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقيل للشيخ عبدالقادر: فمن أين عرفت أنَّه شيطانٌ؟ فقال: بإحلاله لي ما حرَّم الله على لسان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنَّه تعالى لا يحرِّم شيئًا على ألسنة رسله ثمَّ يبيحه لأحدٍ في السِّر أبدًا، وفي "شرح الفقه الأكبر" لملَّا علي القاري -بعد كلامٍ في هذا المعنى- وقد نقل جماعةٌ الإجماع على أنَّ رؤية الله تعالى لا تحصل للأولياء في الدُّنيا، وقد قال ابن الصَّلاح وأبو شامة: إنَّه لا يُصدَّق مُدَّعي الرُّؤية في الدُّنيا حال اليقظة، فإنَّها شيءٌ مُنع منه كليم الله موسى، وفيه أيضًا:

والحاصل: أنَّ الأمة قد اتَّفقتْ على أنَّه تعالى لا يراه أحدٌ في الدُّنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك، إلَّا لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حال عروجه على ما صرَّح به في "شرح عقيدة الطحاوي" وفي "اليواقيت"، فإنْ قيل: فهل وقعت رؤية الله تعالى في يقظة الدُّنيا لأحدٍ غير رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحكم الإرث له في المقام؟

فالجواب كما قاله الشيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه: لم يبلغنا وقوع ذلك في الدُّنيا لأحدٍ غير رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي هذه دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ ابن العربي لم يصحّ عنه ادعاء الرُّؤية كما قدَّمنا، إذْ لو صحَّ لنقله العارف الشَّعراني رضي الله عنه فإنَّه أعرف بكلام الشَّيخ، لا يغيب عليه منه شيءٌ وأفهم له في غيره.

٥- حكمُ الذين يحقِرون النبيَّ ﷺ باسم التَّوحيد والسُّنة[1]

عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ أعمىٰ كانت له أم ولدٍ علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تُكثر الوقيعة في رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتشتُمه، فقتلها الأعمىٰ، فذكر ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أشهدُ أنَّ دمَهَا هَدَر**». رواه أبو داود والنَّسائيُّ والبيهقيُّ وهذا لفظه.

وفي "سنن أبي داود" و"البيهقي"، واللفظ للأول، عن أبي برْزةَ قال: كنت عند أبي بكر رضي الله عنه فتغيَّظ علىٰ رجلٍ فاشتدَّ عليه، فقلتُ: ائذنْ لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه. قال: فأذهبتْ كلمتي غضبَه فقام فدخل فأرسل إليَّ، فقال ما الذي قلتَ آنفًا؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه. قال: أكنتَ فاعلًا لو أمرتُك؟ قلت: نعم. قال: لا والله، ما كانتْ لبشر بعد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. صحَّحه الحاكم وابن تيمية.

وقوله: «إنَّ أعمىٰ كان له أمٌّ ولد علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تُكثر الوقيعةَ فيه... إلخ».

وفي "سنن أبي داود" و"سنن ابن بطة" عن الشَّعْبي عن عليٍّ عليه السلام، أنَّ يهوديَّة كانت تشتُم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقع فيه فخنقَها رجلٌ حتىٰ ماتت، فأبطل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دَمَها.

وجاء في روايةٍ أنَّ الرَّجل كان أعمىٰ، قال ابن تيمية في كتاب "الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول" وهذا الحديث نصٌّ علىٰ جواز قتلها -يعني:

(١) مجلة المسلم، السنة الخامسة، العدد الرابع، ذي القعدة ١٣٧٤.

اليهودية- لأجل شتم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ودليل علىٰ قتل الرجل الذِّميِّ، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبَّا بطريق الأولىٰ.

وقال أبو بكر بن المنذر: «أجمع عوامُّ أهل العلم علىٰ أنَّ مَن سبَّ النبيَّ يُقتل». وممن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعيِّ.

وقال القاضي عياض في "الشفا": «اعلمْ أنَّ جميع مَن سبَّ النبيَّ أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبهه بشيءٍ علىٰ طريق السبِّ له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغضِّ منه والعيب له، فهو سبٌّ له والحكم فيه حكم السابِّ؛ يقتل كما نبيِّنُه، ولا نستثني فصلًا من فصول هذا الباب علىٰ هذا القصد ولا نمتري فيه تصريحًا كان أو تلويحًا، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنىٰ مضرَّةً له أو نسَب إليه ما لا يليق بمنصبه علىٰ طريق الذمِّ أو عبثَ في جهته العزيزة بسُخْفٍ من الكلام وهُجْرٍ ومنكرٍ من القول وزورٍ، أو عيَّره بشيءٍ مما جرىٰ من البلاء والمحنة عليه، أو غمَصَه ببعض العوارض البشريَّة الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماعٌ من العلماء وأئمَّة الفتوىٰ من لدن الصحابة إلىٰ هلمَّ جرّا».

وقال الإمام محمد بن سَحْنون: «أجمع العلماء أنَّ شاتم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المنتقِّص له: كافرٌ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمَّة القتل، ومَن شكَّ في كفره وعذابه كفَر».

وقال الإمام ابن عتاب: «الكتاب والسُّنة موجبان أنَّ من قصد النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأذًىٰ أو نقصٍ معرِّضًا أو مصرِّحًا وإن قلَّ؛ فقتله واجبٌ».

وسمع رجلٌ قومًا يتذاكرون صفة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذ مرَّ بهم رجلٌ قبيحُ الوجه واللِّحية فقال لهم: تريدون تعرفون صفته؟ هي في صفة هذا المارِّ في خلقه ولحيته. فأفتىٰ الإمام ابن أبي زيد القيرواني بقتله وعدم قبول توبته.

وأفتىٰ أبو الحسن القابسيُّ فيمن قال في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «الحمَّال يتيمُ أبي طالب» أنه يُقتل، وفتاوىٰ العلماء ونصوصهم في هذا كثيرةٌ.

قوله: «كنت عند أبي بكر فتغيَّظ علىٰ رجل.. إلخ»، لهذا الأثر طرقٌ عند النَّسائيِّ وغيره، وروىٰ قاسم بن أصبغ في "مصنفه"، ومن طريقه ابن حزمٍ، عن أبي برزة قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصِّدِّيق، قلت: ألا أقتله؟ فقال أبو بكر: ليس هذا إلَّا لمن شتم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ورويا أيضًا عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنَّه كان علىٰ الكوفة لعمر بن العزيز، فكتب إلىٰ عمر: «إنِّي وجدت رجلًا بالكوفة يسبُّك وقامت عليه البيِّنة فهممتُ بقتله أو قطع يديه أو قطع لسانه أو رجليه، ثمَّ بدا لي أنْ أراجعَك فيه».

فكتب إليه عمر بن العزيز: «سلام عليك أمَّا بعد؛ والذي نفسي بيده لو قتلتَه لقتلتُك به، ولو قطعتَه لقطعتُك به، ولو جلدتَه لأقدتُه منك، فإذا جاءك كتابي هذا فاخرج به إلىٰ الكناسة فسبَّه كالذي سبَّني أو اعفُ عنه فإن ذلك أحبُّ إليَّ، فإنه لا يحلُّ قتل امرئ مسلمٍ يسبُّ أحدًا من الناس إلا رجلًا سبَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وروىٰ محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومن طريقه ابن حزمٍ، عن علي بن

المديني قال: دخلت على أمير المؤمنين فقال لي: أتعرف حديثًا مسندًا فيمن سبَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيُقتل؟ قلتُ: نعم. فذكرتُ له حديث عبدالرزاق، عن معمر، عن سِماك بن الفضل، عن عروة بن محمد، عن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن يكفني عدوًّا لي؟**» فقال خالد بن الوليد: أنا. فبعثه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقتله.

فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مسندًا هو عن رجل. فقلت: يا أمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه وقد أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فبايعه وهو مشهورٌ معروفٌ. قال فأمر لي بألف دينار.

وقال ابن حزمٍ: هذا حديثٌ مسندٌ صحيحٌ، وقد رواه علي بن المديني عن عبدالرزَّاق كما ذكره. ثم قال ابن حزم بعد ذكر ما تقدَّم من الأثار ما نصُّه: «فصحَّ بما ذكرناه أنَّ كلَّ مَن سبَّ الله تعالىٰ أو استهزأ به، أو سبَّ ملَكًا من الملائكة أو استهزأ به، أو سبَّ نبيًّا من الأنبياء أو استهزأ به، أو سبَّ آيةً من آيات الله تعالىٰ أو استهزأ بها -والشرائع كلُّها والقرآن من آيات الله تعالىٰ- فهو بذلك كافرٌ مرتدٌّ له حكم المرتدِّ وبهذا نقول».

وقلت: يدخل في هذا ما بلغني عن بعض المتسلِّفين ممن انضمَّ أخيرًا إلىٰ القَصيمي -قصمه الله- أنه قال في مجلسٍ يضمُّ كثيرًا من الناس: إنَّ القرآن ناقصٌ؛ لأنه لم يُشِر إلىٰ المخترعات الحديثة وأنَّه كان الواجب أن يقول: وإنَّ لكم في (الأورنيوم) لعبرة بدل قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ [النحل: ٦٦] مثلًا وهذا كما ترىٰ كفرٌ صريحٌ يوجب قتل صاحبه والعياذ بالله تعالىٰ.

(تنبيه): كثير ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبيًّا من الأنبياء، أو ملكًا من الملائكة على سبيل ضرب المثل كأن يقول: إن قيل فيَّ السوء فقد قيل في النبيِّ، أو: إن كُذِّبتُ فقد كُذِّب الأنبياء، أو: صبرتُ كصبر أيُّوب، أو: لا أفعل كذا ولو نزل عليَّ جبريل، أو: أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله، أو: كلُّ الناس أذنبوا حتى الأنبياء، ونحو هذا مما يدور بين الناس في محاورتهم ومخاصماتهم.

قال القاضي عياض في "الشفا" بعد أن ذكر كثيرًا من الأمثلة من هذا القبيل ما نصه: «فحَقُّ هذا -إن دُرِئ عنه القتل- الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه، ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به».

ثم نقل فتاوى عمر بن عبد العزيز ومالك وسحنون وغيرهم فليراجعْ كلامه، فإنَّه أجاد فيه غاية الإجادة.

وللحافظ السيوطي رسالة "تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء" ألَّفها بسبب حادثةٍ وقعت من القبيل المذكور وهي مطبوعةٌ في كتابه "الحاوي للفتاوى".

ومن قلَّة الأدب مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما سمعته من عالم أزهري -وهو في الواقع جاهل- سمعته يقول في مجلس خليط: إنَّ محمدًا أخطأ وسجَّل الله عليه الخطأ في القرآن أعادها مرتين أو ثلاثة فأخذتْ بعض الحاضرين حماسة الإيمان وردَّ عليه بأنَّ هذا لا يليق وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يخطئ، فأصرَّ على مقالته وأعادها وقال: إنَّه يأسف على تصريحه

هذا ولكنْ دعاه إليه التعليم.

قلت: ما كان أحوجه أن يأسف على قلَّة أدبه وكثرة جهله وفرْط حقده وتعصُّبه.

ومقام النبَّوة أعلى وأجلُّ عن مثل هذا التعبير الشنيع قال ابن السبكي في "جمع الجوامع": «والصواب أنَّ اجتهاده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يخطئ».

قال شارحه الجلال المحلِّي: «تنزيهًا لمنصب النبوَّة عن الخطأ في الاجتهاد وقيل: قد يخطئ ولكن ينبَّه عليه سريعًا لما تقدم في الآيتين: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ [الأنفال: ٦٧] ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣]».

ولبشاعة هذا القول عبَّر المصنف بـ«الصواب» أي: ليفيد أن مقابله غير صواب، كما قاله العلامة العطار في حاشيته على "جمع الجوامع" والله أعلم.

٦- سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده(١)[1]

اطَّلعت في العدد الرابع والأربعين من "مجلة الإسلام" الغرَّاء على أسئلة وأجوبتها للأستاذ الشيخ عبد الجواد محمد الدومي، فإذا هو يجيب من سأله عما يقال: إن نقل الجُثَّة يستلزم السؤال مرَّتين؛ بأنَّ المصرَّح به في بعض كتب التوحيد أنَّ الميت إذا علم الله تعالى أنه سينقل من قبره إلى قبر آخر لا يسأل إلا في مقرِّه الأخير. اهـ

وحيث أن هذا الجواب لم يصادف محلَّه من الصواب رأيت أن أبيِّن الحقَّ في الموضوع مع احترامي لشخص الأستاذ فأقول:

إنَّ الميت لا يُسأل إلَّا في قبره الأول سواء أنقل منه إلى قبر آخر أم لم يُنقل، وإذا نقل لم يسأل في القبر الثاني أصلًا. هذا ما دلَّ عليه عموم أحاديث:

١ - عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمر ابن الخطاب: **«يا عمرُ، كيف بك إذا أنت متَّ فقاسوا لك ثلاثة أذرعٍ وشبرًا في ذراعٍ وشبرٍ ثُمَّ رجعوا إليك وغَسَّلُوكَ وكَفَّنوكَ وحَنَّطُوكَ، ثُمَّ احْتَمَلوكَ حتَّى يَضَعُوكَ فيه ثُمَّ يُهيلوا عليك الترابَ ويَدْفُنوكَ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتَّانا القَبْرِ -مُنكَرٌ ونَكيرٌ- أصواتُهما كالرَّعْدِ القاصِفِ، وأبصارُهما كالبرقِ الخاطفِ، يُجرُّان أشعارهما، ويبحثان القبرَ بأنيابهما، فتَلْتَلاك وتَرْتَرَاك -أي: أزعجاك- وهوَّلاك فكيف بك عند ذلك يا عمر؟»**.

فقال عمر: و يكون معي مثل عقلي الآن؟، فقال رسول الله صلَّى الله عليه

---

(١) مجلة الإسلام -السنة الثالثة (العدد ٤٦) ٢٥ ذي القعدة ١٣٥٣.

وآله وسلَّم: «نعم» قال: إذًا أكفيكهما.

رواه ابن أبي الدنيا في "القبور"، والبيهقيُّ في "عذاب القبر"، وأبو نعيم في "الحلية" بإسنادٍ صحيحٍ غير أنه مرسلٌ، لكن رواه ابن بطة في "الإبانة" من حديث ابن عبَّاسٍ، ورواه البيهقي في "الاعتقاد" من حديث عمر بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه أحمد، وابن حِبَّان من حديث عبد الله بن عمرو، وهو حديث طويل اختصرنا منه لفظ السؤال وكيفيَّته.

٢- عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لأخيكم، وسَلوا لَهُ التثبيتَ؛ فإنَّه الآن يُسأل**». رواه أبو داود، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد» وأقرَّه الحافظ الذهبيُّ.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا مات العبدُ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقالُ لأحدهما منكرٌ وللآخر نكيرٌ، فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في النبيِّ**». وفي روايةٍ: «**في هذا الرجل**»، وذكر الحديث في كيفية السؤال والجواب من المؤمن والكافر. خرجه الترمذيُّ وحسَّنه.

٤- عن أبي هريرة أيضًا قال: شهدنا جنازة مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال: «**إنَّه الآنَ يسمعُ خفقَ نعالِكم أتاه منكرٌ ونكيرٌ أعينُهما مثل قُدور النُّحاس وأنيابهما مثل صياصِيِّ البقر وأصواتُهما مثلُ الرَّعد**». وذكر الحديث في كيفية السؤال والجواب. رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وقال: «تفرَّد به ابن لَهيعة».

قلت: وهو ثقةٌ بل كان فقيه مصر في وقته، وإنما تُكلِّم فيه لأجل اختلاطه فإنَّ كتبه احترقت في آخر حياته فصار يُحدِّث من حفظه، وقد استقرَّ عمل الحفَّاظ على تحسين حديثه، وحسَّن له الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" عدَّة أحاديث تفرَّد بها، فحديثه هذا حسنٌ لا سيَّما وله شواهد مُتعدِّدة.

٥- عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابه وإنه يسمع قَرْعَ نِعالهم، قال: يأتيه مَلَكان فيُقْعِدانِه، فيقولانِ ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل الذي يقالُ له محمَّد..**».

وذكر الحديث في السؤال، رواه الشيخان.

٦- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ المؤمن إذا كان في انقطاعٍ مِن الدُّنيا وإقبالٍ مِن الآخرة بعثَ اللهُ إليه ملائكةً كأنَّ وجوهَهم الشمسُ، معهم حَنُوطُهُ وكَفَنُهُ فيَجْلِسون مَدَّ بصره، فإذا خرجت رُوحه صلَّى عليه كلُّ مَلَكٍ بين السماء والأرض، وفتُحِتْ أبواب السماء، فإذا صُعِدَ برُوحه قيل: أيْ ربِّ عبدك فلان. فيقول: أرجعوه فأروه ما أعددتُ له مِن الكرامة. فتُعاد روحه في جسده، وإنه ليسمع خَفْقَ نِعالهم إذا ولو مُدْبِرين، يأتيه مَلَكان فيُجْلِسانِهِ، فيقولان له: مَن رَبُّك؟ فيقول: ربِّي الله. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلامُ. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..**» وذكر الحديث.

ثُمَّ قال: «**وإنَّ العَبْدَ الكافِرَ إذا كان في انقطاعٍ مِن الدُّنيا وإقبالٍ مِن الآخِرة نزلت إليه ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ معهم ثيابٌ مِن نارٍ وسرابيل مِن قَطِران فيَحْتَوشُونه فإذا خرجتْ رُوحه لعنه كلُّ مَلَكٍ بين السماء والأرض، وغُلِّقت أبوابُ السَّماء،**

فإذا صُعِد بروحه نُبِذ وقيل: أي ربِّ عبدك فلان لم تقبلْه سماءٌ ولا أرضٌ. فيقول: أرجعوه فأرُوه ما أعددتُ له مِن الشرِّ. فتعادُ روحُه في جسده، وإنه ليسمع خَفْقَ نِعالهم إذا ولَّوا مُدبرين، ويأتيه مَلَكان فيُجْلِسانه فيقولان له: مَن رَبُّك؟ فيقول هاه هاه لا أدري. فيقولانِ ما دينُك؟ فيقول هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ مِن السَّماء: أنْ كذب عبدي فافرشوا له مِن النَّار، وألبِسُوه مِن النَّار، وافتحوا له بابًا مِن النَّار. فيأتيه مِن حَرِّها، وسَمُومِها، ويُضَيَّق عليه قبره حتَّى تختلفَ أَضْلَاعُهُ». الحديث. رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والطَّيالسي، وأبو داود، وعبد ابن حميد، وابن جرير، وهناد، وابن حِبَّان، والحاكم، والبيهقي. بألفاظ متعدِّدة وطرقٍ صحيحةٍ.

٧- حديث تميم الداري وهو بلفظ حديث البَرَاء، ومعناه. رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلي في "مسنده الكبير" من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عنه، ويزيد ضعيفٌ.

٨- عن أبي رافع قال: بَيْنَا أنا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بَقِيعِ الغَرْقَدِ، وأنا أمشي خَلْفَهُ، إذ قال: **«لاَ هُدِيتَ ولا اهْتَدَيْتَ»**، قلت: ما لي يا رسول الله ؟ قال: **«لَسْتُ إيَّاكَ أُرِيدُ، ولكنْ أُرِيدُ صاحِبَ هذا القَبْرِ، وسُئِلَ عَنِّي، فزَعَمَ أنَّهُ لا يَعْرِفُني»**. فإذا قَبْرٌ مَرْشُوشٌ عليه ماءٌ حِينَ دُفِنَ صاحِبُهُ. رواه البزَّار، والطَّبراني والبيهقي بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه أبو نعيم في "الدلائل" من طريق آخر.

٩- عن أبي سعيد الخدريِّ قال: شَهِدْتُ مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم جَنَازَةً، فقال: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ هذه الأُمَّةَ تُبْتَلَى فى قُبُورِها، فإذا الإنسانُ دُفِنَ فتَفَرَّقَ عنه أَصْحابُهُ جاءَهُ مَلَكٌ في يَدِهِ مِطْرَاقٌ، فأقعَدَه..» وذكر الحديث. رواه أحمد، والبزَّار، وابن أبي الدنيا، والبيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

١٠- عن ابن عبَّاسٍ قال: «إنَّ المؤمنَ إذا حضرَتْه الموتُ شهدتْهُ الملائكةُ فسلَّموا عليه وبشَّروه بالجنَّة فإذا مات مَشَوْا مع جنازته ثمَّ صلُّوا عليه مع النَّاس، فإذا دُفن أُجلسَ في قبره، فيقالُ له: مَن ربُّك؟» الحديث. رواه أبي حاتمٍ والبيهقيُّ، وهذا حُكْمه الرفع عند أهل الحديث والأصول لأنه مما لا مجال فيه للرأي.

فهذه عشرة أحاديث تدلُّ على أنَّ الميت يسأل عند دفنه عقب موته، ولم تُفرِّق في ذلك بين من نقل من قبره ومن لم ينقل، والتمسُّك بعموم الحديث واجبٌ كما نصَّ عليه الشافعيُّ في مواضع من "الرسالة"، والغزالي في "المستصفى"، وابن السبكي في "جمع الجوامع"، وغيرهم.

فمن أين أتى لذلك القائل أن الميت الذي علم الله أنه سينقل من قبره لا يسأل إلا في مقرِّه الأخير؟! لا أعرف لهذا القول مستندًا إلا أن يكون صاحبه قاله تخريجًا على كلام البزازي الحنفي فإنَّه قال في فتاويه ما نصُّه: «السؤال فيما يستقرُّ فيه الميت حتى لو أكله سَبُع فالسؤال في بطنه فإنْ جُعل في تابوت أيامًا لنقله إلى مكان آخر لا يُسأل ما لم يُدفن».اهـ

لكن لا يخفى أنَّ أمور الآخرة وما هو من متعلِّقاتها لا يجوز فيها الرَّأي والاستظهار، وإنَّما يُرجع فيها لكلام الصَّادق المصدوق، وهذا منصوصٌ عليه في كتب التوحيد، وليس لأحدٍ أن يقول يمكن أن يكون صاحب ذلك القول استند إلى حديثٍ وقع له لأنَّا تتبَّعنا الأحاديث الواردة في سؤال القبر -وهي

سبعون حديثا كما قال الحافظ السيوطي وغيره- وتصفَّحناها بتتبُّع طرقها وألفاظها فوجدناها متضافرةً على ما أفادته العشرة أحاديث التي ذكرناها، فإن جازف أحدٌ وادَّعى وجود حديثٍ يدلُّ على خلاف ما دلَّت عليه تلك الأحاديث فليأتنا به، ولا يسعُنا إلا قبولَه بشرط أنْ يكون ثابتًا.

وبمناسبة الكلام في سؤال القبر أذكر ما شاع بين كثير من النَّاس أنَّ الملَكين يسألان الميت بالسريانية، ورأيت البنانيَّ قال في "حاشية جمع الجوامع": إنَّ لفظ سؤالهما هكذا: «أتره أترح كاره سالحين».

لكن وجدتُ القطب سيِّدي عبدالعزيز الدَّبَّاغ يقول في "الإبريز": «إنَّهما يقولان للميت: «مرزة؟» فيجيبهما بقوله: «مرد أزره». وهذا مخالف لما ذكره البناني. وقد سُئل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجرٍ: هل لذلك أصل في السُّنَّة؟ فأجاب بما نصُّه: «ظاهر الأحاديث أنَّ السؤال بالعربيِّ، ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كلِّ أحدٍ بلسانه».اهـ

وقال الحافظ السيوطي: «لم أقف في شيءٍ من الأحاديث على أنَّ السؤال بالسريانية».اهـ وكفاك بهما حُجَّة.

ومما شاع بين النَّاس أنَّ اسم الملَكين اللذان يسألان المؤمن مبشر وبشير، وأن منكرًا ونكيرًا إنَّما يسألان الكافر ومَن في حكمه، لكن الأحاديث التي ذكرناها وغيرها مصرِّحة بأن منكرًا ونكيرًا يسألان المؤمن والكافر، وأنَّهما يبشِّرانِ المؤمن ويوسعانِ عليه قبره.

نسأل الله أن يختم لنا بالإيمان، ويلهمنا حُجَّتنا، ويُخفِّف عنا ضَغْطة القبر، ويقينا عذابه بفضله وكرمه.

٧- سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده (٢)[1]

شقَّ على الأستاذ الشيخ محمد الطاهر عوض الله ما كتبته تحت هذا العنوان ردًّا على شيخه فقام ينتصر له في حميَّةٍ كبيرةٍ عن انفعال شديدٍ، غير أنَّ إسرافه في الحميَّة حمله على الإساءة في الردِّ فوجَّه إليَّ من التهم ما لا يحسُن التفوُّه به من مثل أهل العلم، كاتِّهامه إياي بعدم البصيرة وبعدم الدِّراية وبعدم حسن النِّية و..و...إلخ.

وكأنَّ الأستاذ لشدَّة ما تملَّكه من الغضب نسي أنَّه يتكلَّم في مسألةٍ علميةٍ فخرج من ميدان الردِّ العلمي إلى دائرة الشتم والسِّباب.

مهلًا يا أستاذ مهلًا ورفقًا بنفسك رفقًا، فلتسكن من غضبك ولتستردّ من عقلك ولتعلم أنَّك في ميدان علميٍّ ليس للعاطفة فيه مجال ولا للعصبيَّة عليه تأثير.

لكنَّه ميدان قرعِ الحجَّة بالحجَّة ومعارضة الدليل بالدليل حتى يظهرَ الحقُّ واضحًا لا يشتبه فيه اثنان، هذه آداب المناقشة العلميَّة وعلى ضوئها سنناقشك الحساب فيما أبديت ونهدم لك من الشبه ما بنيت.

قلتَ في افتتاح كلمتك أنَّ مصادفة جواب الأستاذ الدومي لمحلِّه من الصواب لا تتوقَّف على كون هذا الرأي المعزوِّ صحيحًا في ذاته، إلى أن رميت بتلك الجملة الشائعة المتداولة بين صغار الطلبة وهي: إن كنت ناقلًا فالصحَّة أو مدعيًا فالدليل. وكأنَّك لم تحصِّل من علم آداب البحث والمناظرة إلَّا على هذه الجملة التي صرت تستعملها في غير محلِّها ولم تدر ما قيَّدوها به من أن

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الثالثة، العدد (٤٧) ذي الحجة ١٣٥٣.

الناقل لرأي إذا بان من قرائن كلامه اعتماده عليه كما فعل الأستاذ الدُّومي في ذلك الجواب عُدَّ مدعىً عليه وتوجَّه عليه ما يتوجَّه على صاحب الرأي نفسه من التخطئة وغيرها، راجع كتب آداب البحث كرسالة العلامة إسماعيل الكلنبوي وحواشيها للعلامة عمر القره داغي الكردي وغيرهما.

واستدلالك بكلام الشيخ الدردير وغيره ممن سوَّدتَ الورق بالنقل عنهم بدون فائدةٍ هو مع غرابته شبيه بالمصادرة؛ لأني أبطلت في مقالي الرأي من أصله سواء أكان صادرًا من الدردير أم من غيره، بل لم يكن كلامي في الحقيقة موجَّهًا إلَّا للشيخ الدردير ومن ذكر معه ولم أصرِّح بأسمائهم تفاديًا من التصريح بتخطئتهم وإنما عرضت في كلامي حيث قلتُ بعد ذكر الأحاديث: فمن أين أتى لذلك القائل... إلخ.

فلم تفعل في ردِّك شيء سوى أن احتججْتَ عليَّ بمن رددتُ كلامه وقد كنت أظنُّ إذ سمعتُ بردِّك أنك أتيت فيه ببحوثٍ علميَّةٍ قيِّمةٍ ودلائِلَ متينة فلما رأيت هذا وجدت الأمر أدون مما كنت أظن فتمثَّلتُ بقول صاحب المقامات: لقد استسمنْت ذا وَرمٍ.

ولشدة ما تعجَّبتُ من الأستاذ حين وجدته ينقل عن العدوي عن الأمير عن ابن حجرٍ الهيتمي -ويالها من حجَّةٍ قوية كسابقتها- ما نصه: «إن كان وضعه في الأولى على نية النقل فالظاهر».

سبحان الله!! تراني يا أستاذ أصرِّح في مقالي بأن أمر الآخرة لا يجوز فيها الاستظهار ثمَّ تحتج علي بنفس الاستظهار!!

ماذا يسمَّى هذا في آداب البحث؟! وماذا يسمَّى في المنطق؟! وماذا يقال له

عند ذوي العقول؟! هذا ما نترك الجواب عليه لحضرتك.

ثم أفيدك يا أستاذ أنَّ ابن حجرٍ والدردير والصاوي والعدوي وأمثالهم - وإن كانوا علماء أجلاء- ليسوا من أهل هذا الشأن ولا استوفوا منه بمكيال ولا ميزان، فدعك من الاحتجاج بكلامهم في هذا المقام فإنه لن يغنيك من الحقِّ شيئًا.

ثم ذكر الأستاذ حديث أبي هريرة الذي فيه كلمة: «**حتَّى يبعثَه الله من مضْجعِه ذلك**» وظن أنه ظفر بالدليل الحاسم للنزاع فصار يتطاول ويدعي عليَّ في كلامه دعاوىٰ ختمها بقوله: «كما لا يخفىٰ علىٰ ذي بصيرة»!.

وإنَّني ليحزُنني أن أُخجل الأستاذ وأردُّه خائبًا يرضى من الغنيمة بالإياب.

يا أستاذ؛ تلك الكلمة التي توهمت أنها حُجَّةٌ قاطعةٌ أعني: «**حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**» تفرَّد بها عبدالرحمن بن إسحاق لم يذكرها أحد غيره ممن روىٰ حديث أبي هريرة هذا، بل ولا ذكرت في غيره من بقية أحاديث السؤال، وعبد الرحمن بن إسحاق مختلفٌ فيه فوثَّقه جماعةٌ وضعَّفه آخرون وذكر بعض من وثَّقه ومن ضعَّفه كالبخاري وابن عدي أنه يروي ما لا يتابع عليه.

قلت: كهذه الكلمة؛ لأن أحاديث السؤال رواها أكثر من عشرين راويًا فيهم من هو من رجال الشيخين من طريق جماعة من الصحابة وهم: عمر، وعثمان، وأنس، والبراء، وابن عبَّاسٍ، وجابر، وتميم الداري، وثوبان، وعبدالله بن عمر، وعمرو بن العاص، وابنه، عبدالله، وحذيفة، وعبادة بن الصامت، ومعاذ بن جبل، وأبو موسىٰ، وأبو هريرة، وعبدالله بن رواحة، وأبو أمامة، وأبو الدرداء، وأبو قتادة، وابن مسعودٍ، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع،

وأسماء، وعائشة، وبشير بن أكال.

ومن مرسل عطاء بن يسار، وضمرة بن حبيب، وقتادة، وغيرهم.

ولم يذكر تلك الكلمة أحد من أولئك الرواة إلا عبد الرحمن بن إسحاق أفيكون أحفظَ منهم كلِّهم وأضبط؟! كلَّا ثمَّ كلَّا، لا يكون ذلك ولن يكون كيف وقد قال البخاري: ليس هو ممن يعتمد على حفظه إذا خالف من ليس بدونه؟! فبطل التعلق بتلك الكلمة بتاتًا.

وكأنِّي بك تتشبَّثُ بتحسين التِّرمذيِّ للحديث؟ فأبطلُ تشبُّثَك بأنَّه إنَّما حسَّن أصل الحديث أي: أصل معناه وهو ما اقتصرت عليه في كلامي.

وبيان ذلك أن الحديث إذا كان معناه مشهورًا مثلًا ثم جاء في بعض رواياته زيادةٌ منكرة كما نحن فيه أطلق المخرِّج لتلك الرواية أنها حسنة أو صحيحة بحسب حال رجالها وعني بذلك أصل الحديث أي: أصل معناه دون الزيادة، ويُحيل في تمييزها على رجال السَّند فإذا جاء المحدِّث واطَّلع على السند عرف مِن رجاله مَن يتفرَّد بما لا يُتابع عليه ومن لا فأمكنه بكل سهولة أن يميِّز أصل الحديث من الزيادة هذه عادة المحدِّثين ومن لا يعرفها يقع في أغلاط فاحشة كما وقع للأستاذ حيث استدل بتلك الكلمة من غير أن يعرف ما فيها.

وكما وقع لجماعة في حديث «البسملة» حيث نقلوا تحسينه عن ابن الصلاح والنووي مع أنَّهما حسَّنا أصل الحديث وهو حديث الحمد كما بيَّنا في مقالنا بالعدد (٤٤) من المجلَّة وأمثلة هذا كثيرة.

ولو سلَّمنا صحَّة تلك الكلمة -وهي غير صحيحة- فليس فيها للأستاذ حجَّةٌ لأنَّ لفظ «ذلك» في الموضعين مشار به إلى المضجع الذي يُنعَّم فيه المؤمن

والمضجع الذي يُعذَّب فيه الكافر لا على المضجع الذي يُسألان فيه كما توهَّمه الأستاذ.

ومعنى الحديث: أن كلًّا من المؤمن والكافر يبعثه الله من مضجعه ذلك الذي ينعَّم ويعذَّب فيه سواء أكان هو المضجع الذي سئل فيه بأن لم ينقل منه أم كان غيره بأن نقل منه بعد السؤال إلى مكان آخر.

ويؤيد هذا أنَّ نعيم القبر ليس خاصًّا بالمسؤولين بل يكون لغيرهم كالشهيد والمرابط ومن مات ليلة الجمعة أو يومها ومن قرأ (تبارك الملك) كل ليلة فإن هؤلاء لا يسألون، ومع ذلك لا يزالون منعَّمين حتى يبعثهم الله من مضاجعهم تلك التي يتنعَّمون فيها.

فصَحَّ أن الميت يُبعث من مضجعه الذي ينعَّم أو يعذَّب فيه، سئل أو لا، كان هو المضجع الذي سئل فيه أو غيره، فتأمَّل وتفهَّمْ.

وأما قول الأستاذ: «إنَّ الإحاطة في أيِّ باب من أبواب السُّنة لم يدَّعِها أحد من كبار الأئمَّة» فتلك كلمة يلوكها من لا دراية له بعلم الحديث ولا رواية ومثله في إطلاقها على عمومها كمثل من سمع: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، فصار يطلق أنَّ للمصلين الويل ولم يستمع لبقية الآية حتى يقف على محطِّ الفائدة.

يا أستاذ؛ إذا سمعت أنَّ الأئمة لم يدَّعوا الإحاطة فاعلم أنَّ ذلك كان في العصور الأولى حيث كانت السنة غير مجموعةٍ والصحابة متفرِّقين على الأقطار فكان منهم المكِّي والمدني واليمني والكوفي والبصري والشامي والمصري وكان عند أهل كلِّ قطر من أحاديث الصحابة الذين وفدوا عليه ما ليس عند

غيرهم، وكان الواحد إذا أراد حديثًا واحدًا رحل في طلبه شهرًا وزيادة كما رحل جابر مسيرةَ شهر إلى عبد الله بن أُنيس -مصغرًا- في حديث القصاص، ورحل أبو أيوب الأنصاري كذلك إلى عقبة بن عامر في حديث السَّتر على المسلم فكانت الإحاطة متعذِّرة.

ولهذا لما أراد الرشيد أن يحمل الناس على "الموطأ" قال له مالك: لا تفعل فإنَّ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تفرقوا في البلاد وعند أهل كلِّ بلد من العلم ما ليس عند غيرهم.

أما بعد أن استقرَّت الأخبار وجُمعت في الكتب مرتبةً على المسانيد والمعاجم والأبواب والحروف وأفرد لكلِّ نوعٍ من أنواع الحديث كتبٌ خاصَّةٌ فلم يقل أحد بامتناع الإحاطة ولا بتعسُّرها بل هي ممكنةٌ وواقعةٌ.

يرشد إلى ذلك ما صحَّحوه في كتب الأصول والمصطلح من أنَّ الحديث إذا فُتِّش عنه في كتب الحديث ولم يوجد يقطع بأنَّه مكذوبٌ، فالقطع بالكذب لا يتأتَّى إلا مع وجود الإحاطة وإلا فلا يمكن الظن فضلًا عن القطع وانظر كتب المصطلح تستفد وترشد.

على أني لم أدع الإحاطة في كلامي وإنما قلت: إن أحاديث السؤال سبعون، كما قال الحافظ السيوطي وغيره بزيادة هذا النقل الذي حذفته في نقلك لكلامي فادعيت الإحاطة بالسبعين لا بما زاد عليها -إن كان- وبين المقامين فرقٌ واضحٌ.

ثم دعنا من هذا وتعال إلى ميدان الحجَّة الدامغة أفليس قد ادَّعيت عليَّ أني ادَّعيت الإحاطة وقد نقلتَ في أول كلامك أن المدَّعي يلزمه الدليل فأثبت

مدَّعاك وائت بحديث زائد على السبعين التي أشرت إليها في كلامي حتى تبرهن بذلك على عدم إحاطتي بأحاديث السؤال.

مع أنِّي أقسم لك قسمًا بارًّا غير حانث أنك لو عُمِّرت عمر نوح عليه السلام لما استطعت أن تأتني بالسبعين فضلًا عن أن تزيد عليها حديثًا أو حديثين، إذن فلا تنازع الأمرَ أهلَه وحسبُك قول الشاعر:

وإذا لم تَـرَ الهِـلالَ فسَلِّمْ   لأُنـاسٍ رَأَوْهُ بالأبصَـارِ

أما أنا فمستندي في الإحاطة -إن ادعيتُها- كلام الحافظ السيوطي وأمثاله من أفراد الأمَّة وبحور الحديث، لا كلام الشيخ العدوي والشيخ الأمير فاعرف ذلك.

وقول الأستاذ: «على أن كثرة الرواية لا تدل على وجود الدراية...» إلخ لا موقع له مما قبله في تركيب الكلام العربي؛ لأنه كان يتكلَّم في الإحاطة وعدمها فكان مقتضى تركيب الكلام العربي أن يقول: على أنَّ كثرة الرواية لا تدلُّ على وجود الإحاطة ويقتصر على هذا حتى يكون آخر الكلام مرتبطًا بأوله، لكنه فيما يظهر لَمَّا التزم أن يردَّ عليَّ ولم يجد لديه من الدليل ما يقاوم حجَّتي استنكف أن يرجع القهقَرَى فاستعمل في ردِّه ما في وسعه، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وليس في وسعه أكثر من الشتم فصار يشتم غير مراعٍ لسياق الكلام من سوابق ولواحق كما فعل هنا، فأي مناسبة لذكر الدراية سوى التعريض بعدم درايتي وأني كالصيدلي... إلخ. فلتهنأ بدرايتك يا أستاذ.

وكذلك قوله: «ولعمري لقد حاولت أن أقنع نفسي بحسن نيتك في مقالك هذا... إلى أن قال: فلم أستطع ذلك بحال» ليس لذكره محل إلا الشتم

الصرف وهو فيه أصرح من سابقه.

وأنا أقول للأستاذ: من أين اطلعت على سوء نيتي؟ أمن كلامي، أم بوحي، أو ولاية، أو إخبار شيطان؟!

وكلُّ هذه الوجوه باطلةٌ، أما الأول فلأن مقالي ليس فيه إلا تخطئة الأستاذ الدومي وتبيين الرأي الحق في الموضوع، ثم ذكر الأحاديث، ثم النقل عن الإمام الشافعي ومن ذكر معه. هذا كل ما في مقالي وليس فيه مايُستنتج منه سوءُ نيَّتي، وأما بطلان الأوجه الباقية فأظهر من أن يستدل عليه.

وهب أني سيء النية كما قلت فماذا يعنيك؟! إن كانت نيتي حسنة فلنفسي أو سيئة فعليها وما أنت عليَّ بوكيل.

هذا وقد وقع الأستاذ بكلامه ذلك في عدة مخالفات:

١- حلفه بغير الله، وقد روينا من حديث ابن عمر بإسنادٍ صحيحٍ: «**من كان حالفًا فلا يحلفْ إلَّا بالله**» وروينا من حديثه أيضًا: «**مَن حلفَ بغير الله فقد كفَر**». قال الحاكم: «صحيح» وأقرَّه الذهبيُّ.

٢- ظنه بي ذلك الظن السيِّء، وقد روينا من حديث ابن عبَّاسٍ بإسنادٍ حسنٍ وعن ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ وعن غيرهما أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نظر إلى الكعبة فقال: «**ما أعظمَكِ وأعظمَ حرمتَكِ، وللمسلمُ أعظمُ حرمةً منك، حرَّم الله دمَه ومالَه وعرضَه وأن يُظنَّ فيه ظنُّ السُّوء**».

٣- جهره بذلك الظن وإشاعته والله يقول: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء: ١٤٨].

وما أوقع الأستاذ في كلِّ هذا إلا تعصُّبه لشيخه والتعصُّب يفتك بصاحبه

أكثر من هذا، ولعمر الله لو خطأت مالكًا أو الشافعي أو أحدًا من كبار العلماء لما قامت من الأستاذ قائمة مع أنه لا نسبة بين هؤلاء وبين شيخه ولكنها الأهواء عمَّت فأعمَت.

وأما قول الأستاذ: «إني كنت شديد التأثُّر حين كتابة المقال» فما زاد على أن تكلم بما هو –ساعة الكتابة– حال فيه، والمؤمن مرآة أخيه .

وبعد فلا أزال أكرر على الأسماع أن سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده أي: الدفن عقب الموت كما تظافرت به الأحاديث من غير مخصِّص ولا معارض وهو الموعد الذي لم يجعل الله لسؤال الميت موعدًا غيره حتى جاء الاستظهار ممن لا يقبل منه الجزم في هذا المقام.

وها قد أعدم السَّند لذلك الرأي فيتحتَّم عليك أن توافقني على بطلانه وخطأ من يقول به وتعتقد معي ومع عموم المسلمين ما تواترت بمضمونه الأحاديث وهو أن سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده، هذا إن أنصفت ولم تلِجَّ في التعصُّب والله يتولَّى هداك.

٨- تحريم إكفار أهل القبلة[١]

قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدوُّ الله، وليس كذلك إلَّا حارَ عليه**». رواه مسلمٌ.

من دأْب أدعياء السَّلفية إدِّعاءُ كلٍّ منهم أنه بلغ ما بلغه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الحقِّ وهو ادِّعاءٌ كاذبٌ؛ لأنَّ رسالة السلفية ليس فيها رمي المسلمين بالضلال والعدوان وتطبيق آياتِ الشرك عليهم ونبذهم بكلِّ عظيمةٍ وغير ذلك مما لو رآه غِرٌّ جاهل لاعتقد أنَّ المسلمين حقًّا صاروا ضُلَّالًا مشركين، وهذا خلاف ما بلغه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الحقِّ الذي هو تحسين الظن بالمسلمين وحمل أحوالهم علىٰ المحامل الحسنة وإرشادهم فيما أخطئوا فيه بالحسنىٰ، وحرمة دعائهم بالكفر والضلال إلا لمقتض شرعيٍّ يقتضي ذلك ليس للتأويل فيه مجال ولا يدخله أدنىٰ احتمال، وإلا كان وبال الإكفار راجعًا إلىٰ مدعيه وتضليله حائرًا عليه، فقد ثبت من حديث ابن عمر وغيره أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نظر إلىٰ الكعبة فقال: «**ما أعظمك وأعظم حُرمتك وللمسلم أعظم حُرمةً منك، حرَّم الله دمَه ومالَه وعرضَه وأن يُظنَّ به ظنَّ السوء**».

وفي الصحيحين عن ابن عمر أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أيُّما رجل قال لأخيه: «يا كافر» فقد باءَ بها أحدُهما؛ إنْ كان كما قال وإلَّا رجعتْ عليه**».

وفي "صحيح البخاري" عن أبي ذرٍّ أنه سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (٣) شوال ١٣٧٥.

وسلَّم يقول: «**لا يَرمي رجلٌ رجلًا بالفُسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدَّتْ عليه إن لم يكنْ صاحبُه كذلك**».

ورواه مسلمٌ أيضًا ولفظه: «**ومن دعا رجلًا بالكفر أو قال عدوُّ الله وليس كذلك إلا حارَ عليه**».

فظاهر هذه الأحاديث أن من رمىٰ مسلمًا بالكفر أو الفسوق ولم يكن المرميُّ كذلك كان الواصف هو المستحقُّ للوصف المذكور وأولىٰ به وهذا هو الظاهر وإن كان غير مراد كما قال شرَّاح الحديث وتأوَّلوا تلك الأحاديث بعدَّة تأويلاتٍ، فإنه مع ذلك يفيد زجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم وتهديده عليه.

ومما أوَّلوا به تلك الأحاديث حملُها علىٰ من رمىٰ مسلمًا بالكفر معتقدًا حِلَّ ذلك فإنه حينئذٍ يكون كافرًا، وأخشىٰ أنَّ الرامي بالكفر يكون داخلًا في عموم الأحاديث المذكورة بمقتضىٰ هذا التأويل فإن من قرأ كتب المتسلِّفة لا شك يكاد يجزم بأنَّ إكفار المسلمين عندهم أسوغُ من شرب الماء.

فتبيَّن مما ذكرنا أنَّ فاعل هذا خالف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث ارتكب ما نهىٰ عنه وكان بعيدًا عن الحقِّ بُعد الضَّبِّ من النُّون، وليس لأحدٍ أن يعتذر عنه بأنه متأوِّل فيما سلكه من تضليل المسلمين وتطبيق آيات الشرك عليهم فلا يلحقه إثمٌ ولا وعيدٌ لأنه متأوِّل؛ لأنَّا نقول علىٰ فرض صحَّة تأويله -وهو غير صحيح ولا مُسلَّم- كان يجب ألا يحكم عليهم بالضلال حتىٰ يتحقَّق من أنَّهم ليس لهم دليل ولا شبهة فيما يقولون ويفعلون؛ لأنَّ القاعدة المقرَّرة أن المُسلِم لا يُحكم بكفره أو ضلاله حتىٰ يفعل أو يقول ما

يقتضي ذلك غير متأوِّل فيه تأوُّلًا مقبولًا على قواعد الشريعة ولا له عليه دليل وإن كان مخطئًا فيه إن كان مثله يقبل منه مثل ذلك الخطأ وقائل هذا لم يحافظ على هذه القاعدة المقرَّرة بإجماع العلماء فعليه يطبَّق ما تحصَّل مما أسلفنا من الأحاديث.

٩- حديث: «ما شاء الله وشاء محمد»

كلمة ليس فيها شرك [(١)]

قال بعض المتعالمين مع متمسلفة هذا الزمان: أخرج ابن جريرٍ وأصحاب السنن الأربعة أنَّ رجلًا من اليهود جاء إلى أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ ما تقولونه حقٌّ لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاء محمَّدٌ، ولكنْ قولوا: ما شاء الله ثُمَّ ما شاء محمدٌ**».

وأقول: لا ينقضي عجبي من جرأة هذا المتمسلف في الكذب على الله ورسوله، وعلى العلم والعلماء، ولو كان في عصر ابن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني لأدرجوه في طائفة الكذَّابين الوقحين في الكذب مثل محمد بن سعيد المصلوب وجعفر بن نسطور وأضرابهما.

فالحديث الذي عزاه إلى ابن جريرٍ وأصحاب السنن الأربعة لم يروه أحد منهم ولا وجود له في كتبهم، بل لم يأتِ في شيءٍ من كتب التفسير والحديث أنَّ الآية نزلت بسبب الحادثة المذكور فيه.

وإليك طرق الحديث وألفاظه لتتيقَّن صحَّة ما ذكرناه:

قال البيهقي في "الأسماء والصفات": أخبرنا أبوعبدالله الحافظ: حدثنا عليُّ بن حَمْشاذ العدْل إملاءً: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة: حدثنا جَنْدلُ بن والقٍ: حدثنا عبيدالله بن عمر، عن عبدالملك بن عُمير، عن رِبْعي بن حِراش،

---

(١) مجلة المسلم.

عن الطُّفيل بن عبدالله، وكان أخًا لعائشة لأمِّها: أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم أنه لقي رهطًا من النَّصارىٰ فقال: نعمَ القوم أنتم لولا أنكم تزعمون أنَّ المسيحَ ابن الله. قالوا: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمَّد. ثمَّ لقي رهطًا من اليهود فقال: أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أنَّ عزيرًا ابن الله قالوا: وأنتم قوم تقولون: ما شاء الله وشاء محمَّد. قال فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقصَّها عليه فقال: «**حدثْتَ بها أحدًا بعدُ؟**». فقال: نعم. فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إنَّ أخاكم قد رأى ما بلغكُم فلا تقولوها ولكنْ قولوا: ما شاء الله وحدَه لا شريكَ له**».

تابعه شعبة وحماد بن سلمة عن عبدالملك بن عمير هكذا، وفي رواية شعبة: «**ولكنْ قال ماشاء الله ثمَّ شاء محمَّد**».

وقيل عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة. قال البخاري: «حديث شعبة أصحُّ من حديث ابن عيينة».

ورواه ابن ماجة في "سننه" في أبواب الكفارات من طريق أبي عوانة عن عبدالملك بن عمير به. ورواه ابن مَرْدُويَه من طريق حماد بن سلمة: حدثنا عبدالملك بن عمير به، ورواه من طريق آخر عن عبدالملك به نحوه.

ورواه أحمد في "المسند" قال: حدثنا بَهْزٌ وعفانُ قالا: حدثنا حمَّاد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير، عن رِبْعي بن حراش، عن طُفيل بن سَخْبَرَة أخي عائشة لأمِّها أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم كأنه مرَّ برهط من اليهود فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أنَّ عزيرًا ابنُ الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمَّد، ثُمَّ مرَّ

برهْطٍ من النَّصارىٰ فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثُمَّ أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره. فقال: «**هلْ أخبرتَ بها أحدًا؟**» قال: نعم. فلما صلُّوا خطَبَهم فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إنَّ طُفيلًا رأى رؤيا فأخبرَ بها من أخبرَ منكم وإنَّكم كنتُم تقولون كلمةً كان يمنعني الحياءُ منكم أنْ أنهاكم عنها، لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمَّد**».

قلت: في هذا الحديث دليل علىٰ أن تلك الكلمة ليست بشرك إذ لو كانت كذلك لما استحيىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن ينهاهم عنها من أوَّل لحظةٍ فسكوته حياءً مع تكرُّرها منهم دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّها ليست بشركٍ وإنَّما نهاهم عنها آخر الأمر لمخالفتها كمال الأَدب مع الله.

ورواه الحاكم من طريق عبيدالله بن عمرو بن عبدالملك بن عمير، عن رِبْعي بن حِراش قال: قال الطُّفيل بن عبدالله بن أخي عائشة لأمِّها إنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم وذكر الحديث نحوه ثم قال: خالفه حماد بن سلمة عن عبدالملك بن عمير. ثم روىٰ من طريق حجَّاج بن مِنهال، عن حماد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن الطفيل بن عبدالله بن سَخْبرة أخي عائشة لأمِّها فذكر الحديث بمثله. قال: وهذا أولىٰ بالمحفوظ من الأول.

قلت: لأن الطفيل أخو عائشة لأمِّها لا ابن أخيها كما جاء في سند الحاكم الأول.

ورواه الطَّحاويُّ في "مشكل الآثار" من طريق معمر عن عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرة قال: رأىٰ رجل من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم في النَّوم قومًا من اليهود فأعجبته هيأتهم فقال: إنكم قومٌ لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم قوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم إنه لقي قومًا من النَّصارىٰ فأعجبته هيأتهم فقال: إنكم قوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم قوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبح قصَّ ذلك علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«أسمعُها منكم فتؤذيني فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمَّد، ولكنْ قولوا: ما شاءالله ثُمَّ شاء محمَّد»**.

وقال ابن ماجه في "سننه": حدَّثنا هشام بن عمار: حدثنا سفيان ابن عيينة، عن عبدالملك بن عمير، عن رِبْعي بن حِراش، عن حذيفة بن اليمان: أن رجلًا من المسلمين رأىٰ في النوم أنه لقي رجلًا من أهل الكتاب فقال: نعمَ القوم أنتم لولا أنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشاء محمدٌ. وذكر ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: **«أمَا والله إن كنتُ لأعرفُها لكمْ قولوا ما شاء اللهُ ثمَّ ما شاءَ محمَّدٌ»**. لم يروه أحد من السِّتَّة غير ابن ماجه ورواه البيهقي في "الأسماء والصفات" من طريق سفيان ابن عُيينة به غير أنه قال: **«إنِّي كنتُ لأكرهها لكم قولوا ما شاء الله ثمَّ شاء فلان»**.

ولحذيفة حديث آخر مختصر رواه أبو داود في "السنن" قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي: حدثنا شعبة، عن منصور، عن عبدالله، بن يسار، عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثمَّ شاء فلان»**.

(٢)

مقالات في القرآن الكريم وعلومه

١٠- وقوف القرآن[١]

من علوم القرآن المتعلِّقة به والمعينة على فهمه وإدراك معانيه معرفة وقوفه، وهو فنٌّ جليلٌ تعرف به كيفيَّة أداء القراءة.

وقد اعتنىٰ العلماء به عنايةً كبيرةً وأفردوه بمؤلَّفاتٍ كثيرةٍ منها: كتاب "الوقف والإبتداء" لثعلب ولابن الإنباري، ولأبي جعفر النحاس، ولأبي عمرو الداني، ولأبي بكر بن مِقْسم -بكسر الميم وسكون القاف- ولركن الدين السجاوندي البسطامي، وللزَّجَّاجي، ولمكيٍّ بن أبي طالب القيرواني، ولأبي محمد الحسن بن علي العماني.

وكتاب "الوقف والابتداء" الكبير والصغير، كلاهما للرؤاسي أستاذ الكسائي والفرَّاء.

وكتاب "الوقوف" لأحمد بن كامل بن شجرة القاضي البغدادي الحافظ المعروف بوكيع صاحب "أخبار القضاة".

وكتاب "وقف التمام" للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، والتمام من أنواع الوقوف.

وكتاب "منار الهدىٰ في بيان الوقف والابتداء" لأحمد بن محمد بن عبدالكريم الأشموني وهو غير شارح "الألفية".

والأصل في هذا الفنِّ ما رواه أبو جعفر النحاس في كتاب "الوقف" والبيهقيُّ في "السنن" من طريق هلال بن العلاء بن هلال الباهلي الرَّقِّي: حدَّثنا أبي، وعبدالله بن جعفر قالا: ثنا عبيدالله بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي

(١) مجلة "دعوة الحق"، العدد الأول، السنة الخامسة عشرة، محرم الحرام ١٣٩٢.

أنيسة، عن قاسم بن عوف البكري قال: سمعت عبدالله بن عمر يقول: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإنَّ أحدنا ليؤتىٰ الإيمان قبل القرآن وتنزل السور علىٰ محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فنتعلم حلالها وحرمها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالًا يؤتىٰ أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلىٰ خاتمته ما يدري ما أمره؟ ولا زجره؟ ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه». إسناده حسنٌ.

قال النَّحَّاس: «فهذا يدلُّ علي أنهم كانوا يتعلَّمون الأوقاف كما يتعلَّمون القرآن وقول ابن عمر: «لقد عشنا بُرهة من دهرنا....» يدلُّ علىٰ أن ذلك إجماعٌ من الصحابة ثابتٌ».اهـ

وقال الإمام عليٌّ عليه السَّلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]: «الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقف».

وقال ابن الأنباري: «من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء».

وقال النكزاوي: «باب الوقف عظيم القدْر جليل الخطر؛ لأنه لا يتأتَّىٰ لأحدٍ معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلَّة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل».

وقال ابن الجزري في "النشر": «لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفَسٍ واحدٍ، ولم يجز التنفُّس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتَّنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذٍ اختيار وقفة للتنفس والاستراحة وتعيَّن ارتضاء ابتداء بعده ويتحتَّم ألا يكون ذلك مما يُحيل المعنىٰ ولا يُخلُّ بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد وبذلك حضَّ الأئمة علىٰ تعلُّمه ومعرفته».اهـ

ولا نطيلُ بذكر النُّقول فإنَّها كثيرةٌ متَّفقةٌ على وجوب تعلُّم الوقف والعناية به لأنه:

١- يؤدِّي إلى معرفة معاني القرآن.

٢- يفيد في استنباط الأدلة منه.

٣- يُبيِّن إعجازه ويُظهره.

واشترط العلماء لجواز الوقف وصحَّته ألا يُغيِّر المعنى ولا يُفكِّك نظم الآية.

وبناءً على ذلك قالوا: لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الفعل دون مرفوعه أو متعلِّقه من مفعول أو حال أو جار ومجرور، ولا على القول دون مقوله، ولا على المبتدأ دون خبره، وبالعكس، أو نحو ذلك مما يكون الوقف عليه محيلًا للمعنى أو مفككًا للنظم أو ملجئًا إلى تعسُّف في التقدير.

فيجب مراعاة هذه القواعد في الوقوف التي توضع في المصاحف وتلقَّن للصِّبيان في الكتاتيب لتكون التِّلاوة صحيحيةً لا يعتريها خلَلٌ ولا يترتَّب عليها إثمٌ.

غير أنَّ القواعد المشار إليها لم تراعَ كما يجب في الوقوف الموضوعة في مصحف ورش؛ فكان فيها أخطاء كثيرة تغيِّر المعنى، كفصل بين الفعل ومرفوعه، وبينه وبين متعلقه، وبين المعلول وعلَّته، وبين المتعاطفين، وبين المبتدأ والخبر وعكسه..... ولا يمكن إصلاح الخطأ إلا بتخريج تلك الوقوف على وجهٍ ضعيفٍ في الإعراب، أو احتمال بعيدٍ في التقدير وسلوك ذلك في

القرآن لا يجوز كما صرَّح به أبو حيَّان وابنُ هشام وغيرهما لأنَّه ينافي فصاحته.

وإلىٰ القارئ الكريم أمثلة من تلك الوقوف المخطئة يستبين منها صحَّةُ ما قرَّرته:

١-﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [البقرة: ٩٦] الوقف التَّامُّ علىٰ أشركوا لأنَّ الواو حرف عطف والجار والمجرور معطوف علىٰ الناس ومتعلق بأفعل التفضيل والتقدير: ولتجدنَّ اليهودَ أحرصَ الناس علىٰ حياة وأحرصَ من الذين أشركوا.

ومعنىٰ الآية علىٰ هذا الوقف ظاهر وموافق للسياق، لكن الوقف في مصاحف ورش علىٰ كلمة «حياة» وقف خطأ لأنه يفصل بين المتعاطفين وبين العامل ومعموله، ويغيِّر معنىٰ الآية إلىٰ معنىٰ لم يقصد منها ولا يساعد عليه السياق، وقد وجه تصحيحه بوجهين ضعيفين.

٢- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٨٠] الوقف علىٰ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وفي مصاحف ورش الوقف علىٰ ﴿خَيْرًا﴾ وهو خطأ لأنه يفصل بين الفعل وهو ﴿كُتِبَ﴾ ومرفوعه وهو ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ لأنَّه نائب فاعل ﴿كُتِبَ﴾، وقد وجه تصحيحه بإعرابين بعيدين متكلَّفين.

٣-﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] الوقف علىٰ ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ و﴿مِنْهُ﴾ خبر مقدَّم و ﴿ءَايَٰتٌ﴾ مبتدأ مؤخَّر وجملة المبتدأ والخبر مرتبطة بالكتاب تبيِّن تقسيمه إلىٰ

نوعين: محكم، ومتشابه.

لكن الوقف في مصاحف ورش على ﴿مِنۡهُ﴾ وهو يفصل بين المبتدأ وخبره، ويضيِّع معنى التقسيم الذي أفادته الجملة. وصُحِّح بما لا طائل تحته.

٤- ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣] ﴿تَرَكَ﴾ فعل ماض و﴿ٱلۡوَٰلِدَانِ﴾ فاعله ﴿وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ معطوف عليه والوقف عليه لكن الوقف في مصاحف ورش على ﴿تَرَكَ﴾ وفيه فصل بين الفعل وفاعله.

٥- ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٣١ – ٣٢] الوقف على ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾؛ لأنَّه رأس الآية ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ متعلِّق ﴿كَتَبۡنَا﴾ علَّةٌ له والمعنى: من أجل قتل قابيل لهابيل كتبنا على بني إسرائيل ... الآية . لكن الوقف في مصاحف ورش على ﴿ذَٰلِكَ﴾ وهو يفصل بين المعلول وعلته ويكون الابتداء بـ﴿كَتَبۡنَا﴾ غير حسنٍ لا تربطه مناسبة بما قبله.

٦- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥] الوقف على ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ و﴿حَقِيقٌ﴾ اسم فاعل و﴿عَلَىٰٓ﴾ متعلِّق به، و﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ فاعله.

والوقف في مصاحف ورش على ﴿حَقِيقٌ﴾ وفيه فصلٌ بين اسم الفاعل وفاعله وبين متعلقه.

٧- ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ متعلِّقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾ والتقدير: لا تثريب متوجِّه عليكم اليوم.

والوقف على ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ كذلك جاء عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه أخذ بعُضادتَي باب الكعبة يوم الفتح وقال لقريش: «**ما تظنُّون أنِّي فاعلٌ بكم؟**» قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم. فقال: «**أقولُ كما قال أخي يوسفُ: لا تثريبَ عليكُم اليومَ، اذهبُوا فأنتُم الطُّلَقاء**».

لكن الوقف في المصاحف المغربية علىٰ كلمة ﴿عَلَيْكُمُ﴾ وهو يفصل بين الظرف وعامله ويحول معنىٰ الآية: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الدعاء إلىٰ الخبر.

٨- ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]

الوقف علىٰ ﴿لَّهُمْ﴾ والمعنىٰ: ولا تستعجل العذاب للمشركين.

لكن الوقف في مصاحف ورش علىٰ ﴿تَسْتَعْجِل﴾ وفيه فصل بين الفعل ومتعلقه. وبقيت أمثلةٌ أخرىٰ سأجمعها في رسالةٍ خاصَّةٍ.

ولا أدري ما الداعي إلىٰ اختيار هذه الوقوف التي يحتاج تصحيحُها -إن أمكن- إلىٰ تمحُّل في الإعراب وتكلُّف في التقدير مما ينافي بلاغة القرآن التي أعجزت الإنسَ والجانَّ؟!.

مصحف حفص المطبوع بمصر أخذت وقوفه من كتب القراءات والتفسير بمعرفة جماعةٍ من كبار قرَّاء السبع وعلماء العربية فجاءت وقوفًا صحيحة خالية من التكلُّف والتمحُّل.

فلماذا لا نفعل مثلهم في مصحف ورش ونضع له وقوفًا سليمة ترشد التالي للمعنىٰ، وتعينه علىٰ فهم المراد، وتعفيه من عَناء التقدير؟ ولماذا نجمُد علىٰ وقوفٍ وُضعتْ من أربعة قرونٍ؟

ومهما قيل في وضعها من فضل وصلاح فإن ذلك لا يجيز إبقائها علىٰ وضعها الحالي بل يجب استبدال الصواب مكان الخطأ والحسن مكان القبيح. إننا إن فعلنا ذلك نكون قد قمنا ببعض الواجب علينا نحو جانب من كتاب الله تعالىٰ له أهميته البالغة وفائدته الكبيرة.

١١- فتنة داود عليه السلام؟[1]

اعتمد جُلُّ المفسِّرين -إن لم نقُل كلّهم- في تعيين فتنة داود على ما جاء في الإسرائيليات التي اختلفت رواياتها على جهات:

١ - أَنَّه رأى امرأةً تغتسل فأعجبه جمالها وحانت منها التِفاتة فأحسَّت ظلَّه فنقَضَتْ شعرها وغطَّتْ به بدنها فزاده ذلك إعجابًا بها، فسأل عنها فقيل هي امرأة أوريا وزوجها غائب في غَزَاة بالبَلْقاء.

فكتب داود إلى أمير تلك الغزاة أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التَّابوت، وكان من قُدِّم على التابوت لا يحلُّ له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه أو يقتل. فبعثه وقدمه ففتح على يديه، فبعثه ثانيًا، وثالثًا، حتى استشهد.

فلما انقضت عدة المرأة تزوَّجها داود وهي أمُّ سليمان، فأنزل الله ملَكَين، قيل هما جبريل وميكائيل، في صورة خصمَين يختصمان في نِعاجٍ؛ كنَّيا بها عن النساء فلما حكم بينهما تبسَّم أحدُهما للآخر وغابا فعلم أنَّه المقصود، أنه كان له تسعةٌ وتسعون زوجةً وضَمَّ إليهن زوجةِ أوريا فاستغفر ربه وخرَّ راكعًا وأناب.

وروى الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول"، وابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيريهما، من طريق ابن لَهِيعة، عن أبي صخر، عن يزيد الرَّقاشي، عن أنس قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: إنَّ داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطَّع -بتشديد الطاء قصَّر مدة الغزو- على بني إسرائيل وأوصى صاحبَ الجيش فقال: إذا حضر العدوُّ فقرِّبْ فلانًا بين يدي التابوت

---

(١) مجلة دعوة الحق.

وكان التابوت في ذلك الزمان يُسْتَنصر به، ومن قُدِّم بين يديه لم يرجعْ حتىٰ يُقتل أو ينهزم عنه الجيش، فقُتل وتزوَّج المرأة ونزل الملَكان علىٰ داود عليه السلام فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدًا حتىٰ نبت الزرع من دموعه علىٰ رأسه وأكلَت الأرضُ جبينَه.

وذكر حديثا طويلًا قال السيوطي: سنده ضعيفٌ. وهذا لا يكفي، لأن يزيد الرَّقاشي مع ضعفه قال عنه ابن حِبَّان: كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنسٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلا تحلُّ الرواية عنه إلا علىٰ سبيل التعجُّب.

فهذا الحديث من كلام الحسن البصري أخذه من الإسرائيليات وليس من كلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهو حديثٌ موضوعٌ.

وجاء في حديثٍ موضوعٍ أيضًا: إنَّ وفدًا أتوا إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفيهم غلامٌ وَضِيء فأجلسه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خلف ظهره وقال: «**إنَّما كانتْ فتنةُ أخِي داودَ من النَّظر**».

وقد وردت هذه القصَّة عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، والحسن، وأبي الجلد، وأبي عمران الجَوْني، والسُّدي، والكَلْبي، ومُقاتل، وفي بعض رواياتها زياداتٌ منكرةٌ أيضًا.

ووجد القُصَّاص في هذه القصة وزياداتها مادَّةً دسِمةً لترقيق قلوب العوام واستنزال دموعه واستدرار نقودهم.

والعجب أن ينخدع كثيرٌ من السلف بهذه القصة ويذكروها في مواعظهم كما تجد ذلك في كتاب "الزهد" لابن المبارك، ولأحمد بن حنبل مع أنها باطلةٌ

قطعًا وليس في القرآن ما يدل عليها تصريحًا أو تلوحيًا ولا أتىٰ في حديثٍ ثابتٍ إشارة إليها ولا أدري علىٰ أيِّ أساس حُشِرت في كتب التفسير.

٢- أنَّ داود طلب من أوريا أن يتنازل له عن زوجته حين رآها وأعجبته فنزل الملكان ونبَّهاه بحكاية النِّعاج إلىٰ أنه لا ينبغي له أن يفعل ذلك وإن كان طلب التنازل عن الزوجة جائزًا في شريعتهم وذلك لعظم منزلته وشفوف رتبته.

روي هذا عن ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ أيضًا، وابن زيد، ورجَّحه الزمخشري في "الكشاف" وابن العربي في "الأحكام" وهذا باطلٌ أيضًا لأنه لم يثبت أن طلب التنازل عن الزوجة كان جائزًا في تلك الشريعة، بل المعروف عنهم أنَّ زواج المطلَّقة زنا ولأنَّ طلب الملِك من أحد رعيته يكون غصبًا وداود لا يفعل ذلك -جزمًا- لعصمته.

قال ابن العربي: كان ببلدنا أمير يقال له سبر بن أبي بكر فكلمته في أن يسأل لي رجل حاجة فقال لي: أما علمت أن طلب السلطان الحاجة غصبٌ لها؟! فقلت له: أما إذا كان عدلًا فلا.

لكن غاب عن ابن العربي أنَّ سيف الحياء أشدُّ من سيف الغصب، بل ما وسط الأمير في طلب الحاجة من الرجل إلا استعانة بسيف الحياء الذي لا يقاوم.

٣- أنه نوىٰ إن مات زوجها أن يتزوَّجها، حكاه ابن العربي في "الأحكام" فقال: هذا لا شيء فيه إذ لم يعرضه للموت.

وهو باطل أيضًا لأنَّ قصَّة امرأة أوريا والنظر إليها ومحاولة زواجها باطلةٌ

من أصلها فما بُني عليها باطلٌ أيضًا.

وقد أبطل الإمام الرازي تلك القصة في "تفسيره" من عدَّة وجوهٍ أفاد فيها وأجاد.

٤- أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الآخر. حكاه ابن العربي أيضًا، وأبداه الإمام الرازي احتمالًا وقال: لا شيء فيه.

قال ابن العربي: «لا يجوز ذلك على الأنبياء وقال الحليمي: أنه رأى في المدَّعي مخايلَ الضَّعف والهضِيمة فحَمل أمره على أنَّه مظلومٌ كما يقول فدعاه ذلك إلى ألا يسأل المدَّعَى عليه فاستعجل بقوله: لقد ظلمَكَ.

وضعَّفه أبو حيَّان، وهو جديرٌ بالتضعيف، والصواب أنَّ في الكلام محذوفًا تقديره فأقرَّ المدعى عليه فقال لقد ظلمك. قال أبو حيان ولكنَّه لم يُحك في القرآن اعتراف المدعى عليه لأنَّه معلوم من الشرائع كلِّها إذ لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعى عليه.

٥- أنه خطب المرأة بعد خِطبة أوريا لها فآثروه عليه وزوَّجوه بها فعوتب على ذلك. وهذا باطل أيضًا.

وقد قيل في فتنة داود غير هذا مما لا أصل له.

قال ابن كثير في "تفسيره": «قد ذكر المفسِّرون هاهنا قصةً أكثرها مأخوذٌ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتِّباعه، ولكن روى ابن أبي حاتمٍ هنا حديثًا لا يصحُّ سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرَّقَاشي عن أنسٍ رضي الله عنه.

ويزيد؛ وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمَّة فالأولى

أن يُقتصر علىٰ مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُرد علمها إلىٰ الله عزَّ وجلَّ فإن القرآن حقٌّ وما تضمَّن فهو حقٌّ أيضًا».اهـ

قال أبو حيَّان: «ذكر المفسِّرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ضربنا عن ذكرها صفحًا».اهـ

وعندي مسلك آخر يدل علىٰ بطلان ما ذكره المُفسِّرون، وهو مراعاة السِّياق وهو مسلكٌ مُهمٌّ يجب علىٰ المفسِّر أن يجعله نُصْب عينيه ولا يتكلَّم علىٰ آيةٍ حتىٰ ينظر علاقتها بما قبلها؛ لأنَّ آيات القرآن متماسكةٌ آخذٌ بعضها بحُجزة بعضٍ فمن لم يراع ذلك في تفسيره جانبَه التوفيق.

ومتقدِّموا المفسِّرين غفلوا عن هذا المسلك فوقعوا في أغلاط كثيرةٍ، وتنبَّه له المتأخِّرون كالزمخشري والإمام الرازي والبرهان البقاعي وأبو حيَّان.

وأكثرهم مراعاة لهذا المسلك العلامة البقاعي في تفسيره "تَرْجُمان القرآن" رأيته مخطوطًا وهو يطبع الآن، ذكر أنه ألَّفه في أربعةَ عشرَ عامًا حتىٰ أوجد المناسبة بين كلِّ آيةٍ وآيةٍ مِن أول القرآن إلىٰ آخره بطريق مراعاة السِّياق.

وأنا أسلك هذا الطريق في تدريس التفسير بزاويتنا الصِّدِّيقية وقد أُلهمتُ فيه أشياء كثيرة بحمد لله.

وتعيين فتنة داود عليه السَّلام يتعيَّن فيه تلاوة ما قبل القصة حيث حكىٰ الله تعالىٰ تعنُّت الكفار في كفرهم وتعصُّبهم لأصنامهم وتكذيبهم للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقولهم علىٰ سبيل الاستخفاف به: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] مع أنهم لا يؤمنون بالبعث.

وذكر من كذب قبلهم الرسل بدءًا من قوم نوحٍ وهلمَّ جرًّا، ثم قال لنبيِّه:

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ [ص: ١٧] فأمره بالصبر على إذاية الكفار وذكر قصصًا للأنبياء: داود، وسليمان، وأيوب، صبروا حتى فرَّج الله عنهم وكان عاقبتهم النصر.

وبدأ بداود لمناسبة سنبيُّنها، ووصفه بالأيد أي: القوة في الدين والصَّدع بأمر الله والطاعة لله مع قوة بدنه أيضًا.

وذكر قصة الخصومة ليبيِّن مدى صبره على جفاء قومه فهذان خصمان إسرائليان مختلفان في غنمٍ بينهما تسوَّرا عليه المحراب فأفزعاه ولم يأتيا من الباب وهذا جرمٌ يستحِقَّانِ عليه العقوبة لكنَّه صبر ولم يعاقبهما.

ثمَّ خاطباه بلهجةٍ جافَّةٍ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ [ص: ٢٢]، أمراه بالحكم بالحقِّ ونهياه عن الجور وهذه قلَّة أدبٍ يستحقَّانِ العقوبة عليها لكنه صبر ولم يعاقبهما بل حكم بالحقِّ؛ لأنه معصومٌ لا يحكم بالجَوْر، ولهذا أعطاه الله رتبة الخلافة عنه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦]، والخلافة أعلى من الملك.

وحصل مثل هذا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ناداه جفاة الأعراب: يا محمد اخرج إلينا، فصبر على جفائهم ولكن الله أنزل في ذمِّهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

وحكم بين الزبير وخصمه وهو أنصاري في شِراجِ الحَرَّة فأغضب الأنصاريَّ حكمُه وقال: أنْ كان ابنَ عمَّتِك!

فصبر على قلَّة أدبه ولكنَّ الله أنزل في حقه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

أمَّا فتنة داود فتكمُن في قوله تعالىٰ: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٢٢] أي: خاف، والخوف طبيعةٌ بشريةٌ فقد خاف موسىٰ وهارون وغيرهما، لكن داود ظنَّ أنَّ خوفه من الخصمين وهو في عبادة الله وفي حضرته فتنةٌ أي: امتحان ظهر فيه تقصيره فاستغفر ربَّه من التقصير الذي ظنه وخَرَّ راكعًا وأناب.

وقد قال: النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه ليُغانُّ علَى قلبِي وإنِّي لأستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعين مرَّةً**». فالاستغفار لا يستلزم الذنب شرعًا ولا عادةً.

هذا ما رأيته في تعيين فتنة داود بعد مراعاة السِّياق.

وفي تعيينها رأيان آخران:

أحدهما للإمام الرازي قال في "تفسيره": «روي أن جماعةً من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوَّروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما يمنعونه منهم فخافوا فقالوا كذبًا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢] فلما علم بقصدهم دعاه الغضب إلىٰ أن ينتقم منهم لكنه مال إلىٰ الصَّفح والتجاوز عنهم فكانت هذه الواقعة هي الفتنة، أو أنه ظنَّ أنهم أرادوا قتله ولما لم يتحقَّق ظنه كان ذلك فتنة فاستغفر منه». اهـ ملخَّصًا.

والآخر لأبي حيان، قال في "البحر المحيط": «والذي نذهب إليه ما دلَّ عليه ظاهر الآية مِن أنَّ المتسوِّرين المحراب كانوا من الإنس دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم وأنه فزع منهم ظانًّا أنهم يغتالونه إذ

كان منفردًا في محرابه لعبادة ربه فلما اتَّضح له أنهم جاءوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصَّ الله تعالىٰ وأنَّ داود عليه السلام ظنَّ دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنفاذا من الله له أن يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه، فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ولم يقع مظنونه وخرَّ ساجدًا ورجع إلىٰ الله تعالىٰ فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥] ولم يتقدَّم سوىٰ قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] ويعلم قطعًا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيءٍ منها ضرورة أن لو جوَّزنا عليهم شيئًا من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشيءٍ مما يذكرون أنه أوحىٰ الله به إليهم، فما حكىٰ الله في كتابه يمرُّ علىٰ ما أراده تعالىٰ، وما حكىٰ القُصَّاص مما فيه غضٌّ عن منصب النبوة طرحناه».اهـ

ولو كانت فتنة داود علىٰ ما ذكره المفسِّرون لزم علىٰ ذلك مفاسد:

١- أنه ليس في سياق الآيات ما يدلُّ عليها أو يرشد إليها.

٢- أن قصة الخصومة تفيد أنه وقع في حبِّ امرأة وحاول انتزاعها من زوجها، وهذا ضعفٌ في الإرادة وخورٌ في العزيمة ينافي ثناء الله عليه بأنه «ذو الأيد»، أي: القوة.

٣- أنَّ الله تعالىٰ قال لنبيِّه: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] وما كان من داود إلا الصبر علىٰ عبادة الله وعلىٰ جهالة قومه، لا حبُّ امرأة ومحاولةُ انتزاعها من زوجها، فكيف أُقحم هنا؟!

٤- أن يكون الله أمر نبيه بالاقتداء بداود في حبِّ النساء والافتتان بهنَّ!!.

٥- أنَّ الملائكة كذَبوا في ادعاء خصومة لم تقع مع أنهم معصومون،

ودعوىٰ أن ذلك كان منهم علىٰ سبيل التمثيل مردودةٌ بأنه يجب نَصب قرينة علىٰ ذلك ولا قرينة في سياق القصة إطلاقًا.

وبالجملة فما ذكر المفسِّرون في فتنة داود عليه السلام كلُّه مأخوذٌ من الإسرائيليات التي نهينا عن تصديقها لا سيَّما إذا كان فيها ما يمَسُّ مقام الأنبياء ويخدِش عصمَتهم، وكذلك فعلوا في تفسير قصة هاروت وماروت ويوسف وأيوب وسليمان، ذكروا إسرائيليات ملأىٰ بالخرافات.

ولا يغرنَّك نقلها عن كثيرٍ من التابعين مثل: الحسن، ومجاهد، وأبي الجلد، والسدي، ومقاتل، والكلبي، وأبي صالح، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وأبي عمران الجوني، وغيرهم.

فإن هؤلاء يأخذون عن الإسرائيليات علىٰ سبيل الموعظة والتذكر.

وأخذ عنهم مثل ابن المبارك، وأحمد، وابن أبي حاتم، وابن جريرٍ، وأضرابهم، وامتلأت كتب التفسير والزهد والرَّقائق بالإسرائليات حتىٰ اشتبه الأمر علىٰ بعض الضعفاء في الرواية فرفعوا منها أحاديث إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

كما أنَّ قصة هاروت وماروت مع أناهيد التي أحبَّاها وفي سبيل الوصول إليها شربا الخمر وعلَّماها الاسم الذي يطلعان به إلىٰ السماء بطلبها فطلعت إلىٰ السماء ومُسِخت هناك وهي الآن الزُّهرة.

فهذه الخرافة منقولةٌ عن الإسرائيليات ورفعها بعض الرواة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واغترَّ بعض الحفَّاظ بنظافة سندها فصحَّحها حديثًا نبويًّا مرفوعًا، ولم يتنبَّه لما فيه من عللٍ تقضي بعدم صحَّته، والكمال لله تعالىٰ.

١٢- فتنة سليمان عليه السلام(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] أخبرت الآية الكريمة أنَّ سليمان فُتن، فما هي فتنته؟

قال كثير من المُفسِّرين: كانت فتنته بسبب خاتمه، ثم اختلفوا في كيفيتها علىٰ جهاتٍ مأخوذةٍ من الإسرائيليات وبيانها علىٰ الوجه الآتي:

١- قال أبو جعفر بن المنادي: حدَّثنا أبو خالد القرشي: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمارة بن عبد، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: بينما سليمان عليه السلام جالس علىٰ شطِّ البحر وهو يلعب بخاتمه فوقع، وكان مُلْكه في خاتمه.

فانطلق فأتىٰ عجوزًا فأوىٰ إليها وخلفه الشيطان، فقالت العجوز: اذهب فاطلب وأنا أكفيك عمل البيت فذهب فانتهىٰ إلىٰ صيَّادين فنبذوا إليه سمكات فأتىٰ بهن فشقَّت العجوز سمكة فإذا الخاتم فأخذه فقلبه فأقبلت إليه الجنُّ والطير والوحوش وفرَّ الشيطان إلىٰ جزيرةٍ.

فقال سليمان: ائتوني به، قالوا: لا نقدر عليه، إلا أنه يرد علينا في كلِّ أسبوع قال: فصبُّوا له خمرًا فلما شرب سكِر فأروه الخاتم فقال سمعًا وطاعة فأتوا به سليمان فأوثقه وأمر به إلىٰ جبل الدُّخَان فما ترون من الدُّخَان فذاك.

هذا لا يصحُّ عن عليٍّ عليه السلام وما نطق به قطُّ، وأبو خالد القرشي متروك، قال يحيىٰ بن معين: كذَّاب خبيث، حدَّث بأحاديثَ موضوعةٍ.

٢- قال ابن أبي حاتم في "تفسيره": حدَّثنا علي بن الحسين: حدَّثنا محمد بن العلاء، وعثمان بن أبي شيبة، وعلي بن محمد قالوا: حدَّثنا أبو معاوية: أخبرنا

---

(١) مجلة دعوة الحق.

الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]:

أراد سليمان عليه السَّلام أن يدخل الخلاء فأعطىٰ الجَرَادةَ خاتمه وكانت الجرادةُ امرأتَه، وكانت أحبَّ نسائه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأعطته إياه فلمَّا لبسه دانتْ له الإنس والجنُّ والشياطين.

فلما خرج سليمان عليه السَّلام من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي فقالت: قد أعطيتُه سليمان قال: أنا سليمان قالت: كذبتَ ما أنت بسليمان، فجعل لا يأتي أحدًا يقول له: أنا سليمان إلَّا كذبه، حتىٰ جعل الصِّبيان يرمونه بالحجارة. فلمَّا رأىٰ ذلك سليمان عرف أنَّه من أمر الله تعالىٰ.

قال: وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تعالىٰ أن يردَّ علىٰ سليمان سلطانه ألقىٰ في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، قال: فأرسلوا إلىٰ نساء سليمان فقالوا لهنَّ: تُنكِرْنَ من سليمان شيئًا؟ قلن: نعم إنه يأتينا ونحن حُيَّض، وما كان يأتينا قبل ذلك.

فلما رأىٰ الشيطان أنه قد فطن له ظنَّ أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبًا فيها سِحْر وكفر فدفنوها تحت كرسيِّ سليمان ثم أثاروها وقرأوها علىٰ الناس قالوا: بهذا كان يظهر سليمان علىٰ الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه السلام، فلم يزالوا يكفِّرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة.

وكان سليمان يحمل علىٰ شطِّ البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترىٰ سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بسمكة من هذا السمك.

قال: فحمل سليمان السمك إلى منزل الرجل فلما انتهى إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه فدانت له الإنسُ والجنُّ والشياطينُ، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان في طلبه، وكان شيطانًا مريدًا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يومًا نائمًا فبنَوا عليه بنيانًا من رَصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا أن دار معه من الرَّصاص.

قال: فأخذوه وأوثقوه فجاءوا به إلى سليمان، فأمر به فنُقر له نحتٌ من رخام ثم أُدخل في جوفه ثم سُدَّ بالنُّحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] يعني: الشيطان الذي كان تسلَّط عليه.

قال ابن كثير: «إسناده إلى ابن عبَّاسٍ قويٌّ ولكن الظاهر أنه إنما تلقَّاه ابن عبَّاسٍ -إن صحَّ عنه-من أهل الكتاب، وفيهم طائفةٌ لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السِّياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحدٍ من أئمَّة السلف أن ذلك الجنِّيَّ لم يسلَّط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفًا وتكريمًا لنبيه عليه السلام».اهـ

قلت: لم يصح هذا الأثر عن ابن عبَّاسٍ لأن في سنده عنعنة الأعْمَش وهو مدلِّس قال الذهبي: وربما دلَّس عن ضعيف وهو لا يدري به.

ويظهر من كلام ابن كثير أنه مقتنتع بأنَّ الجنيَّ سُلِّط على ملك سليمان وإنما

استنكر هذا السِّياق، خصوصًا تسليط الجني على نساء سليمان عليه السلام ولم ينكر القصة من أصلها مع أنها باطلةٌ؛ لأنَّه وجد كثيرًا من التابعين اعتمدها كمجاهد وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والحسن البصري.

ولا ينقضي عجبي من هؤلاء وغيرهم من التابعين بل وبعض الصحابة الذين يعتمدون روايات أهل الكتاب في تفسير آيات القرآن الكريم، رغم ورود النهي عن ذلك ورغم مخالفة تلك الروايات لألفاظ القرآن وسياقه.

فلفظ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] ينفي أن يكون بطلُ القصة جنيًّا سرق الخاتم وجلس على الكرسي وصرَّف الملك مختارًا مدة أربعين يومًا؛ لأن الإلقاء والجسد ينفيان أن يكون الملقى[(١)] حيًّا مختارًا كما يتبيَّن مما يأتي.

٣- روى الفريابي، والحكيم الترمذي؛ من طريق الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ في قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] قال: هو الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يومًا وكان لسليمان عليه السلام امرأة يقال لها جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم بالحقِّ إلا أنه ودَّ أن الحق كان لأهلها فأوحى الله إليه إنه سيصيبك بلاءٌ فكان لا يدري يأتيه من السماء أم من الأرض؟.

صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبيُّ، مع أن فيه عنعنة الأعمش على أن الحاكم علَّقه عنه.

---

(١) بفتح القاف.

ومن أين علم لنا أن سليمان تمنىٰ أن يكون الحقُّ مع أهل زوجه؟ وإذا حكم بالحقِّ فلا عتب عليه أن يتمنَّىٰ خلاف ما حكم به ولو فرض أن عوقب فكيف يعاقب بتسليط شيطان يحكم في الرعية بخلاف الحقِّ أربعين يومًا حتىٰ أنكروا عليه؟!!

فهذه عقوبةٌ للرعية أكثر منها لسليمان عليه السلام، وما ذنبهم أن يصيبهم هذا البلاء؟! وصرح ابن عبَّاسٍ بأنه تلقَّىٰ تفسير هذه الآية عن كعب الأحبار حيث سأله عنها وعن قصة تُبَّع، رواه عنه عبد الرزاق في "تفسيره".

٤- روىٰ ابن جريرٍ من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] قال: شيطانًا يقال له آصف، قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه رماه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب مُلكه، وقعد آصف علىٰ كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهنّ، وأنكرنه.

قال: فكان سليمان يستطِعِم فيقول: أتعرفونني؟ أطعموني أنا سليمان، فيكذّبونه، حتىٰ أعطته امرأة يومًا حوتًا، فوجد خاتمه في بطنه.

وهذه قصةٌ باطلةٌ أيضًا وفيها أمور لا تليق بمقام النبوة.

وجاء عن قتادة والحسن وسعيد بن المسيب حكايات في قصة الجنِّيِّ الذي قام بانقلاب ضدَّ سليمان عليه السلام بواسطة سرقة خاتمه واضطربوا في اسمه فقيل: صخر، أو آصف، أو آصر، أو حبقيق، وتلك الحكايات منتشرة في كتب التفسير.

٥- روىٰ الطبراني في "الأوسط"، وابن مَرْدُويَه في "التفسير" عن أبي

هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «وُلد لسليمانَ بن داود ولدٌ، فقال للشياطين: أين نُوَاريه من الموت؟ فقالوا: نذهب به إلى المشرق. قال: يصِل إليه الموتُ. قالوا: فإلى المغرب. قال: يصِل إليه الموتُ. قالوا: إلى البِحارِ قال: يصِل إليه، قالوا: نضعُهُ بين السَّماءِ والأرضِ.

ونزل عليه ملَكُ الموتِ، فقال: يا ابن داود، إنِّي أمرت بقبض نسَمة طلبتُها في المشرق فلم أُصبْها، فطلبتُها في المغرب فلم أُصبْها، وطلبتُها في البحار، وفي تُخُوم الأرضين فلم أصبْها، فبينا أنا أصْعدُ إذ أصبتُها، فقبضتُها، وجاء جسدُهُ حتى وقعَ على كرسيِّه، فهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤].

في سنده يحيىٰ بن أبي كثير صاحب البصري قال النَّسائي: ليس بثقةٍ، وقال الدارَقُطني: متروك، وقال ابن حِبَّان: يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، فالحديث موضوعٌ واقتصار السيوطي علىٰ تضعيفه قُصور.

ويعجبني موقف أبي حيَّان من هذه القصة حيث قال: «نقل المفسِّرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالًا يجب براءة الأنبياء منها، وهي إمَّا مِن وضع اليهود أو الزَّنادقة».اهـ كلامه.

وفتنة سليمان عليه السلام لم يُعيِّنها الله تعالىٰ بصريح القول لكن يمكن إدراك تعيينها بتدبُّر الآيات ومراعاة السِّياق التي يغفل عنها معظم المفسِّرين.

وإذا رجعنا إلىٰ أول السورة نجد الله تعالىٰ يحكي تكذيب الكفار لنبيِّه ويصفونه بأنَّه ساحرٌ كاذبٌ وبأن ما جاء به اختلاف وافتراء ثم أمر بالصبر وبذكر الأنبياء الذين ابتُلوا فصبروا ونالوا الرفعة والمنزلة العظيمة، فبدأ بداود

وابنه سليمان ثم قال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ [ص: ٤١]، ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ [ص: ٤٥]، ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِ ﴾ [ص: ٤٨].

ومهَّد لذكر فتنة سليمان بتزكيته فقال تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠]، ومن يزكِّيه الله بهذا المدح المؤكَّد كيف يصحُّ عنه ما جاء في تلك الحكايات المكذوبة؟ وأيُّ علاقة بل أي عبرة في استيلاء الشيطان علىٰ ملكه؟ أرأيت كيف يسقط المفسِّرون بغفلتهم عن سياق الآيات وأسلوبها البديع النظام؟!

وفتنة سليمان ثبتت فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**قال: سليمانُ بن داود: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأةً، تحملُ كلُّ امرأة فارسًا يجاهدُ في سبيل الله، فقال له صاحبُه: إن شاء الله، فلم يقُلْ، فلم تحمل شيئا إلا واحدة، جاءتْ بشِقِّ غُلام**»، فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فُرْسانًا أجمَعون**».

فذلك الشِّقُّ هو الجسد الذي ألقي علىٰ كرسيه أتوا به فرآه سليمان وعلم أن أمنيته لم تتحقَّق لأنه لم يقل: «إن شاء الله». «وأناب»: أي: رجع إلىٰ تعليق أموره كلِّها علىٰ المشيئة الإلهية.

ووقع نظير هذا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ بعثت قريش إلىٰ اليهود بالمدينة يطلبون منهم يبعثوا إليهم بأسئلة يمتحنون بها النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأرسلت إليهم يهود: أن سلوه عن أمر أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح.

فجاءت قريش إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسألوه عن هذه

الأشياء فقال: «**ائتوني غدًا**». ولم يستثن. أي لم يقل: إن شاء الله.

فمكث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خمس عشرة ليلة لا يحدِث الله في ذلك وحيًا ولا يأتيه جبريل، حتىٰ أرْجَف أهل مكة، وحتىٰ أحزن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مكث الوحي عنه وشَقَّ عليه ما يتكلَّم به أهل مكة، ثم جاء جبريل بجواب ما سئل عنه وبقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤].

فأدَّبه الله علىٰ ترك المشيئة كما أدَّب سليمان عليهما قبله ولهذا قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن سليمان: «**لو قال، إنْ شاءَ الله لجاهدوا كلُّهم**». أي لرزقه الله الأولاد وكبروا وجاهدوا.

والحكمة في ذكر فتنة سليمان عليه السلام تسلية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عما حصل له من ترك المشيئة والتأديب عليها بأنَّ مثله حصل لنبيٍّ كريمٍ أوَّاب.

ومن تمام المناسبة بينهما أنَّ سليمان سخَّر الله له الجنَّ رعايا في مملكته والنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صرف الله إليه الجنَّ ليكونوا من جملة أمته.

وترك التعليق بالمشيئة ليس بمعصية بل غايته أن يكون مكروهًا أو خلاف الأولىٰ والمقرَّر في علم الأصول: أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يفعل المكروه للتشريع كما هنا.

فقد ترتَّب علىٰ تأديب الله عليهما الحضُّ علىٰ سلوك الأولىٰ والأفضل دائما اقتداء بصنيع الله تعالىٰ حيث يقول: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، وهذه الآية نزلت بعد

آية الكهف، وبهذا يكون الله تعالىٰ قد حضَّ علىٰ التعليق بالمشيئة الإلهية قولًا في آية الكهف وحضَّ عليها عملًا في هذه الآية.

وبعد هذا نرد المفاسد والمنكرات في تلك الإسرائيليات التي غفل عنها من فسَّر بها فتنة سليمان عليه السلام، ويتلخَّص الردُّ فيما يلي:

١- المقرَّر في علم أصول الدين أنَّ الشيطان لا يقدر أن يتمثَّل في صورة نبيٍّ أبدًا ولا يقدره الله علىٰ ذلك، وصحَّ في الحديث المستفيض أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ رآني في المنام فقد رآني حقًا فإنَّ الشَّيطان لا يتمثل بي**»، وفي رواية: «**فإنَّ الشيطان لا يتكوَّنُني**» أي لا يتكون علىٰ صورتي هذا في المنام، فكيف باليقظة؟

٢- من المقرَّر كذلك: أنَّ الشيطان لا يقدر علىٰ الاتصال بنساءِ نبيٍّ والزنا بهنَّ، بل صرَّحوا بأنَّ نساء الأنبياء لا يزنين وإن كنَّ كافرات، لأنَّ الكفر ينشأ عن تقليد الآباء بخلاف الزِّنا فإن منشأه خِسَّة الطبع ودناءة النفس وشدة الغلمة.

ولما جاءت هند أمُّ معاوية وهي مشركة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لتبايعه علىٰ الإسلام وعرض عليها في البيعة: «**ولا تزنين**» قالت مستنكرة: أوتزني الحُرَّة؟! مع أنها كانت معتزة بشركها باعتباره دينًا وجدت عليه أهلها وقومها.

وقد زلَّ زلةً عظيمةً مَن فسَّر من المعاصرين خيانة امرأتي نوحٍ ولوطٍ بالزنا، وما خيانتُهما إلا ممالأة قومها علىٰ الكفر وإيذاء زوجيهما وحقُّ هذا المفسِّر أن يُعزَّر تعزيرًا بالغًا.

٣- أخبر الله تعالىٰ أنه أعطىٰ سليمان المُلك الذي طلبه وقال له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص: ٣٩] ولم يعلِّقه بخاتم ولا غيره.

٤- اليهود لعنهم الله ينكرون نبوة سليمان ويعتبرونه مَلِكًا حكيمًا، يعنون بالحكمة السِّحر، ويعتقدون أنه نال الملك وتسخير الجنِّ بالطِّلَّسمات السِّحرية ولذلك قالوا: كان ملكه في خاتمه.

وما كان للمفسِّرين أن ينخدعوا بكذبهم ويدوِّنوه في تفاسيرهم.

٥- من أبطل الباطل دعوىٰ أنَّ صورة سليمان كانت في خاتمه أيضًا بحيث لما ذهب الخاتم ذهبت صورته معه وأنكره الناس ولم تعد إليه صورته حتىٰ عاد الخاتم!! كيف ارتبطت صورته التي خلقه الله عليها بخاتم في يده؟! وأي عقل يصدِّق هذه الخرافة؟!!

٦- لا يجوز في حقِّ سليمان النبيِّ عليه السَّلام أن يهرب بولده من الموت ويستعين بالشياطين علىٰ ذلك وأنهم وضعوه بين السماء والأرض هذه خرافةٌ أيضًا.

٧- الجسد جسم لا روح فيه ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ [ص: ٣٤] وفي الحديث: «**كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَد**». أي: حين كان آدم جسدًا لا روح فيه، فإذا انضمَّ الروح إليه زال عنه اسم الجسد وسمي إنسانًا أو ملكًا أو شيطانًا لأنه حيٌّ يعقل ويتحرَّك بإرادته.

فتفسير الجسد في الآية بالشيطان لا تساعد عليه اللغة العربية وينافي دقَّة التعبير القرآني إذ لو كان المراد شيطانًا كما في الإسرائيليات لقيل: وسلَّطنا علىٰ كرسيِّه شيطانًا.

٨- ما كان الله تعالىٰ ليسلب نبيه ما أعطاه ويلجئه إلىٰ التكفُّف وسؤال الناس لا لذنب أتاه إذ هو معصوم ولكن لأن الشيطان سرق خاتمه من زوجه.

والله تعالىٰ يكره لعبده أن يسأل غيره خصوصًا من كان نبيًّا مرسلًا، جاء في بعض الآثار إن الله أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: «سلْني في كلِّ شيءٍ حتىٰ في شِسْع نَعلِكَ ومِلْح عَجِينِكَ».

١٣- القرآن دواءٌ للجسم والرُّوح وأنفُ المضلِّلين راغمٌ[١]

لا شكَّ أنَّ كتاب الله شفاءٌ ودواءٌ وغذاءٌ للجسم والرُّوح، ولكن الجماعات الوثنية الباطنية العصرية المستترة وراء التسلُّف، والتي تريد أن تقضي على الإسلام من طريق القضاء على معنوياته وأسراره وروحانياته، والتي يسَّر لها الزمان أسباب الظهور والتغرير لغير وجه الله، هذه الطوائف التي مزَّقت وحدة المسلمين وشغلتهم عن مصائب الاستعمار بتوافه، والخلافات على الفروع، وابتداع الغيرة على الدين، للتمكين للاستعمار المنتظر، وخدمة التبشير القائم، كان من آخر ما فتنوا به الأمَّة وشغلوها به عن واجبها الأكبر، قولهم بعدم بركة القرآن وأنه لا يصلح للتداوي على أي وجهٍ، وادَّعَوا بأنَّ فاعل هذا دجَّالٌ كافرٌ فاسمع تكذيب هؤلاء المضلِّين بما لا شك فيه[٢].

القرآن دواء للأجسام

قال ابن ماجه في كتاب الطِّب من "سننه"، باب الاستشفاء بالقرآن، حدَّثنا محمد بن عبيد بن عتبة بن عبد الرحمن الكِندي، حدثنا عليُّ بن ثابت، حدثنا سعاد بن سليمان عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «خيرُ الدَّواءِ القرآنُ». قلت: إسناده حسن.

وللسِّجْزي في "الإبانة"، والقضاعي في "مسند الشِّهاب" من طريق أبي

---

(١) مجلة المسلم، السنة الرابعة، العدد السادس، محرم ١٣٧٤هـ.

(٢) الديباجة من المجلة

إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القرآنُ هو الدواء**». وإسناده حسنٌ كما قال المناوي في "التيسير".

وروىٰ ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكُم بالشفاءين العسلُ والقرآنُ**». قال الحاكم: صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين وسلَّمه الذهبيُّ[1] وروىٰ الحاكم أيضًا عن ابن مسعودٍ قال: «**عليكم بالشفاءين القرآنُ والعسلُ**» وإسناده صحيحٌ أيضًا.

وروىٰ الثعلبي من طريق أحمد بن الحارث الغساني، حدَّثتنا ساكنة بنت الجرود، قالت: سمعت رجاء الغنوي يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ لم يستشفِ بالقرآنِ فلا شَفاه اللهُ**».

الفاتحة دواءٌ من العقْرب:

قال البخاري: «باب الشروط في الرُّقية بفاتحة الكتاب»، ثم روىٰ فيه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ نفرًا من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرُّوا بماء فيهم لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إنَّ في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب علىٰ شاءٍ فبرأ، فجاء بالشاءِ إلىٰ أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذتَ علىٰ كتاب الله أجرًا؟!، حتىٰ قدموا المدينة فقالوا يا رسول الله: أخذ علىٰ كتاب الله أجرًا! فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتابُ الله**».

ورواه البزَّار من حديث جابر بن عبدِ الله وزاد في روايته: فقالوا لهم: قد

---

(١) وقال الحافظ ابن كثير بعد أن عزا الحديث لابن ماجه: «إسناده جيِّد».

بلغنا أنَّ صاحبَكم جاء بالنُّور والشِّفاء؟ قالوا: نعم، قالوا: فهل فيكم من راقٍ، فقال رجل من الأنصار أنا أرقيه ...إلخ، وهذا الرجل من الأنصار هو أبو سعيدٍ الخدريُّ، كما سبق في رواية الترمذيِّ وابن أبي حاتم وهذه قصة أخرى.

الفاتحة دواءٌ من الجُنُون:

أخرج أحمد وأبو داود والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ والدارَقُطني في "السنن" عن خارجة بن الصَّلت عن عمِّه أنه أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم أقبل راجعًا من عنده فمرَّ على قوم عندهم رجلٌ مجنونٌ مُوثَقٌ بالحديد، فقال أهله: إنَّا قد حُدِّثنا أنَّ صاحبَكم هذا قد جاء بخيرٍ فهل عندك شيءٌ تداويه؟ قال: فرقيته بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام كلَّ يوم مرتين فبَرأ، فأعطوني مائتي شاةٍ فأتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**خذْها فلعَمْري من أكلَ برُقية باطلٍ، لقد أكلتَ برُقيةِ حقٍّ**»[١]. إسناده صحيحٌ وصحَّحه ابن حبان والحاكم أيضًا.

الفاتحة دواءٌ من الصَّرَع:

روى الثعلبيُّ من طريق معاوية بن صالح، عن أبي سليمان قال: مرَّ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بعض غزوهم على رجلٍ قد

---

(١) قسَّم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذا الحديث الرُّقية إلى قسمين: رقيةِ حقٍّ، ورقيةِ باطلٍ، فرقية الحقِّ: ما كانت بالقرآن أو بما ورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من قوله أو فعله أو تقريره. ورقية الباطل: ما لم تكن كذلك. قال الشَّوكاني: «وعلى الرقية الباطل تحمل الأحاديث الواردة في النهي عن الرُّقى، وعلى رقية الحقِّ تحمل الأحاديث الواردة بالإذن بها».اهـ

صُرِع، فقرأ بعضهم في أذنه بأمِّ القرآن فبَرأ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي أمُّ القرآن وهي شفاءٌ من كلِّ داءٍ**».

الفاتحة داءٌ من السُّمِّ:

روىٰ سعيد بن منصور والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاتحة الكتاب شفاءٌ من السُّمِّ**».

وروىٰ أبو الشيخ في "الثواب" من طريق آخر، عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مثله.

الفاتحة شفاء لكلِّ داءٍ:

روىٰ الدارميُّ والبيهقيُّ بسندٍ رجاله ثقاتٌ، عن عبد الملك بن عُمير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتحةُ الكتابِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ**».

المعوِّذات دواءٌ نبويٌّ:

أخرج الإمام مالك والبخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة، أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه المعوِّذات وينفُثُ، فلما اشتدَّ وجعه كنتُ أنا أقرأ عليه بيمينِه رجاءَ بركَتِها.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا مرض أحد من أهله نفَثَ عليه بالمعوِّذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلتُ أنفُثُ عليه وامسحُه بيد نفسِه لأنَّها كانت أعظمَ بركةً من يدي.

والمراد بالمعوِّذات: (قُل هُو الله أحدٌ)، و(قُل أعوذُ بربِّ الفَلَق)، و(قُل أعوذُ بربِّ النَّاس)، نصَّ عليه الحافظ ابن حجرٍ وغيره.

المعوِّذات مع الماءِ دواءٌ:

أخرج الطبراني عن أبي عبيد واسمه عامر، وقيل اسمه كنيته، أن أباه

عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه رأىٰ في عنق امرأة من أهله سيرًا فيه تمائم، فمدَّ يده مدًّا شديدًا حتىٰ قطع السَّير وقال: لو أنَّ إحداكنَّ تدعو بماء فتنضحه في رأسها ووجهها ثمَّ تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم تقرأ (قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، نفعها ذلك إن شاء الله.

المعوِّذات دواءٌ من العقْربِ:

أخرج بن أبي شيبه في "مسنده" عن عبد الله بن مسعود قال: بينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي إذ سجد فلدغتْه عقربٌ في أصبعه، فانصرف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**لعنَ اللهُ العقربَ ما تدع نبيًّا ولا غيرَه**».

ثمَّ دعا بماء ومِلْح فجعل يضع موضع اللَّدغة في الماء والملح ويقرأ (قل هو الله أحد) و(المعوذتين) حتىٰ سكنت. وفي "مجمع الزوائد" بإسنادٍ حسنٍ زاد (الكافرون).

سورة (الإخلاصُ) لكلِّ مرضٍ:

أخرج أبو يعلىٰ في "الكبير" عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: مرضتُ وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعُودُني فعوَّذني يومًا فقال: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أعيذُكَ بالله الأحَدِ الصَّمَدِ، الذي لم يَلدْ ولم يُولدْ ولم يكنْ له كفُوًا أحدٌ من شرِّ ما تجدُ، فلما استَقلَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائمًا قال: يا عثمانُ تعوَّذْ بها فما تعوَّذتُم بمثلِها**».

المعوِّذتان دواءٌ من العَين:

أخرج الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتعوَّذ من أعين الجانِّ، وأعين الإنس، فلما

نزلت المعوِّذتان أخذ بهما وترك ما سوىٰ ذلك، قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

قلت: معنىٰ الحديث كما قال العلماء: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يتعوَّذ من العين، والحسد، وشرِّ الإنس والجنِّ بتعاويذَ من أدعية وأذكار، فلما نزلت المعوِّذتان صار يتعوَّذ بهما وترك غيرهما لأنَّهما يكفيان عن سائر المعوِّذات.

آياتٌ تداوي مِن مسِّ الجنِّ:

أخرج بن ماجه في "السنن" عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أبيه أبي ليلىٰ، قال: كنت جالسًا عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذ جاءه أعرابيٌّ فقال: إنَّ لي أخًا وجِعًا. قال: «**ما وجعُ أخيك؟**» قال به لَمَمٌ. قال: «**اذهبْ فائتني بِهِ**».

قال: فذهب فجاءه به فأجلسه بين يديه فسمعتُه عوَّذه بفاتحة الكتاب وأربع آياتٍ من أول (البقرة)، وآيتين من وسطها، و(إلهكم إله واحد)، و(آية الكرسي)، وثلاث آيات من خاتمتها، وآية من (آل عمران) أحسِبه قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وآية من (الأعراف) ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وآية من (المؤمنون) ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ وآية من (الجن) ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ وعشر آيات من أول (الصافات)، وثلاث آيات من آخر (الحشر)، و(قل هو الله أحد)، و(المعوذتين)، فقام الأعرابي وقد برأ، ليس به بأس. ورواه أبو يعلىٰ في "المعجم" وأبو نصر السِّجْزي في "الإبانة".

آياتٌ تداوي المبتَلَى:

أخرج أبو يعلىٰ وابن أبي حاتم وأبو نعيم وابن مَرْدُويَه والحكيم الترمذيُّ والخطيب البغدادي من طريق ابن لَهِيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن حنش

الصنعاني، عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال: له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما قرأتَ في أُذُنِه» قال: قرأت ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون: ١١٥] حتى فرغ إلى آخر السورة، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لو أنَّ رجلًا مُوقنًا قرأ بها على جبلٍ لزَال».

قال الحافظ الهيثميُّ: «ابن لَهيعة فيه ضعْفٌ، ولكنَّ حديثَه حسنٌ وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقال الحافظ السيوطي في "التعقيبات": «طريقه على شرط الحُسن».

الحكم الأخير:

إذا تأمَّل القارئ الكريم تلك الأحاديث التي أوردناها معزوَّة لرواتها وضح له أمران:

الأول: أنَّ التَّداوي بالقرآن العظيم واردٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من فعله أو أمره أو تقريره، بطرقٍ تفيد القطع واليقين، بحيث لا يسع من وقف عليها وكان عنده مسْكةٌ من علم أن يتشكَّك في ذلك أو يداخله أدنى احتمال.

وكيف يبقى مجال للشك أو الاحتمال في شيءٍ رواه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أربعةَ عشرَ صحابيًّا هم: عليٌّ، وابن مسعودٍ، وأبو سعيد الخدري، وابن عبَّاسٍ، وجابر بن عبد الله، وعِلاقَةُ بن صَحَارٍ عمُّ خارجه بن الصَّلْت، والسائب بن يزيد، وعائشة، وعثمان بن عفان، وعبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر، وابن عبَّاسٍ الجهني، وأبو ليلى، وأبي بن كعب.

وفي هؤلاء من الخلفاء الراشدين علي وعثمان، وفيهم من كبار فقهاء

الصحابة علي وابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ وعائشة وأبي، ومن حفَّاظهم أبو سعيد الخدري وابن عبَّاسٍ وجابر وعائشة، أضف إلى ذلك أنَّ الطرق تعدَّدت عن بعضهم كأبي سعيد وعائشة وعقبة تعدُّدًا بلغ حدَّ الشهرة والاستفاضة.

الثاني: أنَّ أحاديث التداوي بالقرآن مخرَّجة في كتاب "الموطأ" للإمام مالك، "ومسند الإمام أحمد"، وصحيحي "البخاري" و"مسلم"، وسنن "أبي داود" و"الترمذي" و"النسائي" و"ابن ماجه".

"وصحيح ابن حِبَّان" "ومستدرك الحاكم"، وسنن "الدارقطني" و"البيهقي"، "ومعاجم الطبراني"، ومسانيد "البزَّار" و"أبي يعلى".

وتفاسير "ابن جرير" و"ابن المنذر" و"ابن أبي حاتم" و"ابن منده".

و"حلية الأولياء" لأبي نعيم و"تاريخ بغداد" للخطيب، "ومجمع الزوائد" للحافظ الهيثمي.

وغيرها من كتب السُّنة التي عن طريقها وصل إلينا الهدي النبوي، وبواسطتها نقلت إلينا شرائع الدين المحمدي.

فمن يستطيع بعد هذا كلِّه أن ينكر التداوي بالقرآن الكريم ويجعله من قبيل الدَّجَل والخرفات إلا أن يكون عريقًا في الجهل غريقًا في الابتداع والانحراف عن السُّنة النبويَّة المطهَّرة؟!!.

١٤- القرآن هو الدواء[1]

المشروع والممنوع من الرّقى والتمائم

عن ابن مسعودٍ قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّوَلة شِركٌ». قالوا يا أبا عبد الرحمن هذه الرُّقىٰ والتمائم قد عرفناهما فما التِّوَلة؟ قال: شيءٌ تصنعه النِّساء يتحبَّبن به إلىٰ أزواجهنَّ.

صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وفي الباب أحاديث غير هذه لا تخلوا أسانديها من ضعفٍ.

و«الرُّقى»: جمع رُقْية بضمِّ الراء وسكون القاف، وهي معروفة. والتمائم: جمع تميمة وهي خَرَز أو قلادة تُعلَّق في الرأس. والتِّوَلة: بكسر التاء وفتح الواو واللام مرَّ بيانها في كلام ابن مسعودٍ وهي من السِّحر.

وإنما كانت هذه الأشياء من الشِّرك؛ لأنَّ أهل الجاهلية أرادوا بها جلب المنافع ودفع المضارِّ من عند غير الله.

قال الحافظ: «ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك، وقال الربيع سألتُ الشافعيَّ عن الرُّقية فقال: لا بأس أن يُرقىٰ بكتاب الله وما يُعرف من ذكر الله. قلت أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يُعرف من كتاب الله وبذكر الله».اهـ

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي: «المنهيُّ عنه من الرُّقىٰ ما كان بغير لسان العرب فلا يُدرىٰ ما هو، ولعله قد يدخله سحرٌ أو كفرٌ، فأمَّا إذا كان مفهوم المعنىٰ وكان فيه ذكر الله تعالىٰ فإنه مستحبٌّ متبرَّكٌ به».اهـ

---

(١) السنة السادسة، العدد الأول، شعبان ١٣٧٥.

وقال ابن التِّين في "شرح البخاري": «الرُّقى بالمعوِّذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطبُّ الرُّوحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخَلْق حصل الشفاء بإذن الله تعالى. فلما عزَّ هذا النوع فزع الناس إلى الطبِّ الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزِّم وغيره ممن يدعي تسخير الجنِّ له فيأتي بأمورٍ مشتبهةٍ مركَّبةٍ من حقٍّ وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوُّذ بمردَتِهم ويقال: إنَّ الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللديغ إذا رُقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان، فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الأمَّة». وقال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شركٌ أو يؤدِّي إلى الشرك.

والثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز فإن كان مأثورًا فيستحب.

والثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظَّم من المخلوقات كالعرش فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمَّن الالتجاء إلى الله والتبرُّك بأسمائه فيكون تركه أولى إلا أن يتضمَّن تعظيم المرْقيِّ به فينبغي أن يجتَنَب كالحلف بغير الله تعالى».اهـ

ونقل الحافظ إجماع العلماء على جواز الرُّقى بشروط ثلاثة:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته. **والثاني**: أن تكون

باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره. **والثالث**: أن يعتقد أن الرُّقىٰ لا تؤثِّر بذاتها بل بقُدْرة الله تعالىٰ».اهـ

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدريِّ أنَّ ناسًا من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتوا علىٰ حيٍّ من أحياء العرب فلم يُقْروهم، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سيِّد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تُقْرونا لا نفعل حتىٰ تجعلوا لنا جُعلًا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاة، فجعل يقرأ بأمِّ القرآن ويجمع بُزاقَه ويتفُل فبرأ، فأتوا بشاةٍ فقالوا: لا نأخذه حتىٰ نسأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألوه فضحك وقال: «**وما أدراكَ أنَّها رُقْية؟! خُذُوها واضربُوا لي بسَهْم**».

والرَّاقي هو أبو سعيد الخدريِّ كما جاء في بعض روايات "مسلم"، وفي "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاسٍ أن نفرًا من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مروا بماءٍ فيه لديغٌ أو سليمٌ فعرَضَ لهم رجلٌ من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إنَّ في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب علىٰ شاء فبرأ، فجاء بالشَّاء إلىٰ أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت علىٰ كتاب الله أجرًا؟! حتىٰ قدموا المدينة فقالوا يا رسول الله: أخذ علىٰ كتاب الله أجرًا!! فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتابُ الله**».

وروىٰ أحمد وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكم وصحَّحه عن خارجة ابن الصَّلت التميميِّ عن عمِّه أنه أتىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأسلم، ثمَّ أقبل راجعًا من عنده فمرَّ علىٰ قوم عندهم رجلٌ مجنون موثَّقٌ

بالحديد فقال أهله: إنا حُدِّثنا أنَّ صاحبكم قد جاء بخيرٍ فهل عندك شيءٌ تداويه؟ فرقَيتُه بفاتحة الكتاب فبرأ وأعطوني مائة شاة، فأتيتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**هل قلتَ غيرَ هذا؟**» قلت: لا. قال: «**خذْها فلعَمري لمنْ أكَلَ برُقيةٍ باطلٍ لقد أكلتَ برُقيةٍ حَقٍّ**».

وروىٰ الثعلبيُّ من طريق معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال: مرَّ أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض غزواتهم علىٰ رجلٍ قد صرع، فقرأ بعضهم في أذنه بأمِّ القرآن فبرأ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي أمُّ القرآن وهي شفاءٌ من كلِّ داءٍ**».

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" والدارقطني في "الأفراد" وابن عساكر بإسنادٍ ضعيفٍ عن السائب بن يزيد قال: عوَّذني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بفاتحة الكتاب تفلًا.

وروىٰ سعيد بن منصور والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاتحةُ الكتابِ شفاءٌ من السُّمِّ**».

وروىٰ أبو الشيخ في "الثواب" من طريق آخر عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعًا مثله.

وروىٰ الدارميُّ والبيهقيُّ بسندٍ رجاله ثقات عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتحة الكتاب شفاء من كلِّ داءٍ**».

وروىٰ الثعلبي عن الشَّعْبيِّ أن رجلًا شكا إليه وجعَ الخاصرة، فقال: «**عليكَ بأساسِ القرآن**»[1] قال: وما أساسُ القرآن؟ قال: «**فاتحةُ الكتابِ**»

---

(١) انظر كتابي "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن" وهو الكتاب الذي أبطلت به دعوىٰ

والأحاديث والآثار في الاسترقاء والاستشفاء بالفاتحة كثيرة، وكذا بغيرها من السور والآيات بل القرآن كله شفاء كما قال تعالىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال الفخر الرازي وغيره: لفظة «من» ليست للتبعيض بل للجنس، والمعنىٰ: وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء للأمراض الروحانية والأمراض الجسمانية».

وفي "سنن ابن ماجه" و"مستدرك الحاكم" عن عليٍّ عليه السلام، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خيرُ الدَّواء القرآنُ**».

وللسِّجزي في "الإبانة" والقضاعي في "مسند الشهاب" عنه أيضًا مرفوعًا: «**القرآن هو الدواء**».

وروىٰ ابن ماجه والحاكم وقال: صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين عن ابن مسعودٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليكم بالشفاءين العسلُ والقرآنُ**».

وورد عن ابن مسعودٍ موقوفًا عليه أيضًا رواه ابن أبي حاتم وغيره.

قال ابن القيم: «إذا ثبت أنَّ لبعض الكلام خواصَّ ومنافعَ فما الظنُّ بكلام ربِّ العالمين، ثمَّ بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معاني الكتاب».

المبتدع الشيخ شلتوت حيث زعم أنَّ التداوي بالقرآن من قبيل الدَّجل والخُرافة.

١٥- جواز التداوي بالقرآن(١)[1]

سبق أن نشرت "مجلة المسلم" طائفةً من الأحاديث التي تؤكِّد استحباب التداوي بالقرآن ردًّا على بدعة منع التداوي به وبالرقى النبوية، وبمناسبة عودة هؤلاء المبتدعة إلى القول بعدم جواز التداوي بالقرآن نعود إلى تتمَّة هذا الموضوع فنقول: قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خيرُ الدَّواء القرآنُ ومن لم يسشفِ بالقرآنِ فلا شَفاهُ اللهُ**».

الإجماع منعقدٌ على جواز التداوي بالقرآن الكريم بل على استحبابه منذ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم وهلمَّ جرًّا إلى أن فشَت البدع وظهر المبتدعة الذين سمَّوا أنفسهم مصلحين أرادوا أن يصلحوا الدِّين ويهذِّبوه ناسين أو متناسين أنَّ الدِّين وضعٌ إلهيٌّ نزل به الروح الأمين على سيد العالمين لا يمكن أن تمتد إليه يد أحد من البشر -كائنا من كان- بإصلاح أو تهذيب بل الواجب الانقياد لما ثبت عن الله ورسوله لا يتحمل في رده بتكلف تأويل أو تعلل برأي حقير أو جليل؛ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ونحن نورد نصوصًا تثبت ما ذكرناه من الإجماع وتؤيده ليعلم مبلغ إجرام ذلك المبتدع الذي زعم التداوي بالقرآن العظيم دجلًا وخرفات، قاتله الله ما أكثر جهله وأشد جراءته.

قال الإمام مالك في "الموطأ" عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبدالرحمن:

---

(١) المسلم، السنة الثامنة العدد (٤) ذي القعدة ١٣٧٧ .

أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها فقال أبو بكر: أرقيها بكتاب الله.

قال الإمام أبو الوليد الباجي في "المنتقي": «قول أبي بكر لليهودية: «ارقيها بكتاب الله» ظاهره أنه أراد التوارة؛ لأن اليهودية في الغالب لا تقرأ القرآن، ويحتمل -والله أعلم- أن يريد بذكر الله عزَّ اسمه، أو رقية موافقة لما في كتاب الله تعالى».

قلت: وإذا جاء الاسترقاء بالتوراة فجوازه بالقرآن أولى وأظهر كما هو ظاهر.

وقال الحافظ ابن كثير: «وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتبْ آيةً من كتاب الله في صحيفة وليغسلْها بماء السماء وليأخذْ من امرأته درهمًا مع طيب نفس منها فلْيشترِ به عسلًا فليشربْه كذلك فإنه شفاء».

قال ابن كثير: أي من وجوه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق: ٩]، وقال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]، وقال في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

وقال الباجي: كانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الاسترقاء، قال مالك في "العتبية": بلغني أنها كانت ترى البثرة الصغيرة في يدها فتلحُّ عليها بالتعويذ فيقال لها: إنها صغيرة. فتقول: «إنَّ الله عزَّوجل يعظِّم ما يشاء من صغير ويصغِّر ما يشاء من عظيم».

وقال ابن القيم في الكلام على علاج العين ودفع ضرر العائن من "زاد

المعاد" ما نصه: «ورأىٰ جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة. ويذكر عن ابن عبَّاسٍ أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسَّرت عليها ولادتها أثر من القرآن ثم يغسل وتسقىٰ. رواه أحمد وغيره.

وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلًا كان به وجع».

وقد علَّق عليه بعض جهلة المبتدعة يناقشه في صحَّة هذه الآثار وما درىٰ أنها مسندة في كتب لم يرها هذا المبتدع الجاهل ولا يمكنه أن يراها "كمصنف ابن أبي شيبة" و"مسنده"، و"مصنف عبدالرزاق" وكتب الخلَّال شيخ الحنابلة وغيرها مما ينقل عنها ابن القيم.

وقال في كتاب "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي": «ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأىٰ لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرىٰ لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يجد ألمًا وكان كثيرًا منهم يبرأ سريعًا».

وقال القرطبي في كتاب "الأذكار" في باب الآداب التي تلزم حامل القرآن ومنها أنه: «لا يمحوه باللوح بالبُصاق ولكن يغسله بالماء ويتوقَّىٰ النجاسة من المواضع النجسة والمواضع التي توطأ فإن لتلك الغُسالة حرمة، وكان من كان قبلنا من السلف منهم يستشفي بغُسالته، وفي التنزيل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

وأخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن خاتمة القرآن معوِّذتان لم يتعوذ الناس بمثلهما، ورقىٰ أبو سعيد الخدري اللديغ بفاتحة الكتاب فبرأ، وأعطوه قطيعًا من الغنم ثلاثين شاة، وفي الجملة أن الكلام مما يستشفىٰ به».

إلىٰ أن قال: «وقد جاء عن المتقدمين في باب الاحترازات من المخاوف والاستشفاء من الأمراض بآيات القرآن ما هو مذكور في غير هذا الموضع، وأنهم انتفعوا بذلك فكان ذلك أدلَّ دليل علىٰ أن القرآن من عند الله تعالىٰ ومنها إذا اغتسل بكتابته مستشفيًا من سقم أن لا يصبه علىٰ كناسة ولا في موضع نجاسة ولا علىٰ موضع يوطأ، ولكن في ناحية من الأرض في بقعة لا يطأها الناس، أو يجد حفرة في موضع طاهر حتىٰ يصيب من جسده في تلك الحفرة ثم يكبها، أو نهر كبير يختلط بمائه فيجري.

وروىٰ الثعلبي عن الشَّعْبي أن رجلًا شكىٰ إليه وجع الخاصرة فقال الشَّعْبي: عليك بأساس القرآن قال وما أساس القرأن؟ قال: فاتحة الكتاب.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقىٰ بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله. قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله. نقله الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب "التوكل": حدثنا محمد بن إدريس: حدثنا موسىٰ بن أيوب: حدَّثنا بقية، عن زرعة بن عبدالله الزبيدي، عن عبدالله بن كريز قال: كتب عامل أفريقية إلىٰ عمر بن عبد العزيز يشكو الهوامَّ والعقارب فكتب إليه: وما علىٰ أحدكم إذا أصبح وإذا أمسىٰ أن يقول: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم: ١٢].

١٦- التداوي بالقرآن والرقى(٢)[١]

قال الحافظ ابن حجرٍ في "شرح البخاري" في الكلام على حديث أبي سعيد في الرقية بالفاتحة: «في الحديث جواز الرقية بكتاب الله ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرقى بما سوى ذلك فليس في الحديث ما يثبته ولا ما ينفيه، وفيه الاجتهاد عند فقد النصِّ، وعظمةُ القرآن في صدور الصحابة خصوصًا الفاتحة».

وقال أيضًا: «وقد أجمع العلماء على جواز الرُّقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أنَّ الرُّقية لا تؤثِّر بذاتها بل بذات الله تعالى».

ثم ذكر أحاديث في جواز مطلق الرُّقى إذا لم يكن فيها شرك، راجعه في كتاب الطِّب من "فتح الباري".

وقال الإمام ابن التِّين في "شرح البخاري": «الرُّقى بالمعوِّذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطِّب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشِّفاء بإذن الله تعالى، فلما عزَّ هذا النوع فزِع الناس إلى الطِّب الجُسماني، وتلك الرُّقى المنهيِّ عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدَّعي تسخير الجنِّ له فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشُوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوُّذ بمردَتهم، ويقال إنَّ الحيَّة لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم فإذا عزم على الحيَّة بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ إذا رُقي بتلك

(١) المسلم، السنة الثامنة العدد (٥) ذي الحجُّة ١٣٧٧.

الأسماء سالت سُمُومها من بدن الإنسان فلذلك كره من الرُّقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلى كراهة الرُّقى بغير كتاب الله علماء الأمة».

وقال العلامة المحدِّث القاضي أبوعبدالله الشبلي الحنفي في "آكام المرجان": «قدمنا أن عامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرُّقى لا يفقه بالعربية معناها ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرُّقى الغير مفهومة المعنى؛ لأنها مظِنَّة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شركٌ، ومن رتَع حول الحمى أوشك أن يقع فيه، وفي الصحيح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه رُخِّص في الرُّقى ما لم يكن شركًا وقال: «**من استطاعَ أنْ ينفعَ أخاه فلْيفعلْ**». وفي التطبّب والاستشفاء بكتاب الله عزَّ وجلَّ غنى تامٌّ ومَقْنع عامٌّ، وهو النور والشفاء لما في الصدور والوقاء الدافع لكل محذور، والرحمة للمؤمنين من الأحياء وأهل القبور، وفَّقنا الله لإدراك معانيه وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبَّر من آيات الكتاب من ذوي الألباب وقف على الدواء الشافي لكلِّ داء موافٍ، سوى الموتِ الذي هو غاية كلِّ حيٍّ فإن الله تعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وخواصُّ الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من عقيدته واهية ولكن لا يعقِلُها إلا العالمون».

وقال العلامة المحدِّث القَسطلاني في "المواهب اللدنية": «اعلم أنَّ الله تعالى لم ينزِّل من السماء شفاءً قطُّ أعمَّ ولا أنفعَ ولا أعظمَ ولا أنجعَ في إزالة الدَّاء من القرآن، فهو للدَّاء شفاءٌ ولصَدَأ القلوب جِلاءٌ كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولفظة: ﴿من﴾ -كما قال الإمام فخر الدين- ليست للتبعيض بل للجنس، والمعنىٰ وننزِّل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الأمراض الروحانية وشفاء أيضًا من الأمراض الجسمانية».

ثمَّ بيَّن ذلك بما يعلم من مراجعته في الجزء الثاني من "المواهب" تحت ترجمة «النَّوع الأوَّل في طبِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالأدوية الإلهية»، وأغلبه ملخَّصٌ من "فتح الباري" للحافظ ابن حجرٍ.

ونقل في "المواهب اللدنية" وغيرها عن أبي القاسم القشيري أن ولده مرض مرضًا شديدًا حتىٰ أشرف علىٰ الموت فاشتدَّ عليه الأمر، قال: فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فشكوت إليه ما بولدي فقال: صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أين أنت من آيات الشفاء؟**».

فانتبهتُ فأفكرت فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي قوله:

١- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

٢- ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

٤- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٥- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

٦- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال: فكتبتها ثمَّ حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال.

وقال الشوكاني في "نيل الأوطار" في الكلام علىٰ حديثَي ابن عبَّاسٍ وأبي

سعيد في الرُّقية بفاتحة الكتاب ما نصُّه: «وفي الحديثين دليل على جواز الرُّقية بكتاب الله ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرُّقى بغير ذلك فليس في الأحاديث ما يثبتُه ولا ينفيه إلا ما سيأتي في حديث خارجة».

يريد قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعم خارجة: « **خذْها فلعَمْري من أكَلَ برُقيةٍ باطل لقد أكَلتَ برقيةٍ حقٍّ**».

قال الشوكاني: «والرُّقى الباطلة المذمومة هي التي كلامها كفرٌ أو التي لا يعرف معناها كالطّلاسم المجهولة المعنى».

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في "الرسالة" ما نصه: «ولا بأس بالرُّقى بكتاب الله وبالكلام الطيِّب».

قال العلامة ابن ناجي في شرحه عليها: «قال في "البيان": كره مالك الرقى بالحديد والملح وعقد الخيوط لأن الشفاء لا يكون إلا بكتاب الله وأسمائه وما يعرف من الذكر».

وقال ابن ناجي أيضًا: الأصل في جواز الاسترقاء قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وكذا استدل العلامة الشيخ زرُّوق في "شرح الرسالة" على جواز الاسترقاء بالقرآن بالآية الأولى، وبحديث أبي سعيد الخدري في رقية اللديغ بالفاتحة.

ثم قال: وأما الكلام العربي المفهوم، المحتوي على ذكر الله ورسوله

والصالحين من عباده، لا المُوهِمات والمُبهَمات. إذ حكى المازري أنَّ مالكًا سئل عن الأسماء المعجمة فقال: وما يدريك لعلها كفرٌ؟ وعلى هذا فالأصل المنع حتى يأتي المُبِيح، وقال بعضهم الأصل خلاف ذلك حتى يتبيَّن الباطل لأنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين قال: «**اعرِضُوا عليَّ رُقاكُمْ**» فعرضوا فقال: «**لا أرَى بأسًا**» الحديث.

ونصوص العلماء على جواز الاسترقاء بالقرآن بل على استحبابه كثيرةٌ وذلك محلُّ إجماع كما تقدَّم في كلام ابن حجرٍ وغيره.

(٣)

مقالات في الحديث الشريف وعلومه

الإسلام كتاب وسنة
ومنكر السنة جاهل أو فاسق[١]

قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشكُ أنْ يقعدَ الرجلُ منكم على أَرِيكتِهِ يُحدَّث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالًا استحْلَلناه وما وجدنا فيه حرامًا حَرَّمناه، وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم الله**». رواه أبو داود والحاكم والبيهقيُّ بإسنادٍ صحيح.

وفي روايةٍ للبيهقيِّ: «**ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رجلٌ شبعانُ على أريكَتِهِ يقولُ عليكمْ بهذا القرآنِ فما وجدتُم فيه من حلالٍ فأحلُّوه وما وجدتُم فيه من حرامٍ فحرِّموه، ألا لا يحلُّ لكم الحمارُ الأهليُّ**» الحديث.

وفي "مسند أبي يعلىٰ" عن جابرٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عسى أن يُكذِّبني رجلٌ منكم وهو متَّكئٌ على أريكَته يبلُغُه الحديثُ عنِّي فيقول: ما قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذا، دعْ هذا وهاتِ ما في القرآن**». وللحديث طرقٌ.

قوله: «**يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته** » أي: سريره، «**يحدَّث**» بالبناء للمجهول، أي: يحدثه أحد بحديثي، «**فيقول: بيني وبينكم كتاب الله...**» إلخ.

هذا من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وظهر مبتدعةٌ ملاحدةٌ ينكرون الحديث النبويَّ عملًا واحتجاجًا ويزعمون أنَّ الحجَّة في القرآن خاصَّة، فإن ذكرت لهم قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (١٠) رجب ١٣٧٥.

فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر: ٧] قالوا: يعني في القرآن لا في غيره، وهكذا كلُّ آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحمِلونها على طاعته في القرآن فقط.

ومنهم من يحتجُّ لهذا الرأي الفاسد بحديث: «**ما جاءكم عنِّي فاعرضُوه على كتابِ الله فما وافقَه فأنا قلتُه وما خالفَه فلم أقُلْه**».

وهذا حديثٌ مكذوبٌ قال الإمام الشافعي: «ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيءٍ صغير ولا كبير وإنما هي روايةٌ منقطعةٌ عن رجلٍ مجهول».

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «الزنادقة والخوارج وضعوا حديث: ما أتاكم عنِّي فاعرضُوه على كتاب الله».

وقال البيهقي في "المدخل": «هذا حديثٌ باطلٌ لا يصحُّ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن».

وقال الحافظ بن عبد البر في "كتاب العلم": «هذه الألفاظ لا تصحُّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند أهل العلم بصحيح النَّقل من سقيمه».

وعارضه ابن حزمٍ فقال: «عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا كتاب الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] ووجدنا فيه ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] ووجدنا فيه ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]».

وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل وبيَّنت عللها في كتاب "الابتهاج بتخريج حديث المنهاج" في الأصول.

وقال الشَّوكاني في "إرشاد الفحول": «اتَّفق من يُعتدُّ به من أهل العلم على أنَّ السُّنة المطهَّرة مستقلةٌ بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال

وتحريم الحرام وقد ثبت عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**ألا وإنِّي أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معَه**» أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السُّنة التي لم ينطق بها القرآن وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كلِّ ذي ناب من السِّباع ومخلَب من الطير وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر».اهـ

قلت: وقد انعقد إجماع الأئمَّة والعلماء علىٰ العمل بالسُّنة المطهَّرة والاحتجاج بها في أصول الدين وفروعه إلا ما كان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسوله ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولَمزوا السُّنة وناقليها وأعرضوا عنها فتصدىٰ الأئمَّة للردِّ عليهم وبيان زيغهم وضلالهم.

فللإمام الشافعي في ذلك كلام طويل جميل ذكره في "الرسالة" ونقله البيهقي في "المدخل" وعلَّق عليه بما يؤيده من الأحاديث والآثار فزاده حسنًا علىٰ حسن.

وللإمام أحمد بن حنبل كتاب خاصٌّ في الردِّ عليهم، وفي كتاب "العلم" للحافظ ابن عبد البرِّ بابٌ خاصٌّ في هذا المعنىٰ ذكر فيه من نصوص الأئمَّة ما فيه كفاية.

وللحافظ السيوطي رسالة "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسُّنة" وهي مطبوعة، ذكر أنه ألَّفها بسبب رافضيٍّ زنديقٍ سمعه يقول: إنَّ السُّنة لا يحتج بها وإنَّ الحجَّة في القرآن خاصَّة، وهي رسالةٌ مفيدةٌ قيمةٌ.

وللقاضي عياض في "الشفا" فصل حسن في هذا المعنىٰ، وكذا في "المواهب اللدنية"، وغيرها.

والمقصود أنَّ السُّنة أصل من أصول الدين لا يتم الإسلام إلا بالاحتكام إليها والاستسلام لها كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وروىٰ الإمام الشافعي رضي الله عنه يومًا حديثًا وقال: إنه صحيح، فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانيًّا أرأيتني خارجًا من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زِنَّارًا؟ أروي عن رسول الله حديثًا ولا أقول به».اهـ وأقوال الأئمَّة في هذا كثيرةٌ جدًا.

قوله: «**وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم الله**» أي: في وجوب الاجتناب كما قال في الحديث الآخر: «**وإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبُوه**».

١٨- الصحيح لغيره والمتواتر(١)

وجَّه إلي سؤالًا حول هذا الموضوع حضرة الأستاذ العالم البحَّاثة الشيخ ابن بشير الرابحي الجزائري حفظه الله، بسبب ما ذكرته في إحدى مقالاتي المنشورة بهذه المجلة من أنَّ حديث: «**لا وضوءَ لمن لم يذكر اسمَ الله عليه**». صحيح لغيره وليس بمتواتر كما قال الحافظ السيوطي.

وحيث إنَّ سؤال الأستاذ اشتمل على مسائل أربعٍ يستدعي كلٌّ منها بحثًا طويلاً رأيت أن أقسم جوابي إلى مسائل بقدرها ليكون الجواب مطابقًا للسؤال زيادة على ما في التقسيم من حصر أطراف الموضوع الذي هو أقرب إلى تحصيله.

المسألة الأولى: رُسم المتواتر في علمي المصطلح والأصول بأنه: خبر جمعٍ يمتنع عادةً تواطؤُهم على الكذب عن مشاهَدٍ أو مسموعٍ.

والصحيح عند علماء الحديث والأصول عدم انحصار الجمع في عدد معين، بل الشرط عندهم أن يبلغ الجمع في الكثرة إلى حدٍّ تُحيل العادة معه أن يجتمعوا على الكذب أو يتوافقوا عليه.

ورأى جماعة تحديد ذلك الجمع في عدد معيَّن، ثم اختلفوا فقيل: أقل عدد يفيد التواتر أربعة، ورده الباقلاني بأن الأربعة لو كان خبرهم يفيد العلم لما احتاج القاضي إلى تزكيتهم إذا شهدوا عنده بالزنا.

وقيل: خمسة وتوقَّف فيه الباقلاني ولا معنى لتوقُّفه فهو باطلٌ كالذي قبله.

وقيل: سبعة بعدد أهل الكهف.

---

(١) مجلة الإسلام.

وقيل: عشرة، وهو قول الإصطَخري، واختاره الحافظ السيوطي، قال في "ألفيته":

وَمَـــا رَوَاهُ عَـــدَدٌ جَـــمٌّ يَجِـــبُ إحَالَـةُ اجْـتِمَاعِهِمْ عـلىٰ الكَـذِبْ

فـــالمُتَواتِرُ، وقَـــوْمٌ حَـــدَّدُوا بعَشْـــرَةٍ، وهْـــوَ لَـــدَيَّ أَجْـــوَدُ

واستدلَّ له في "تدريب الرواي" بأن العشرة أول جموع الكثرة.

وقيل: اثنا عشر، عدد نقباء بني إسرائيل.

وقيل: عشرون، لقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾[الأنفال: ٥٦] الآية.

وقيل: أربعون، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وكانوا أربعين كما جاء عن سعيد بن جبير بإسنادٍ صحيحٍ.

وقيل: سبعون عدة أصحاب موسىٰ عليه السلام.

وقيل: ثلاثمائة وبضعة عشر عدة أهل بدر.

وقيل: أربعَ عشرةَ أو خمسَ عشرةَ أو سبعَ عشرةَ مائة علىٰ الخلاف في عدد أهل بيعة الرضوان.

وقيل: يشترط أن يكونوا جميع الأمَّة كالإجماع، علىٰ قول ضعيفٍ فيه.

وقيل: لابد أن يكونوا بحيث لا يحويهم بلد لجواز أن يتفق أهل البلد علىٰ الكذب.

فهذه كل الأقوال في تعيين عدد التواتر وهي واضحة البطلان وليس بينها

وبين دلائلها المذكورة معها ملازمة، وإن بيَّنها الجلال المحلي في بعضها بما لا يخلو من تكلُّفٍ.

وأحسن أدلتهم -فيما أعلم- ما ذكره الحافظ ابن حجرٍ مع الجواب عنه فقال: «وتمسَّك كل قائل بدليل جاء فيه ذكر ذلك العدد فأفاد العلم وليس بلازم يطرد في غيره لاحتمال الاختصاص».اهـ

المسألة الثانية: علمت أنَّ الصحيح عند المحدثين والأصوليين عدم اشتراط عدد معيَّن في التواتر وأنَّ المدار عندهم على أنْ يكون الجمع في الكثرة بحيث تركن النفس إلى خبرهم وتتيقَّن صدقَهم بالضرورة.

ولا شك أنَّ حديث: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**» لم يبلغ في الكثرة إلى ذلك الحدِّ، فإنَّ جميع ما له من الطرق تسعة، هي: طريق عليٍّ، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وسعيد بن زيد، وسهل بن سعد، وأنس، وعائشة، وأبي سبرة، وأم سبرة.

فطريق عليٍّ: فيه عيسى بن عبد الله العلوي وهو متروك الحديث كما قال الدارقطني وغيره ونسبه بعضهم إلى الوضع.

وطريق أبي هريرة: فيه -مع انقطاعه في موضعين- يعقوب بن أبي أسامة الليثي وهو ضعيف.

وطريق أبي سعيد: فيه كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن، والأول ليس بالقوي كما قال ابن معين، والثاني قال أحمد: مجهول. وقال البخاري: منكر الحديث.

وطريق سعيد بن زيد: فيه -مع اضطرابه- أبو تفال ورباح بن عبد الرحمن

وكلاهما مجهول.

وطريق سهل بن سعدٍ: فيه عبدالمهيمن وأُبيٌّ ابنا عبَّاسٍ، والأول ضعيفٌ، والثاني مختلَفٌ فيه.

وطريق أنسٍ: فيه عبد الملك بن حبيب وهو شديد الضعف.

وطريق عائشة: فيه حارثة بن محمد وهو ضعيف، قال ابن عدي: بلغني عن أحمد أنَّه نظر في "جامع إسحاق بن راهويه" فإذا أول حديث قد أخرجه هذا الحديث فأنكره جدًّا وقال: أول حديث يكون في "الجامع" عن حارثة؟!».اهـ

وطريق أبي سبرة وأم سبرة: فيه عيسى بن سبرة عن أبيه وهما مجهولان.

فكيف تركن النفس إلى خبر هذه حال طرقه فضلًا عن كونها لم تخرج عن حدِّ الآحاد؟!

وأزيدك أن لا يمكن ادعاء تواتره على رأي الحافظ السيوطي أيضًا، لأنه اختار -كما تقدم عنه- أن أقل عدد يفيد التواتر عشرة، وهذا الحديث لم يبلغها فعد الحافظ السيوطي له من المتواتر ذهول منه عما أختاره في كتبه ومخالف لما ذكره في خطبة كتابيه "الفوائد المتكاثرة"، و"الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة" من أنه يورد فيهما ما رواه من الصحابة عشرة فصاعدًا.

نعم يكتسب الحديث من مجموع طرقه قوة يصير بها صحيحًا لغيره كما قلنا على أن الحافظ ابن حجرٍ ما صحَّحه وإنما قال بعد ذكر طرقه ما نصه: «والظَّاهر أنَّ مجموع الأحاديث يحدثُ منها قوَّة تدلُّ على أنَّ له أصلًا».اهـ

المسألة الثالثة: إذا علمت أن الحديث غير متواتر بما ذكرناه من القواعد

والدلائل فاعلم أن قول أبي بكر بن أبي شيبة: «ثبت لنا أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قاله» هو بمعنىٰ قولنا: صحيح لغيره، وذلك لأن لفظ: «ثبت» وما تصرف منه يطلق في اصطلاح المحدِّثين علىٰ الصحيح والحسن كما يعلم من "تدريب الرواي"، بل ذكروا أنَّ الحافظ المطلع لا يعدل عن قوله في الحديث: «صحَّ» إلىٰ قوله: «ثبَتَ» إلا لنكتة؛ كأن يرتقي الحديث عنده عن الحسن لذاته ويتردَّد في بلوغه الصحيح.

فالوصف بثابت أنزل من الوصف بصحيح ومن هذا تعلم أنَّ قول ابن أبي شيبة: «ثبت لنا...» إلخ أدون من قولنا: «صحيح لغيره» وتعلم أيضًا أن في تعبيرنا بالصحة تساهلًا بالنسبة إلىٰ كلام ابن أبي شيبة وكذا بالنسبة إلىٰ كلام الحافظ الذي نقلناه قريبًا.

وأما قول البخاري: «إنه أحسن شيء في هذا الباب» فهو بالنسبة إلىٰ الدلالة علىٰ تواتر الحديث أبعد من كلام ابن أبي شيبة؛ لأنَّ البخاريَّ قال ذلك في طريق سعيد بن زيد كما في "التلخيص الحبير" وغير معقول أن يكون مراده أنَّ ذلك الطريق بانفراده متواتر بل هذا يجلُّ عنه أصغر محدِّث فضلًا عن البخاري.

وإنما معنىٰ كلامه أن طريق سعيد بن زيد مع ضعفه أحسن من بقية طرق الحديث، أي: أقل ضعفًا منها في نظره، وهذا من عادة المحدثين معروف؛ يطلقون علىٰ أحاديث ضعيفة أنها أصح أو أحسن شيء في الباب يريدون: بالنظر إلىٰ ما هو أضعف منها، ومن تتبع مواقع استعمالهم في هذا وجد منه ما لا يكاد يدخل تحت حصر، وفي كلِّ علم اصطلاح خاصٌّ بأهله ألا ترىٰ إلىٰ

الأصوليين فإنهم يطلقون العام في باب التخصيص على أعمَّ من معناه في باب العام فإذًا ليس في كلام البخاري ما يعكّر على كلامنا.

المسألة الرابعة: حديث: «**كلُّ أمر ذي بال...**» حسَّنه الحافظ السيوطي في "الدر المنثور" و"نواهد الأبكار" والمناوي في "التيسير" وصحَّحه النفراوي في "شرح الرسالة" وزعم بعضهم أنه -لشهرته وكثرة طرقه- كاد أن يكون متواترًا.

وكل هذا خطأ قبيح وتساهل تأباه قواعد الصنعة الحديثية والواقع أن الحديث غريب مطلق، أي: ليس له إلا طريقٌ واحدٌ وذلك الطريق واهٍ بمرَّة.

وبيان ذلك أن الحديث رواه الخطيب في كتابه "الجامع لآداب الراوي والسامع"، ومن طريقه رواه الحافظ عبد القادر الرهاوي في "الأربعين البلدانية: فقال: أخبرنا محمد بن حمزة بن محمد القرشي: أنا هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني: أنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق، ومحمد بن عبد العزيز بن جعفر البردعي، قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمران -عرف بابن الجندي، بضم الجيم كما في "تنزيه الشريعة" لابن عراق-: ثنا محمد بن صالح البصري بها، ثنا عبيد بن عبدالواحد ابن شريك، ثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي، ثنا مبشر بن إسماعيل، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله الرَّحمن الرَّحيم فهو أَقْطَعُ**».

فهذا سند الحديث الوحيد الذي لا يستطيع أكبُر محدِّث ولا أحفظ حافظ

أن يعزِّزه بإسناد ثان فضلًا عن أكثر.

ولا بأس أن نذكر ما قيل في رجاله من التجريح حتىٰ يتبيَّن ضعفه فنقول:

أما محمد بن عبد العزيز البردعي: فقال الخطيب: فيه نظر مع أنه لم يرو كبير شيء. وهذه اللفظة في اصطلاحهم بمعنىٰ ذاهب الحديث أو متروك الحديث.

قال في مراتب التجريح في "الألفية":

وذَاهِبٌ مَتْرُوكٌ اوْ فيهِ نَظَرْ   و سَكَتُوا عَنْهُ بِهِ لا يُعْتَبَرْ

وأما ابن الجُندي: فقال الخطيب: «كان يُضعَّف في روايته ويطعن عليه في مذهبه، قال لي الأزهري: ليس بشيء».اهـ

ونقل الحافظ في "اللسان" وابن عراق في "تنزيه الشريعة المرفوعة" عن ابن الجوزيِّ أنه اتَّهمه بوضع حديث في فضل عليٍّ عليه السلام وأقرَّاه علىٰ ذلك. والحديث في "اللآلي المصنوعة".

وأما محمد بن صالح البصري: فهو مجهول، قال الحافظ في "اللسان": «ما عرفت حاله».

وأما عبيد بن عبد الواحد: فهو وإن كان ثقةً لكنه تغيَّر في آخر أيامه ولا يدرىٰ أروىٰ عنه محمد بن صالح البصري قبل التغيُّر أم بعده.

وأما مبشِّر بن إسماعيل: فقد كان ثقةً لكن ضعَّفه ابن قانع وتكلَّم فيه غيره، ولذا روىٰ له البخاري متابعة لا استقلالاً.

فحالُ رجال السَّند كما ترىٰ ولهذا جزم الحافظ بأن الحديث واه، وتبعه علىٰ ذلك أبو العلاء السيد إدريس بن محمد العراقي الحسيني، وأبو زيد السيد عبدالرحمن ولده وإليهما انتهىٰ علم الحديث بالمغرب في القرن الثاني عشر.

قال شقيقنا العلامة المحدث السيد أحمد في كتابه "الصواعق المنزلة":
وللحديث مع هذا علة أخرى وهي شذوذ متْنه ومخالفة راويه للجمِّ الغفير من الثِّقات، فقد رواه من أصحاب الأوزاعي جماعة، منهم: الوليد بن مسلم وعبيد الله بن موسى العبسي وعبد القدوس بن الحجاج الخولاني وعبد الحميد ابن أبي العشرين وشعيب بن إسحاق الأموي ومحمد بن كثير المصيصي وخارجة بن مصعب وعبد الله بن المبارك وموسى بن أعين والمعافى بن عمران وبقية بن الوليد وابن سماعة كلهم عن الأوزاعي بلفظ «الحمد» بدل «البسملة» إلا أن موسى بن أعين وعبد الله بن المبارك قالا: «بذكر الله».

ورواه عن الزهري غير الأوزاعي جماعة وهم سعيد بن عبدالعزيز ويونس ابن يزيد وعقيل وشعيب بن أبي حمزة ومحمد بن الوليد الزبيدي فذكروه بلفظ: «الحمد» أيضًا.

ثم ذكر هذه الطرق بأسانيدها بما فيها من موصول ومرسل ثم قال ما ملخصه: فهؤلاء عشرة من أصحاب الأوزاعي كلهم ذكروه عنه بلفظ: «الحمد» إلا موسى بن أعين وابن المبارك بلفظ: «الذكر» وخمسة من أصحاب الزهري كذلك ذكروه بلفظ: «الحمد» أيضًا فإن كانت المخالفة فيه -أي: في حديث «البسملة»- من مُبشِّر بن إسماعيل وهو صدوق؛ فحديثه شاذٌّ ضعيفٌ لمخالفته العدد الكثير من أصحاب الأوزاعي مع أنَّ فيهم من هو أوثق منه بمراحل وأضبطُ بدرجاتٍ كابن المبارك.

وإن كانت المخالفة فيه من أحد الضعفاء قبله فالحال ظاهر والحكم أبين بل لا يبعُد حينئذ الحكم عليه بالوضع، لأنه إذا حكم على مخالفة المغفَّل

الصدوق بالنَّكارة كان الحكم علىٰ مخالفة المتَّهم بالوضع والمجهول للعدد الكثير من الثقات أشدَّ من ذلك.اهـ

ومما تقدم يعلم أنَّ الخبر الذي روي من طرق عديدة بأسانيد مختلفة مرسلًا وموصولًا بأسانيد جيدة هو خبر «الحمد» لا خبر «البسملة» كما وقع في السؤال.

وكذلك ما وقع فيه من أن ابن الصلاح والنووي حسَّناه ليس كذلك؛ فابن الصلاح إنَّما حسَّن حديث «الحمد» لا غير كما نقل عنه ابن السبكي في أول "طبقات الشافعية" ومن نقل عنه سوىٰ هذا كالشيخ زكريا الأنصاري فهو واهمٌ جزمًا.

وكذلك النووي لم يحسن إلا حديث «الحمد» بدليل أنه عزاه لأبي داود وابن ماجه والنَّسائيِّ في "عمل اليوم والليلة" وأبي عوانة وهؤلاء لم يخرجوا حديث «البسملة» إنما أخرجوا حديث «الحمد» وبدليل أنَّه عزَا بعض طرقه لرواية كعب بن مالك الصحابي وكعب لم يرو إلا حديث «الحمد».

والكلام علىٰ هذا مستوفىٰ في كتاب "الصواعق المنزلة" لشقيقنا المذكور.

ولإنْ سلَّمنا أنَّ ابن الصلاح والنووي حسَّنا حديث «البسملة» فكم لهما من أغلاط في تصحيح أحاديث ضعيفة وتضعيف أحاديث صحيحة نبَّه علىٰ كثير منها الحافظ ابن حجرٍ في "التلخيص" و"فتح الباري" وغيرهما من كتبه؟!

وعلىٰ كلٍّ فحديث «البسملة» ضعيفٌ شاذٌّ لا يصلح أن يكون عاضدًا لحديث: «لا وضوءَ لمن لم يَذكر اسمَ اللهِ عليه» لأن شرط العاضد أن يكون

قويًّا في نفسه حتى يمكن أن يعضد غيره وحديث «البسملة» هو أحوج الأحاديث إلى عاضد يعضده ولو سلَّمنا أنه عضَّد حديث: «**لا وضوء...**» إلخ فلا يلزم من مجرد العضد ثبوت التواتر فالعضد أعمٌّ ولا يلزم من وجود الأعمِّ وجود الأخصِّ.

ثم لو سلَّمنا أنه يلزم من مجرد العضد ثبوت التواتر فيكون الحديث متواترًا معنى فلا يصح حمل كلام السيوطي عليه إلا لو عبر بها يشمل حديث «البسملة» كأن يقول مثلًا: حديث التسمية في الوضوء ورد من طريق كذا... إلخ، لكنه عبر بها يخرج حديث «البسملة» فإنه في كتاب الطهارة من "الأزهار المتناثرة" عند سرْده للأحاديث ما نصُّه: «حديث: **لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**» أخرجه الحاكم عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وأبي هريرة، والطبراني عن أبي سبرة، وأحمد عن سهل بن سعد، والبزَّار عن عائشة، وابن عدي عن علي، وأبو موسى في "معرفة الصحابة" عن أم سبرة، وعبد الملك بن حبيب الأندلسي عن أنس».اهـ بحروفه.

وعبارته كما ترى ظاهرة إن لم تكن صريحة في أنه أراد التواتر اللفظي، فلا يصح حمل كلامه على التواتر المعنوي، والله أعلم.

١٩- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(١)[1]

كنت كتبتُ مقالًا نقدتُ فيه ما ورد في أذكار الوضوء وكان مما ذكرتُ فيه أنَّ أهل الحديث لا يثبتون للحسن البصري سماعًا من عليٍّ عليه السلام، ونقلت ذلك عن ابن الجزري فكتب الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله بتخصُّص كلية الشريعة الإسلامية مقالًا رجَّح فيه سماع الحسن من عليٍّ كرم الله وجهه، واستدل بما نقله من كتاب "إتحاف الفرقة" ثم طلب مني في ختام كلامه أن أبيِّن له وجهة نظري إذا كان لا يترجَّح عندي ما نقله من الكتاب المذكور.

وكذا سألني في هذا الموضوع حضرة الأستاذ الشيخ ابن بشير الرابحي المدير والمدرس بالمدرسة الإحسانية ببلدة القليعة من قطر الجزائر، ولفظ سؤاله: أصحَّ سماع الحسن من علي عليه السلام أم لم يصح؟ وإذا قلتم بالثاني حسبما نقلتموه عن الحافظ ابن الجزري الشافعي، فما وجه ترجيح الحافظ السيوطي في الفتاوىٰ الحديثية خلاف ما قررتم وتبعه علىٰ ذلك غير واحد؟ بيِّنوا لنا وجه الصواب ولكم مزيد الشكر من الملك الوهَّاب.

ونحن لا يسعنا إلا أن نلبِّيَ رغبة الأستاذين الفاضلين خدمةً للعلم وإظهارا للحقيقة التي إليها ينتهي بحث الباحث وعندها يقف جواد المناظرة ونوفِّي سؤالهما حقَّه من الجواب فنقول:

إنَّ الحسن البصريَّ لا يثبت له سماع من عليٍّ عليه السلام وإنما رآه فقط، بهذا قال حفَّاظ الحديث ونقَّاده حتىٰ كاد أن يكون مُجمعًا عليه بينهم، بل حكىٰ

(١) مجلة الإسلام، السنة الثالثة العدد (٣٦) ٧ رمضان ١٣٥٣ .

بعض الحفَّاظ الإجماع عليه، ولكنه لا يصحُّ لما سيأتي وهذه أسماء من حضرنا من الحفَّاظ الذين أنكروا سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام:

أبو زرعة الرازي، يحيىٰ بن معين، البخاري، الترمذي، الذهبي، المزي، ابن ناصر الدين الدمشقي، الدمياطي، أبو الخطاب بن دحية، ابن الصلاح، النووي، العلائي، ابن الملقن، مُغَلطاي، البرهان الحلبي، الأبناسي، الهكاري، أبو حيان، العراقي، ابن الجزري، ابن حجرٍ العسقلاني، السَّخاوي.

ولا بأس إذا نحن ذكرنا بعض العبارات عن هؤلاء وغيرهم في نفي سماع الحسن من علي عليه السلام بل لعل ذكر ذلك يكون أدعىٰ لقبول النفس واطمئنانها.

روىٰ همام بن يحيىٰ عن قتادة قال: والله ما حدثنا الحسن عن بدريٍّ مشافهة.

وقال بَهْز بن أسد: حدثنا حمَّاد بن زيد، عن أيوب هو السختياني قال: ما حدثنا الحسن عن أحد من أهل بدر مشافهة.

وسئل أبو زرعة فقيل له: هل سمع الحسن أحدًا من البدريين؟ فقال: رآهم رؤية، رأىٰ عثمان وعليًّا. قيل هل سمع منهما حديثًا؟ قال: لا، رأىٰ عليًّا بالمدينة وخرج علي إلىٰ الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك.

وقال علي بن المديني: لم ير عليًّا إلا إن كان بالمدينة وهو غلام.

وقال أبو الخطاب بن دحية وأبو عمرو بن الصلاح: لم يسمع الحسن من عليٍّ عليه السلام حرفًا.

وقال النووي: قيل إن الحسن لقي عليًّا رضي الله عنه ولم يصحّ.

وقال أبو الحجاج المِزِّي: رأىٰ الحسن عليًّا، وطلحة بن عبيد الله، وعائشة –رضي الله عنهم– ولم يصحَّ له سماع من أحد منهم.

وقال ابن الجزري: أهل الحديث لا يثبتون للحسن سماعًا من علي مع أنه عاصره بلا شك، وثبت أنه رآه وأنه ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، وصح أنه سمع خطبة عثمان رضي الله عنه.

قلت: والمعاصرة والرؤية لا يلزم منهما اللَّقي والسماع، فهذا الحسن عاصر أبا هريرة وعمار بن ياسر وثوبان رضي الله عنهم، ولم يسمع منهم. ورأىٰ طلحة وعائشة رضي الله عنهما ولم يسمع منهما.

وقال الحافظ ابن حجرٍ: أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعًا والنقول في هذا المعنىٰ كثيرة أفردها الحافظ ابن ناصر الدين بجزء خاصٍّ، وكذا الحافظ شمس الدين السخاوي وسنذكر بعضها عند الحاجة إليه في مقالنا هذا إن شاء الله تعالىٰ.

ولم يخالف في هذا من الحفَّاظ الذين وقفنا علىٰ كلامهم غير الحافظ ضياء الدين المقدسي صاحب "المختارة" فإنه رجَّح سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام وعبارته: قال «الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل لم يسمع منه».اهـ ولكنه أرسل كلامه كما ترىٰ دعوىٰ مجرَّدة عن الدليل وقد اختاره الحافظ جلال الدين السيوطي، وبرهن عليه في كتاب "إتحاف الفرقة" بوجوه سنذكرها مع مانبديه عليها من الملاحظات في العدد المقبل إن شاء الله تعالىٰ.

٢٠- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام (٢)[1]

ذكرنا في مقالنا السابق أنَّ الحافظ السيوطيَّ رجَّح سماع الحسن من علي عليه السلام مستدلًّا بوجوه ضمَّنها كتابه "إتحاف الفرقة" وهي التي اعتمد عليها الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف في مقاله المنشور بالعدد الرابع والثلاثين من "مجلة الإسلام" الغراء.

وقد اعتمدها من قبله جماعة من المتأخِّرين مثل صفِيِّ الدين القشاشي في كتابه "السمط المجيد"، وأبي بكر العيدروس في كتابه "الجزء اللطيف"، والجفري في كتابه "كنز البراهين الكسبية".

غير أن تلك الوجوه ليس شيء منها يثبت سماع الحسن بمقتضىٰ القواعد الحديثية، ولا يغرنَّك اعتماد الحافظ السيوطي لها فإنه رحمة الله عليه يحصل منه تساهل في بعض الأشياء؛ لأنه كثير التأليف في كثير من العلوم فلم يكن يمكنه أن يعطي كلَّ مسألة حقَّها من البحث والنظر اللائقَين بها شأن كلِّ مكثر.

وما بالعهد من قدم، فقد نقلنا عنه في نقدنا لأذكار الوضوء أنه جعل حديث: «لا وضوءَ لمنْ لم يَذكر اسمَ اللهِ عليه» متواترًا، وقلنا أن القواعد الحديثية لا تساعد علىٰ ما قال، وهو كذلك، لأنَّ جميع ما له من الطرق التِّسعة كلِّها ضعيفة ومنها ما هو شديد الضعف علىٰ أنَّ المصحَّح في علمي الحديث والأصول أن تسعة طرق لا تكفي في التواتر.

وأغرب من هذا أنه جعل حديث: «**الأئمةُ من قريش**» متواترًا مع إيراده له

---

(١) مجلة الإسلام السنة الثالثة، العدد (٣٧) ١٤ رمضان ١٣٥٣.

من طرق ثلاثة من الصحابة فقط، وهم: علي وأنس وأبو بُردة رضي الله عنهم.

وأغرب من هذا وذاك عده حديث شكوىٰ الجمل للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من المتواتر، مع أنه لم يذكر له إلا طريقًا واحدًا من حديث أنس.

وله من هذا الشيء كثير يفضي بنا تتبعه إلىٰ الخروج عن المقصود.

ولذا كان الحافظ السخاوي أشد إتقانًا منه لعلم الحديث والتاريخ؛ لأنه قصر حياته علىٰ هذين العلمين، مع ملازمته لحافظ الدنيا علىٰ الإطلاق الشهاب ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالىٰ.

وهذا يعتبر نقدًا إجماليًّا لتلك الوجوه، وأما التفصيلي فهو ما أبديه عقب كل جملة من جمل كلامه، وقد كنا نُجِلُّ الحافظ السيوطي عن أن نعرض لكلامه بنقدٍ أو ردٍّ لما أودعه الله في قلوبنا من محبته وإعظامه، لكنَّ ألجأنا إظهار الحقيقة فأقدمنا متمثلين بقول الإمام أحمد: «لا محابَاة في العلم».

قال الحافظ السيوطي في استدلاله: ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وكانت أمُّه خيرة مولاة لأمِّ سَلَمة رضي الله عنها.

ونحن نقول: صاحب هذا الكلام هو الحافظ المِزِّي الذي قدَّمنا ذكره في نفاة سماع الحسن، ومثل كلامه هذا كلام الحافظ ابن الجزري ونقلناه فيما تقدَّم.

وسبقهما إلىٰ ذلك ابن حِبَّان فإنه قال في كتاب "الثقات" ما نصُّه: الحسن ابن أبي الحسن أبيه يسار مولىٰ زيد بن ثابت الأنصاري وكان من سبي مَيْسَانَ واسم أمِّه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها.

ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وكان يوم الدَّار ابن أربع عشرة سنة، واحتلم سنة سبعة وثلاثين، وخرج من المدينة أيام صفِّين ولم

يلق عليًّا عليه السلام.

وقد أدرك بعد صفِّين، رأىٰ عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما شافه بدريًّا قطُّ إلا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعثمان لم يشهد بدرًا. مات في رجب سنة عشر ومائة وهو ابن سبع وثمانين سنة». اهـ

وقريب من هذا قول الحافظ ابن حجرٍ في كتابه "تعريف أهل التقديس": «الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام المشهور من سادات التابعين، رأىٰ عثمان وسمع خطبته، ورأىٰ عليًّا ولم يثبت سماعه منه، كان مكثرًا من الحديث ويرسل كثيرًا عن كلِّ أحد». اهـ

فوضح من هذا أن نفاة سماع الحسن يقرُّون بأن ولادته كانت في خلافة عمر وبأنه رأىٰ عليًّا عليه السلام بل هم الذين أوصلوه إلينا وهذا تحقيق منهم بالغ، فإنهم لو لم يذكروا ذلك لكان لمثبت السماع أن يقول: لم يقفوا عليه، فلذلك نفوا، لكنهم أثبتوا أن ولادته كانت في خلافة عمر وبأنه رأىٰ عليًّا وقالوا مع ذلك: لم يسمع منه، فلم يكن في تحقيق النفي أبلغ مما فعلوه.

وحينئذ فما ذكره الحافظ السيوطي أدلُّ علىٰ النفي منه علىٰ الإثبات.

ثم قال الحافظ المذكور: وكان علي رضي الله عنه يزور أمهات المؤمنين ومنهم أم سلمة رضي الله عنها، والحسن في بيتها مع أمه، وكان الحسن يحضر الجماعة خلف عثمان رضي الله عنه وعلي عليه السلام إذ ذاك بالمدينة.

ونحن نقول: لا نعلم أحدًا ذكر هذا في ترجمة الحسن، والحافظ السيوطي أبداه علىٰ أنه استنباط منه كما يعلم بالوقوف علىٰ كلامه، واستنبطه من شيئين:

١- أن عليًّا كان يزور أمهات المؤمنين والحسن في بيت أم سلمة وهي

إحداهن.

٢- أن الصَّبي يؤمر بالصلاة لسبع سنين، فمن المعلوم أن الحسن لما بلغ سبع سنين أمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة...إلخ.

ونحن نفيد أن هذا الاستنباط غير صحيح، والحسن إنما كان في بيت أمِّ سلمة وهو رضيعٌ، وذكر النووي وابن خَلِّكان والحافظ ابن حجرٍ أنه نشأ بوادي القرىٰ وهو موضع يبعد من المدينة بثمانية بُرُد، وموقعه بينها وبين الشام، فكيف يمكن للحسن أن يصلي الجماعة خلف عثمان؟!

هذا مع أنه لم ينقل عن الحسن أنه سمع من عثمان أكثر من خطبة، وما نقل عنه أنه سمع من أمِّ سلمة، وغير معقول أن يكون في بيتها ويسمع ممن يزورها ثم لا يسمع منها وهي صاحبة البيت، فهذا يدلك علىٰ بطلان ذلك الاستنباط.

ثم قال الحافظ السيوطي: ورد عن الحسن ما يدل علىٰ سماعه. ثم ذكر ما رواه أبو نعيم عن يونس بن عبيد قال: قلت للحسن يا أبا سعيد إنك تقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. ولم تدركه؟ قال: يابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك.. إلىٰ أن قال: كل شيء سمعتني أقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فهو عن علي عليه السلام.

ونحن نفيد أن هذا الكلام لا يصحُّ عن الحسن، ذلك لأنَّ أبا نعيم رواه من طريق أبي حنيفة الواسطي، عن محمد بن موسىٰ الحرشي؛ وهما ضعيفان، عن ثمامة بن عبيدة؛ قال علي بن المديني: إنه كذَّاب. عن عطية بن محارب؛ واهٍ غير معروف. فالإسناد كما ترىٰ مسلسل بالضعفاء والمتروكين ولذا لم يقل بمقتضاه الحافظ المِزِّي مع أنه أسنده في ترجمة الحسن من كتابه "تهذب الكمال".

ومما يدل على بطلان هذا الكلام عن الحسن ما اشتهر عند المحدثين قاطبة وصرَّح به الحسن نفسه من أنه كان يرسل عن كلِّ أحدٍ.

قال ابن عون: قلت للحسن: عمن تحدِّث هذه الأحاديث؟ قال: عنك وعن ذا وعن ذا.

ولهذا نصَّ المحدِّثون على أنَّ مرسلات الحسن من أضعف المراسيل.

قال الإمام أحمد: مرسلات سعيد بن المسيب أصحُّ المراسيل، ومرسلات إبراهيم النَّخعي لا بأس بها، وليس في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح فإنَّهما كانا يأخذان عن كلِّ أحدٍ.

وقال الحافظ العراقي: مراسيل الحسن عندهم شبه الرِّيح.

فلو كان ذلك الكلام صحيحًا عن الحسن لكانت مراسيله صحيحة ولما استجاز المحدثون أن يقولوا إنها أضعف المراسيل؛ لأنَّ العلة التي لأجلها رُدَّ المرسل وهي الجهالة بالساقط من الإسناد مفقودة في مرسل الحسن على فرض صحة ذلك الكلام عنه، وقد عرَّفناك أنه لا يصحُّ لأنَّ إسناده ظلماتٌ بعضُها فوق بعضٍ.

ثم ذكر الحافظ السيوطي أحاديث وقعت من رواية الحسن عن عليٍّ عليه السلام، وهي:

١- حديث: «**رُفِع القلمُ عن ثلاثةٍ...**» إلخ.

٢- حديث: «**أفْطَر الحاجمُ والمحجومُ**».

٣- حديث: «**إذا كان في الرَّهن فضلٌ...**» إلخ.

٤- حديث: «**ياعليُّ قد جعلنا إليك هذه...**»الحديث.

٥- حديث: «من قال كلَّ يوم ثلاثَ مراتٍ: صلواتُ الله على آدم... الحديث».

٦- «الخلية والبرية... إلخ»، وهو وما بعده موقوف.

٧- «ليس في مسِّ الذَّكر الوضوء».

٨- «طوبى لكلِّ عبدٍ نومة».

٩- «كفَّنتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قميصٍ أبيضَ...» إلخ.

ونحن نستدرك عليه حديثًا آخر من رواية الحسن عن عليٍّ عليه السلام في أن أولاد الزنا يعتقون، ذكره الحافظ ابن حجرٍ في ترجمة الحسن بن عمارة من "تهذيب التهذيب".

وسنتكلَّم علىٰ هذه الأحاديث في العدد المقبل إن شاء الله تعالىٰ.

٢١- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٣) (١)

ثم أراد الحافظ السيوطي أن يقوِّي استدلاله بتلك الأحاديث فقال في الحديث الأول منها: «أخرجه الترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه».

ونحن نقول لا شيء من تلك الأحاديث يثبت ما قال، وذلك أنها معَنْعنة لم يصرَّح فيها بالتحديث، ثم هي معَلَّة بالانقطاع بين الحسن وعليٍّ عليه السلام، وهذا النوع من الانقطاع يسميه المحدثون: الإرسال الخفيَّ، وإليك ما قاله المحدثون في بعض تلك الأحاديث:

قال الترمذي عقب روايته لحديث رفع القلم عن ثلاثة ما نصه: «حديث علي حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن علي ولا نعرف للحسن سماعًا من علي بن أبي طالب».اهـ

فالترمذي لم يقتصر على تحسين الحديث كما أفهمه نقل الحافظ السيوطي عنه بل استغربه من طريق الحسن عن عليٍّ عليه السلام ثم أعلَّه بعدم سماع الحسن.

ولعلَّ أحدًا يستشكل تحسين الترمذيِّ للحديث مع اعترافه بانقطاعه، والحسن كالصحيح في أنه لابدَّ من اتصال سنده، ولكنَّه لا إشكال في ذلك؛ لأن الترمذيَّ إنما حسَّنه باعتبار طرقه ألا ترى أنه أضاف إلى قوله: «حسن غريب» قوله: «وقد روي من غير وجهٍ عن عليٍّ» وهو كما قال؛ فإنَّ للحديث طرقًا ذكر بعضها هو، وخرجها أبو داود وغيره، وهذه عادة الترمذيِّ في

---

(١) مجلة الإسلام السنة الثالثة، العدد (٣٨) ٢١ رمضان ١٣٥٣.

"جامعه" يصحِّح ويحسِّن أحاديث ضعيفة باعتبار ما لها من الطرق، ويشير إلىٰ ذلك بقوله: وقد روي من غير وجه، وقال الحافظ الذهبيُّ في "تلخيص المستدرك" عقب رواية الحاكم للحديث المتقدِّم ما لفظه: «صحيح فيه إرسال».اهـ

أتدري ماذا يعني بالإرسال؟ يريد به عدم سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام وقدمنا أنَّ هذا يسمَّىٰ إرسالًا خفيًّا، وضابطه: أن يروي الراوي بصيغة محتملة للسماع كـ«عن» عمن عاصره ولم يسمع منه، كحال الحسن مع عليٍّ عليه السلام، ولما روىٰ الدارقطني حديث الخلية والبرية...إلخ قال عنه مُحشِّيه المحدِّث أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ما نصُّه: «الحديث منقطع؛ الحسن لم يسمع من عليٍّ رضي الله عنه».اهـ

ومثل هذا يقال في بقية تلك الأحاديث لأنَّ مُخرِّجَها واحد وصيغة أدائها واحدة، فلا نطيل بالنقول في هذاالمعنىٰ، ولا يقولن أحدٌ: إنَّ المقرَّر في علم الحديث أن عنعنة المعاصر محمولة علىٰ السماع فتكون تلك الأحاديث التي عنعنها الحسن عن عليٍّ عليه السلام متصلة مسموعة؛ لأنا نقول: محلُّ حمل العنعنة علىٰ السماع إذا لم يكن صاحبها مدلِّسًا، أما إذا كان مدلِّسًا فهي غير محمولة علىٰ السماع كما قال الحافظ وغيره، والحسن البصري كان مدلِّسًا فكيف تحمل عنعنته علىٰ السماع؟!

ولعل القارئ يستغرب كون الحسن مدلِّسًا مع ما هو معلوم من إمامته وجلالته وثقته، لكن لا غرابة في ذلك فقد وصفه بالتدليس النَّسائي وابن حِبَّان والذهبي وغيرهم من أئمَّة هذا الشأن، وذكره الحافظ في الطبقة الثانية

من المدلِّسين في كتابه "تعريف أهل التقديس".

وهذه عبارة الذهبي؛ قال في ترجمة الحسن بن أبي الحسن المؤذن البغدادي من كتابه "الميزان" بعد أن نقل عن ابن عدي أنه منكر الحديث ما نصُّه: «أما سَمِيُّه الإمام البصري فثقة لكنه يدلس عن أبي هريرة وغير واحدٍ فإذا قال: «حدثنا» فهو ثقةٌ بلا نزاع».اهـ

ثم قال الحافظ السيوطي: وقع في "مسند أبي يعلىٰ" قال: ثنا جويرية بن أشرس: أخبرنا عقبة بن أبي الصَّهباء قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عليًّا يقول... وذكر الحديث.

ونحن قبل أن نخوض في الكلام علىٰ هذا الحديث ننبِّه علىٰ خطأ وقع في إسناده، وذلك أنه وقع في كلام الحافظ السيوطي جويرية بن أشرس وتبعه علىٰ ذلك كلُّ من نقل عنه، مع أنه ليس في الرواة من اسمه جويرية بن أشرس والصواب في اسمه: حوثرة بن أشرس، قال ابن حِبَّان في كتاب "الثقات" ما نصُّه: «حوثرة بن أشرس العدوي أبو عامر من أهل البصرة يرروي عن حمَّاد ابن سلمة والبصريين حدثنا عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلىٰ مات سنة إحدىٰ وثمانين ومائتين».اهـ

وليس له رواية في الكتب الستة كشيخه عُقبة.

ونرجع إلىٰ المقصود فنقول: متن الحديث الذي روي بهذا الإسناد: «**مثلُ أمَّتي مثلُ المطر لا يُدرى أوَّلُه خيرٌ أم آخرُه**». وهذا الحديث له طرق عن أنس، وعمَّار، وعمران، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو.

وهذه الطرق ذكرها الترمذيُّ في "جامعه"، والحافظ نور الدين الهيثمي في

"مجمع الزوائد"، والحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة"، أما طريق عليٍّ عليه السلام فلم يذكرها أحد من هؤلاء ولا من غيرهم ممن تكلَّم على هذا الحديث كابن عبدالبر والنووي، مع عزْو بعضهم الحديث لـ"مسند أبي يعلى" من طريق أنس فقط، وأول ما رأينا ذلك الطريق -نعني: طريق عليٍّ عليه السلام- في كتب الحافظ السيوطي، ثم لو كان نقله من "المسند" مباشرة لركنَّا إلى قوله وأرحنا أنفسنا من تعب البحث عنه لكنَّه صرَّح بأنَّه نقله بواسطة غيره لأنه قال في كتابه "زاد المسير" مالفظه: «قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب" وقع في "مسند أبي يعلى" قال: ثنا...» إلخ ما تقدم وتبعناه على ذلك في تعاليقنا على كتابه "تأييد الحقيقة العلية".

ثم رجعنا إلى مظانِّ الحديث من "تهذيب التهذيب" فلم نجده فيها فاتهمنا ذاكرتنا وراجعنا تلك المظانِّ ثانيًا وثالثًا فلم نجده، ثم رجونا أن نجده في "معجم أبي يعلى" فراجعنا المعجم كله فما وجدناه ولا وجدنا حديثا آخر بذلك الإسناد فعجبنا.

ثم اشتد عجبنا لما وجدنا كلام الحافظ ابن حجرٍ على الحديث يخالف ما نقله الحافظ السيوطي عنه وذلك أنه قال في "فتح الباري" ما نصه: «هذا -يعني حديث « مثل أمتي...» إلخ- حديثٌ حسنٌ له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة وأغرب النووي فعزاه في فتاويه إلى "مسند أبي يعلى" من حديث أنس بن مالك بإسنادٍ ضعيفٍ مع أنه عند الترمذيِّ بإسناد أقوى منه في حديث أنس، وصححه ابن حِبَّان من حديث عمار».اهـ

فكيف يقتصر على تحسين الحديث ويقول أنَّ له طرقًا قد يرتقي بها إلى

الصحة مع وجود طريق علي في كتابه "تهذيب التهذيب" -على نقل الحافظ السيوطي- وهو بانفراده على شرط الصحيح، وعادة المحدثين في تخريج الحديث أن يقتصروا من طرقه على الأمثل والأقوى، ألا ترى أن الحافظ اعترض على النووي حيث اقتصر في تخريج الحديث المذكور على الطريق الضعيف في "مسند أبي يعلى" مع وجود طريق أقوى منه في "سنن الترمذي"؟!

ثم كيف يكون ذلك الطريق في "تهذيب التهذيب" ولم يعترض به الحافظ على الذين أنكروا سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام؟ بل نقل كلامهم وسلَّمه مع أنه لما نقل عنهم إنكار سماع الحسن من أبي هريرة تعقَّبهم بأنه ورد عن الحسن بإسنادٍ صحيحٍ تصريحه بالسماع من أبي هريرة، انظر ("تهذب التهذيب" ج٢ ص٢٦٦ إلى ص ٢٧٠).

هذا مع اعترافنا بثقة الحافظ السيوطي وجلالته وإمامته، لكنه رضي الله عنه يتساهل كما قلنا مستندين إلى ما شاهدناه من ذلك في كتبه وذكرنا أُنموذجًا منه فيما تقدم.

وإليك أنموذجًا آخر، ذكر في تفسير "الدر المنثور" حديث: «**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بِبسم الله الرَّحمن الرَّحيم أبْتَر**». وقال: «سنده حسن».

والواقع أن سنده واهٍ بمرَّة وذكر في كتابه "الباهر" الحديث الذي فيه شهادة الجمل لصاحبه بالبراءة من سرقته وعزاه إلى الحاكم ونقل عنه أنه قال: «رواية عن آخرهم» والحاكم لم يقتصر على هذا بل استثنى منهم راويًا وقال: «لا أعرفه بجرح ولا عدالة» وبه أعلَّ الحديث الذهبي في "تلخيصه".

ثم دعنا من هذا كله وهَبْ الحديث موجودًا في "تهذيب التهذيب" فليس فيه ما يثبت سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام؛ لأن لفظ سمعت عليًّا ليس من مقول الحسن وإنما هو من تصرُّف الرواة بعده، وذلك أنَّ أصل الحديث معنعن فظنَّ بعض الرواة أنَّ «عن» مثل «سمعت» فأبدلها بها، ومثل هذا التصرف موجود في الصحيحين والسنن وغيرها وإليك مثلًا من ذلك تطمئنُّ إليه نفسك

قال أبو حاتم: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا ربيعة بن كلثوم قال: سمعت الحسن يقول: «حدثنا أبوهريرة...» وذكر الحديث، ثم قال أبو حاتم: «لم يعمل بعمل ربيعة شيئًا، لم يسمع الحسن من أبي هريرة شيئًا». فقال له ابنه إن سالمًا الخياط روىٰ عن الحسن قال: «سمعت أبا هريرة قال هذا مما يبين ضعف سالم».اهـ

فأنت ترىٰ أبا حاتم يقول عن ربيعة: «لم يعمل شيئًا» حيث تصرف بإبدال «عن» بـ«حدثنا» مع أن ربيعة ثقة من رجال مسلم، وقول محمد بن الحسن الصريفيني: «هذا نصٌّ صريحٌ في سماع الحسن من عليٍّ ورجاله ثقات...إلخ» ذهول منه عما ذكرناه، وثقة الراوي إنما تدفع عنه الكذب أما نحو الخطأ في الفهم والغلط في التصرف فلا يخلو منه أوثق ثقة ولا أحفظ حافظ.

٢٢- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام (٤)[1]

كنتُ كتبت ثلاث مقالاتٍ متتابعاتٍ فنَّدت فيها رأي من رجَّح سماع الحسن البصري من عليٍّ عليه السلام ونقضت ما أتىٰ به المرجِّح من الدلائل نقضًا يتمشَّىٰ مع قواعد الصنعة الحديثية، وكان غرضي أن أواصل البحث في الموضوع إلىٰ النهاية لكن عاق دون مواصلته عوائق فانقطعت عنه بحكم الضرورة.

ثم سنَحت لي فرصة فرأيت أن أغتنمها وأعود إلىٰ إتمام البحث فأقول:

قال الغزالي في بيان ما بدل من ألفاظ العلوم من كتاب العلم من "الإحياء" ما نصه: «وأخرج علي رضي الله عنه القُصَّاص من مسجد جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه علىٰ عيوب النفس...» إلخ كلامه.

وأصله لأبي طالب المكي في "قوت القلوب" وهو كما يرىٰ القارئ صريح في ثبوت اجتماع الحسن بعليٍّ عليه السلام.

وقد اغترَّ به السيد أبو بكر العيدروس فاستدل به لذلك في كتابه "الجزء اللطيف"، وتبعه تلميذه شيخ بن محمد الجفري في كتابه "كنز البراهين الكسبية" ولا يخفىٰ أن صحة الاستدلال به متوقِّفة علىٰ صحته في نفسه وهو غير صحيح.

أما أولًا: فلأن أبا طالب المكي والغزالي ذكراه معلَّقًا بدون إسنادٍ، والتعليق

---

(١) مجلة الإسلام السنة الثالثة العدد (٣٩) ٢٨ رمضان ١٣٥٣.

غير مقبول عند المحدِّثين، وإنما قبلوه من البخاري في "صحيحه" بتفصيل مذكور في كتب المصطلح، علىٰ أنَّ بعضهم كابن حزمٍ جعل البخاري كغيره في عدم قبول معلَّقاته، وردَّ بسبب ذلك خبر المعازف الذي علَّقه البخاري في كتاب الأشربة عن شيخه هشام بن عمار، والكلام علىٰ هذا مبسوط في "فتح الباري" و"فتح المغيث".

وأما ثانيًا: فلأنَّ إجماع الحفَّاظ منعقدٌ علىٰ أنَّ الحسن لم ير عليًّا عليه السلام بعد خروجه إلىٰ البصرة والكوفة حينما أفضىٰ أمر الخلافة إليه، لم يتنازع في هذا منهم اثنان، حتىٰ أن الحافظ السيوطي نفسه معترف بهذا، فإنه جمع بين نفي الحفَّاظ لاجتماع الحسن بعلي عليه السلام وبين إثباته الذي تبع فيه الحافظ المقدسي بحمل نفيهم علىٰ ما بعد خروج علي عليه السلام من المدينة إلىٰ الكوفة والبصرة.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الموطن حديثان وقع في سندهما تصريح الحسن بالسماع من عليٍّ عليه السلام:

١- قال الديلمي في "مسند الفردوس": أنبأنا والدي: أنا أبو الحسن الميداني الحافظ قال: قرأت في أمالي أبي عبد الله الحسيني بن محمد بن هارون الضبي: حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد النيسابوري: ثنا أبو زكريا يحيىٰ بن محمود بن عبدالله بن أسد.

(ح) وقال ابن مَرْدُويَه: ثنا عبد الحميد بن عبد الرحمن النيسابوري.

قالا، واللفظ لابن أسد: ثنا علي بن الحسن الأفطس: ثنا عيسىٰ بن موسىٰ: نا عمر بن صُبح: نا كثير بن زياد، عن الحسن قال: سمعت رجالًا من الأنصار

والمهاجرين منهم علي بن أبي طالب عليه السلام يقولون: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من طَلَبَ العلمَ لله لم يُصِبْ منه بابًا إلا ازداد في نفسِه ذلًّا، وفي الناسِ تواضعًا، ولله خوفًا، وفي الدِّين اجتهادًا، فذلك الذي ينتفعُ بالعلم فليتعلَّمْه. ومن طلبَ العلمَ للدنيا والمنزلةِ عندَ النَّاسِ والحظْوةِ عند السُّلطان لم يُصِبْ منه بابًا إلا ازداد في نفسِه عظمةً، وعلى النَّاس استطالةً، وبالله اغترارًا، وفي الدِّين جفاءً، فذلك لا ينتفعُ بالعلم، فليمسكْ وليكفَّ عن الحجَّة على نفسِه والندامةِ والخزي يومَ القيامة**».

فهذا الحديث -لو صحَّ- صريح في سماع الحسن من علي عليه السلام.

لكنه موضوع وآفته عمر بن صبح فإنه وضَّاع. قال ابن حِبَّان: كان يضع الحديث علىٰ الثِّقات، لا يحلُّ كتب حديثه إلا علىٰ وجه التعجب.

وقال إسحاق بن راهويه: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير في البدعة والكذب: جهم بن صفوان، ومقاتل بن سليمان، وعمر بن صبح.

قلت: وهو الذي وضع حديث: «**مهورُ الحور قبضاتُ التَّمر وفلقُ الخُبزِ**».

ومن هذا الحديث أخذ العوام بالمغرب قولهم: فتات الخبز صداق الجنة.

٢- قال: الحافظ أبو بكر بن مسدي في "مسلسلاته": «صافحت أبا عبدالله محمد بن عبدالله النفراوي بها قال: صافحت أبا الحسن علي بن سيف الحضرمي بالإسكندرية.

(ح) وقال: صافحت أيضًا أبا القاسم عبد الرحمن بن أبي الفضل المالكي بالإسكندرية، قال: صافحت شبل بن أحمد بن شبل قدم علينا، قال كل واحد منهما: صافحت أبا محمد عبد الله بن مقبل بن محمد العجيبي قال: صافحت

محمد بن الفرج بن الحجاج السكسكي قال: صافحت أبا مروان عبد الملك بن أبي ميسرة قال: صافحت أحمد بن محمد النقري بها.

(ح) وقال الكازروني في "مسلسلاته": صافحت الشيخ السعيد شمس الدين أبا الخير محمد بن علي بن محمد الأصفهاني الموازيني قال: صافحت مجد الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الدوني قال: صافحت الشيخ الأجلَّ رضي الدين أبا الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني قال: صافحت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد بمدينة عدن قال: صافحت والدي بعدن قال: صافحت علي بن أبي بكر بن حمير بن تبع بالمسجد السعيدي في عدن قال: صافحت سالم بن عبد الله بن محمد بن سالم الإمام قال: صافحت أحمد بن عبد الله الثغري.

قال كل واحد من النقري والثغري -وسياق الحديث للأول- صافحت أحمد الأسود قال: صافحت ممشاد الدِّينَوري -من رجال الرسالة القشيرية- قال: صافحت علي بن رزين الخراساني قال: صافحت عيسى القصار قال: صافحت الحسن البصري قال: صافحت علي بن أبي طالب عليه السلام قال: صافحت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صافحتْ كفِّي هذه سرادقاتِ عرشِ ربِّي عزَّ وجلَّ**».

هذا حديث غريب وفي كلا إسناديه مجاهيل ولذا لم يستدلّ به الحافظ السيوطي في "إتحاف الفرقة" مع أنه أسنده في "الجامع الكبير" حيث قال: أخبرتني نشوان بنت الجمال عبد الله الكتاني إجازة قالت: أخبرني أحمد بن أبي بكر بن عبد الحميد بن قدامة المقدسي، عن عثمان بن محمد التوزري، عن

الحافظ ابن مسدي به.

ونقله البوتيجي في ثبت الحافظ ابن الجزري ثم استدل به -أعني البوتيجي- على سماع الحسن وهو غلط منه رحمة الله عليه لأن سنده غير صحيح.

هذا ولا يفوتنا أن نبدي ملاحظات على كلمة الأستاذ عبد الوهاب عبداللطيف المنشورة بالعدد الرابع والثلاثين من هذه المجلة، وتلك الملاحظات تنحصر فيما يأتي:

١- ذكر الأستاذ أن الحافظ المِزِّي أثبت سماع الحسن من علي عليه السلام ولست أدري من أين أتى بهذا فإنه لم يَعُدَّ في كلمته كتاب "إتحاف الفرقة" وصاحبه لم يقل ذلك، وكيف يستجيز أن يقوله وعبارة المزي في "تهذيب الكمال" صريحة في نفي السماع صراحة قاطعة للاحتمال؟! وقد نقلتها في أول مقالة من المقالات الثلاثة التي كتبتها في هذا الموضوع.

٢- استدل الأستاذ على ما ادعاه على المزِّي من إثبات السماع بقوله: حضر الحسن يوم الدار وهو ابن أربعَ عشرةَ سنةً، وهو استدلال غريب لأن حضور الدار لا يستلزم اللَّقي والسماع لا سيما ويوم الدار كان يوم فتنة وهرْج لم يكن يوم أخذ وسماع.

وأنى يمكن للحسن يوم الدار أن يرى عليًّا عليه السلام وقد جعل الخوارج على بابه وباب طلحة والزبير حرسًا منعوا الناس من الدخول إليهم ومنعوهم من الخروج إلى نجدة عثمان رضي الله عنه حتى قتل؟! هكذا أسنده سيف بن عمرو في كتاب "الردة والفتوح".

٣- أتىٰ الأستاذ في آخر كلمته بما يفهم منه أن الحافظ العراقي مثبت لسماع الحسن من علي عليه السلام، وهو غلط من الأستاذ يدرك بعرض كلامه علىٰ كتاب "إتحاف الفرقة".

٤- ذكر الأستاذ أن الحافظ ابن حجرٍ رجَّح في "أطراف المختارة" سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام، وهو غلط من الأستاذ أوقعه فيه أنه رأىٰ في كتاب "إتحاف الفرقة" ما نصه: «وقد رجَّحه أيضًا الضياء المقدسي في "المختارة" فإنه قال: قال الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل لم يسمع منه. وتبعه علىٰ هذه العبارة الحافظ ابن حجرٍ في "أطراف المختارة" ولكنه بعدُ رجَّح سماعه وصحَّحه».اهـ

فنقل الأستاذ ما روىٰ من غير تأمُّل فيه مع أن لفظ: «وتبعه» تحريف والصواب: «وتعقَّبه»، لكن الأستاذ معذور لأنه لم يقف علىٰ "إتحاف الفرقة" إلا بعدما طبعه حسام ومنير، وفي كلا الطبعتين تحريف.

نعم لو تأمل قليلًا في قوله: «ولكنه بعد رجح» إلخ، لأدرك التحريف.

ثم غلط الأستاذ غلطًا آخر وذلك أنه ظن أن «قال» الثانية من قول الحافظ السيوطي، فإنه قال: قال الحسن بن أبي الحسن البصري... إلخ. مكررة لا فائدة لها فأسقطها من كلامه وما درىٰ أنها موجودة في أصل المؤلف وأن الإتيان بها مقصود له وذلك لأن المحدِّثين يستعملون كثيرًا «قال» بمعنىٰ «روىٰ» فيقولون مثلا: قال سعيد بن المسيب عن عمر، أي: روىٰ عنه.

وعلىٰ هذا لا تكرار في كلام الحافظ السيوطي بل «قال» الأولىٰ فيه بمعناها الأصلي، و«قال» الثانية بمعنىٰ «روىٰ» وهي وما بعدها مقول لـ«قال» الأولىٰ.

أما فيما يرجع إلى إثبات الحافظ ابن حجرٍ لسماع الحسن من علي عليه السلام فالعهدة فيه على الحافظ السيوطي لأنه الذي اختص بنقل ذلك عنه، مع أن الموجود في كتبه وفتاويه والذي نقله عنه تلميذه وخريجه الحافظ السخاوي هو نفي السماع لا غير.

ثم ماذا يضر إثباته في جانب ما أبدينا من الدلائل على النفي ومن الدحض لشبه الإثبات؟!

٢٣- أحاديث شاذة ومنكرة[١]

إذا روىٰ الراوي حديثًا خالف فيه من هو أوثق منه أو أكثر عددًا؛ فإن كان ثقةً أو صدوقًا كانت روايته شاذَّةً، وإن كان ضعيفًا كانت روايته منكرةً، وكلاهما من قبيل المردود.

هذا هو المقرَّر في علوم الحديث، ولكن المحدِّثين يخالفون ذلك عند الاستعمال، حيث يطلقون المنكر علىٰ الموضوع وكذلك الشاذ، وسيمرُّ بالقارئ الكريم أمثلة من هذا الإطلاق في الأحاديث التي نوردها عنوانًا علىٰ سائرها:

١- روىٰ الحاكم من طريق أبي الضحىٰ، عن ابن عبَّاسٍ أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، قال: سبع أرضين في كلِّ أرضٍ نبيٌّ كنبيِّكم، وآدمُ كآدمَ، ونوحٌ كنوحٍ، وإبراهيمُ كإبراهيمَ، وعيسىٰ كعيسىٰ.

ورواه البيهقي في "الأسماء والصفات" عن الحاكم بهذا الإسناد، ثم قال: «إسناد هذا عن ابن عبَّاسٍ صحيح لكنه شاذٌّ بمرَّة لا أعلم لأبي الضحىٰ عليه متابعًا».

وقال ابن كثير في "تاريخه": «هو محمول علىٰ أن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه أخذه عن الإسرائيليات».

ومال العلامة الشيخ عبد الحيِّ اللّكنوي إلىٰ إثبات معنىٰ هذا الأثر وأنه ليس بشاذٍّ، وألَّف في ذلك رسالة سماها: "زجر الناس عن إنكار أثر ابن عبَّاسٍ".

---

(١) مجلة دعوة الحق.

لكن مثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا حديث ثابت في هذا الباب.

وذكر ابن العربي الحاتمي حديثًا عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إن الله خلقَ مائةَ آلفِ آدمَ**». وهذا الحديث لا أصل له.

٢- قال ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكر": حدثني إسحاق بن حاتم المدائني: حدثنا يحيىٰ بن سليمان، عن عثمان بن أبي دَهْرَسَ قال: بلغني أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم انتهىٰ إلىٰ أصحابه وهم سكوت فقال: «**ما لكم لا تتكلَّمون؟**» فقالوا: نتفكَّر في خلق الله. قال: «**فكذلك فافعلوا، تفكَّروا في خلقِ الله ولا تتفكَّروا فيه، فإنَّ بهذا المغربِ أرضًا بيضاءَ نورُها بياضُها -أو قال: بياضُها نورُها- مسيرة الشمس أربعين يومًا، بها خلقٌ من خلقِ الله تعالى لم يعصُوا الله طَرْفةَ عينٍ قطُّ**». قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: «**مايدرون خُلق الشيطانُ أم لم يُخلقْ**». قالوا أمن ولد آدم؟ قال: «**لا يدرون خُلق آدمُ أم لم يخلَقْ**».

قال ابن كثير: «هذا حديث مرسل، وهو منكر جدًّا».

وعثمان بن أبي دهرس -بوزن جعفر- ذكره ابن أبي حاتم فقال: «روىٰ عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص، وعنه سفيان بن عيينة وابن المبارك ويحيىٰ ابن سليم الطائفي، سمعت أبي يقول ذلك». (الجرح والتعديل ج٦ ص١٤٩)

قلت: روىٰ عنه أيضًا يحيىٰ بن سليمان. وعثمان هذا مجهول الحال، ولم يذكره البخاري في "التاريخ الكبير"، ولا الذهبي في "المغني"، ولا "الميزن"، ولا الحافظ في "اللسان"، مع أنه علىٰ شرطهما فيستدرك عليهما.

٣- روىٰ أحمد والترمذي وابن جريرٍ وابن أبي حاتم، من طريق علي بن

زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لما قال فرعون: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قال: «**قال لي جبريلُ: لو رأيتَني وقد أخذتُ من حال البَحْر -طينه الأسود- فدسَسْتُه في فيه مخافةَ أنْ تناله الرَّحمةُ**». حسَّنه الترمذي مع أن في سنده علي بن زيد.

لكن له طريقًا آخر عن ابن عبَّاسٍ صححه الترمذي أيضًا، وله طرق عن أبي هريرة وابن عمر. وقد ورد موقوفًا على أبي هريرة وابن عبَّاسٍ.

ومتن الحديث منكر لوجهين:

أحدهما: أن جبريل يعلم -وكل مؤمن يعلم- أن دسَّ الطين في فم فرعون لا يمنع عنه رحمة الله لو أراد أن يرحمه.

والآخر: أن جبريل نزل على أمِّ موسى بقول الله تعالى لها: ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩] وهذا خبر بأن فرعون عدو لله ولرسوله، وخبر الله لا يدخله نسخ، وعدو الله لا نصيب له في الرحمة، فكيف يقول جبريل: «دسست الطين في فمه مخافة أن تناله الرحمة؟!» هذا من الباطل الذي لا يحصل من جبريل عليه السلام، فتبين أنه موقوف وأنه أخذ عن الإسرائليات.

وهذه الآية ترد قول من زعم أن فرعون قُبل إيمانه، وتثبت أنه مات كافرًا عدوًّا لله ولرسوله.

واستدل ابن العربي لقبول إيمانه بأنه آمن في حالة الاضطرار؛ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ

﴿أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠] والله تعالىٰ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢] فإيمان فرعون مقبول بمقتضىٰ وعد الله الصادق ورحمته الواسعة.

لكن الإيمان غير الدعاء فلو أن فرعون دعا في حالة الغرق لأنجاه الله، لكنه آمن، والإيمان لا يقبل في تلك الحالة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

وفي "سنن الترمذي" عن ابن عمر، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ يقبلُ توبة العبدِ مالم يغرْغِر**». حسنه الترمذي.

ولم ينفرد ابن العربي الحاتمي بدعوىٰ إيمان فرعون كما يظن كثير من الناس، بل سبقه إليها بعض الصوفية كما نقله الفقيه عبد الصمد الحنفي في تفسيره، وهو من أهل المائة الخامسة.

٤- قال أبو سعيد الكنجرودي في "أماليه": أخبرنا الحافظ أبو الفضل نصر بن محمد بن أحمد العطار: أنا أحمد بن الحسين بن الأزهر بمصر: حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسي: نا الوليد بن موسىٰ: نا منبه بن عثمان، عن عروة بن رويم، عن الحسن، عن أنس، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مؤمني الجنِّ لهمْ ثوابٌ وعليهم عقابٌ**». فسألناه عن ثوابهم، قال: «**على الأعرافِ وليسوا في الجنَّة مع أمَّة محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**». قلنا وما الأعراف؟ قال: «**حائطُ الجنَّة تجري فيه الأنهارُ وتنبُت فيه الأشجارُ والثِّمارُ**».

قال الذهبي: هذا حديث منكر جدًّا.

قلت: في سنده الوليد بن موسىٰ الدمشقي، قال الدارقطني: منكر الحديث. ووهاه ابن حِبَّان والعقيلي.

زاد العقيلي: أحاديثه بواطيل لا أصول لها، وليس ممن يقيم الحديث.

وقال الحاكم: روىٰ عن عبد الرحمن بن ثابت عن ثوبان، أحاديثه موضوعة.

ولا يقبل قول أبي حاتم فيه: صدوق الحديث، لين، حديثه صحيح. وأبو حاتم لم يطلع من رواياته المنكرة علىٰ ما اطلع عليه من جرحه.

ومن أحاديثه الدالة علىٰ تجريحه ما رواه عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن الحسن، عن أنس مرفوعًا: «**آجالُ البهائمِ كلِّها من القملِ والبراغيثِ والجرادِ والخيلِ والبغالِ والدوابِّ كلِّها والطيرِ وغيرِ ذلك، آجالُها في التَّسبيحِ، فإذا انقضى تسبيحُها قبضَ الله أرواحها وليس لملَكِ الموتِ من ذلك شيءٌ**».

ذكره ابن الجوزي في "الموضوعات"، وأعله بالوليد بن موسىٰ، وقال الحافظ في "اللسان": هذا حديث منكر جدًا.

٥- قال نُعيم بن حماد: حدثنا ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل: أنها سمعت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**رأيتُ ربِّي في أحسنِ صُورةٍ شابًّا موفَّرًا -له وَفْرة- رجلاه في خُضَر عليه نَعْلان من ذَهَبٍ**».

قال ابن حِبَّان في ترجمة عمارة بن عامر من "الثقات": هذا حديث منكر.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب" عن هذا الحديث: هو متن منكر.

وقال الفقيه أبو بكر بن الحداد: سمعت النَّسائيَّ يقول: ومن مروان بن عثمان حتىٰ يصدق علىٰ الله عزَّ وجلَّ؟!

ومروان ضعفه أبو حاتم، وقال الحافظ في "الإصابة": متروك.

ورواه الدارقطني في "الرؤية" بلفظ: «رأيتُ ربِّي في المنامِ» الحديث، وبهذا اللفظ رواه الخطيب في "تاريخ بغداد" ومن طريقه أورده ابن الجوزي في "الموضوعات"، وأعله بنعيم بن حماد، ومروان بن عثمان، وعمارة بن عامر.

وتعقبه الحافظ السيوطي بما نقله ابن عراق في "تنزيه الشريعة" وختمه بقوله: وما كان من هذه الروايات غير مقيد بالمنام فينبغي أن يحمل عليه لتتفق الروايات ويزول الإشكال.

قلت: رؤية الله في اليقظة لم تقع لأحد في الدنيا، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شاهد الله ليلة المعراج بقلبه ولم يره ببصره، والأحاديث التي يفيد ظاهرها رؤية الله في اليقظة في صورة شابٍّ أمردَ كهذا الحديث؛ موضوعة قطعًا.

وأما رؤيته كذلك في المنام فمنعها الصابوني من الحنفية، والقاضي أبو يعلىٰ من الحنابلة، وبالغ ابن الصلاح في إنكارها.

وقال القاضي عياض في "شرح مسلم": لم يختلف في جواز رؤية الله تعالىٰ في المنام حتىٰ لو رؤي علىٰ صفة لا تليق كرؤيته في صفة رجل، للعلم بأن ذلك المرئيَّ ليس ذاته الكريمة لاستحالة صفة الأجسام عليه.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «رؤيته تعالىٰ في المنام أوهامٌ وخواطرُ في القلب يتعالىٰ الله سبحانه عنها، وهي دلالة للرائي عل أمور مما كان أو سيكون

كغيرها من الرؤيات».اهـ

وقال الغزالي في كتاب "المضنون به على غير أهله": «الحق أنا نطلق القول بأن الله تعالىٰ يرىٰ في المنام كما نطلق القول بأن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يرىٰ، لكنَّ المرئيَّ مثالٌ محسوس من نور وغيره من الصور الجميلة التي تصلح أن تكون مثالًا للجمال الحقيقي المعنويٍّ الذي لا صورة له ولا لون، ويكون ذلك المثال صادقًا حقًّا وواسطة في التعريف.

فيقول الرائي: رأيت الله في المنام، لا بمعنىٰ رأيت ذاته، كما يقول: رأيت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لا بمعنىٰ أني رأيت ذات روحه أو ذات شخصه بل بمعنىٰ أنه رأىٰ مثاله.

قال: فإن قيل: النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم له مثل والله تعالىٰ لا مثل له.

قلنا: هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال، فليس المثال عبارة عن المثل، إذ المثل: المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه إلىٰ المساواة، فإن العقل معنىٰ لا يماثله غيره مماثلة حقيقية ولنا أن نضرب له الشمس مثالًا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد، وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل، فهذا القدر من المناسبة كافٍ في المثال.

ويمثل في النَّوم السُّلطان بالشمس، والوزير بالقمر، والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ولا معناه ولا الوزير يماثل القمر، إلا أنَّ السُّلطان له استعلاء علىٰ الكلِّ ويعم أمره الجميع، والشمس تناسبه في هذا القدر، والقمر واسطة بين الشمس والأرض في إفاضة النور كما أن الوزير واسطة بين السلطان والرعيةفي إفاضة نور العدل، فهذا مثال وليس بمثل.

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾ [النور: ٣٥] الآية، ولا مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة.

وعبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن اللبن في المنام بالإسلام، والحبل بالقرآن، وأي مماثلة بين اللبن والإسلام، وبين الحبل والقرآن؟ إلا في مناسبة وهي أن الحبل يتمسك به في النجاة، واللبن غذاء الحياة الظاهرة، والإسلام غذاء الحياة الباطنة، فهذه كلُّها مثال وليست بمثل.

فذات الله تعالىٰ وذات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يُريان في المنام وأن مثالًا يعتقده النائم ذات الله تعالىٰ وذات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يجوز أن يرىٰ، وكيف ينكر ذلك مع وجوده في المنامات؟ فإن من لم يره بنفسه فقد تواتر إليه عن جماعة أنهم رأوا ذلك».اهـ كلام الغزالي، وهو تحقيق نفيس.

وعلىٰ هذا فحديث اختصام الملأ الأعلىٰ الذي رواه أحمد والترمذي عن معاذ: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إنِّي قمتُ من الليل فصلَّيت ما قدِّر لي فنمتُ في صلاتي فاستثقَلْتُ فإذا أنا بربِّي في أحسنِ صورةٍ فقال: يا محمَّد أتدري فيما يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. قالها ثلاثًا. فرأيته وضَعَ كفَّه بين كتفيَّ حتى وجدتُ بردَ أنامله بين صدري فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ..»** الحديث. صححه الترمذي، ونقل عن شيحه البخاري أنه صححه أيضًا.

معناه: أن الله تعالىٰ أراد أن يطلع نبيَّه علىٰ الملأ الأعلىٰ وعلىٰ ما شاء من غيبه بغير واسطة جبريل عليه السلام، فتعرف إليه بهذه الصورة التي كانت آلة أدت ما أوحىٰ الله إليه بواسطتها فهي مثال وليست بمثل.

وعالم الرؤيا عالم المثال يرىٰ فيه ما ليس بجسم في صورة الجسم فيرىٰ العلم في صورة اللبن، والدين في صورة القميص، والعهد في صورة الحبل، وهكذا.

ومن أوابد ابن تيمية ما نقله تلميذه ابن القيم في "زاد المعاد" حيث قال: وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيئًا بديعًا، وهو أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأىٰ رب العزة تبارك وتعالىٰ فقال: **«يا محمد فيما يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع يده بين كتفي...»** الحديث.

قال: فمن تلك الليلة أرخىٰ الذؤابة بين كتفيه... ولم أر هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره.

قلت: شهد ابن القيم بأن هذه الفائدة تفرد بها شيخه.

وقال الحافظ العراقي: لم نجد لها أصلًا.

قال ابن حجرٍ في "شرح الشمائل": بل هذا من قبيح رأيهما وضلالهما إذ هو بني علىٰ ما ذهبا إليه من إثبات الجهة والجسمية لله تعالىٰ.

قال المناوي تعقيبًا عليه: أما كونهما من المبتدعة فمسلَّم، وأما كون هذا بخصوصه بناء علىٰ التجسيم فغير مستقيم. وبيَّن ذلك بما يناقش فيه.

والحقيقة في هذه الفائدة أنها من كيس ابن تيمية، ومما يردها أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يرخي الذؤابة لعمامته علىٰ عادة العرب في ذلك وهو بمكة، ورؤيا الله تعالىٰ حصلت له في المدينة في أواخر حياته، وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا بعث سرية عمَّم أميرها بيده الشريفة وأرخىٰ له ذؤابة.

٦- روىٰ ابن خزيمة في "صحيحه" والبيهقي في "الأسماء والصفات" من

طريق جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُقبِّحُوا الوجهَ فإنَّ الله خلقَ آدمَ على صورةِ الرحمنِ**».

هذا الحديث شاذ، وأول بعضهم لفظ «الصورة» بالصفة، قال: والمعنى أن الله خلق آدم بصفة الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. وهي الصفات المسماة بصفات المعاني القائمة بذات الله تعالى وإن كانت صفة آدم حادثة وصفة الله قديمة فلا شبه بينهما إلا في الاسم.

وأعل ابن خزيمة هذا الحديث بثلاث علل:

إحداها: أن الثوري رواه عن عطاء مرسلًا، ولم يذكر ابن عمر.

ثانيتها: أن الأعمش عنعنه، وهو مدلس.

ثالثتها: أن حبيب بن أبي ثابت لم يصرح بالسماع من عطاء، وهو أيضًا مدلس.

وقال البيهقي: «يحتمل أن يكون ذكر «الرحمن» من تصرف بعض الرواة بحسب فهمه». وهذا هو الصحيح.

وكذلك ما رواه ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" من طريق أبي يونس عن أبي هريرة مرفوعًا: «**من قاتل فليتجنَّب الوجهَ فإنَّ صورةَ وجهِ الإنسان على صورةِ وجهِ الرحمنِ**». هو أيضًا حديث شاذ ولم يخل من تصرف الرواة كما يتبين مما يأتي:

ثبت في الصحيحين وغيرهما: عن أبي هريرة، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خلقَ الله آدمَ على صورتِه طولُه ستُّون ذراعًا**» الحديث. فالضمير

في «صورته» و«طوله» يعود على آدم جزمًا لأنه محطُّ الفائدة ويستفاد منه أمران:

الأول: أن الله خلق آدم رجلًا كاملًا سويًا من أول ما نفخ فيه الروح، ولم ينتقل في النشأة أحوالًا ولا تردد في الأرحام أطوارًا كذريته.

الثاني: أن آدم عليه السلام لم يكن من فصيلة الحيوان الأعجم ثم ترقى إلى أن صار قردًا ثم تخطى حلقة مفقودة فصار إنسانًا.

فالحديث يرد نظرية التطوُّر والارتقاء التي ظهر بها دارون.

على أن عالمًا ألمانيًا قال أن القرد إنسان متقهقر وليس الإنسان قردًا مرتقيًا، عكس ما يقول دارون واتخذ أدلة دارون وبراهينه أدلة وبراهين على صحة نظريته هو فجعل أدلة دارون حجَّةً عليه لا له.

ومن تشدَّد الإمام أحمد هجرانه لأبي ثور على تأويله لهذا الحديث؛ إذ أن مذهبه إبقاء الحديث على ظاهره في إثبات الصورة لله تعالى وتفويض معناها إليه، مع تنزيهه عن الصورة المعهودة.

لكن غاب عنه أمر ظاهر في الإعراب وهو عود الضمير إلى آدم؛ لأنه أقرب مذكور ولأنه المقصود من سياق الحديث إذ المراد الإخبار بأن الله خالق آدم على صورته التي أوجده بها.

وفي "صحيح مسلم": عن أبي هريرة عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا قاتلَ أحدُكم فلْيتجنب الوجهَ فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورتِه**». الضمير في «صورته» يعود على المقاتَل أو المضروب.

يؤيده ما رواه البخاري في "الأدب المفرد" والإمام أحمد، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقولنَّ قبَّح اللهُ وجهَك ووجهَ من**

أشبهَ وجهَك فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورتِه».

والغرض من الحديثين تكريم وجه المضروب والمشتوم لشبهه بوجه آدم أبي البشر عليه السلام.

وأمَّا ما رواه الطبرانيُّ في "السنة" قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال رجل لأبي: إن رجلًا قال: خلق الله آدم على صورته أي: صورة الرجل؟ فقال: كذب، هو قول الجهمية.اهـ

فهذا تذمُّتٌ شديدٌ! وكيف يجزم بعود الضمير على الله مع ظهور عوده على الرجل؟! بل لو صرَّح بعوده على الله كما في بعض الروايات لم يجز الجزم به لاحتمال روايته بالمعنى حسب فهم الرواي.

ولهذا اعترض أبو حيَّان على ابن مالك في استشهاده بالأحاديث النبوية لبعض القواعد النحوية وقال: إنَّ الحديث دخلته الرواية بالمعنى حيث لا نكاد نجزم باللفظ النبوي إلا في القليل النادر.

فمن الخطأ الواضح قول إسحاق بن راهويه: صحَّ أنَّ الله خلق آدم على صورة الرحمن. وقول أحمد: هو حديث صحيح. وقول ابن قتيبة: صورة لا كالصور.

قال ابن حزمٍ في "الفصل": «وكذلك القول في الحديث الثابت: «**خلقَ اللهُ آدمَ على صورتِه**» فهذه إضافة ملك، يريد الصورة التي تخيرها الله سبحانه ليكون آدم مصورًا عليها وكلُّ فاضل في طبقته فإنه ينسب إلى الله عزَّ وجلَّ، كما نقول: «بيت الله» عن الكعبة، والبيوت كلها بيوت الله، لكن لا يطلق عليها هذا الاسم كما يطلق على المسجد الحرام وكما نقول في جبريل وعيسى: «روح الله»، والأرواح

كلها لله. وكالقول في ناقة صالح: «ناقة الله»، والنُّوق كلُّها لله عزَّ وجلَّ، فعلىٰ هذا قيل: علىٰ صورة الرحمن، والصور كلُّها لله تعالىٰ».اهـ

وسبقه ابن خزيمة إلىٰ تأويل إضافة الصورة لله، علىٰ أنها إضافة خلق، وعاب من حملها علىٰ الصفة ووصفه بعدم تحري العلم.

وأما الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" من طريق أبي يونس عن أبي هريرة مرفوعًا: «**من قاتلَ فلْيجتنب الوجهَ فإنَّ صورةَ وجهِ الإنسانِ على صورةِ وجهِ الرَّحمنِ**».

فهو حديثٌ شاذٌّ لم يأت في الصحيحين، ومنكر المعنىٰ؛ لأنه يُشبِّه وجه الإنسان بوجه الرحمن وهو تشبيهٌ صريحٌ لا يحتمل تأويلًا فهو مردودٌ لا محالة.

٧- روىٰ أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمرت سحابة فنظر إليها فقال: «**ماتسمُّون هذه؟**» قالوا: السَّحاب. قال: «**والمُزْنَ؟**» قالوا: والمزن. قال: «**والعَنَان؟**» قالوا: والعنان. قال: «**هل تدرُون بُعد ما بينَ السماءِ والأرضِ؟**» قالوا: لا ندري. قال: «**إنَّ بُعدَ ما بينهما إمَّا واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، ثُمَّ السماءُ فوقَها كذلكَ**». حتىٰ عد سبع سماوات، «**ثم من فوق السابعة بحْرَين أعلاه وأسفلُه كما بين سماءٍ إلى سماءٍ ثُمَّ فوق ذلك ثمانيةُ أوْعالٍ، بين أظْلافِهِم ورُكَبِهم مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثمَّ على ظهورهم العرشُ، ما بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثمَّ الله تبارك وتعالى فوقَ ذلكَ**». قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وقال الحاكم: «صحيح

علىٰ شرط مسلم»، وسلَّمه الذهبي.

وأجهد نفسه ابن القيم في تقويته في شرحه لـ"مختصر سنن أبي داود" لإفادته فوقية الله علىٰ العرش وهو يعتقدها كشيخه.

وهذا الحديث يعرف بحديث الأوعال وهو ليس بصحيح ولا حسن وقد كنت كتبت وأنا بمصر جزءًا في بطلانه ونكارته وأخذه مني بعض كبار العلماء بالأزهر وبقي عنده حتىٰ مات ولم أتوصَّل به.

ويمكن تلخيص ذلك الجزء في النقاط الآتية:

١- أنَّ هذا الحديثَ تفرد به سماك وهو وإن كان من رجال مسلم فقد ضعَّفه شعبةُ والثوريُّ وابنُ المبارك، وقال أحمد: «مضطرب الحديث» وقال النَّسائي: كان ربَّما لُقِّن، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجَّةً لأنه كان يُلَقَّن فيتلقَّن. وهذا مما انفرد به.

٢- أنَّ سماكًا اضطرب فيه فرواه مرة كما هنا ورواه مرة عن عبدالله بن عَميرة عن العباس بإسقاط الأحنف، وقال مرة: عن عبد الله بن عميرة عن زوج درَّة بنت أبي لهب، ورواه مرة مرفوعًا وأخرىٰ موقوفًا علىٰ العباس.

٣- أن عبد الله بن عَميرة -بفتح العين- قال الذهبي: فيه جهالة. وقال ابراهيم الحربي: لا أعرفه. وقال مسلم في "الوحدان": تفرد سماك بالرواية عنه، وذكره ابن منده في "الصحابة" فأخطأ، وبيَّن خطأه أبو نعيم.

٤- قال البخاري: «لا يعلم لعبد الله بن عَميرة سماع من الأحنف» وعلىٰ هذا فالإسناد منقطع.

٥- أن الحديث يفيد أن حملة العرش اليوم ثمانية والقرآن يفيد أنهم ثمانية

يوم القيامة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

روىٰ ابن جريرٍ في "تفسيره" عن ابن زيد قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يحملُه اليومَ أربعةٌ، ويومَ القيامةِ ثمانيةٌ**».

ورویٰ أيضًا عن ابن اسحاق قال: بلغنا أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**همُ اليومَ أربعةٌ** -يعني: حملة العرش- **وإذا كان يومُ القيامة أيَّدهم الله بأربعةٍ آخرين فكانوا ثمانيةً**».

٦- مخالفة الحديث للقرآن؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١] فأفاد أن الملائكة ذوو أجنحة وكذلك جاء في السُّنة الصحيحة، وهذا الحديث أفاد أن حملة العرش من ذوات الأظلاف، وهذه نكارة ظاهرة.

٧- ذم الله المشركين الذين وصفوا الملائكة بأنهم إناث، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وهذا الحديث جعل حملة العرش وهم الملائكة المقربون أوعالًا ذوي أظلاف وقرون، وهي نكارة ظاهرة.

٨- أن الوعول جمع وعل، والوعل هو التيس الجبلي، والذكر من المعز، والتيس مذموم عند العرب، قال الشاعر العربي: «وشرُّ مَنِيحةٍ تيسٌ مُعارُ»، وقالوا: أحمق من ناطح الصخرة؛ أي: الوعل.

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن سمرة: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلَّما نفرْنا غازين في سبيلِ الله تخلَّف أحدُكم ينبُّ نَبيبَ التَّيس**». وذلك أنه أتي برجل زنىٰ فأمر برجمه وذكر الحديث.

نبَّ التيس: بتشديد الباء، صاح عند السِّفاد.

وفي "سنن ابن ماجه" بإسناد حسن عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألا أخبرُكم بالتَّيس المسْتعار؟ هو المحلِّل**».

ولذا قال ابن العربي في "عارضة الأحوزي": «إن خبر الأوعال متلقَّف من الإسرائيليات».اهـ

وما قاله صحيح، والله تعالىٰ أعلم.

ورواه أحمد وابن شيبة والنسائي والبيهقي، وأخرج البيهقي في "الأسماء والصفات" من طريق جعفر بن عون: أنبأنا الأجلح، عن يزيد بن الأصَمِّ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يكلمه في بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ما شاء الله وشئت. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أجَعلتَني لله عَدلًا بل شاء اللهُ وحدَه**».

ورواه البخاري في "الأدب المفرد" وابن مَرْدُويَه من طريق سفيان الثوري عن الأجلح الكِنديِّ به.

ورواه الطحاوي من طريق شيبان النحوي عن الأجلح.

ورواه ابن ماجه من طريق عيسىٰ بن يونس: حدثنا عن يزيد بن الأصم، عن ابن عبَّاسٍ قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا حلَفَ أحدُكم فلا يقُلْ ما شاء اللهُ وشئتَ ولكنْ ليقُلْ ما شاءَ اللهُ ثمَّ شئتَ**». هذا اللفظ هو المحفوظ.

وروىٰ أبو يعلىٰ عن عائشة -فيما يعلم عثمان بن عمر راوي الحديث- أنَّ

يهوديًا رأىٰ في المنام نعم القوم أمة محمد لولا أنهم يقولون: ماشاء الله وشاء محمد. فذكر ذلك لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاء محمدٌ. قولوا: ما شاءَ الله وحدَه**».

وروىٰ ابن سعد والنَّسائي والطَّبراني من طريق مِسْعر، عن مَعْبَد بن خالد الجدلي عن عبدالله بن يسار، عن قُتَيْلة بنت صَيْفيٍّ امرأة من جهينة قالت: جاء حبرٌ من الأحبار إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون. قال: «وكيفَ» ؟قال: يقول أحدكم: لا والكعبة، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّه قدْ قالَ** -يعني نفسه- **فمنْ حَلَفَ فليحْلِفْ بربِّ الكعبةِ**»، فقال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أندادًا، قال: «**وكيف ذاك؟**» قال: يقول أحدكم: ما شاء الله وشئت. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه قدْ قالَ: فمَن قال منكم فليقُلْ: ما شاء الله ثُمَّ شئتَ**». هذا لفظ ابن سعد وأشار إلىٰ أن قتيلة ليس لها غير هذا الحديث.

ورواه الطحاوي في "مشكل الآثار" وابن منده من طريق المسعودي عن مَعْبَد بن يَسَار، عن قُتَيْلَةَ بنت صَيفِيٍّ الجُهنيَّة به -وقتيلة بصيغة التصغير صحابية- قال ابن عبدالبر الحافظ: «من المهاجرات الأُوَل». فهذا الحديث بجميع طرقه ليس فيه إشارة إلىٰ الآية الكريمة ولا جاء في شيءٍ من طرقه أنها نزلت بسببه، والله أعلم.

٢٤- أحاديث موضوعة[1]

راج بين كثير من أهل العلم في المشرق والمغرب أحاديث تُنسب إلى النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يذكرونها في مناسباتٍ مختلفةٍ ومنهم من يوردها في معرض الاستدلال والاحتجاج، مع أنها مكذوبةٌ لا يجوز ذكرها علىٰ الإطلاق إلا لبيان حالها لئلا يغترَّ بها من لا يعرفها.

ومن تلك الأحاديث ما ليس له أصل أي: ليس له إسناد في كتب الحديث، وأنا أورد جملة منها نموذجًا لسائرها:

١- في "الموطأ": وحدثني يحيىٰ عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنِّي لأنسَى أو أُنَسَّى** -بالبناء للمجهول- **لأسُنَّ**». وروي كما قال عياض بلفظ: «**إني لا أنْسَى ولكن أُنَسَّى لأسُنَّ**».

قال ابن عبد البر: «لا أعلم هذا الحديث روي عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مسندًا ولا مقطوعًا من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي في "الموطأ" التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ومعناه صحيح في الأصول».اهـ

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح" عن هذا الحديث: «لا أصل له فإنه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد».

قال الزرقاني في "شرح الموطأ": «معنىٰ قوله: أنه لا أصل له أي: ما يحتج به لأن البلاغ من أقسام الضعيف وليس معناه أنه موضوع معاذ الله، إذ ليس البلاغ بموضوع عند أهل الفنِّ لا سيما من مالك، كيف وقد قال سفيان: إذا

(١) مجلة دعوة الحق.

قال مالك بلغني فهو إسنادٌ صحيحٌ». اهـ

وبلاغ مالك تعليق، والتعليق لا يحكم عليه بشيء حتىٰ ينظر هل له إسناد أو لا، فإن وجد له إسناد حكم عليه بمقتضىٰ حال رجاله من ثقةٍ أو ضعفٍ وإن لم يكن له إسناد كهذا البلاغ الذي نتكلَّم عليه اعتبر من قبيل ما لا أصل له.

يضاف إلىٰ ذلك مخالفته لما ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّمَا أنا بشَرٌ مثلُكم أنسَى كما تنْسَون فإذا نَسِيتُ فذكِّرُوني**».

نعم ترتَّب علىٰ نسيانه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحكام سجود السهو في الصلاة، وإلىٰ هذا يشير ابن عبد البر بقوله: ومعناه صحيح في الأصول.

٢- في "الموطأ" أيضًا عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**إذا نشَأت بحريَّة ثم تشاءمتْ فتلك عينٌ غُدَيقةٌ**».

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث لا أعرفه بوجه من الوجوه في غير "الموطأ" إلا ما ذكره الشافعي في "الأم" عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيىٰ عن إسحاق بن عبد الله عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا أنشَأتْ بحريَّة ثمَّ استحالتْ شاميَّةً فهو أمطرُ لها**». اهـ

وروىٰ الطبراني في "الأوسط" عن عائشة قالت: «إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فهي عين غُديقة». قال الطبراني: تفرد به الواقدي.

غديقة بالتصغير وهي التي يقال لها بالمغرب: الغديكة.

٣- «اعملْ لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا واعملْ لآخرتِك كأنَّك تموتُ غدًا».

لا أصل له.

وروىٰ ابن أبي الدنيا بإسنادٍ ضعيفٍ مجهول عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: احرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا.

وروىٰ البيهقي في "السنن" بإسنادٍ ضعيفٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«اعملْ عمَلَ امرئٍ يظنُّ أنْ لن يموتَ أبدًا واحذَر حذَرَ امرئٍ يخشَى أنْ يموتَ غدًا»**.

وهذا الحديث أخرجه البيهقي في الحضِّ علىٰ الاقتصاد في العبادة والبعد عن قربان المعاصي خوف مفاجأة الموت.

ومعنىٰ اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا: أنك تعمل لدنياك في مهل وتؤدة من غير حرص ولا استعجال؛ لأن من يعيش أبدًا لا يفوته شيء إن لم يدركه اليوم يدركه غدًا أو بعد غد بخلاف عمل الآخرة فإنه يستعجل به خوف الفوات بموت قريب.

ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض رحمه الله جزء اسمه "إياك من الاغترار بحديث اعمل لدنياك".

٤- «إذا وقفتم في الصلاة فلا تقبضوا أيديكم فإن ذلك تكفير اليهود». ذكره القاضي النعمان الشيعي الإمامي في كتاب "دعائم الإسلام"، وهذا حديثٌ مكذوبٌ لوجوه:

منها: ما رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: سمعت نبيَّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: **«إنَّا معشَرَ الأنبياءِ أُمِرْنا بتَعْجيل فطْرِنا وتأخِير سحُورنا وأنْ نضَعَ أيمانَنا على شمائِلنا في الصَّلاة»**.

وروىٰ في "الأوسط" و"الصغير" نحوه من حديث ابن عمر.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ ضعيفٍ عن يعلىٰ بن مرة الثقفي قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثٌ يحبُّها الله: تعجيلُ الفِطْر وتأخير السُّحورِ وضربُ اليدين إحداهما على الأخرى في الصَّلاة**».

ومنها: تواتر وضع إحدىٰ اليدين علىٰ الأخرىٰ في الصلاة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من فعله وقوله.

ومنها: أن الصلاة فرضت علىٰ اليهود وهي تكفير أي: تعظيم لله تعالىٰ والتكفير بالركوع والسجود فيها أعظم، فلم خصَّ هذا الحديث التكفير بالقبض فقط؟ لأن الإمامية لا يقبضون في الصلاة فاخترع أحدهم هذا الحديث لتأييد مذهبه.

وهذا كما اخترع بعض المالكية حديثًا عزاه لكتاب "البدور الملتمعة في أدلة الأئمة الأربعة" نقلًا عن "مسند الأوزاعي" عن ابن مسعودٍ قال: ترك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القبض في صلاة الفريضة قبل أن يفارق الدنيا بستة وثلاثين يومًا.

وهذا كذب مضاعف فكتاب "البدور الملتمعة" لا وجود له في كتب الحافظ العراقي ولا في كتب غيره والأوزاعي لا مسند له، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يترك القبض في الصلاة قط.

فالإمامي اخترع حديثًا ينهىٰ عن القبض في الصلاة فرضها ونفلها لأن مذهبه كذلك.

والمالكي اخترع حديثًا يفيد ترك القبض في الفريضة لأن مذهبه يفرق بين الفريضة والنافلة.

ولو صحَّ حديث المالكي لأفاد عدم وجوب القبض لا نسخه كما هو مقصود واضعه؛ لأنه مندوبٌ والمندوب فضيلةٌ والفضائل لا تنسخ وإنما ينسخ الواجب والمحرَّم والمباح، فقيام الليل وصوم عاشوراء كانا واجبين ثمَّ نسخا إلىٰ الندب، وزيارة القبور كانت محرَّمة ثم نسخت إلىٰ الندب أيضًا، ونكاح المتعة كان مباحًا ثمَّ حُرِّم.

ولا تجد مندوبًا نسخه الشارع في آيةٍ أو حديث أبدًا. ودعوىٰ بعض العلماء نسخ بعض المندوبات غفلة منهم عن هذه القاعدة.

وسبب غفلتهم أنهم رأوا الشارع أمر ببعض المندوبات أو فعلها ثم تركها فظنوا التَّرك نسخًا لها وليس كذلك بل هو بيان لعدم وجوبها فقد أمر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بصلاة الضُّحىٰ وحضَّ عليها وفعلها ثم تركها إشعارًا بأنها لا تجب، وأمر بركعتين قبل المغرب وصلاهما ثم تركهما ورأىٰ الصحابة يصلونهما فلم ينههم عنها وما ذاك إلا لأن ترك المندوب لا يقتضي نسخه.

٥- «اللهمَّ اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها رِيحًا». كنت أسمع هذا الحديث من بعض شيوخنا بفاس أيام قراءتي بها، ووجدت الطَّحاوي عقد بابًا في "مشكل الآثار" للكلام علىٰ الريح ماذا يراد بها في القرآن مفردة أو مجموعة.

وروىٰ عن أبي عبيد قال: القراءة التي سمعتها في الريح والرياح أن ما كان منها من الرحمة فإنه جمع، وما كان من العذاب فإنه علىٰ واحده والأصل الذي اعتبرنا به هذه القراءة حديث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه كان إذا هاجت الرِّيح قال: «**اللهمَّ اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها رِيحًا**».

وتعقَّبه الطحاوي بقوله: فكان ما حكاه أبو عبيد من هذا عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مما لا أصل له، وقد كان الأولىٰ به لجلالة قدره ولصدقه في روايته غير هذا الحديث ألا يضيف إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما لا يعرفه أهل الحديث عنه.

وذكر قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] وقال: فكانت الريح الطيبة من رحمة الله والريح العاصف منه عزَّ وجلَّ عذابًا، ففي ذلك ما قد دلَّ علىٰ انتفاء ما رواه أبو عبيد.

ثم أسند أحاديث تفيد بطلان ذلك الحديث:

منها: حديث الصحيحين عن ابن عبَّاسٍ أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلكَتْ عادٌ بالدَّبُور**».

ثم قال: فكان في هذا الحديث أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نصر بالصَّبا وهي ريح واحدة وأن عادًا أهلكت بالدبور وهي ريح واحدة.

ومنها: حديث مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا عصفت الريح قال: «**اللهمَّ إنِّي أسألك خيرَها وخيرَ ما فيها وخير ما أرسلَت به وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُرسلَتْ به**». وذكر أحاديث أخرىٰ في هذا المعنىٰ.

لكن قال الشافعي في "الأم": أخبرني من لا أتهم قال: حدثنا العلاء بن راشد، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: ما هبَّت الريح إلا جثا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ركبتيه وقال: «**اللهمَّ اجْعلها رحمةً ولا تجعلْها عذابًا اللهمَّ**

اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها ريحًا».

قال: قال ابن عبَّاسٍ: في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ [القمر: ١٩]، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ [الروم: ٤٦]. ورواه البيهقي في "المعرفة" من طريق الشافعي.

قال الحافظ ابن حجرٍ: هذا حديثٌ حسنٌ، وشيخ الشافعي ما عرفته وكنت أظنه ابن أبي يحيىٰ لكن لم يذكروه في الرواة عن العلاء بن راشد، والعلاء موثَّق. كذا قال في "أمالي الأذكار".

وخالف ذلك في "تعجيل المنفعة" حيث قال: العلاء بن راشد عن عكرمة وعنه إبراهيم بن أبي يحيىٰ لا تقوم بإسناده حُجَّةٌ قاله الحسيني كذا قال: وعكرمة مشهور وحال إبراهيم معروف».اهـ ورمز لهذه الترجمة بحرف (فع) وهو رمز الإمام الشافعي.

وهذا يعيِّن المبهم في إسناد "الأم" بأنه ابن أبي يحيىٰ وحاله معروف بالضعف ولذلك استبعد تحسين الحافظ للحديث.

لكنه استند إلىٰ اعتضاده بما رواه مسدد في "مسنده الكبير" ومن طريقه الطبراني في كتاب "الدعاء" عن ابن عبَّاسٍ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا هاجت الريح استقبلها وجثا علىٰ ركبتيه وقال: «**اللهمَّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا، اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا، اللهمَّ إنِّي أسألك من خيرِ ما تُرسل به وأعوذ بك من شرِّها وشر ما تُرسل به**». وإسناده ضعيفٌ لضعف جبر بن عبد الله حفيد عبيد الله بن عبَّاسٍ.

وفي نسخة من "مسند مسدَّد": عن حسين بن قيس الرحبي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ. وحسين ضعيف متروك.

وروىٰ البخاري في "الأدب المفرد"، وابن حِبَّان في "صحيحه"، عن سلمة بن الأكوع قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا اشتدت الريح يقول: «**اللهمَّ لَقْحًا لا عَقِيمًا**». لَقْحًا بفتح اللام والقاف تفتح وتسكن حاملة للسحاب فيه الماء.

٦- «جاءكم الطهور» يعني: رمضان، لا أصل له بهذا اللفظ.

وروىٰ الديلمي في "مسند الفردوس"، ومن طريقه ابن عساكر في "التاريخ" عن عائشة مرفوعًا: «**شهرُ رمضانَ شهرُ الله وشهرُ شعبانَ شهري شعبانُ المطهِّر ورمضانُ المكفِّر**». وإسناده تالف والمتن موضوع.

أما حديث: «رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي» فمصرح بوضعه في كتب بالموضوعات.

والثابت في هذا الباب ما رواه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى رمضانَ مكفِّراتٌ ما بينهن إذا اجْتُنبتْ الكَبائرُ**».

٧- «لكلِّ بلدٍ رؤيتُه». ليس بحديث ولكنه متداول بين الشافعية بناء علىٰ مذهبهم.

وقال الترمذيُّ في "سننه": «باب ما جاء لكل أهل بلد رؤيتهم» وهذه الجملة قالها استنباطًا من حديث ابن عبَّاسٍ الذي رواه في هذه الترجمة عن كريب -بالتصغير- أنه قدم الشام واستهل رمضان فسأله هناك، ثم رجع

المدينة في آخر رمضان فسأله ابن عبَّاسٍ: متىٰ رأيتم الهلال؟ قال كريب: رأيناه ليلة الجمعة. قال: أنت رأيته؟ قلت: رآه الناس فصاموا وصام معاوية. فقال: لكن رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتىٰ نكمل ثلاثين يومًا أو نراه. فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ قال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال المباركفوري في "تحفة الأحوزي": هذا بظاهره يدل علىٰ أن لكل أهل بلد رؤيتهم.

قلت: ترجم النووي في "شرح مسلم" بهذه الجملة أيضًا فظنها بعض أهل العلم حديثًا وليس كذلك.

وأهل الحديث لا يستدلون ولا يقرون الاستدلال علىٰ ورود حديث أو ثبوته بأن حافظًا جعله عنوانًا لباب من أبواب كتبه.

وقد ناقش الشوكاني في "نيل الأوطار" استدلال الشافعية بحديث ابن عبَّاسٍ علىٰ أن لكل أهل بلد رؤيتهم ورجح مذهب المالكية أنه إذا رأىٰ الهلال أهل بلد لزم أهل البلاد كلها.

٨- «لا تكرهُوا الفتنَ فإنَّ فيها حَصَادُ المنافقين».

روىٰ أبو الشيخ في "الفتن" ومن طريقه الديلمي في "مسند الفردوس" عن علي عليه السلام مرفوعًا: **«لا تكرهُوا الفتنَ فإنَّها تُبيرُ المنافِقِين»**. إسناد ضعيف جدًّا.

وذكره الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح" بلفظ: **«لا تستعيذُوا بالله من الفتَن فإنَّ فيها حصادُ المنافقين»** وقال: قد سئل ابن وهب قديمًا عنه فقال: إنه باطل.

قلت: قد صحَّ في أحاديث كثيرة: التعوذ من الفتن من قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمره.

٩- «إذا أراد الله عذاب أمة أعقم نساءهم خمس عشرة سنة قبل أن يصابوا لئلا يصاب الوِلدانُ الذين لم يجرِ عليهم القلم».

قال الحافظ في "الفتح": «ليس له أصل وعموم حديث عائشة يرده».

يعني ما رواه مسلم في "صحيحه" عن عائشة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«العجبُ أنَّ ناسًا من أمتي يؤمُّون هذا البيتَ حتَّى إذا كانوا بالبيْداءِ خُسِفَ بِهِمْ»** فقلنا: يارسول الله إن الطريق قد تجمع الناس قال: **«نعم فيهم المستَبْصِرُ والمجبورُ وابنُ السَّبيل يهلكُون مَهْلكًا واحدًا ويصدُرون مصادرَ شتَّى يبعثُهم الله على نِيَّاتهم»**. وفي القرآن الكريم: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

١٠- «الدِّين المعاملةُ». ليس بحديث والواقع أن الدين يتألف من ثلاثة أشياء: عبادة ومعاملة وسلوك فيهما.

فالصلاة عبادة والسلوك فيها ألا يلتفت المصلي يُمنة ويُسرة ولا يعبث بيده.

والتِّجارة معاملة والسلوك فيها أن يكون التاجر سمحًا في شرائه سمحًا في قضاء ما عليه سمحًا في اقتضاء ماله. وعلى هذا القياس.

١١- **«لا تُنزلُوهنَّ الغُرَفَ ولا تُعلِّموهُنَّ الكتابةَ** -يعني: النساء- **وعلِّموهنَّ المِغزَلَ وسورةَ النُّور»**. رواه البيهقي في الشعب عن الحاكم في المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن شعيب بن إسحاق عن

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به مرفوعًا.

وهذا الحديث موضوع كما قال الذهبي.

عبد الوهاب بن الضحاك هو الحمصي، كذَّابٌ يسرق الحديث.

نعم روىٰ سعيد بن منصور في "سننه" عن مجاهد قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**علِّموا رجالكم سورةَ المائدةِ وعلِّموا نسائكم سورةَ النُّور**». أما (سورة المائدة) فإنها تشتمل علىٰ ثمانية عشر حكمًا لا توجد في سائر السور. وأما (سورة النور) فإنها تشتمل علىٰ آداب السلوك بجانب ما فيها من الأحكام.

١٢- «من قال: لا إله إلا الله ومدَّ بها صوتَه هدمتْ له أربعةَ آلافِ ذنبٍ من الكبائر». رواه الديلمي، وهو حديثٌ موضوعٌ.

١٣- «اختلافُ أمَّتي رحمة». ذكره السيوطي في "الجامع الصغير" وقال ما نصه: نصر المقدسي في "الحجة"، والبيهقي في "الرسالة الأشعرية" بغير سند، وأورده الديلمي والقاضي حسين وإمام الحرمين، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا».اهـ

قلت: سلك السيوطي طريقة الفقهاء الذين يكتفون في ثبوت الحديث بكونه مذكورًا في كتاب فلان وفلان من العلماء، وأهل الحديث لا يعترفون بهذه الطريقة ولا يعوِّلون عليها، وإنما يعتمدون علىٰ البحث عن سند الحديث والكشف عن حال رجاله فإن لم يجدوا له إسناد كهذا الحديث حكموا بأنه لا أصل له.

ويؤيد حكمهم هنا ما رواه أحمد في "المسند" بإسناد لا بأس به عن النعمان بن

بشير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المنبر: «**منْ لم يشكُر القليلَ لم يشكُر الكثيرَ ومن لم يشكُر النَّاسَ لم يشكر الله والتحدُّث بنعمة الله شكْرٌ وتركُها كفرٌ والجماعة رحمةٌ والفرقةُ عذابٌ**». الفرقة هي الاختلاف.

وروىٰ الطبراني في "الأوسط" بإسناد ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما اختلفتْ أمَّة بعد نبيِّها إلا ظهر أهلُ باطلِها على أهلِ حقِّها**».

وتأول بعض العلماء حديث اختلاف أمتي رحمة علىٰ فرض ثبوته باختلافهم في الفروع الفقهية، لكن هذا أمر مستحدث لا ينبغي حمل كلام الشارع عليه.

١٤- «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم».

رواه نعيم بن حماد، عن عبد الرحيم بن زيد، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر. وربما رواه عبد الرحيم عن أبيه عن ابن عمر.

وعبد الرحيم بن زيد، هو العَمِّي -بفتح العين وتشديد الميم- البصري كذاب . ورواه حمزة بن أبي حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر. وحمزة قال ابن معين: لا يساوي فلسًا. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه موضوع.

ورواه الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر. والحارث قال ابن عبد البر: مجهول. وقال الحافظ: ذكره الطوسي في رجال الشيعة وقال: روىٰ عن جعفر الصادق. وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

وروىٰ البيهقي في "المدخل" بإسناد ضعيف منقطع عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**مهما أوتيتُم من كتابِ الله فالعملُ به لا عذرَ لأحدٍ في تركِه فإنْ لم يكنْ**

كتابُ الله فسنَّةٌ مني ماضيةٌ فإن لم تكن سنَّةٌ منِّي فما قال أصحابي إنَّ أصحابي بمنزلةِ النُّجوم في السَّماء فأيُّها أخذتُم به اهتديتُم واختلافُ أصحابي لكم رحمةٌ».

ورواه آدم بن أبي إياس في "كتاب العلم" عن الحسن مرسلًا.

قال البزار: «هذا الكلام لا يصح عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو منكر عنه وقد روي عنه بإسناد صحيح: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاءِ الراشدين من بعدي عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ**». وهو يعارض هذا الكلام والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه».اهـ

وقال المزني: «إن صح هذا الخبر فمعناه فيما نقلوا عنه وشهدوا به عليه فكلهم ثقة مؤتمن علىٰ ما جاء به لا يجوز عندي غير هذا، وأما ما قالوا فيه برأيهم فلو كان عند أنفسهم كذلك ما خطَّأ بعضهم بعضًا ولا أنكر بعضهم علىٰ بعض، ولا رجع أحد منهم إلىٰ قول صاحبه».اهـ

وقال ابن عبد البر: «الاقتداء بأصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم منفردين إنما هو لمن جهل ما يسأل عنه ومن كان هذا حاله فالتقليد لازم له ولم يأمر أصحابه أن يقتدي بعضهم ببعض إذا تأولوا تأويلًا سائغًا جائزًا ممكنًا في الأصول، وإنما كل واحد منهم نجم جائز أن يقتدي به العامي الجاهل بمعنىٰ ما يحتاج إليه من دينه وكذلك سائر العلماء مع العامة».

وللحديث طرق أخرىٰ واهية ذكرتها في كتاب "تخريج أحاديث المنهاج" للبيضاوي في علم الأصول.

١٥ - «توسَّلوا بجاهي فإنَّ جاهي عند الله عظيمٌ».

لا أصل له وقد عزاه بعض العلماء بمصر إلىٰ "حلية أبي نعيم" وهو خطأ،

بل لا وجود له في "الحلية" ولا في غيرها من كتب الحديث.

ويغني عنه حديث توسل الضرير وهو حديث صحيح، ولفظه: «**اللهمَّ إني أسألُك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك نبيِّ الرحمة يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقْضَى لي اللهمَّ فشفِّعه فيَّ**». وهذا التوسل وما في معناه جائز لا ينبغي أن يختلف فيه.

لكن العوام توسعوا فيه حتى صاروا يستغيثون بالأولياء والصالحين ويذبحون على قبورهم الهدايا، وذلك كله حرام لا تقره الشريعة؛ فالاستغاثة لا تكون إلا بالله، والهدايا لا تكون إلا للبيت الحرام ولا تذبح إلا عنده، وكان مولانا الإمام الوالد رحمه الله ينهى عن الأكل من الذبائح التي تذبح عند قبور الأولياء.

١٦- «من قلَّد عالمًا لقِيَ الله سالمًا».

ليس بحديث وليس معناه بصحيح على الإطلاق، فإن من عرف الحكم بدليله لا يجوز له العدل عنه إلى التقليد فإن ما تقلد مع علمه بمخالفته للدليل كان آثما غير سالم.

١٧- «الجُمُعةُ لمنْ سَبَقَ».

ليس بحديث وإن ذكره كثير من الشافعية بناء على قاعدة مذهبهم.

ذلك أن الجمعة لا يجوز تعددها عندهم كسائر المذاهب الأربعة لكن حدث تعددها ببغداد في أواخر المائة الثاني للهجرة، والناس في المشرق يصلون الجمعة في جميع المساجد وقفة واحدة عند آذان الظهر على خلاف ما عندنا بالمغرب وقرَّر الشافعية أنَّ الجمعة الصحيحة هي التي يسبق إمامها بتكبيرة

الإحرام وما عداها باطل ولم يعتبروا الجامع العتيق كما اعتبره المالكية فلهذا قالوا: «الجمعة لمن سبق»، أي بتكبيرة الإحرام. ومع أن تعدد الجمعة بدعة دعت إليه الحاجة أو الضرورة أضيف إليها بالمغرب بدع أخرىٰ:

منها: صلاتها بالمساجد مرة بعد مرة علىٰ التعاقب والتوالي.

ومنها: الآذان ثلاث مرات عند صعود الخطيب علىٰ المنبر وهذه البدعة أنشأها ابن حبيب بسبب غلطة في فهم الحديث كما قال ابن العربي.

ومنها: قراءة القرآن أو دلائل الخيرات في المساجد جهرًا وفيه تشويش.

ومنها: رواية الحديث بين يدي الخطيب.

ومنها: الشخص الذي يمشي أمام الخطيب ويناوله العصا بعد الأذان.

ومنها: قعود الخطيب في المقصورة ويحرم نفسه من ثواب المكث في المسجد وهو ثواب كبير.

ومنها: أن بعض الأئمة يخطب الجمعة ويصليها مرتين في مسجدين وهذه البدع لا توجد في البلاد الإسلامية غير المغرب.

١٨- «من تعلَّم لغة قومٍ أمن مكرَهم».

ليس بحديث، لكن ثبت أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود لأنه لا يأمنهم علىٰ كتبه.

وتعلم اللغات الأجنبية واجب كفاية لأنه وسيلة إلىٰ واجبات كفاية، وما أدَّىٰ إلىٰ الواجب فهو واجب.

ومنها: تبليغ الدعوة الإسلامية إلىٰ غير المسلمين.

ومنها: معرفة ما يكتبه المستشرقون من مطاعن في الإسلام والردِّ عليهم.

ومنها: معرفة ما استحدث عند الأجانب من علوم وصناعات نافعة في شئون الحياة المختلفة، لكن مع المحافظة على اللغة العربية والتمكن منها وجعلها لغة رسمية لكلِّ بلد إسلامي لأنه لغة القرآن.

وكان عمر إذا سمع شخصًا يرطن أخذ بعضده وقال له: ابتغ إلى العربية سبيلًا، وأحيانًا كان يعلوه بالدِّرة.

ذلك أن الرطانة بين مسلمين في بلد إسلامي لا معنى له إلا الاستخفاف باللغة العربية ونقص قدرها وتلك خطة سوء يستحق صاحبها التأديب.

١٩- «الفتنةُ نائمةٌ لعنَ اللهُ من أيقَظَها».

رواه الرافعي في "تاريخ قزوين" عن أنس وهو حديث موضوع.

٢٠- «مَنْ عرفَ نفسَه عرفَ ربَّه».

كلام يحيى بن معاذ الرازي وليس بحديث، وللحافظ السيوطي جزء اسمه: "القول الأشبه في حديث من عرف ربَّه" بيَّن فيه أنه ليس بحديث وذكر في معناه أقوالًا.

٢١- «النَّاسُ هلْكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصُون، والمخلصون على خَطَرٍ عظيمٍ».

ذكره الكفراوي في "شرح الآجرومية" وهو كلام سهل بن عبد الله التستريِّ وليس بحديثٍ، ونصب المستثنى بعد الكلام التام الموجب واجب في اللغة الفصحى ويجوز رفعه على الاتباع كما هنا ومنه قراءة ابن مسعودٍ وأبي والأعمش: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُم﴾ [البقرة: ٢٤٩] بالرفع وهي قراءة شاذة.

٢٢- «علماءُ أمَّتي كأنبياءِ بني إسرائيل».

حديث موضوع وإن ذكره ابن العربي الحاتمي في "الفتوحات المكية".

٢٣- «ذِكرُ الصَّالحين كفَّارةٌ».

ذكره الديلمي في "الفردوس" وهو موضوع.

٢٤- «مَنْ قرأَ القُرآنَ مَعْكوسًا أُلْقِي في النَّارِ مَنْكُوسًا».

لا أصل له، لكن لا يجوز قراءة آيات القرآن على عكس ترتيبها في المصحف كما يفعل كثير من القراء فإن أحدهم إذا أراد أن تقضى حاجته فورًا يقرأ (سورة يس) من آخرها بأن يقول: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ويستمر في تنكيسه حتى يختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ٣ - ٤]، ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ - ٢].

يزعمون أن قراءة (يس) بهذا التَّنكيس تسرع بإهلاك العدوِّ وبقضاء الحاجات وكذبوا فيما زعموا.

ويظهر أنَّ الشيطانَ أوحى لهم بهذه الفكرة الخبيثة ليحرِّفوا كلام الله ويفسدوا نظمه ومعناه، ومن المقرَّر بإجماع المسلمين أن ترتيب الآيات في كلِّ سورة بأمر من الله تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فمن نكس (سورة يس) أو غيرها أتى كبيرة من الكبائر لأنه حرَّف ما أمر الله بترتيبه، وأفسد معنى السورة وتقرَّب إلى الله بعبادةٍ باطلةٍ، وأوهم من لا يعلم أن السورة أنزلت منكَّسة.

وحديث: «يس لما قُرِئتْ لهُ». ليس له أصل وإن اشتهر بين الناس.

٢٥- «المؤمنُ حُلوٌ يحبُّ الحلاوةَ». ليس بحديث.

هذا، ومن الكتب التي تكثر فيه الأحاديث الموضوعة:

١- كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي لأن بضاعته في الحديث مُزْجاة كما قال عن نفسه.

ولقد خرج أحاديثه الحافظ العراقي غير أنه كثيرًا ما يطلق الضعيف على الموضوع باعتباره نوعًا منه فيشتبه الأمر على من لا يعرف ذلك، وعقد التاج السبكي في "طبقات الشافعية" فصلًا أورد فيه الأحاديث التي لم يجد لها إسنادًا وهي في "الإحياء".

٢- وكتاب "الكنز المدفون والفلك المشحون" للشيخ يونس السيوطي المالكي من تلامذة الذهبي ونسبته للحافظ السيوطي غلط.

كما نسب إليه كتاب "الرحمة في الطب والحكمة" غلطًا وليس هو له، بل هو تأليف الحكيم المقري مهدي الصبري.

٣- وكتاب "نزهة المجالس" للصفوري وقد أنكر المحدث برهان الدين الناجي على مؤلفه إيراد تلك الأحاديث الموضوعة في كتابه وبعث بها إلى الحافظ السيوطي يسأله عنها فخرج واحد وأربعين منها وهي ما بين واهٍ وموضوع. ثم قال: وما عدا ذلك من الاحاديث المسؤول عنها فمقطوع ببطلانه.

٤- وكتاب "الروض الفائق في المواعظ والرقائق" للشيخ شعيب الحريفيش.

٥- وكتاب "نور الأبصار" للشِّبْلَنجي نسبة إلى شبلنجة بكسر الشين وسكون الموحدة وفتح اللام وسكون النون، قرية بمحافظة القليوبية بمصر.

وفي هذا الكتاب مما يجب التنبيه عليه:

الحكاية المنقولة عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه لما حج وزار الروضة الشريفة وأنشد البيتين المشهورين: في حالة البعد روحي كنت أرسلها...إلخ؛ خرجت اليد الشريفة من القبر فقبلها والناس ينظرون.

وحكىٰ صاحب الكتاب رواية تقول أن هذه الحكاية وقعت للشيخ علي الرفاعي دفين القاهرة وهو مشهور بين العامة بأبي شُبَّاك استنادًا إلىٰ هذه الحكاية، وهي حكاية باطلة مكذوبة لا يجوز ذكرها إلا مع التنبيه عليها وهي مندرجة في الكذب علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ورأيت رسالة منسوبة للسيوطي في تأييد وقوع هذه الحكاية الباطلة.

٦- وكتاب "التحفة المرضية"، وقد خرج أحاديثه شقيقنا أبو الفيض رحمه الله.

٧- وكتاب "قصة الإسراء" المنسوبة لابن عبَّاسٍ وهي مكذوبة عليه.

وكذلك التفسير المنسوب إليه لأنه من رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي وكلاهما كذاب.

والكتب المؤلفة في قصة المولد النبوي جُلُّها يشتمل علىٰ روايات مكذوبة وفيها مع ذلك مجازفات يجِلُّ مقام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عنها، وقراءتها في ليلة المولد لا تجوز لأن فيها مدح الجناب النبويِّ بالكذب وهو حرام.

٨- وكتاب "دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار" ليس فيه صحيح إلا البسملة في أوله.

٩- وكتاب "ينابيع المودة في فضل أهل البيت" مملوء بالموضوعات.

١٠- وكتاب "خزينة الأسرار" كذلك.

وبقيت كتب أخرىٰ ننبه عليها في مناسبة تالية بحول الله تعالىٰ.

٢٥- أحاديث موضوعة (٢)[١]

في العدد رقم (٧) من سنة المجلة الحالية قدمنا للقرَّاء جزءًا من الأحاديث التي لم تصح نسبتها إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد يكون بعضها صحيحًا عن الصحابة، أو التابعين، أو بعض الأئمة من السلف وهي علىٰ كل حال تُعد من قبيل الموضوع؛ لأنها لم تثبت عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وها نحن نقدِّم للقرَّاء الجزء الثاني من هذه الأحاديث برًّا بوعدنا مراعين فيه جانب الاختصار مع الإفادة[٢].

١ - «إذا ثبتت المحبَّةُ سقطتْ شروطُ الأدبِ»: قال الحافظ السخاوي ليس بحديث.

٢ - «اغتسِلُوا يومَ الجُمُعة ولو كأسًا بدينار»: روي عن أنس من كلامه، وفي إسناده راوٍ كذاب، ولكن غسل الجمعة مع هذا سنَّة مؤكدة لا ينبغي تركها بل قال جماعة الصحابة بوجوب غسل الجمعة لحديث: «**غُسلُ الجُمُعة واجبٌ على كلِّ مُحتَلم**» وأول الجمهور الوجوب في هذا الحديث بتأكيد السنية واستدلوا علىٰ تأويلهم بحديث آخر جاء فيه: «**مَنْ توضَّأ يومَ الجُمُعة فبِها ونعمتْ ومَن اغتَسلَ فالغُسلُ أفضلُ**». وناقشهم القائلون بالوجوب بما لا يحتمله هذا المكان.

---

(١) الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد ٢٨، ٢٣ صفر ١٣٦٨ هـ.

(٢) من المجلة.

٣- «آخرُ ما تكلَّم به إبراهيمُ حينَ أُلقي في النَّار حَسْبي اللهُ ونعمَ الوكيلُ»: هو من كلام ابن عبَّاسٍ وليس بحديث مرفوع إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

٤- «أنفِقْ ما في الجَيْبِ، يأتيكَ ما في الغَيْبِ»: ليس بحديث، لكن قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وروىٰ الطبراني وغيره: أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عاد بلالًا في بيته فجاء سائل يسأل فردَّه بلال ولم يعطه شيئًا فنظر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ جانب البيت فإذا فيه صبرة من تمر فاستنكر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ بلال أن يرد السائل وعنده هذا التمر فقال يا رسول الله: هذا تمر أعددته لفطري فإني صائم فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنفقْ بلالًا ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالًا**».

٥- «ارحموا من النَّاس ثلاثةً: عزيزَ قومٍ ذَلَّ وغنيَّ قومٍ افتقَرَ وعالمًا بين جُهَّال»: أورده ابن الجوزي في "الموضوعات".

٦- «اتَّقوا البرْدَ فإنَّه قتلَ أخاكُم أبا الدَّرداء»: حديث باطلٌ.

٧- «تزوَّجُوا فقراءَ يغنِكم الله»: قال ابن مشحم في "النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة": «يدور علىٰ ألسنة العوامِّ ومعناه صحيح».اهـ

أي: لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾[النور: ٣٢].

٨- «**تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِن عِبادةِ سَنةٍ**». لم يثبت مرفوعًا ونسب إلىٰ ابن عبَّاسٍ، وأبي الدرداء والصحيح أنه من كلام السري السقطي أستاذ الجنيد.

٩- «حُبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خَطِيئةٍ»: من كلام مالك بن دينار الزاهد المعروف ونسب إلىٰ عيسىٰ عليه السلام «حسناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقرَّبين» ليس بحديث كما قال الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة".

١٠- «حدِّثوا النَّاس بما يعرفُون أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه». هو من كلام علي عليه السلام

١١- «الحزمُ سُوءُ الظَّنِّ». وفي لفظ: «إنَّ مِن الحزْمِ سوءَ الظَّنِّ»: من كلام عمر رضي الله عنه وروىٰ عن علي أيضًا «الحيُّ أفضلُ من الميِّتِ» كلام يدور علىٰ ألسنة العوام وهو باطل مبنىٰ ومعنىٰ.

١٢- «حبُّ الوَطنِ مِنَ الإيمانِ»: ليس بحديث وللصوفية في شرح معناه بحث طويل لا يتسع المقام لذكره.

١٣- «خابَ قومٌ لا سفِيهَ لهم»: قال الحافظ السخاوي هو من كلام ابن مكحول التابعي المشهور.

١٤- «خيُر البرِّ عاجِلُهُ»: رُوي عن ابن عبَّاسٍ من قوله: «خيرُ الأمورِ أوْساطُها» رواه ابن جريرٍ في تفسير من كلام مطرف بن عبدالله، ومن كلام يزيد بن مرة الجعفي...

١٥- «الخيَرَةُ فيما اختارهُ الله»: وكذلك «الخيرة في الواقع» ليسا بحديثين.

١٦- «دارِهِمّ ما دُمتَ في دارِهم»: ليس بحديث.

١٧- «الرُّجوعُ إلىٰ الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطِلِ»: من كلام عمر رضي الله عنه.

١٨- «سِياسة النَّاس أشدُّ من سياسة الدَّوابِّ»: من حكم الإمام الشافعي.

١٩- «سؤر المؤمنِ شِفَاءٌ»: ليس بحديث.

٢٠ «السَّفر يُسفر عن أخلاقِ الرِّجَالِ»: من كلام عمر رضي الله عنه.

٢١- «الصَّبر على المُعسِر صدقةٌ»: ليس بحديث وفي القرآن الكريم: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] «عند ذِكرِ الصَّالحين تنزلُ الرَّحمةُ» ليس بحديث وقيل إنه من كلام سفيان بن عيينة.

٢٢- «القلبُ بيتُ الرَّبِّ»: كلام صوفي وليس بحديث.

٢٣- «كلُّ طويلِ اللِّحيةِ قليلُ العقلِ»: ليس بحديث.

٢٤- «كلُّ قصيرٍ فتنةٌ» وكذلك «اتَّقوا شرَّ ما قرُبَ من الأرضِ»: ليسا بحديثين.

٢٥- «كلُّ ناشِفٍ طاهرٌ»: ليس بحديث.

٢٦- «لو كان الأرز رجلًا لكان رجلًا حليمًا»: حديث باطل.

٢٧- «ربيع أمَّتي العنبُ والبِطِّيخُ»: رواه أبو عمرو النوقاني في كتاب "فضل البطيخ" وهو حديثٌ باطلٌ، مع أنه موجود في "الجامع الصغير" للسيوطي.

٢٨- «ما أفلحَ صاحبُ عيال قطُّ»: من كلام سفيان بن عيينة يعني أن العيال تشغل الشخص وتلهيه عن الاتصال بالله.

٢٩- «ما رفع أحدٌ أحدًا فوقَ مقداره إلا واتَّضع عنده بأزْيدَ» ليس بحديث.

٣٠- «من مزَح استُخِفَّ به»: من كلام عمر رضي الله عنه.

٣١- «من قال أنا عالمٌ فهو جاهلٌ» من كلام عمر، وللسيوطيِّ في إبطاله

رسالة اسمها "أعزب المناهل في حديث من قال أنا عالم فهو جاهل" وحاصل ما علل به الحديث في هذه الرسالة: أن رفعه وهم من راويه ليث بن أبي سليم فقد كان مختلطًا رفَّاعًا للموقوفات.

٣٢- «ما أفلح سَمينٌ قطُّ»: نسبه القاري إلى الإمام الشافعي .

٣٣- «ما كثُر آذان بلدة إلا قلَّ بردُها»: ليس بحديث قال السخاوي ويروى عن علي يعني من كلامه لكنه لم يصح.

٣٤- «من أحبَّكَ لشيء ملَّكَ عند انقِضائه»: من كلام بعض الحكماء.

٣٥- «من استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان» من كلام الإمام الشافعي.

٣٦- «من سلك مسالك التُّهم اتُّهِم»: من كلام عمر رضي الله عنه.

٣٧- «من كتم سرَّه ملَك أمرَه»: من كلام عمر أيضًا.

٣٨- «من لانت كلمته وجبت محبته»: من كلام علي كرم الله وجهه.

٣٩- «من عرف نفسه عرف ربه»: من كلام يحيى بن معاذ الرازي، وللسيوطي في هذا الكلام رسالة خاصة اسمها "القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه".

٤٠- «من بورك له في شيء فلْيلزمه» من كلام عائشة أم المؤمنين.

٤١- «من أتتْه هديةٌ وعنده قومٌ جلوسٌ فجلساؤه شركاءُ فيها» ذكره ابن الجوزي في الموضوعات والصحيح أنه موقوف على ابن عبَّاسٍ.

٤٢- «ما تبعُد مصرَ عن حبيبٍ» من كلام ذي النون المصري الصوفي الزاهد الشهير.

٢٦- حول الإسراء والمعراج[١]

لا أريد أن أكتب في صميم الموضوع فقد وفَّاه الكتاب والمحاضرون في مقالاتهم ومحاضراتهم ما يستحق من عناية وتمحيص، وبينوا وجه الإعجاز في هذه الآية الكبرىٰ التي اختص الله بها نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإنما أريد أن أنبِّه علىٰ أغلاط وقع فيها معظم المتكلمين في هذا الموضوع إن لم نقل كلهم والذي يحضرني منها الآن ما يلي:

١- يذكرون أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان ليلة الإسراء نائمًا في بيت أمِّ هانئ بنت أبي طالب، وربما يزيد بعضهم علىٰ هذا أنها كانت زوجَه وهذا خطأ مزدوج فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان في تلك الليلة نائمًا في المسجد الحرام كما ثبت في "صحيح البخاري"، وأمُّ هانيء لم تكن قط من أمهات المؤمنين؛ نعم عرض عليها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد الهجرة أن تتزوَّجه فاعتذرت بشدة غيرتها فقبل عذرها.

٢- يذكرون أن التحيات التي تقال في تشهد الصلاة شرعت في ليلة المعراج أثناء مراجعة بين الله ونبيِّه وهذا غير صحيح، فالتحيات إنما شرعت بعد الهجرة وكان الناس قبلها يسلمون علىٰ أهليهم وأقاربهم فيقولون السلام علىٰ فلان السلام علىٰ فلان، ثم يخرجون من الصلاة هكذا ثبت في الأحاديث الصحيحة.

٣- يذكرون أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عرج به في معراج من

---

(١) الشرق العربي، السنة الثامنة، العدد (٦) ٩ شعبان ١٣٧٢.

ذهب وهذا لم يثبت في شيء من الأحاديث الصحيحة.

٤- يقولون أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما عرج إلىٰ حيث شاء الله استوحش فسمع صوت أبي بكر رضي الله عنه فاستأنس واطمأنَّ.

وهذا غير صحيح، بل هو باطلٌ سندًا ومنكرٌ من جهة المعنىٰ؛ لأن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يستأنس بغير مولاه ولا يستوحش بالقرب من حضرته.

ولهذه المناسبة أذكر أن العلماء قرروا أن ليلة المعراج أفضل الليالي في حق النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما حصل له فيها من أنواع القرب والاختصاص كما أن ليلة المولد النبويِّ أفضل بالنسبة للأمة.

٥- يذكرون أن جبريل عليه السلام ترك النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين وصلا إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وهذا غير صحيح بل جبريل لم يتركه في تلك الليلة لحظة واحدة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

٦- يذكرون أن جبريل كان ممسكًا بركاب البراق والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم راكب وهذا غير صحيح، بل ثبت أنهما كانا راكبين معًا ذهابًا وإيابًا.

هذا ما عنَّ لي أن أثبته من الأغلاط التي ألصقت بهذه الليلة العظيمة ونرجو أن يوفقنا الله إلىٰ كتابة قصة الإسراء والمعراج خالية مما أدرج فيها من الأكاذيب والموضوعات، والله الموفق.

٢٧- الأحاديث الموضوعة في رمضان[١]

فكرت إدارة المجلة بمناسبة شهر رمضان المعظَّم أن تصدر عددًا خاصًا بأحكام الصيام وفضائله وما يتعلق بذلك من مناسبات وتتمات.

وهي فكرة جميلة مجدية تفيد القراء في كثير من النواحي المتعلقة بهذا الشهر المقبل العظيم، وقد عهدت إليَّ الإدارة أن أقوم بقِسط من الواجب في عددها الممتاز فلم أر أحسن من أن أنبِّه على أحاديث موضوعة ليجتنبها القرَّاء إن رأوها في كتاب، أو سمعوها من واعظ مثلًا، ثم أعقبها بذكر أحاديث ضعيفة يجوز العمل بها في مثل هذا الباب باتفاق العلماء إلا من شذ منهم، فإن كان الحديث يقتضي إثبات شيء لا يكتفي فيه بالحديث الضعيف نبَّهت على ذلك، ولم أرَ أن أتعرَّض للأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع لأنها- فضلًا عن كونها مشهورةً ذائعةً- سيتناول معظمها إخواني كتاب المجلة بالشرح والتبيين ويستقون من معينها كل على حسب قابليَّته واستعداده، على أنَّ الاعتناء بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في حدٍّ ذاته مهمٌّ جليلٌ، وقد ثبت عن إسحاق بن راهويه أنه كان يحفظ أربعة آلاف حديث موضوعة، وثبت عن البخاري أنه كان يحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، وذكر ابن حِبَّان في كتاب "الضعفاء" أنه كتب عن أحمد بن محمد بن عمرو بن مصعب المروزي أكثر من ثلاثة آلاف حديث كلها مقلوبة إلى غير هذا مما يطول تتبُّعه، ولنشرع فيما قصدنا إليه، وبالله التوفيق.

فمن الأحاديث الموضوعة: ما روي عن أنسٍ مرفوعًا: «إذا كان أوَّلُ ليلة

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الخامسة، العدد (٣٤) ٢٨شعبان ١٣٥٥ .

من شهر رمضان نادىٰ الجليلُ رضوانَ خازنَ الجنَّةِ، فيقول: لبَّيك ربِّ وسعديك، فيقول: هيِّئْ جنَّتي وزيِّنْها للصائمين من أمَّة أحمدَ، ولا تُغلقْها عنهم حتَّىٰ ينقضي شهرُهم، ثم ينادي: يا جبريلُ، فيقول: لبَّيك ربِّ وسَعَديك، فيقول: انزِل إلىٰ الأرض فغُلَّ مرَدَة الشَّياطين عن أمَّة أحمدَ لا يُفسِدوا عليهم صِيامهم، ولله في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ عند طلوع الشَّمس وعند وقتِ الإفطار عُتَقاءُ يعتقهم من النَّار عبيدٌ وإمَاءٌ، وله في كلِّ سماءٍ ملَك ينادي عرْفُه تحت عرش ربِّ العالمين، ورجلُه في تُخُوم الأرض السابعة، جناحٌ له بالمشرق مُكَلَّل بالمَرْجان والدُّر والجَوْهر، وجناحٌ له بالمغرب مُكَلَّلٌ بالمرجان والدُّر والجوهر، ينادي: هل من تائبٍ يُتاب عليه، هل من داعٍ يُستجاب له، هل من مظلومٍ فيُنصَر، هل من مستغفرٍ يُغفر له، هل من سائل يُعطىٰ سُؤلَه، والرَّبُّ تعالىٰ ينادي الشَّهر كلَّه عبيدي وإمائي أبشروا أَوشكَ أن تُرفع عنكم المؤنات وتُفْضوا إلىٰ رحمتي وكرامتي، فإذا كانت ليلةُ القدر ينزل جبريلُ في كَبْكبة من الملائكة يصلُّون علىٰ كلِّ عبدٍ قائمٍ وقاعدٍ يذكرُ الله تعالىٰ، فإذا كان يومُ فِطرِهم باهَىٰ بهم الملائكةَ فيقول: يا ملائكتي ما جزاءُ أجِيرٍ وفَّىٰ عملَه؟ قالوا: جزاؤُه أن يوفىٰ، قال: عبيدي وإمائي قضوا فريضَتي عليهم ثُمَّ خرجوا يعجُّون إليَّ بالدُّعاء، وعزَّتي وجلالي، وكبريائي وعُلُوِّي وارتفاعِ مكاني، لأُجيبُهم اليومَ: ارجِعوا فقد غفرتُ لكم وبدَّلت سيئاتِكم حسناتٍ فيرجِعون مغفورًا لهم».

هذا حديثٌ موضوعٌ، رواه عن أنسٍ ثلاثة كلهم هَلْكَىٰ: أصرم، وأبان، وعباد بن عبدالصمد، وهذا الأخير لم يكتف بهذا القَدْر من الكذب فزاد علىٰ

صاحبيه زيادةً طويلةً أعرضنا عنها اختصارًا.

ومن الأحاديث الموضوعة: ما روي عن أبي مسعود الغفاري أنه سمع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول وقد أهلَّ رمضان: «لو علِم العبادُ ما رمضان لتمنَّت أمتي أن يكونَ رمضان السنةَ كلّها، فقال رجل من خزاعة حدِّثنا به، قال: إنَّ الجنة تزيَّن لرمضانَ من رأس الحول إلىٰ الحول، حتَّىٰ إذا كان أول يوم من رمضان هبَّت ريحٌ من تحت العرش فصفقت ورق الجنة، فينظر الحورُ العين إلىٰ ذلك فقلْنَ: يا ربِّ اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجًا تقرّ أعيننا بهم، و تقر أعينهم بنا، قال: فما من عبد يصومُ إلا زوِّج زوجة من الحور العين في خيمة من درَّة مجوَّفة مما نعت الله ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] علىٰ كلِّ امرأة منهنَّ سبعون حُلَّةً، ليس فيها حلَّةٌ علىٰ لون الأخرىٰ، ويُعطىٰ سبعون لونًا من الطِّيب، ليس منها ريحٌ علىٰ ريحِ الآخر، لكلِّ امرأة سريرٌ من ياقوتة حمراء موشَىٰ بالدر، علىٰ كل سرير سبعون فراشا بطائنُها من استبرق، وفوق السبعين فراشًا سبعون أريكةً، لكلِّ امرأة منهن سبعون ألفِ وصيفةً، لحاجتها وسبعون ألفِ وصيفٍ مع كلِّ وصيفةٍ صحفةٌ من ذهب فيها لون طعام، يجد لآخر لقمة منها لذة لا يجد لأوَّله، ويعطي زوجها مثل ذلك علىٰ سرير من ياقوت أحمرَ عليه سُواران من ذهبٍ موشَىٰ بياقوتٍ أحمرَ، هذا بكلِّ يومٍ صامَ من رمضانَ سوىٰ ما عمل من الحسناتِ».

هذا حديثٌ موضوعٌ في سنده جرير بن أيوب البجلي، قال أبو نعيم: كان يضع الحديث. وأخرجه ابن أبي الصقر الأنباري من حديث أبي شريك

الغفاري، وفي سنده الهيَّاج بن بِسطام وهو متروك.

ومنها: ما روي عن أبي هريرة مرفوعًا: «إذا كان أولُ ليلةٍ من شهر رمضانَ نظر اللهُ إلى خلقِه الصيام، وإذا نظر الله إلى عبدٍ لم يعذِّبْه أبدًا، ولله عزَّ وجلَّ في كلِّ يوم ألفُ ألفِ عتيقٍ من النَّار، فإذا كان ليلةُ النِّصفِ من شهر رمضانَ أعتَق الله فيه مثلَ جميعِ ما أعتقَ، وإذا كان ليلةُ خمسٍ وعشرين أعتق الله فيها مثلَ جميعِ ما أعتق، وإذا كانت ليلة تسعٌ وعشرين أعتق فيها مثلَ جميعِ ما أعتق في الشَّهر كلِّه، وإذا كانت ليلةُ الفطر ارتجَّت الملائكة وتجلَّى الجبَّار تعالى بنوره مع أنَّه لا يصفُه الواصفُون، فيقول للملائكةِ وهم في عيدِهم من الغد يوحي إليهم: يا معشرَ الملائكةِ ما جزاءُ الأجير إذا وفَّى عمله؟ فتقول الملائكة: يوفَّى أجرَه. فيقول الله تعالى: أشهدكم أني قد غفرتُ لهُم». هذا حديث موضوع في سنده عثمان بن عبد الله القرشي هو المتهم به وقد كان وضَّاعًا.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «أنَّ الله تعالى أوحى إلى الحفَظة ألَّا تكتبُوا على صُوَّام عبيدي بعدَ العصْرِ سيِّئةً». هذا حديث موضوع، وضعه إبراهيم ابن عبد الله المخرمي الدقاق كما قاله الدارقطني.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ أذِن للسماوات والأرض أن تتكلَّم لبشَّرت الذي يصومُ شهر رمضان بالجنَّة». وضعه أبو هدبة وسرقه منه أبو هرمز.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «إنَّ لله تعالى في كل ليلة من رمضان ستَّمائة ألف عتيقٍ من النَّار كلُّهم قد استوجبوا النَّار». هذا الحديث بهذا اللفظ موضوع، وآفته أزور بن غالب، وللحديث طرق واهية في بعض ألفاظها

ركاكة بيِّنة.

والصحيح من ذلك عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«إنَّ لله عزَّ وجلَّ عتقاءَ عند كلِّ ليلةٍ من رمضان»**.

ومنها: ما روي عن أبي أمامة وواثلة وعبد الله بن بشر، سمعوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إنَّ الجنة لتزيَّن من الحول إلىٰ الحول لرمضان، من صان نفسَه ودينه في شهر رمضان زوَّجه الله من الحور العين، وأعطاه قصرًا من قصور الجنة، ومن عمل سيئة أو رَمىٰ مؤمنًا ببهتان أو شرب مسكرًا في شهر رمضان أحبط الله عمله سنةً». ثم قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اتَّقُوا شهر رمضان لأنَّه شهر الله، جعل الله لكم أحد عشر شهرًا تشبعون فيها وتروون، وشهر رمضان شهر الله فاحفَظوا فيه أنفسَكم». هذا بهذا اللفظ موضوع في سنده محمد بن إسحاق الأسدي كذاب.

وقد صحَّ عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: **«مَن صامَ رمضانَ وعرفَ حُدودَه وتحفَّظ ما ينبغي له أن يتحفَّظ كفر ما قبله»**.

وصحَّ عن أبي هريرة مرفوعًا: **«مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والجهلَ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامَه وشرابَه»**.

وعنه أيضًا مرفوعًا: **«ليس الصيامُ من الأكل والشرب، إنَّما الصيام من اللغو والرَّفَث»** الحديث.

وصحَّ عن ابن عمر مرفوعًا: **«ما من أحد يشربُها -يعني: الخمر- فتقبَل له صلاةٌ أربعين ليلة ولا يموت وفي مثانَته منها شيء إلا حرمت بها عليه الجنة، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهليَّة»**.

ومن الأحاديث الموضوعة: ما روي عن الحسين بن عليٍّ عليهما السلام عن أبيه مرفوعًا: «من اعتكف عشرًا في رمضان عدلْنَ حَجَّتين وعُمرتين». هذا موضوع وآفته عنبسة بن عبد الرحمن القرشي كان يضع.

ومنها: ما روي عن أبي هريرة مرفوعًا: «من صام رمضان في إنصاتٍ وسكون وكفَّ سمعه وجوارحه من الحرام والكذب اقترب الله عزَّ وجلَّ منه يوم القيامة حتىٰ تمسَّ ركبتُه ركبةَ إبراهيمَ عليه السلام». هذا موضوع، في سنده السري بن سهل متَّهم بالوضع.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «من أفطر علىٰ تمرةٍ من حلال زِيد في صلاته أربعمائة صلاةٍ». موضوع، في سنده موسىٰ الطويل يضع.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «من تأمَّل خلقَ امرأةٍ حتىٰ يتبيَّن حجم عظامها ورأىٰ ثيابَها وهو صائم فقد أفطرَ». في سنده الحسن بن علي العدوي وشيخه خراش بن عبد الله وهما كذابان.

ومنها: ما روي عن جابر مرفوعا: «من أفطر يومًا في شهر رمضان في الحضر فلْيهد بدنةً، فإن لم يجد فلْيطعم ثلاثين صاعًا من تمر المساكين». في سنده مقاتل بن سليمان كذاب.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «تدرون لم سمِّي رمضان لأنه ترمضُ فيه الذُّنوب، وإن في رمضان ثلاثَ ليال من فاتته فاته خيرٌ كثيرٌ ليلة سبعة عشر، وليلة تسعة عشرة، وليلة إحدىٰ وعشرين، وآخر ليلة فقال: يا رسول الله هي سوىٰ ليلة القدر؟ قال: نعم، ومن لم يغفر له في شهر رمضان ففي أيِّ شهر يغفر له؟!» فيه زياد بن ميمون كذاب .

ومنها: ما روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب السماء فلا يغلق منها باب حتى يكون آخر ليلة من رمضان، وليس عبد مؤمن يصلي في ليلة إلا كتب الله له ألفًا وخمس مائة حسنة بكلِّ سجدة، وبنى له بيتًا في الجنة من ياقوتة حمراء لها ستُّون ألف باب لكلِّ باب منها قصر من ذهب، مُوشَّحٌ بياقوتة حمراء، فإذا صام أول يوم من رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه إلى مثل ذلك اليوم من شهر رمضان، واستغفر له كل يوم سبعون ألف ملك من صلاة الغداة إلى أن توارتْ بالحجاب، وكان له بكل سجدة يسجدها في شهر رمضان بليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها خمس مائة عام».

ومنها: ما روي عن ابن عبَّاسٍ: أنه سمع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إن الجنة لتبختَر وتزيَّن من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبَّت ريح من تحت العرش يقال لها المثِيرة، فتصفق ورق أشجار الجنان وحِلَق المصاريع فيُسمع لذلك طنينٌ لم يسمع السامعون أحسن منه».

وذكر حديثًا طويلا أورده في "الترغيب والترهيب" بتمامه، وقال: «ليس في إسناده من أجمع على ضعفه».

وهو موضوع بلا شك، غير أني لست أدري الآفة فيه من أي رواته؟ ثم أغلب ألفاظه مأخوذ من حديث الهياج بن بسطام فلعل أحد رواته سرقه منه وزاد فيه، والمتروكون يسرق بعضهم أحاديث بعض.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «خمس يُفطرن الصائم ويَنقضن

الوضوء: الكذب، والنميمة، والغيبة، والنظر بشهوة، واليمين الكاذبة».

موضوع، في سنده كذاب وثلاثة مجروحون.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا أيضًا: «تدرون لِمَ سمي شعبان؟ لأنه يتشعَّب فيه لرمضان خير كثير، وإنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي: يذيبُها من الحر». موضوع وضعه زياد بن ميمون.

وفي هذا القدر كفاية، وسنتكلم على الأحاديث الضعيفة في العدد الآتي إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

٢٨- أحاديث موضوعة تختص بشهر رمضان والصيام[١]

هذه بعض أحاديث وضعها الوضَّاعون في فضل شهر رمضان المعظَّم أردنا أن نتحف القرَّاء ببيانها خدمة للعلم وقيامًا ببعض الواجب في نفي الكذب عن أحاديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنقول وبالله التوفيق.

منها: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من صام رمضان في إنصات وسكون وكف سمعه وجوارحه من الحرام والكذب، اقتراب الله عزَّ وجلَّ منه يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم عليه السلام».

رواه الديلمي في "مسند الفردوس" وفي سنده السري بن سهل عن عبدالله بن رشيد، قال البيهقيُّ: «لا يحتج به ولا بشيخه».اهـ، وقال الحافظ السيوطي في "ذيل اللآلي": «السري بن سهل متهم».

ومنها حديث أنس مرفوعًا: «تدرون لم سمي شعبان لأنه يتشعب فيه لرمضان خير كثير، وإنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يذيبها من الحر». رواه أبو الشيخ في كتاب "الثواب"، وفي سنده زياد بن ميمون كان كذابًا اعترف على نفسه بالوضع وتاب ثم نقض التوبة وعاد إلى التحديث بالموضوعات.

وروى الصباح بن سهل وهو ضعيف عن زياد بن ميمون، عن أنس مرفوعًا: «ليس من امرأة تحمِل حملًا إلا كان لها كأجر القائمِ الصائم المخبِت، فإذا وضعت كان لها بكلِّ رضعة عتق رقبة، والرجل إذا جامع زوجته واغتسل باهى الله به الملائكة». هذا من كذب زياد.

(١) مجلة الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد (٧) سنة ١٣٦٧.

ومنها: حديث أنس مرفوعًا: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادىٰ الجليل رضوان خازن الجنة فيقول: لبيك وسعديك فيقول هيئ جنتي وزينها للصائمين من أمة أحمد ولا تغلقها عنهم حتىٰ ينتهي شهرهم...» وذكر حديثًا طويلًا.

رواه ابن حِبَّان في كتاب "الضعفاء" من طريق أصرم بن حوشب قاضي همدان وقال: «كان يضع الحديث علىٰ الثقات».

ورواه العقيلي في "الضعفاء" من طريق عباد بن عبد الصمد عن أنس، وعباد واه، ومن عجيب أمره أنه شيعي بصري مع أن أهل البصرة يغلب عليهم الانحراف عن أهل البيت كأهل الشام والأندلس.

ورواه أيضًا الديلمي من طريق أبان عن أنس به، وأبان هو ابن أبي عياش متروك الحديث وإن كان في نفسه رجلًا صالحًا.

ومنها: حديث أنسٍ مرفوعًا: «إن الله تبارك وتعالىٰ ليس بتارك أحد من المسلمين صبيحةَ أوَّل يومٍ من شهر رمضان إلا غَفر له». رواه الخطيب في "التاريخ" من طريق سلام الطويل عن زياد بن ميمون عن أنس، وسلام متروك، وزياد كذاب.

ومنها: حديث أبي مسعود الغفاري قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم وأهل رمضان فقال: «لو يعلم العباد ما رمضان لتمنت أمتي أن تكون السَّنةُ كلُّها رمضانَ». فقال رجل من خزاعة: يا نبي الله حدثنا فقال: «إن الجنة لتزين لرمضان من رأس الحول إلىٰ الحول فإذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت، فصفقت ورق أشجار الجنة» وذكر بقية الحديث.

وهو بتمامه في كتاب "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري، رواه أبو الشيخ وأبو يعلىٰ وابن خزيمة والبيهقي، وفي سندهم جميعًا جرير بن أيوب البجلي؛ واه. قال أبو نعيم كان يضع الحديث.

وأسند الذهبي في "الميزان" من طريق جرير هذا عن محمد بن أبي ليلىٰ، عن محمد بن أبي إسحاق، عن مسروق، عن عائشة مرفوعًا: «ما من عبد أصبح صائمًا إلا فتحت له أبواب السماء وسبَّحت أعضاؤُه واستغفر له أهل السماء الدنيا إلىٰ أن تتوارىٰ بالحجاب، فإن صلىٰ ركعة أو ركعتين تطوُّعًا أضاءت له السموات نورًا وقال أزواجه من الحور العين: اللهم اقبضْه إلينا فقد اشتقنا إلىٰ رؤيته وإن هلَّل أو سبح تلقاها سبعون ألف ملك يكتبونها إلىٰ أن تتوارىٰ بالحجاب». ثم قال الذهبي: «هذا موضوع علي ابن أبي ليلىٰ» يريد بذلك أن ابن أبي ليلىٰ وإن كان ضعيفًا فإنه لا يحتمل مثل هذا الحديث البين النكارة.

ومنها: حديث أنس مرفوعًا: «إن لله تعالىٰ في كلِّ ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار كلُّهم قد استوجبوا النَّار». رواه ابن حِبَّان في "الضعفاء" وقال: «باطل لا أصل له».

قلت: لأن في سنده الأزور بن غالب منكر الحديث. ومن بلاياه ما رواه عن سليمان التميمي عن ثابت عن أنس مرفوعًا: «لله في كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار».

وفي هذا القدر كفاية ولعلنا نعود إلىٰ بقية الأحاديث الموضوعة نبينها بحول الله.

٢٩- الأحاديث الضعيفة في رمضان(١)

انتهينا في العدد الماضي مما أردنا ذكره من الأحاديث الموضوعة في فضل رمضان، ونريد أن نثبت في هذا العدد ما تيسر من الأحاديث الضعيفة على نمط ما سبق، وبالله التوفيق.

فمنها: ما رواه البزار، والطبراني في "الأوسط"، والبيهقي في "شعب الإيمان" عن أنس: أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا دخل رجب قال: «**اللهم باركْ لنا في رجب وشعبان، وبلِّغنا رمضان**». ضعفه البيهقي لأن في سنده زائدة بن أبي الرقاد، وهو ضعيف.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الكبير" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا أخبرُكم بأفضلِ الملائكةِ جبريلُ، وأفضلُ النبيين آدمُ، وأفضلُ الأيام يومُ الجمعة، وأفضل الشهور شهرُ رمضانَ، وأفضلُ الليالي ليلة القَدْرِ، وأفضلُ النِّساءِ مريمُ بنت عِمرانَ**». هذا الحديث ضعيفٌ جدًا فيه نافع أبو هرمز.

وقد علم بالدلائل القطعية أن أفضل النبيين والمرسلين هو نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وثبت في صحيح الأدلة أن مريم عليها السلام أفضل نساء عالمها فقط، فلا يشمل ذلك جميع النساء بما فيهن فاطمة عليها السلام، وخديجة وعائشة رضي الله عنهما، وفي أفضلية جبريل على غيره من الملائكة خلاف. والمقصود أن الحديث المذكور ليس مما يعمل به بما فيه له اتصال بالمعتقدات.

---

(١) مجلة الإسلام السنة الخامسة العدد (٣٥) ٦من رمضان ١٣٥٥.

ومنها: ما رواه البزار والبيهقي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**سيِّد الشهورِ شهرُ رمضانَ وأعظمُها حرمةً ذو الحجَّة**». في سنده يزيد بن عبد الملك النوفلي؛ ضعيف.

ومنها: ما رواه أحمد والبزار والبيهقي في "الشعب" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أعطيت أمتي خمسَ خِصالٍ في رمضان لم تعطهنَّ أمةٌ قبلهم، خَلُوف فَمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريحِ المسك، وتستغفر لهم الحيتان حتى يُفطروا، ويزيِّن الله عزَّ وجلَّ كلَّ يوم جنته ثم يقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤْنة ويصيروا إليك، وتصَفَّد فيه مردةُ الشياطين فلا يخلُصوا فيه إلى ما كانوا يخلُصون إليه في غيره ويغفر لهم في آخر ليلة**». قيل: يا رسول الله، أهي ليلة القدر؟ قال: «**لا، ولكن العامل إنَّما يوفَّى أجرَه إذا قضى عمله**».

ورواه أيضا أبو الشيخ ابن حيان في كتاب "الثواب" غير أنه قال: «**وتستغفر لهم الملائكة**» بدل الحيتان. وفي سند الحديث هشام بن زياد أبو المقدام؛ ضعيف.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الكبير" عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال يومًا وحضر رمضان: «**أتاكم رمضانُ شهر بركةٍ يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحطُّ الخطايا، ويستجيبُ فيه الدعاء ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ويُباهي بكم ملائكتَه فأروا الله من أنفسكم خيرًا، فإن الشقيَّ من حُرم فيه رحمة الله عزَّ و جلَّ**». في إسناده مجهول.

ومنها: ما رواه ابن ماجه أواخر كتاب الحج من "سننه" عن ابن عبَّاسٍ

قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ فَصَامَهُ وقامَ مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ، كَتَبَ الله لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهَا، وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ، وَكُلِّ لَيْلَةٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ، وَكُلِّ يَوْمٍ حُمْلَانَ(١) فَرَسٍ فِي سَبِيلِ الله، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ حَسَنَةً، وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ حَسَنَةً».

تفرَّد به ابن ماجه، وإسناده ضعيف جدًّا؛ لأن فيه عبد الرحيم بن يزيد العمِّي؛ متروك، وكذَّبه ابن معين، عن أبيه وهو ضعيف.

ومنها: ما رواه ابن خزيمة، ومن طريقه البيهقي، عن سلمان الفارسي قال: خطبنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيُّها النَّاس قد أظلَّكم شهرٌ عظيمٌ مباركٌ، شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ جعل الله صيامَه فريضةً، وقيام ليله تطوُّعًا، من تقرَّب فيه بخصلةٍ كان كمَن أدَّى فريضةً فيما سواه، ومن أدَّى فريضة فيه كان كمن أدَّى سبعين فريضةً فيما سواه، وهو شهرُ الصَّبر والصَّبر ثوابُه الجنَّة، وشهرُ المواساة، وشهرٌ يُزاد في رزق المؤمنِ فيه، من فطَّر فيه صائمًا كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبته من النَّار، وكان له مثلُ أجره من غير أن يُنتَقص من أجرِه شيءٌ». قالوا يا رسول الله: ليس كلُّنا نجد ما نفطر به الصائم! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يعطي الله هذا الثواب من فطَّر صائمًا على تمرة، أو شَربة ماء، أو مَذْقة لبن، وهو شهر أوَّله رحمة، وأوسطُه مغفرة، وآخرُه عتق من النَّار، من خفَّف عن مملوكه فيه غفرَ اللهُ له وأعتقَهُ من النار، فاستكثروا فيه من أربعِ خصالٍ: خصلتين ترضُون بهما ربَّكم،

(١) «حُمْلان» بضمِّ الحاء وسكون الميم: أحد مصادر حمل، والمعنى: أنه يكتب له في كل يوم ثواب حمل فرس في سبيل الله، يعني في الجهاد.

وخصلتين لا غناءَ بكم عنهما، فأما الخصلتان اللَّتان ترضُون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنَّة، وتعوذون به من النَّار، ومن سقى صائمًا سقاه الله من حوْضي شربةً لا يظمأ حتَّى يدخلَ الجنَّة». في سنده علي بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الأوسط"، والبيهقي في "الشعب" عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ذاكرُ الله في رمضانَ مغفورٌ له، وسائلُ الله فيه لا يخِيب**». في سنده هلال بن عبد الرحمن؛ ضعيف.

ومنها: ما رواه ابن خزيمة في "صحيحه"، والبيهقي في "الشعب"، والطبراني في "الأوسط"، عن أنس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **ماذا يستقبِلُكم وتستقبِلُونه ثلاثَ مراتٍ**». فقال عمر: يا رسول الله وحيٌ نزل؟ قال: «**لا**»، قال: عدوٌّ حضر؟ قال: «**لا**»، قال: فماذا؟ قال: «**إنَّ الله يغفرُ في أوَل ليلةٍ من شهرِ رمضانَ لكلِّ أهلِ هذه القبلةِ**». وأشار بيده إليها. فجعل رجل بين يديه يهزُّ رأسه ويقول: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله صلى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا فلانُ كأنَّه ضاقَ به صدرُك؟**» قال: لا، ولكن ذكرت المنافق، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المنافقُ كافرٌ وليس لكافرٍ في ذلك شيءٌ**». قال ابن خزيمة عقب تخريجه: «إن صح الخبر فإني لا أعرف خلفًا أبا الربيع بعدالة ولا جرح، ولا عمرو بن حمزة القيسي الذي دونه».اهـ

نقله الحافظ المنذري، وقال عقبه: «قد ذكرهما ابن أبي حاتم ولم يذكر فيهما جرحًا».

وقال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" إنه لن يجد لخلف أبي الربيع راويًا غير عمرو بن حمزة، كما ذكر ابن أبي حاتم.

قلت: خلف أبو الربيع وإن لم يعرفه أبي حاتم وابن أبي خزيمة فقد عرفه غيرهما وهو خلف بن مهران العدوي أبو الربيع البصري إمام مسجد سعيد بن أبي عروبة، وهو مسجد بني عدي بن يشكر، كذا ذكره الحافظ المزي في "التهذيب".

وقال: روىٰ عن عامر بن عبد الواحد الأحول، وعمرو بن عثمان بن يعلىٰ بن أمية، وعبد الرحمن بن عبد الله الأصم. وعنه حرمي بن حفص بن عمارة، وأبو عبيدة الحداد. وقال: كان ثقة صدوقًا خيِّرًا مرضيًّا. وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

لكن ذكر الحافظ في "تهذيب التهذيب" أن البخاري جعل خلف بن مهران إمام مسجد بني عدي غير خلف أبي الربيع إمام مسجد سعيد بن أبي عروبة، وأن الثاني يروي عن أنس، وروىٰ عنه عمرو بن حمزة القيسي كما قال أبو حاتم، ثم نقل عن البغوي رواية تفيد أنهما واحد لا اثنان.

وأما عمرو بن حمزة القيسي فضعَّفه الدارقطني وغيره، وقال ابن عدي: «مقدار ما يرويه غير محفوظ»، وقال العقيلي: «بصري لا يتابع علىٰ حديثه»، ثم ساق له أحاديث منها الحديث الذي أوردناه، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، فظهر أنه معروف وأن جهل ابن خزيمة له في غير محله والله أعلم.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الأوسط" و"الصغير" عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أمَّتي لم يُخزَوا ما**

أقاموا رمضانَ». قيل: يا رسول الله وما خزيهم في إضاعة شهر رمضان؟ قال: **«انتهاكُ المحارمِ فيه، من زنا فيه أو شَرب خمرًا لعنَه اللهُ ومَن في السَّماوات إلى مثلِه من الحولِ، فإن مات قبل أن يدرَكه رمضانُ فليست له عند الله حسنةٌ يتَّقي بها النَّار، فاتَّقوا شهرَ رمضانَ فإنَّ الحسناتِ تُضاعفُ فيه ما لا تضاعفُ فيما سواه وكذلك السيِّئاتُ»**. في سنده عيسىٰ بن سليمان أبو طيبة؛ ضعيف.

ومنها: ما رواه ابن عدي ومن طريقه البيهقي في "السنن" عن أبي هريرة مرفوعًا: **«لا تقولوا رمضان، فإنَّ رمضانَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، ولكنْ قولوا شهر رمضانَ»**. ضعَّفه البيهقي بأبي معشر، ثم قال: وقد قيل عن أبي معشر عن محمد بن كعب من قوله وهو أشبه، ووهم ابن الجوزي حيث ذكره في "الموضوعات"؛ لأن الحديث لم ينته إلىٰ حدِّ الوضع بل هو ضعيف فقط.

نعم، لا يعمل به في إثبات رمضان اسما لله تعالىٰ، لأن أسماء الله تعالىٰ وصفاته توقيفية لا يثبت شيء منها إلا بحديث صحيح، كما تقرر في محله.

ومن هنا يظهر لك خطأ من يزعم أن «آه» اسم من أسماء الله تعالىٰ مستندًا لحديث: **«دعُوه يئِنُّ فإنَّ الأنينَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى يستريحُ إليه العليلُ»**. وهذا الحديث رواه الرافعي في "تاريخ قزوين"، والديلمي في "مسند الفردوس" عن عائشة بإسناد فيه راوٍ كذَّاب، فهو حديث واهٍ نازلٌ عن درجة الاحتجاج بالمرة.

ولقد غلط العزيزي في "شرح الجامع الصغير" حيث ادعىٰ أنه حسن لغيره، مع أن عمدته في التصحيح والتحسين غالبا -وهو المناوي- لم يحسِّنه أصلًا لا في شرحه الكبير ولا الصغير، ولا حسَّنه الحافظ السيوطي الذي هو

عمدتهم جميعًا، وكيف يستطيع أن يحسِّنه وفي سنده كذَّاب كما ذكرنا؟

وقد رأيت في العدد (٣٣) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن خليفة، ذكر هذا الحديث ونقل من العزيزي في "شرح الجامع الصغير" أنه عزاه للشيخين والترمذي، فتعجبت من هذا العزو جدًّا لعلمي بأن الحديث المذكور لا وجود له في شيء من الكتب الستة البتة، وجزمت بغلط العزيزي لكني لما راجعت شرحه على "الجامع الصغير" وجدته بريئًا من عهدة ذلك العزو إذ لم أجده فيه، وأدركت أن الشيخ عبد الرحمن خليفة حفظه الله انتقل ذهنه من حديث الأنين الواهي إلى حديث: «**دعُوه فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالًا**». الذي هو -بحقٍّ- في الصحيحين والترمذي كما قال العزيزي، وسبب ذلك الانتقال أن الحديثين ذُكرا في "الجامع الصغير" بإزاء بعضهما جنبًا إلى جنبٍ.

والخلاصة: أنَّ حديث الأنين واهٍ لا يحُلُّ الاحتجاج به، وأنَّ عزْوَه للكتب الستة أو بعضها سبقُ قلم ناشئ عن انتقال ذهن ليس غير، وقد جاء ذكر الأنين في حديث آخر ولفظه: «**المريضُ أنينُه تسبيحٌ، وصيامُه تكبيرٌ، ونفَسُه صدقةٌ، ونومُه عبادةٌ، وتقلُّبه من جنبٍ إلى جنبٍ جهادٌ في سبيلِ الله**». ولكنه حديث ليس بثابت كما قال الحافظ، على أن جماعة من السلف كرهوا أنين المريض، منهم طاوس، والفضيل بن عياض، وذو النون المصري، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وبالجملة قلنا: دلائل على إبطال «آه» لسنا بصدد ذكرها الآن، ولعلنا فيما بعد نفردها بكتابة خاصة إن يسر الله ذلك، وبالله التوفيق.

٣٠- حول مسألة الخضر في علم الحديث(١)

نسب الخضر واسمه:

الخضر اسمه: بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، فهو ابن عمٍّ جدِّ إبراهيم عليه السلام، وكنيته أبو العباس، وسبب تلقينه بالخضر ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّما سُمِّي الخَضِر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتزُّ من خلفِه خضراءَ**».

والفروة: أرض بيضاء لا نبات فيها، وهو المراد بقوله تعالىٰ عن موسىٰ وفتاه يوشع بن نون: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] هكذا جاء مفسرًا عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الصحيحين وغيرهما من طرق.

فتى موسى والمبتدعة:

ومبتدعة هذا العصر لا يقبلون هذا التفسير ويقولون: إن القرآن لم يُعيِّن فتىٰ موسىٰ ولا العبد الذي وجداه فنحن لا نعيِّنهما!!

وكأنهم يعترضون علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث أقدم علىٰ تعيين شيء لم يعيِّنه الله، وإن تعجب فعجب من الشيخ محمد محمد المدني الذي عمد في كتابته عن قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام إلىٰ تفنيد الحديث الوارد فيهما وهو في الكتب السِّتَّة وغيرهما من طرق، ثم عقَّب برأيه المتكلَّف الفاسد ولم

---

(١) المسلم: السنة الثالثة عدد (٦) محرم١٣٧٣.

يبد من حجة في تفنيد الحديث إلا إطلاق لفظ الروايات عليه حيث قال: «جاء في الروايات...، وتقول الروايات....»، ولعله يعتقد أن إطلاق لفظ «الروايات» عذرٌ كافٍ عند الله في ترك الأحاديث الصحيحة وإهدار جانبها![1].

حياة الخضر:

ثم إن الخضر مُعمَّرٌ محجوبٌ عن الأبصار كما قال الثعلبي في "تفسيره" وقال ابن الصلاح: «هو حي عند جمهور العلماء، والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين».اهـ وتبعه النووي، وزاد: «أن حياته متفق عليها بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر».اهـ

قال الحافظ: «والذي جزم بأنه غير موجود الآن: البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو جعفر بن المنادي، وأبو يعلىٰ بن الفراء، وأبو طاهر العبادي، وأبو بكر بن العربي، وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال في آخر حياته: «**لا يبقَى على وجهِ الأرضِ بعد مائةِ سنةٍ ممَّا هو عليها اليومَ أحدٌ**». قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه.

وأجاب من أثبت حياته أنه كان حينئذ علىٰ وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق».اهـ

وبالضرورة لم يقصد الحديث فناء العالم وانقراض الدنيا كما فهم بعض ملاحدة العصر لجهله، وبنىٰ علىٰ ذلك أن المحدِّثين يعتمدون علىٰ صحة السَّند

---

(١) ومتىٰ رضي المدني وشلتوت عن رسول الله بغير عوض؟!

فقط وإن كان الحديث يخالف الواقع المشاهد، وإنَّما أراد الحديث انقراض ذلك القرن وانقطاع الصحابة، حتىٰ إذا ما ادعىٰ أحدٌ أنه صحابيٌّ بعد المائة الأولىٰ عرفنا أنه كذاب، وقد ادعىٰ صحبةَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معمَّرون كذابون، كرَتَن الهندي وأمثاله، فكان هذا الحديث دليلًا علىٰ كذبهم.

رأي ابن حجرٍ:

قال الحافظ في "فتح في الباري": «وقد بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنَّ مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن، فلا يبقىٰ أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة. وكذلك وقع الاستقراء، فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبو الطُّفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث أنه كان آخر الصحابة موتًا، وغاية ما قيل فيه أنه بقي إلىٰ سنة عشر ومائة وهي رأس مائة سنة من مقالة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والله أعلم».

قال النووي وغيره: «احتجَّ البخاريُّ ومن قال بقوله بهذا الحديث علىٰ موت الخضر، والجمهور علىٰ خلافه، وأجابوا عنه بأن الخضر كان حينئذ من ساكني البحر، فلم يدخل في الحديث، قالوا: ومعنىٰ الحديث: لا يبقىٰ ممن ترونه أو تعرفونه فهو عام أريد به الخصوص، وقيل احترز بالأرض عن الملائكة، وقالوا: خرج عيسىٰ من ذلك وهو حي، لأنه في السماء لا في الأرض، وخرج إبليس لأنه علىٰ الماء أو في الهواء، وأبعد من قال إن اللام في الأرض عهدية، والمراد: أرض المدينة والحقُّ أنها للعموم، وتتناول جميع بني آدم، وأما من قال: «المراد أمَّةُ محمد، سواء أمة الإجابة وأمة الدعوة، وخرج عيسىٰ والخضر

لأنهما ليسا من أمته» فهو قول ضعيف، لأن عيسىٰ يحكم بشريعته فيكون من أمته، والقول في الخضر إن كان حيًّا كالقول في عيسىٰ والله أعلم».اهـ

وكلام الحافظ ابن حجرٍ نقلته بتمامه لما فيه من الفوائد، والبحوث المتعلقة بالخضر كثيرة نكتفي منها بما كتبناه.

رتبة الخضر: الخضر نبيٌّ، وهو قول أكثر أهل العلم، حكاه عنهم البغوي وابن عطية، وحكاه القرطبي وأبو حيان في تفسيريهما عن الجمهور، وقال الثعلبي: «هو نبيٌّ علىٰ جميع الأقوال».

وذهب جماعة من الصوفية إلىٰ أنه وليٌّ، وهو قول أبي القاسم القشيري في "الرسالة"، وبه قال أبو علي بن أبي موسىٰ من الحنابلة، وأبو بكر بن الأنباري في كتابه "الزاهر"، بعد أن حكىٰ عن العلماء قولين، هل هو نبيٌّ أو وليٌّ؟.

وحكىٰ الماوردي قولًا ثالثًا؛ أنه ملك من الملائكة يتصور في صورة الآدميين، وقال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية: «لا ندري هل هو ملك، أو نبيٌّ، أو عبد صالح»؟

والصحيح أنه نبيٌّ لأمور:

أحدها: تصريح هذا الحديث الذي نتكلم عليه بنبوته.

ثانيها: أن الله حكىٰ عنه قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] أي: بل فعلته بوحيٍ كما هو الظاهر.

ثالثها: أن موسىٰ عليه السلام ذهب يطلبه ويتعلم منه، وغير النبيِّ لا يكون أعلم من النبيِّ، كيف والنبيُّ يوحىٰ إليه؟

رابعها: أن الخضر عليه السلام خرق السفينة، وقتل الغلام، وهذان أمران

عظيمان لا يمكن أن يقدم عليهما بمجرد الإلهام الذي يلقي في قلوب الأولياء.

خامسها: ما رواه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس قال: قال موسىٰ لما لقي الخضر: السلام عليك يا خضر، فقال: وعليك السلام يا موسىٰ، قال: وما يدريك أني موسىٰ، قال: أدراني بك الذي أدراك بي.

وقال وهب بن منبه في "المبتدأ": قال الله تعالىٰ للخضر: «لقد أحببتُك قبل أن أخلقَك، ولقد قدَّستك حين خلقتُك، ولقد أحببتُك بعدما خلقتُك».

وروي عن مكحول عن كعب الأحبار قال: « أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض؛ اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسىٰ».

وقال أبو حيان: «والجمهور علىٰ أنه نبيٌّ وكان علمه معرفة بواطن أوحيت إليه، وعلم موسىٰ الحكم بالظاهر».اهـ

ثم كان رسولًا أو لا؟ جاء عن ابن عبَّاسٍ ووهب بن منبه، أنه كان نبيًّا غير مُرسَلٍ وهو قول الجمهور كما تقدم في كلام أبي حيان آنفًا، وجاء عن إسماعيل ابن أبي زياد ومحمد بن إسحاق وبعض أهل الكتاب، أنه أرسل إلىٰ قومه فاستجابوا له، ونصر هذا القول أبو الحسن الرُّماني وابن الجوزي، والأول أصحُّ والله أعلم.

وصية الخضر: قال الطبرانيُّ في "المعجم الأوسط": حدَّثنا محمد بن المعافىٰ: حدَّثنا زكريا بن يحيىٰ الوقار، قال: قرئ علىٰ عبد الله بن وهب، وأنا أسمع: قال الثوري، قال: مجالد، قال: أبو الوداك، قال: أبو سعيد، قال: عمر ابن الخطاب، قال: رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قال أخي موسى عليه السلام: يا**

رب أرني الذي كنتَ أريتَني في السَّفينة فأوحى الله إليه يا موسى إنَّك ستَراه، فلم يلبثْ إلا يسيرًا حتى أتاه الخضر، وهو فتى طيِّب الرِّيح، حسنُ بياض الثِّياب، مشمِّرها فقال: السلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه يا موسى بنَ عِمران، إنَّ ربَّك يقرأُ عليك السلام. قال موسى: هو السَّلامُ وإليه السَّلام ومنه السَّلام، والحمدُ لله ربِّ العالمين الذي لا أُحصي نعمَه ولا أقدر على أداءِ شكره إلا بمعونَته. ثم قال موسى: أريدُ أن تُوصيني بوصيَّة ينفعُني الله بها بعدك.

قال الخضر: يا طالبَ العلمِ إنَّ القائلَ أقلُّ ملالةً من المستمِع، فلا تُمِلَّ جلساءَك إذا حادثْتَهم. واعلم أنَّ قلبَك وِعاءٌ، فانظر ماذا تحشُو به وعاءَك. واعزِفْ عن الدُّنيا وانبُذها وراءَك، فإنَّها ليسَت لك بدارٍ، ولا لك بها محلُّ قرارٍ، وإنما جعلتْ بُلْغةً للعباد، والتزوُّد منها للمعاد. ورِضْ نفسَك على الصَّبر، تخلص من الإثم.

يا موسى تفرَّغ للعلم إن كنتَ تريده، فإنَما العلمُ لمن تفرَّغ له، ولا تكنْ مِكثارًا بالمنطق مِهزارًا، فإنَّ كثرة المنطِق تُشين العلماءَ وتُبدِي مساوي السُّخفاء، ولكن عليك بالاقتصاد فإنَّ ذلك من التوفيق والسَّداد. وأعرْض عن الجهَّال وباطلِهم واحلُمْ عن السُّفهاء، فإنَّ ذلك فضلُ الحكماء وزيْن العلماء، وإذا شتمَك الجاهل فاسكتْ عنه حلمًا وجانبه حزمًا، فإن ما بقي من جهله عليك وسبِّه إياك أكثرُ وأعظم، يا ابن عمران أولا ترى أنك أُوتِيت العلم إلا قليلًا؟، فإن الاندلاس والتعسُّف من الاقتحام والتكلُّف، يا ابن عمران لا تفتحن بابًا لا تدري ما غلقه، ولا تغلقن بابًا لا تدري ما فتحه... إلخ». والحديث مفصل ويعتبر دستورًا في الوعظ والرقائق.

٣١- سبب النبي ونسبه لا ينقطعان
توجيه حديث: «يا فاطمة اعملي»[١]

عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين تزوج ابنة عليٍّ رضي الله عنهما ألا تهنُّوني؟ سمعت رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ينقطعُ يومَ القيامة كلُّ سَببٍ ونسَبٍ إلَّا سَبَبي ونسبي**». رواه الطبراني والدارقطني، وقال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة»، وصححه أيضًا التاج السبكي في أول "طبقات الشافعية الكبرىٰ"، وللحديث مع هذا طرق عن عمر، وابن عبَّاسٍ، والمِسْوَر بن مَخرمة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وغيرهم.

قوله: ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب لقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قوله: «**إلا سببي ونسبي**» أي: فإنه موصول غير مفصول وهذا من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما ذكره الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرىٰ" ولهذا حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ زواج ابنة عليٍّ رضي الله عنهما - واسمها أمُّ كلثوم- ليكون له من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سبب صهارة ينال به القرب منه يوم القيامة وفي هذا دليل علىٰ فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول في الدنيا والآخرة وأن في الانتساب إليهم ومصاهرتهم شرفًا وفضلًا.

وليس بين هذا الحديث وحديث: «**يا فاطمةُ اعملي...**» إلخ تعار ض أصلًا

---

(١) مجلة المسلم، السنة الخامسة، العدد (٢) سنة ١٣٧٤.

كما زعمه الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف.

ولفظ هذا الحديث: «**يا فاطمةُ بنت محمَّد سَلِيني من مالي ما شئتِ أنقِذي نفسَكِ من النَّار فإنِّي لا أُغني عنْكِ مِنَ الله شيئًا**». وذا طرف من حديث طويل ثبت في الصحيحين وغيرهما.

وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة:

الأول: أن هذا الحديث أخبر بالحقيقة فإنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يغني عن أحد من الله شيئًا ولا يملك لأهله ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا وهذا لا ينافي أن الله يملكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة الخاصة والعامة وقد فعل فأعطاه عدة شفاعات كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه عزَّ وجلَّ وقد ملَّكه الله الشفاعة وغيرها من المكرُمات ذكر هذا المعنىٰ الحافظ المحبُّ الطبري في "ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ".

الثاني: أن هذا الحديث كان قبل أن يعلِّمه الله بأنه ينفع يوم القيامة رحمَه وأقاربَه بالانتساب إليه دون غيره ذكره السيد السمهودي في "جواهر العقدين" ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قول الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكان ذلك بمكة في أوائل بعث النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الثالث: أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشرك وأنه لا يملك لهم من الله شيئًا إن أشركوا أو استمر من كان منهم مشركًا علىٰ إشراكه؛ لأن المشرك لا حظَّ له في الشفاعة. ويؤيد هذا أمور:

أحدها: أن أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يعلم من سبب ورود الحديث

ثانيها: أنه وجَّه الخطاب إلىٰ جميع أقاربه مؤمنيهم ومشركيهم فوجب أن يكون علىٰ وتيرة واحدة من التحذير من الشرك كما هو واضح.

ثالثها: ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أيْ عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**».

فأفاد هذا الحديث أنه يملك نفعه ويحاج عنه إذا هو مات علىٰ التوحيد.

وقد روىٰ أحمد، والحاكم، والبيهقي، من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول علىٰ المنبر: «**ما بالُ رجالٍ يقولون إنَّ رحمَ رسولِ الله لا تنفعُ قومَه يومَ القيامة؟! بلى والله إنَّ رحمي موصولةٌ في الدنيا والآخرة وإنِّي أيُّها الناس فرَطٌ لكم على الحوْضِ**».

فهذا الحديث ورد بالمدينة وقد أنكر فيه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم وقرر أنَّ رحمه موصولة في الدنيا والآخرة وأنه بجانب هذا ينفع أمته أيضًا حيث يكون فرطًا لهم الحوض وهذا يؤيد ما قررناه والحمد لله.

٣٢- حديث: «حياتي خير لكم...» ورد من نحو عشرين طريقا[١]

معروف أن المتسلِّفة يتميزون عن جمهور المسلمين بأشياء؛ منها ادعاؤهم أنهم يعلمون بالسنة في الوقت الذي يخاصمون فيه صاحب السُّنة، ويكاد أحدهم أن تتفجَّر جوانبه غيظًا وحقدًا كلما ذكرت لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خصيصة، فترىٰ أحدهم وقد ركب رأسه وراح يدفع هذه الخصيصة الماجدة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كأنما يدفع عنه سُبَّة أو مهانة، وإذا أردت أن ترىٰ الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ فاقرأ علىٰ أحدهم حديث: **«حياتي خيرٌ لكم»** فسوف ترىٰ عجبًا أيَّ عجب!!

مع أن دنيا المسلمين مفعمة بما يُسيل دم العين ودم القلب، ولكن واحدًا من المتمسلفة لا يعنيه هذا بمقدار ما يعنيه أن ينفي ما في حياة الرسول وموته من خصائص ذاتية ومن خير للمسلمين بل وغير المسلمين، فاسمع تحقيق صحة هذا الحديث بمناسبة المولد النبوي الشريف[٢].

حديث: **«حياتي خيرٌ لكم تحدِثُون ويُحدَثُ لكم ومماتي خيرٌ لكم تُعرضُ علي أعمالُكم فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله، وإن يكُ سوى ذلك استغفرتُ لكُم»**.

يقول المضللون كذبًا وزورًا: وإن اشتهر علىٰ ألسنة كبار الناس وصغارهم فقد خلت منه جميع كتب السُّنَّة.

ويقولون: ومع هذا فالذي رواه وقفه علىٰ بكر بن عبد الله المزني وهو تابعيٌّ مشهورٌ، ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابيَّ أحدٌ من رواة السُّنة لا في

---

(١) المسلم السنة الخامسة العدد (٨) محرم ١٣٧٥.

(٢) هذه الديباجه من المجلة.

صحيح الكتب ولا في ضعيفها وهو منقطع لا يصلح للاحتجاج به.

وأقول: الحديث المذكور حديث صحيح لا مطعن فيه ولا مغمَز، ورد من حديث ابن مسعودٍ، وأنس بن مالك، ومن مرسل بكر بن عبد الله المزني.

أما حديث بن مسعود رضي الله عنه فخرجه البزار في "مسنده" قال: حدثنا يوسف بن موسىٰ: حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إن لله ملائكةً سيَّاحين يبلِّغونَني عن أمَّتي السَّلامَ**».

قال: وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حياتي خير لكم تُحدِثون ويُحدَث لكم ووفاتي خير لكم تُعرض عليَّ أعمالُكم فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ الله لكم**».

قال البزار: لا نعلمه يرویٰ عن عبد الله إلا بهذا الإسناد».اهـ

قال الحافظ العراقي في كتاب الجنائز من "طرح التثريب في شرح التقريب": «إسناده جيد».

وقال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد"، والمحدث القسطلاني في "شرح البخاري": «رجال إسناده رجال الصحيح».

وقال الحافظ السيوطي في كتاب "المعجزات والخصائص": «إسناده صحيح»، وكذا قال علي القاري والشهاب الخفاجي في أول شرحيهما علىٰ "الشفا".

وأما حديث أنس فرواه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده"، وابن عدي في "الكامل" من طريق خراش عنه قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

«حياتي خير لكم تُحدِثون ويُحدَث لكم، فإذا أنا مِتُّ كانت وفاتي خيرًا لكم؛ تعرض عليَّ أعمالكم فإن رأيتُ خيرًا حمدت الله، وإن رأيت غيرَ ذلك استغفرتُ الله لكم ».

قال الحافظ العراقي في "المغني": «إسناده ضعيف لضعف خراش».اهـ

قلت: لكن له طريق آخر، قال الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم اليونارتي الأصبهاني في "معجمه": سمعت الشريف واضح بن أبي تمام الزينبي يقول: سمعت أبا علي بن تومه يقول: اجتمع قوم من الغرباء عند أبي حفص بن شاهين فسألوه أن يحدِّثهم أعلىٰ حديث عنده فقال: لأحدثنكم حديثًا من عوالي ما عندي؛ حدَّثنا عبد الله بن محمد البغوي: حدثنا شيبان بن فرُّوخ الإيلي: حدثنا نافع أبو هرمز السجستاني: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**حياتي خير لكم....**» الحديث.

وخرجه بن النَّجار في "تاريخ بغداد" عن معمر بن محمد الأصبهاني، عن الحافظ أبي نصر اليونارتي به.

وهذا إسناد ضعيف أيضًا لاتفاقهم علىٰ ضعف أبي هرمز.

وعن أنس حديث آخر أخرجه أبو نعيم في "الحلية" قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر: حدثنا أحمد بن عيسىٰ بن ماهان الرازي: حدثنا محمد بن مصفَّىٰ: حدثنا بقيَّة: حدثنا عبَّاد بن كثير، عن عمران -هو القصير-، عن أنس قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أعمالَ أمَّتي تعرضُ عليَّ في كلِّ يومِ جُمُعَة، واشتدَّ غضبُ الله على الزُّناة**».

وأما مرسل بكر بن عبدالله المزني فأخرجه الحارث بن أبي أسامة في

"مسنده" قال: حدثنا الحسن بن قتيبة: حدثنا جِسْر بن فَرْقَد، عن بكر بن عبدلله المزني قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **حياتي خير لكم تحدِثون ويحدَث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم فما كان من حسنٍ حمدت الله، وما كان من سيِّئ استغفرت الله لكم** ». إسناده ضعيفٌ؛ لضعف الحسن بن قتيبة.

لكن خرجه إسماعيل القاضي المالكي من طريق آخر فقال: حدثنا سليمان بن حرب: حدثنا حماد بن زيد، عن غالب القطان، عن بكر بن عبد الله المزني به مرفوعًا، وهذا إسنادٌ صحيحٌ صحَّحه الحافظ بن عبد الهادي مع تعنُّته.

وقال أيضًا: حدَّثنا حجَّاج بن المنهال: حدَّثنا حمَّاد بن سلمة، عن كثير أبي الفضل، عن بكر بن عبد الله به مرفوعًا، وهذا إسنادٌ صحيحٌ أيضًا[1].

وفي الباب عن سعيد الشامي والد عبد العزيز قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تُعرضُ الأعمالُ يومَ الاثنين والخميس على الله وتعرضُ على الأنبياءِ وعلى الآباءِ والأمَّهات يومَ الجُمُعة فيفرحون بحسناتهم وتزدادُ وجوهُهم بياضًا وإشراقًا، فاتَّقوا الله ولا تؤذُوا موتَاكم**».

رواه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" من طريق عبد الغفور بن عبدالعزيز بن سعيد الشامي، عن أبيه، عن جده، وكانت له صحبة، وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الغفور.

وعن مجاهد قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّكم تُعرضُون عليَّ بأسمائِكم وسِيمائِكُم فأحسِنُوا الصَّلاةَ عليَّ**». أخرجه عبدالرزَّاق.

---

(١) وبهذا يذهب ضعف الباب كله مرفوعًا ومرسلًا ومعتضدًا.

وبالجملة فالحديث صحيح لا مطعن فيه وهو يدل على أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم أعمالنا بعرضها عليه ويستغفر الله لنا على فعلنا من سيِّئٍ وقبيحٍ وقد أخبر الله في القرآن أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شهيد على أمته وذلك يقتضي أن تُعرض أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى وعلم.

قال ابن المبارك: أخبرنا رجلٌ من الأنصار عن المنهال ابن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: «ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمته غدوة وعشيًّا فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] ».اهـ

وقال القرطبي في "التذكرة": «باب ما جاء في شهادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أمته»، ثم أورد أثر سعيد بن المسيب السابق، ثم قال: «قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس، وأنها تعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة»، قال: «ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص نبيِّنا بما يعرض عليه كل يوم، ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. اهـ

وروى الطبراني بإسناد ضعيف عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقد كان أمر عليًّا ومعاذًا أن يسيرا إلى اليمن فقال: «**انطلقا فبشِّرا ولا تُنفِّرا، ويسِّرا ولا تُعسِّرا، فإنَّه قد أُنزل عليَّ: يأيُّها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا على أمَّتك ومبشِّرًا بالجنَّة، ونذيرًا من النَّار، وداعيًا إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله بإذنه وسِراجًا مُنيرًا بالقُرآنِ**».

فالقرآن كما ترىٰ يؤيد حديث عرض الأعمال ويُعضده.

فإن قيل: قد أخبر الله تعالىٰ عن هذه الأمة أنها تشهد علىٰ غيرها، ولم يرد في حديث ولا أثر أن أعمال الأمم تعرض عليها.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن عرض الأعمال مما خُصَّ به نبيُّنا عليه الصلاة والسلام كما خُصَّ في قبره بحياة أكمل من حياة الشهداء وبأن جسده لا يبلىٰ.

الثاني: أنه ورد في الصحيحين أن هذه الأمة تشهد علىٰ إخبار نبيِّها وكلامه، وذلك أنها إذا شهدت بأن الأنبياء بلَّغوا أممهم، فيقال: وما علمكم؟ فتقول: أخبرنا نبيُّنا أن الرسل قد بلَّغوا فصدَّقناه.

هكذا صحَّ في الحديث وهو واضحٌ لا خفاء به.

فإن قيل: فما تقول فيما رواه الطبراني وغيره عن محمد بن فضالة أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر قارئًا يقرأ فلما بلغ قوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء: ٤١] بكىٰ حتىٰ اضطرب لحياه وقال: «**أيْ ربِّ شهِدتُ على ما أنا بين ظَهْرانَيْه فكيفَ بمَنْ لم أرَ**».

فربما يفهم بعض الجهلة من هذا أنه ينفي عرض الأعمال.

قلت: هذا الحديث مؤيِّد لعرض الأعمال لا نافٍ له بل هو أحد الأسباب التي لأجلها أكرم الله نبيَّه بهذه الخصوصية حتىٰ تكون شهادته علىٰ أمته عن مشاهدة، وعيان كما أكرمه بعرض أمته مع الأمم الأخرىٰ عليه وهو في المدينة كما ثبت في الصحيحين.

أمَّا أنَّ الحديث خلت منه جميع كتب السُّنَّة فهذا كذبٌ وجهلٌ فإن الحديث

موجود في كثير من كتب السنة كـ"طبقات ابن سعد"، و"مسند البزار"، و"مسند الحارث"، و"تاريخ النجار"، و"طرح التثريب" للحافظ العراقي و"بغية الباحث بزوائد مسند الحارث" و"مجمع الزوائد" كلاهما للحافظ الهيثمي، و"الجامع الصغير" و"الجامع الكبير" و"الخصائص الكبرىٰ" الثلاثة للحافظ السيوطي، و"شرح البخاري" للقسطلاني، و"كنز العمال للمتقي الهندي"، وغيرها.

أمَّا أن راويه وقفه علىٰ بكر بن عبد الله المزني فهذا خطأ ناشئ عن جهل، فإن مثل هذا لا يسمَّىٰ موقوفًا، ولا يمكن أن تنطبق عليه حقيقة الموقوف بحال من الأحوال، وإنما تنطبق عليه حقيقة المرسل لا غير.

أمَّا أنه لم يذكر فيه الصحابيَّ أحدٌ من رواة السُّنة لا في صحيح الكتب ولا في ضعيفها فكذبٌ مبنيٌّ علىٰ جهل، فإنَّ الحديث واردٌ من طريق ابن مسعودٍ وأنسٍ وورد معناه من طريق سعيد الشامي ومجاهد كما تقدَّم كل ذلك بل وصلت طرقه إلىٰ عشرين طريقًا.

٣٣- حديث الحوض وحديث عرض الأعمال(١)

في كتاب "البخاري": «بينما أنا أسْقي النَّاسَ على حوضي يُؤتَى بأناسٍ من أمَّتي يريدون أن يشربُوا فيُحَالَ بيني وبينهم ويؤخَذَ بهم إلى جِهة النَّار، فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثُوا بعدك، ارتدُّوا على أدبارهم بعدما فارقتَهم، فأقول كما قال العبدُ الصَّالح -يعني عيسىٰ عليه السلام-: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ﴾ [المائدة: ١١٧] إلىٰ ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾».

يحتج بعض الناس بهذا الحديث علىٰ ضعف حديث عرض الأعمال وهو خطأ فإن هذا الحديث قد روىٰ من اثنتي عشر طريقًا، أما حديث عرض الأعمال علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقد ورد من عشرين طريقًا، فطرقه أكثر من حديث الحوض.

والمقرَّر في علم الأصول والمصطلح أن الدليلين المتعارضين لا يُرجَّح أحدهما علىٰ الآخر إلا إذا لم يمكن الجمع بينهما بوجهٍ من الوجوه، أما إذا أمكن الجمع بينهما فهو الواجب ولا يجوز العدول عنه إلىٰ ترجيح أو غيره؛ لأن في ذلك إلغاء لدليل شرعيٍّ بغير حقٍّ وهو حرامٌ، بخلاف الجمع فإن فيه إعمال الدليلين، وطاعتهما جميعًا والحديثان هنا غير متعارضين في الحقيقة لإمكان الجمع بينهما وتيسّره.

وبعد: فإليك طريق الجمع بين الحديثين ودفع تعارضهما وقد آثرنا أن ننقله عن بعض أهل هذه الفرقة، فقد ذكر هذا البعض حديث عرض الأعمال من

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (٤) ذي القعدة ١٣٧٦ .

طريق بكر بن عبد الله المزني فقط، وقال: إنه مرسلٌ ليس صحيحًا ولا ثابتًا، قال: وقد ضعَّف بعض المتأخِّرين هذا الخبر بطريق آخر فقال: إنه معارضٌ لما هو أصحُّ منه وأثبت باتفاق أهل العلم والحديث، وهو ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما، وذكر حديث الحوض نحو ما تقدَّم، ثم قال: وعندي أن هذا التضعيف ضعيفٌ بأربعة أمور:

الأول: أنه لا تعارض البتَّة، إذ حديث عرض الأعمال فيه أنه يعلم نفس الأعمال وأنها خير أو شر وأنها منسوبة إلى أمته ولا يلزم أن يعرف أصحاب العمل الصالح بالتعيين والفاسد كذلك، وحديث: «**لا تدري ما أحدثوا بعدك**» فيه أنه يجهلهم أمِنَ الصَّالحين أو الطَّالحين ولا ينافي أنه يعلم أن أمته جاءت بعمل صالح أو طالح.

الثاني: وقت الحادثين مختلفٌ، أو يمكن أن يكون مختلفًا وحينئذٍ لا يتحقَّق التعارض؛ إذ يجوز أن تُعرض عليه الأعمال في البرزخ قبل النُّشور ويوم القيامة يوم الفزع الأكبر يذهَل عنها ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]. قال بعض المفسِّرين في آية (المائدة): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]: أنهم ينسون ما كانوا يعملون من تفاقم الهول.

الثالث: أن يقال: حديث «لا تدري ما أحدثوا بعدك» خاصٌّ، وحديث «عرض الأعمال» عامٌّ، والخاص مع العام ليس تعارضًا، وطريق الجمع بينهما معلوم.

الرابع: يمكن أن يقال: خبر «العرض» على الإجمال وخبر «لا تدري» على سبيل التفصيل فهو يعلم إجمالًا ولا يعلم تفصيلًا، ونحن نعلم حال أهل الإسلام بالجملة ولا نعلمها بالتفصيل.

وأضعف هذه الوجوه الوجه الثاني، وأقواها الأخير، حتى إنَّ بعض العلماء جعله متعيِّنًا للجمع بين الحديثين المذكورين، وأما الوجه الثالث فهو متَّجه أيضًا لأن حديث «لا تدري ما أحدثوا بعدك» جاء فيه: «ليُذَادَنَّ رجالٌ» وفي رواية «ناس» وفي رواية «أقوام» وكل هذا جموع منكرة واقعة في سياق الإثبات، والقاعدة الأصولية تقرر أن الجمع المنكر الواقع في سياق الإثبات ليس بعام، بخلاف حديث عرض الأعمال، فقد جاء فيه: «**تعرضُ عليَّ أعمالُكم**».

وهذا جمعٌ مضافٌ والجمع المضاف من صيغ العموم الموضوعة له حقيقة كما تقرَّر في علم الأصول، وطريق الجمع بين العامِّ والخاصِّ إذا تنافيا أن يحمل العامُّ على الخاصِّ بأن يخصَّص به، وكيفية ذلك هنا أن يقال: إن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تُعرض عليه أعمال أمته إلا أولئك القوم الذين سبق القضاء بنفوذ الوعيد فيهم بذودهم عن الحوض، فلا تعرض عليه أعمالهم حتى لا يستغفر لهم، فلهذا لم يعلم بحالهم فدعاهم إلى الحوض فقيل له لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وبما قرَّرناه ظهر أن لا تعارض بين الحديثين وأن لكل منهما محملًا غير محْمَل الآخر، وتبيَّن أيضًا قصر نظر المتنطِّعين وخطأ فهمهم وجهلهم المطبق وجرأتهم على الأحاديث النبويَّة يضرب بعضَها ببعضٍ، ويقدِّم بعضَها على

بعضٍ بمحْضِ الهوىٰ والتَّشهِّي وتلك خطَّةُ سوءٍ نسأل الله أن يعافينا منها بمنِّه؛ وبالله التوفيق.

(تنبيه): اختلف العلماء في الرجال الذين يُذَادون عن الحوض اختلافًا كبيرًا وأنا أنقل كلام الحافظ ملخِّصًا، وفيه إشارة إلىٰ صحة حديث عرض الأعمال وكونه أمرًا ثابتًا متقرَّرًا.

قال في "الفتح" في شرح حديث ابن عبَّاسٍ الذي فيه: «**وإنه سَيُجاءُ برجالٍ من أمَّتي فيُؤخذُ بهم ذاتَ الشِّمال، فأقول يا ربِّ أصحابي، فيقول الله: إنَّك لا تدري ما أحدَثُوا بعدك، فأقولُ كما قال العبدُ الصَّالحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾**» قال: «**فيقالُ: إنَّهم لم يزالُوا مرتدِّين على أعْقابِهِم**».

ما ملخَّصه وقع في ترجمة مريم، قال الفربري، ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قبيصة قال: هم الذين ارتدُّوا علىٰ عهد أبي بكر فقاتلهم، يعني: وماتوا علىٰ الكفر.

وقال الخطابي: «لم يرتدَّ من الصحابة أحدٌ وإنما ارتدَّ قوم من جفاة الأعراب»، وقال غيره: «قيل: هو علىٰ ظاهره من الكفر، والمراد بأمتي أمة الدعوة، ورجَّح بقوله في حديث أبي هريرة: «**فأقول بعدًا لهم وسُحْقًا**»، ويؤيده كونهم خفي عليه حالهم، ولو كانوا من أمة الإجابة لعرف حالهم، بكون أعمالهم تعرض عليه.

ويرد هذا قوله في حديث أنس وأبي هريرة: «**حتَّى إذا عرفتُهم**».

وقال ابن التِّين: «يحتمل أن يكونوا منافقين أو مرتكبي الكبائر»، وقيل: «هم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبةً ورهبةً»، وقال النووي: «قيل

هم المنافقون والمرتدون».

وليراجَع بقية كلامه في شرح الحديث في باب الحشر من كتاب "الرقاق" والذي أرجِّحه وأعتمد عليه أن المراد بالحديث: الرجال الذين قاتلوا عليًّا وأهل البيت وناصبوهم العداوة. ومن جمع طرق الحديث وألفاظه وتأمَّلها بإمعانٍ ظهر له ذلك ظهور الشمس في كبد السماء والله أعلم.

(**تنبيه آخر**): بعد أن ذكرت الجمع بين الحديثين وما أرجِّحه في الذين يُذادون عن الحوض رأيت أن أورد إشكالًا في معنى حديث الحوض لا يمكن للمتمسلفة جميعًا أن ينفكُّوا عنه؛ وذلك أن الحديث يفيد أن جماعة من الصحابة يطرَدون عن الحوض مع أن الله تعالى عدل الصحابة وأثنى عليهم في كتابه، والجمهور متَّفقون على عدالتهم جميعًا حتى المجهولين منهم، فكيف يتأتَّى هذا مع طرد طائفةٍ منهم عن الحوض؟

فإن حمل الحديث على المرتدين كما رجَّحه جماعة، فالخطابي يجزم بأن أحدًا من الصحابة لم يرتد بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإنما ارتدَّ قومٌ من جفاة الأعراب ممن لا نُصرة لهم في الإسلام.

وإن حمل على المنافقين فالنفاق كان على عهده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والحديث يقول: «**لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وإن حمل على المبتدعة فالمبتدعة ليسوا أصحابه لأنهم أحدثوا بعده.

وإن حمل على من حاربوا عليًّا عليه السلام فالأشاعرة والماتريدية لا يرضون هذا، ويرون أن أولئك المحاربين كانوا مجتهدين مخطئين.

وإن حمل على أمة الدعوة والعصاة من أمة الإجابة فالحديث ينافي ذلك

لأنَّه يصرِّح بأنَّهم أصحابه يعرفهم ويعرفونه وأنَّه يناديهم بأسمائهم.

ثم كيف يتبرَّأ من أصحابه ويقول في حقِّهم: «**سُحْقًا سُحْقًا**» وهو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يتبرَّأ من عصاة أمته؟! بل يشفع لهم ويسعىٰ في خلاصهم بعد دخولهم النار.

فالحديث مشكلٌ جدًّا حتىٰ أن الإمام مالكًا ندم علىٰ روايته في "الموطأ" وقال: «ليتني لم أروه ولم يكتب عنِّي» نقله الأُبِّي في "شرح مسلم".

وما ندم مالك علىٰ روايته إلا لما فيه من الأخبار بتبديل الصحابة وتبرُّؤ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم منهم، وذلك يخالف القرآن والسنة المتواترة وما اتفق عليه جمهور العلماء.

فأحسن محامل حديث الحوض علىٰ مذهب الجمهور أن يكون من المتشابه الذي يترك معناه إلىٰ الله، بخلاف حديث عرض الأعمال فإنه مع صحته مؤيد بالقرآن والسنة المستفيضة ومذاهب جمهور العلماء، فأين يذهب الناصبية المتنطِّعون؟!

٣٤- ما ورد في ليلة النصف من شعبان[١]

بمناسبة شهر شعبان المبارك رأينا أن نتكلَّم علىٰ ما ورد في فضل ليلة النصف منه، وقيامها، والدعاء فيها، وما إلىٰ ذلك علىٰ سبيل الإيجاز. ولم نر أن نتعرَّض لما ورد في فضل صيام الشهر نفسه؛ لأن استحباب ذلك من فعل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معروف ومشهور.

ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصوم حتىٰ نقول لا يفطر، ويفطر حتىٰ نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان».

وفيهما أيضًا: قالت: لم يكن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصوم شهرًا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله وكان يقول: «**خُذوا من العملِ ما تُطِيقُون فإنَّ الله لا يَملُّ حتَّى تملُّوا**». وكان أحب الصلاة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما دووم عليه وإن قلَّت، وكان إذا صلىٰ صلاة داوم عليها.

وعن أسامة بن زيد، وأمِّ سلمة وأنسٍ رضي الله عنهم كلها بأسانيد جيِّدة.

فمما ورد في ليلة النصف من شعبان: ما رواه الطبراني، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم« **يطَّلع اللهُ إلى جميعِ خلقِه ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ فيغفِرُ لجميع خلقه إلَّا لمشركٍ أو مشاحِنٍ**». ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسىٰ وإسناده ضعيفٌ لأن فيه ابن لَهيعة وغيره.

---

(١) مجلة الإسلام السنة الخامسة العدد (٣٢) ١٤ شعبان ١٣٥٥.

ورواه البزَّار والبيهقيُّ وابن زنجويه من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه أو عمه، عن جده أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزلُ اللهُ إلى السَّماء الدُّنيا ليلةَ النِّصفِ من شعبان فيغفرُ لكلِّ نفسٍ إلَّا إنسانًا في قلبه شَحْناءُ، أو مشركًا بالله**». أشار له الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" وقال: إسناده لا بأس به.

وروىٰ البيهقي من طريق مكحول، عن كثير بن مرة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**في ليلة النِّصف من شعبانَ يغفرُ الله عزَّ وجلَّ لأهل الأرضِ إلا مشركًا أو مشاحنًا**». قال البيهقي: «هذا مرسل جيد».

ووصله هو والطبرانيُّ من طريق مكحول، عن أبي ثعلبة الخُشنيِّ: أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلع الله إلى عباده ليلةَ النِّصف من شعبانَ فيغفرُ للمؤمنين، ويُمهِلُ الكافرينَ، ويدعُ أهلَ الحقْدِ بحِقدِهِم حتَّى يدَعُوهُ**» أي: يتركوه. قال البيهقي: «وهو أيضًا بين مكحول وأبي ثعلبة مرسل جيد».اهـ

لأن مكحولًا لم يسمع من أبي ثعلبة، وروىٰ أحمد بإسناد ليَّنه الحافظ المنذري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلع اللهُ عزَّ وجلَّ إلى خلقِهِ ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ فيغفرُ لعباده إلا لاثنين مُشاحنٍ وقاتلِ نفسٍ**».

وروىٰ البيهقيُّ عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا كان ليلةُ النِّصْفِ من شعبانَ نادى منادٍ: هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ هل من سائل فأعطيَه؟ فلا يَسألُ أحدٌ إلا أُعطِي، إلا زانيةٌ**

بفرجِها أو مشركٌ».

وروىٰ ابن ماجه عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا، وَصُومُوا نَهَارَهَا، فَإِنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ، أَلاَ مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ، أَلاَ كَذَا، أَلاَ كَذَا، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**». وهذا حديث ضعيف جدًّا في سنده ابن أبي سَبْرة -بفتح المهملة وسكون الموحدة- منكر الحديث بل اتُّهم بالوضع.

وروىٰ ابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجه والبيهقي عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات ليلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلىٰ السماء فقال: « **يا عائشةُ أكنتِ تخافين أن يَحِيفَ اللهُ عليكِ ورسولُه؟**» قالت: ما بي من ذلك ولكنِّي ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: « **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ينزلُ ليلةَ النِّصفِ مِنْ شعبانَ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيغفرُ لأكثرَ مِنْ عدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ**».

وروىٰ البيهقي بإسناد ضعيف عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتِمَّ أن قام فلبسهما، فأخذتني غيرة شديدة، فظننت أنه يأتي بعض صُويحباتي، فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع -بقيع الغرْقَدِ- يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشُّهداء فقلت: بأبي وأمِّي أنت في حاجة ربِّك وأنا في حاجة الدُّنيا، فانصرفتُ فدخلتُ حجرتي ولي نفَس عال ولحقَني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما هذا النَّفَسُ يا عائشةُ ؟**» قلت: بأبي وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتِمَّ

أن قمت فلبستها فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتىٰ رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع. فقال: **«ياعائشةُ أكنتِ تخافين أن يَحيفَ الله عليك ورسولُه؟ أتاني جبريلُ عليه السَّلامُ فقال: هذه ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ ولله فيها عتقاءُ من النَّار بعدد شُعورِ غَنَم كلْبٍ، لا ينظرُ اللهُ فيها إلى مشركٍ، ولا إلى مشاحنٍ، ولا إلى قاطعِ رحِمٍ، ولا إلى مُسْبلٍ، ولا إلى عاقٍّ لوالديه، ولا إلى مُدْمنِ خمرٍ»**. قالت: ثم وضع عنه ثوبيه فقال لي: **«يا عائشةُ تأذَنِين لي في قيامِ هذه الليلةِ»**.

قلت: نعم بأبي وأمي، فقام فسجد ليلًا طويلًا حتىٰ ظننت أنه قُبض فقمت التمسته ووضعت يدي علىٰ باطن قدميه فتحرَّك ففرحت وسمعته يقول في سجوده: **«أعوذُ بعفوِكَ من عقَابِكَ وأعُوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعُوذُ بكَ منكَ، جلَّ وجهُك لا أُحصِي ثناءً عليكَ، أنت كما أثنيتَ على نفسِكَ»**. فلما أصبح ذكرتهن له.

فقال: **«يا عائشةُ تَعلَّميهن وعلِّميهن فإنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ علَّمَنِيهُنَّ وأمَرَني أنْ أُردِّدَهنَّ في السُّجُودِ»**.

وروىٰ البيهقيُّ عن العلاء بن الحرث أن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الليل فصلىٰ فأطال السجود حتىٰ ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتىٰ حركت إبهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول في سجوده: **«أعوذُ بعفوكَ من عقابِك، وأعُوذ برضاك من سَخطك، وأعوذُ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك»**.

فلما رفع إلي رأسه من السجود و فرغ من صلاته قال:

«يا عائشةُ -أو يا حُمَيراءُ[١]**- أظننتِ أنَّ النبيَّ قد خَاسَ بِكِ؟»** قلت: لا والله يا رسول الله ولكنني ظننت أنك قُبِضْتَ لطول سجودك. فقال: **«أتدرين أيّ ليلةٍ هذه؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«هذه ليلةُ النِّصفِ من شعبان إنَّ الله عزَّ و جلَّ يطَّلع على عبادِهِ في ليلةَ النصف من شعبان فيغفرُ للمستغفِرِين ويرحَمُ المسترحِمِين ويؤخِّر أهلَ الحِقْدِ كما هُم»**.

قال البيهقيُّ: هذا مرسَلٌ جيِّدٌ. يعني: أنَّ العلاء لم يسمع من عائشة[٢] قال: ويحتمل أن يكون العلاء أخذه من مكحول، يعني: فيكون متصلًا.

وروىٰ البيهقيُّ عن عائشة قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عندي فلما كان في جوف الليل فقدته فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فتلفَّعت بمِرْطي، فطلبته في حُجَر نسائه فلم أجده.

فانصرفت إلىٰ حجرتي فإذا أنا به كالثوب الساقط و هو يقول في سجوده: **«سجَد لك خيالي و سَوادي و آمنَ بكَ فُؤادي، فهذه يدي وما جنَيتُ بها على نفسي يا عظيمُ يُرجَى لكلِّ عظيمٍ يا عظيمُ اغفِر الذَّنب العظيمَ، سجَد وجْهي للذي خلَقَه وشَقَّ سمعَه وبصرَه»**.

---

(١) بهذا ونحوه يبطل قول من زعم أنَّ كلَّ حديثٍ ذكر فيه لفظ الحُميراء فهو باطلٌ، ولا شكَّ أنَّ هذا الإطلاق باطلٌ. نعم حديث **«خذُوا شطْرَ دينِكُم عن هذه الحُمَيراءِ»** يعني: عائشة لا أصل له كما قال الحافظ وغيره، وإن احتجَّ به الإسنويُّ في "شرح المنهاج" وغيره ممن ليس لهم خبرة بهذا الشأن.

(٢) فهم بعض من كتب في هذا الموضوع بـ"مجلة هدىٰ الإسلام" في السنة الماضية من عبارة البيهقي أنه يريد المرسل بمعناه المشهور فقابلته مصادفة، وأفهمته المراد، وأخيرًا اعترف بعد لجاجٍ وعنادٍ، ونبَّه عليه في عددٍ آخر لكن لم يذكر من أرشده إليه.

ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدًا فقال: **«أعوذُ برضاك من سَخطِكَ و أعوذُ بعفوِكَ من عقابِكَ وأعوذُ بِكَ منكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك، أقولُ كما قال أخي داودُ أعَفِّر وجْهيَ في التُّراب لسيِّدي وحقَّ له أن يسجدَ»** ثم رفع رأسه فقال: **« اللهمَّ ارزقْني قلبًا تقيًّا من الشر نقيًّا لا جافيًا و لا شقيًّا»**.

ثم انصرف فدخل معي في الخميلة و لي نفَس عال فقال: **«ما هذا النَّفسُ يا حُمَيراءُ؟»** فأخبرته. فطفق يسمح بيده على ركبتي، و هو يقول: **«ويحَ هاتَين الرُّكبتَين ما لقِيَتا في هذه الليلة، هذه ليلةُ النِّصف من شعبانَ، ينزلُ الله فيها إلى السَّماء الدُّنيا فيغفرُ لعباده إلا المشرِك أو المشاحِن»**.

هذا ما حضرنا من الأحاديث الواردة في فضل قيام ليلة النصف من شعبان، وأن الدعاء فيها مستجاب، وهي كما ترى ليس فيها تعيين صفة ذلك القيام من كونه صلاة أو غيرها، وعدد ركعاتها، وما يقرأ فيها، فيسن لطالب الخير إحياء هذه الليلة بأنواع الطاعات من صلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم نافع، ودعاء له وللمسلمين بما فيه صلاح دنياهم وخير آخرتهم، وغير ذلك من أنواع القُربات.

فأما ما روي عن عليٍّ عليه السلام قال: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة النصف من شعبان، قام فصلى أربع عشرة ركعة، ثم جلس بعد الفراغ، فقرأ بأم القرآن أربع عشرة مرة، و"قل هو الله أحد" أربع عشرة مرة، و"قل أعوذ برب الفلق" أربع عشر مرة، و"قل أعوذ برب الناس" أربع عشرة مرة، وآية الكرسي مرة، و ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾[التوبة: ١٢٨] الآية.

فلما فرغ من صلاته سألته عمّا رأيت من صنيعه، قال: **«من صنع مثلَ الذي**

رأيتَ، كان له كعشرين حجَّة مبرورة، وصيام عشرين سنة مقبولة، فإنَّ أصبح في ذلك اليوم صائمًا كان له كصيام سنتين: سنة ماضية، وسنة مستقبلة». فهذا حديثٌ موضوعٌ، نصَّ على وضعه مخرِّجه البيهقي وغيره.

وكذا ما روي عن عليٍّ عليه السلام مرفوعًا: «من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، و(قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة، قضى الله له كل حاجة يطلبها تلك الليلة». قيل: يا رسول الله وإن كان الله جعله شقيًّا أيجعله سعيدًا؟ قال: «والذي بعثني بالحق يا علي إنه مكتوب في اللوح فلان ابن فلان خلق شقيًّا، فيمحوه الله ويجعله سعيدًا».

وذكر حديثًا طويلًا في فضلها، وهو أيضا موضوعٌ نصَّ عليه ابن الجوزي وغيره. وكذا ما ذكره الغزالي في "الإحياء" عن الحسن قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أن من صلى في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكلِّ نظرةٍ سبعين حاجة أدناها المغفرة». هو أيضًا حديثٌ باطلٌ كما صرَّح به الحافظ العراقي.

وكذلك ما شاع بين الناس من الدعاء يوم النصف من شعبان بعد صلاة المغرب وقراءة يس ثلاث مرات زاعمين أن الأولى للبركة في العمر، والثانية للبركة في الرزق، والثالثة لحسن الخاتمة[1].

---

(١) مستندين في ذلك لحديث: «يس لما قرئت له» وهذا الحديث لا أصل له، كما قال الحافظ السخاوي، وفي معناه حديث موضوع ذكرناه في مقالنا -نقد وإجابة -قال السخاوي: «وهو -أي: الحديث السابق- بين جماعة الشيخ إسماعيل الجبرتي باليمن قطعيٌّ للتجربة».

لا أصل البتة لشيء من ذلك في كتب السنة النبوية، كما جزم به خاتمة المحدِّثين النقاد السيد محمد مرتضىٰ الزبيدي الحسيني، وقال: إنما هو من عمل المشايخ، نعم وردت جمل من ذلك الدعاء عن بعض الصحابة موقوفة، كما في "تفسير ابن جرير" وغيره عند قوله تعالىٰ في آخر (سورة الرعد): ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

والقول بأن ليلة النصف من شعبان هي الليلة المباركة التي قال الله فيها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]؛ قول روي عن عكرمة واحتجَّ له بما جاء في بعض الأحاديث أن الآجال تنسخ في شعبان حتىٰ أن الرجل يتزوَّج وقد رفع اسمه فيمن يموت، وأن الرجل يحج وقد رفع اسمه فيمن يموت.

والصحيح الذي تضافرت به الروايات أن الليلة المباركة هي ليلة القدر بل جاء ذلك في القرآن صريحًا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقال جل ثناؤه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فاستفدنا من الآيتين أن القرآن أنزل في ليلة القدر من شهر رمضان وهذا قول الجمهور.

وأما الأحاديث التي استدلَّ بها لقول عكرمة فهي أحاديث ضعيفة لا تعارض النصوص الصحيحة، وأمثلها حديث عائشة عند أبي يعلىٰ فإن إسناده حسن أو قريب منه، ومع ذلك قال الحافظ المنذريُّ: «إن متنه غريب». وهو كما قال، والله أعلم.

٣٥- شرح حديث شريف[1]

روينا بالسند المتصل إلى أبي بكر محمد بن الفرج الأزرق قال: في جزء من حديثه: حدثنا ابن جريج، عن عطاء، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قُولوا خيرًا؛ قُولوا سبحانَ الله وبحمده، فبالواحدة عشرةٌ وبالعشرة مائةٌ، وبالمائة ألفٌ ومن زاد زادَه الله عزَّ وجلَّ، ومن استغفر غفرَ الله له، ومن حالتْ شفاعتُه دون حدٍّ من حدودِ الله فقد ضادَّ الله في مُلكه، ومن باهَتَ مؤمنًا أو مؤمنةً حُبس في ردْغَة الخَبَال حتَّى يخرجَ ممَّا قال، ومن مات وعليه دينٌ أخِذ من حسناتِه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، حافظوا على ركعتي الفجرِ فإنَّ فيهما الرَّغائبَ**».

الشرح والبيان

«الخير»: اسم جامع لكل ما يستحسن شرعًا أو عادة.

فقوله: «**قولوا خيرًا**» أمر بتعويد اللسان على نطق الخير والبعد عن اللفظ النابي وقول الفحش، فلا يخاطب الإنسان صاحبه إلا بأحبِّ الألفاظ وأحسنها كما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يفعله فإنه كان ينادي أصحابه بأحبِّ أسمائهم، ومن له كنية ناداه بها احترامًا له واستجلابًا لحبِّه ومودَّته، وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُغيِّر الأسماء القبيحة بالأسماء الحسنة، وهذه الجملة من الحديث توافق قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْلِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] إلا أن الآية خاصة في مخاطبة الناس بعضهم بعضًا والحديث عام في ذلك وغيره.

---

(١) مجلة الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد (٤٠) ١٨ جمادى الأولى ١٣٦٨.

وفي أواخر "الموطأ" عن يحيي بن سعيد: «أن عيسىٰ عليه السلام لقي خنزيرًا في الطريق فقال له: عيسىٰ «اذهب بسلام» فقيل له: أتقول هذا لخنزير؟ فقال: إني أكره أن أعوِّد لساني النطق بالسُّوء»

ويشبه هذا ما ذكره تاج الدين السبكي في "طبقات الشافعية الكبرىٰ" في ترجمة والده تقي الدين السبكي أنه –أي: تاج الدين– كان قاعدًا في دِهْليز بيته مع جماعة من أهل العلم ينتظرون والده– تقي الدين– وكان اليوم مطيرًا فمر به كلب مبتَلٌّ بالمطر فقال له تاج الدين: اذهب يا كلب، وذلك خوفًا من أن ينجِّسه ببلله. فسمعه والده فقال له: أثمت فيما قلت. قال تاج الدين: قلت له: أليس هو كلبًا؟ قال: نعم، ولكنك أخرجت الكلمة مخرج الاحتقار والازدراء ولا يجوز احتقار مخلوق لله تعالىٰ.

قال تاج الدين: فاستفدنا من هذا أن الإنسان إذا تكلَّم بلفظ قصد به الاحتقار فإنه يكون آثمًا في ذلك بحسب قصده ولو كان ما قاله حقيقة.

والمقصود أن نطق الخير واستعمال الألفاظ الحسنة اللائقة مطلوب شرعًا إلا في حقِّ من لا يستحق ذلك من الناس مثل الفاسق المجاهر بفسقه ومن في معناه.

وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قولوا سبحان الله وبحمده**» هذا اللفظ من جملة الخير المأمور به أولًا فهو تخصيص بعد التعميم خصَّصه بالذكر لتأكد فضله وعظم ثوابه لأن هذا اللفظ يشتمل علىٰ معنيين هما خلاصة التوحيد إذ معنىٰ «سبحان الله»: تنزيه الله عن كلِّ نقصٍ لا يليق به مما وصفه المشركون به كالشريك، والولد، والصاحبة، والجسمية، ونحو ذلك فقول القائل: سبحان الله

معناه: أنزه الله عن كل ما لا يليق به.

ومعنىٰ «وبحمده»: إثبات كل كمال لله تعالىٰ. والتوحيد ينحصر في هذين الوصفين؛ تنزيه الله عن النقائص، ووصفه بالكمالات.

ولهذا ورد ترغيب كثير في هذا الذكر ففي الحديث الصحيح: «**كلمتان خَفيفَتانِ على اللِّسان ثقيلتانِ في الميزانِ، حبيبتانِ إلى الرَّحمن: سبحانَ الله وبحمدِه، سبحانَ اللهِ العظِيمِ**». وهذا الحديث هو آخر حديث في "صحيح البخاري".

وفي حديث آخر صحيح أيضًا: «**وسبحانَ الله والحمدُ لله تملآنِ أو تملأُ ما بين السَّماءِ والأرضِ**»، أي ثواب هذين اللفظين يملأ الفراغ بين السماء والأرض.

وقوله: «**فبالواحدةِ عشرةٌ، وبالعشرةِ مائةٌ، وبالمائةِ ألفٌ**». بيان لبعض ثواب هذه الكلمة وهو علىٰ أساس أن الحسنة بعشر أمثالها، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقد يزيد الله في الثواب بحسب قوة إخلاص القائل، وصفاء قلبه وشدة يقينه.

وقوله: «**ومن زادَ زادَه الله عزَّ وجلَّ**» ترغيب في الإكثار من ذكر هذه الكلمة. فإن الإنسان إذا علم أنَّ الحسنة تضاعف بعشر أمثالها وأنه كلما زاد منها زاده الله ثوابًا مضاعفًا عليها كان ذلك حافزًا له علىٰ الإكثار من الطاعة خصوصًا إذا كانت سهلة لا تكلف كبير مشقة مثل هذه الكلمة «سبحان الله وبحمده».

«**ومن استغفر غفر الله له**» الاستغفار في عرف الشرع كناية عن التوبة؛ لأن

الاستغفار يقارنها دائمًا والمراد أن الإنسان إذا استغفر من ذنبه تائبًا إلىٰ الله منه عازمًا علىٰ عدم العودة إليه نادمًا علىٰ ما فرط من فعله غفر الله له لأنه قد تاب توبة نصوحًا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥] أما مجرد الاستغفار باللسان مع عدم عقد التوبة بالقلب فإنه لا يفيد بل ربما يأثم صاحبه لما ورد أن المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه.

«**ومن حالتْ شفاعتُه دون حدٍّ من حدودِ الله فقد ضادَّ الله في مُلكه**»: يعني: أن الإنسان إذا شفع في شخصٍ استوجب عقوبة شرعية فلم تنفَّذ فيه العقوبة بسبب شفاعته كان مضادًّا لله في ملكه لأن الله أمر بتنفيذ العقوبة فيمن يستحقها فمن عمل علىٰ عدم تنفيذها بشفاعة أو غيرها فقد خالف أمر الله وتعرض لغضبه وعقابه.

وقد ورد عن صفوان بن أمية أنه كان نائمًا في المسجد فسرق شخص منه شملة كان متوسِّدَها فأمسك به وأخذه إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلما ثبتت عليه السرقة أمر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقطع يده قال صفوان: فأخذتني الشفقة وقلت: هي له يا رسول الله أي قد سمحت له فيها، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كان هذا قبلَ أنْ تأتيَني**». يعني: أن الحدَّ إذا وصل إلىٰ الإمام الحاكم وجب تنفيذه ولا يسقطه مسامحةُ صاحب الحق ولا شفاعته ولا غير ذلك، وأيضًا فإن الشفاعة فيمن يستحق العقوبة تساعد علىٰ انتشار الإجرام واتساع الفوضى ولذلك أوجب الشارع إقامة الحد وعدم قبول أي عذر في إبطاله.

«**ومن باهتَ مؤمنًا أو مؤمنةً حُبس في ردغَةِ الخَبالِ حتَّى يخرجَ ممَّا قالَ**».

البهت: القول الباطل يعني: أنَّ من نسب إلىٰ مؤمن أو مؤمنة قولًا أو فعلًا لم يصدر منه كان جزاؤه عند الله أن يحبس في ردغة الخبال يوم القيامة، وأصل الردغة الطين والوحل الكثير، والخبال: الهلاك، والمراد بردغة الخبال هنا: عُصارة أهل النار كما جاء مفسرًا في حديث آخر.

وهذه العقوبة جعلها الله لشخصين:

أحدهما: هذا وهو الذي يبهت المؤمن أو المؤمنة بما لم يقل أو لم يفعل.

والثاني: شارب الخمر فإنه إذا مات لم يتب منها سقاه الله من ردغة الخبال.

«**ومن مات وعليه دينٌ أُخذ من حسناتِه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ**». يعني: أن الإنسان إذا مات وعليه دين لأحد الأشخاص لم يؤده له فإن صاحب الدين يأخذه يوم القيامة من حسناته لأنه ليس هناك دينار ولا درهم يقضي به دينه وإنما هي الحسنات والسيئات فمن كانت له حسنات أخذ منها بقدر ما عليه من الحقوق، ومن لم تكن له حسنات أو كانت ونفدت بسبب الحقوق التي عليه وبقيت حقوق أخرىٰ أخذ من سيئات أصحاب الحقوق وضُمَّت إلىٰ سيئاته ثم طرح في النار.

وهذا الحكم عام في كل من عليه حق سواء كان دينًا أو عرضًا أو غير ذلك، وقد ورد في الحديث أن الإنسان إذا كان عليه دين وهو ينوي أداءه ثم مات قبل أن يتمكن من الأداء فإن الله يؤديه عنه يوم القيامة، وإن كان عليه دين لا ينوي أداءه لصاحبه بعثه الله سارقًا يوم القيامة. وكذلك ورد في الحديث أيضًا أن من تزوج امرأة علىٰ مهر لا ينوي أداءه لها بعثه الله زانيًا يوم القيامة.

فيؤخذ من هذا الحديث أن الإنسان يجتهد في أداء ما عليه من الحقوق

وينوي أداءها لأصحابها ويعزم على ذلك وإذا لم يتمكن لموت أو غيره فإن الله تعالى يعلم عذره ويؤديه عنه.

«**حافظُوا على ركعتَي الفجْرِ فإنَّ فيهما الرَّغائب**». ركعتا الفجر هما سنة الصبح، والرغائب: جمع رغيبة والرغيبة الشيء الواسع، والمراد به هنا الثواب الواسع الكثير.

وهذا الحديث وما في معناه مستند المالكية في تسمية سنة الصبح رغيبة وليس عند المالكية سنة تقضى غير ركعتي الفجر فإنهما تقضيان إلى الزوال قال ابن عاشر في "المرشد المعين ":

فَجْــرٌ رَغِيبــة وتُقضَـــى للــزَّوال   والفَرْضُ يُقضَـى أبـدًا وبـالتَّوال

هذا بعض ما يشتمل عليه هذا الحديث من الأحكام والأخلاق والآداب وما من جملة من جمله إلا وهي مؤيدة بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية، والله أعلم.

٣٦- شرح حديث شريف

منزلة السنة في التشريع[1]

عن المقدام بن معدي كرب قال: حرم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره، ثم قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«يوشِكُ أنْ يقعُدَ الرَّجُلُ منكُم على أرِيكَتِهِ يُحَدَّث بحديثي فيقولُ: بيني وبينكم كتابُ الله فما وجَدْنا فيه حلالًا استحلَلْناه وما وجَدْنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإنَّما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم الله»**. رواه أبو داود، والبيهقيُّ، وغيرهم بإسنادٍ صحيحٍ.

الشرح والبيان

ثبت في روايات أخرىٰ أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حرم يوم خيبر كلَّ ذي ناب من السباع -والمُجثَّمة- بضم الميم وفتح الثاء المثلثة المشددة: هي الحيوان الذي يمسك ويجعل غرضًا يرمىٰ بالسهام ولحوم البغال، وكل ذي مخلب من الطير والخلسة -بضم الخاء وسكون اللام- هي الفريسة يستنقذها الرجل من الذئب أو السبع فتموت قبل تزكيتها، فهذه المحرمات هي المشار إليها بأشياء في هذا الحديث.

ولا خلاف بين المسلمين في أن السنة المطهرة مثل القرآن، وأنها تستقل بتشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام، وأن طاعتها والانصياع إليها فرض لازم بدون قيد ولا شرط.

وما يروىٰ عن ثوبان وغيره أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«اعرِضُوا**

---

(١) الشرق العربي السنة الثالثة العدد (٤٢) ٢ جمادىٰ الآخرة ١٣٦٨.

حديثي على القرآنِ فما وافقَه فهو منِّي وما خالفَه فليس منِّي». باطل باتفاق حفَّاظ الحديث، نذكر منهم الإمام الشافعي، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن حزمٍ، وزاد ابن مهدي الحافظ العلم أنه من وضع الزنادقة، وقد اغتر بهذا الحديث الباطل صاحب كتاب "حياة محمد" فجعله أساسًا لبحثه في قبول الأحاديث، وردها في كتابه المذكور وهو لا يدري بطلان بحثه.

والحديث الذي نشرحه اليوم من أعلام النبوة، إذ هو من جملة المغيِّبات التي أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بوقوعها بعده فوقعت كما أخبر، والمغيبات التي أخبر بها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كثيرة جدًّا بلغت حدَّ التواتر علىٰ جميع الاصطلاحات، وهي منتشرة في كتب الصِّحاح والسُّنن وغيرها.

وقد قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما رواه الطبراني وغيره: «**إنَّ الله رفعَ لي الدُّنيا فأنا أنظرُ إليها وإلى ما هو كائنٌ فيها كما أنظرُ إلى كفِّي هذه**».

وروىٰ أحمد وغيره بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي ذرٍّ قال: «لقد تركنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما يقلِّب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا». وورد من ذلك عن أبي الدرداء أيضًا.

فالذين ينكرون علم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالمغيِّبات مخطئون في إنكارهم لأن النصوص المتواترة ترد عليهم وتنبذ دعواهم، وإذا أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بشيءٍ فلابد أن يكون صحيحًا، ولابد أن يقع كما أخبر وارتكاب التمحُّلات الباردة لردِّه بتأويل أو غيره خطة السوء نعوذ بالله منها.

بعد هذه المقدمة الوجيزة نعود إلىٰ الكلام عن شرح الحديث فنقول:

أخبر المقدام بن معدي كرب أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حرم يوم خيبر الحمار الأهلي وغيره، وقد ورد في حديث آخر أن الصحابة ذبحوا يوم خيبر حمرًا أهلية ووضعوها علىٰ النار يُنضِجونها، فأمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإكفاء القدور بما فيها، وأخبرهم بتحريم أكلها هي وكُلَّ ذي ناب من السِّباع كالذئب والأسد، وكل ذي مِخْلَب من الطير كالنَّسر والصَّقر والبازي ولحوم البغال، وغير ذلك.

وورد في حديث خالد بن الوليد أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حرم في هذا اليوم -يعني يوم خيبر- لحوم الخيل أيضًا.

وقد اختلف العلماء في الأشياء المحرمة في هذا الحديث:

فالشافعية: قالوا بتحريمها كلها ما عدا الخيل لأن الرواية بتحريمها ضعيفة، وقالوا: بإباحة أكلها واحتجوا بالحديث الصحيح عن أسماء قالت: «أطعمنا رسول الله فرسًا»، وبحديث جابر الصحيح: «نحرنا علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فرسًا».

والمالكية: وافقوا علىٰ تحريم الخيل والبغال والحمير والمجثمة والخلسة، وقالوا بكراهية كلِّ ذي ناب من السباع، وكلِّ ذي مخلب من الطير، إلا ابن عبدالبرِّ منهم فإنه وافق الشافعية في تحريم السباع والطيور ذوات المخالب.

وأجابوا عن حديث إباحة أكل الخيل بأنه واقعة عين لا تدل علىٰ العموم، إذ يجوز أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أباح لهم أكل الخيل لظروف خاصة كأن كانوا في سفر ولم يجدوا غير الخيل يأكلونها.

واحتجُّوا علىٰ كراهية السباع والطيور بأن الله تعالىٰ قال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ

أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وحملوا التحريم في الحديث المذكور على الكراهية.

والذي أراه في هذا الباب أن مذهب الشافعية أقوىٰ إذ الدليل يؤيدهم، وما أجاب به المالكية لا يسلم من بحث ومناقشة، ثم إنه لما حرَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هذه الأشياء وهي غير محرَّمة في القرآن أراد أن يبيِّن أن تحريمه من قِبل تحريم القرآن كما قال في آخر الحديث: «**وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم اللهُ**».

ومثل التحريم غيره، فما فرضه رسول الله مثل ما فرضه الله، وما أباحه رسول الله مثل ما أباحه الله، لأن الرسول مبلغ عن الله لا ينطق عن الهوىٰ، وسنته وحيٌ غير متلوٍّ، ولهذا قال في حديث آخر صحيح: «**ألا وإنِّي أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه**». قال العلماء مثل القرآن الذي أوتيه هو الأحاديث المعبَّر عنها بالسنة.

ثم أخبرنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ سبيل التحذير والتنبيه بقوم يأتون بعده يقتصرون علىٰ القرآن ويتركون حديثه وهو قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث** -بفتح الدال المشددة، أي يحدثه الثقة بحديثي- **فيقول بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه**».

يعني: أن هذا الشخص المتكبِّر يأتيه الحديث عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيأبىٰ قبوله ويتمسَّك بالقرآن وحده، ولا شك أن التمسُّك بالقرآن دون الرجوع إلىٰ السُّنَّة في بيان عمومه وخصوصه ومطلقه ومقيده وغير ذلك،

مما وكل تفسيره إلىٰ السُّنة ابتداع وضلال.

وقد ظهرت نشأة اليوم تسير علىٰ هذه الخطة المعوجَّة، وتحارب السنة بطرق شتَّىٰ يخال الناظر إليها أنها طرق علميَّةٌ سليمةٌ، ولكن فيها السُّم الزُّعاف، فتارة يلجئون إلىٰ رد الحديث بأنه من الإسرائيليات، وتارة بأنه آحاد والمطلوب التواتر، وتارة بأن الكثير من العلماء علىٰ خلافه وتارة بأنه يحتمل وجوه من الاحتمالات العشرة التي ابتدعها المتأخِّرون وتوسَّعوا فيها توسُّعًا غير مرضي، إلىٰ غير ذلك من الحيل والألاعيب والله يعلم ما يسرون ويعلم ما يقصدون من ذلك

والعجيب في أمرهم أن الواحد منهم إذا عرض له حديث وافق عقله ورآه متمشِّيًا مع منطقه احتجَّ به ولا يهمه أن يكون ضعيفًا أو موضعًا، حتىٰ إذا ما جاء حديث يخالف هواه لجأ إلىٰ حيله السابقة واستعرضها ليأخذ منها ما يراه صالحًا لدفع ما خالف هواه.

والأمثلة علىٰ ما قلناه كثيرة لا بأس أن نشير إلىٰ شيء منها:

فهذا كاتبٌ كتب في قصص الأنبياء كتابًا ضخمًا لا يأتيه حديث يتعلق بقصة نبيٍّ من الأنبياء إلا وردَّه بلسان طلق وعبارة ذلقة، وهو يعلم أن الحديث في الصحيحين أو أحدهما، وهو يتذرَّع في رد الأحاديث بالورع والاحتياط كأنه أورع من البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم من أئمَّة الدين، وفي الوقت نفسه لا يتورَّع أن يستشهد علىٰ رأي رآه بما جاء في التوراة أو الإنجيل.

انظر إليه حينما عرض لبيان صهر موسىٰ عليه السلام هل هو شعيب عليه السلام أو غيره؟ فإنه بعد أن ذكر قول الأكثر بأنه شعيب عقب بقوله: «لم

تطاوعني نفسي أن أقول هو شعيب وتمثل لي شيخ المعرَّة يقول -يعني: أبا العلاء المعري-:

لا تظلموا الموتى وإنْ طال المَدى إني أخافُ عليكمو أن تلتَقُوا

قال الكاتب الورع: «وخفت أن يلببني -أي: يأخذ بتلابيبي- شعيب إلى الله يوم القيامة، ويقول: يا رب سل هذا لم جعلني صاحب موسى؟ ولم أكن صاحبه ولا وجدت في زمنه؟».!

وهذا ورع كبير لا مطمع للإمام أحمد في مثله.

ثم انظر إليه حينما عرض للدَّجَّال وحكى قول الشيخ محمد عبده فيه أنه رمز للدَّجل والخرافات وليس شخصًا حقيقيًّا عقب عليه يقول: «كنت أميل إلى هذا وأراه قويًّا ولكني الآن أميل إلى أن الدَّجَّال شخص حقيقيٌّ».

وإلى هنا ليس في الأمر ما يستغرب وإنما الغريب أن يقول في تعليل ميله هذا: «ذلك أني نظرت فوجدت اليهود ينتظرون الدجال».

وذكر أنه لما أرسل الله عيسى عليه السلام ظنه اليهود ملكهم المنتظر ولما وجوده غيره همُّوا بقتله والفتك به، ثم انظر ذكر فقرات من الإنجيل أن عيسى أنذر بظهور مسحه ودجالين بعده.

فأنت ترى من هذا الكلام أنه خالف الشيخ محمد عبده ورأى الدَّجَّال شخصًا حقيقيًّا لا وهميًّا، ولم يستند في رأيه إلى الأحاديث المتواترة المخبرة بالدَّجَّال وإنما استند إلى انتظار اليهود للدَّجَّال وإنذار عيسى بمسحه.

وهذا شخصٌ آخر كان يدرس المقارنة بين المذاهب في كليات الأزهر عرض لموضوع قتل المرتد، وذكر استدلال الفقهاء على وجوب قتله بقوله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «مَن بدَّل دينَه فاقتُلوه» ثم أراد أن يردَّ الحديث ويتخلَّص منه بأسلوبٍ مُلتوٍ فذكر أنَّ القرآن لم يُشِر إلى قتل المرتدِّ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧].

ثم عقب بقوله: «إنَّ كثيرًا من العلماء لا يقبل خبر الآحاد في الحدود».

وهذا تدليسٌ بالغ النهاية، فإن التعبير بكثير يوهم أن عشرة من العلماء على الأقل يقولون ما نسبه إليهم، ولكنك إذ بحثت كتب الأصول والفقه وراجعت كتب الخلاف لم تجد غير شخصين اثنين قالا إن خبر الواحد لا يعمل به في الحدود، وهما الكرخي من الحنفية، وأبو عبدالله البصيري من المعتزلة لا ثالث لهم إطلاقًا، ولكنه التجأ لردِّ الحديث بجعل الشخصين أشخاصًا.

وهذا ثالث يتولَّى منصب التفتيش في الأزهر تراه يذكر أحاديث لا زمام لها لأنها أحاديث حسنة في الأخلاق عظيمة في المعنى، كحديث ابن مسعودٍ: «اعبُد اللهَ ولا تشركْ به، ودُرْ معَ القُرآن أينَما دارَ، واقبَل الحقَّ ممَّن جاءَ بهِ من صغيرٍ أو كبيرٍ... » إلخ.

أذاع هذا الحديث في المذياع ونشره في أحاديث الصباح، وهو حديث لم يصح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من وجه، وإنما رواه الطبرانيُّ ومن طريقة ابن عساكر عن ابن مسعودٍ موقوفًا عليه.

ثم في الإسناد إلى ابن مسعودٍ ضعيف، لكنه مع هذا شرحه ونوَّه به كثيرًا على حين أنا نراه يحاول التخلُّص من أحاديث صحيحة.

وهذه مجلة جديدة أصدرتها جماعة التقريب بين المذاهب رأينا أول عدد منها فإذا هي خُلْو من السُّنَّة، لم يشر فيها القائمون على شئونها إلى شيءٍ من

السُّنَّة لا بتصريحٍ ولا بتلميحٍ، بل رأينا كاتب التفسير فيها قدم بمقدمة استقعد فيها قواعد يؤخذ منها طرح السُّنَّة، وترك الرجوع إليها في تفسير القرآن وهذا شيءٌ له خطره، ومن يدري فلعل إهمال السُّنَّة في هذه المجلة تمهيد للتقريب المنشود، ولنا علي هذه المجلة تعقيبات سنظهرها في الوقت المناسب إن شاء الله، وهناك أمثلة أخرىٰ فيها ما هو أدهىٰ مما ذكرناه وستظهر في كتابنا "إرغام المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول" وقد جهَّزناه للطبع.

وفي هذا القدر كفاية، وبالله التوفيق.

٣٧- شرح حديث شريف[١]
الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ سبع

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الأعمالُ عند الله عزَّ وجلَّ سبعٌ: عملان مُوجِبان، وعمَلان بأمثالِها، وعملٌ بعشرِ أمثالِه، وعملٌ بسبعِمائةٍ، وعملٌ لا يَعلم ثوابَ عاملِه إلا الله تَعالى. فأمَّا المُوجِبان فمن مات لا يشرك بالله شيئا وجبتْ له الجنَّة، ومن مات وقد أشركَ وجبتْ له النَّارُ، ومن عمل سيِّئة جُزي مثلَها، ومن همَّ بحسنة ولم يعملْها جُزي مثلَها، ومن عمل حسنةً جُزي بعشرِ أمثالِها، ومن أنفقَ مالَه في سبيل الله ضُعِّفت له نفقتُه، الدرهمُ سبعِمائةٍ، والدينارُ سبعِمائةٍ، والصيامُ لا يعلم ثوابَ عاملِه إلا اللهُ تعالى**». رواه الطبرانيُّ وغيره.

الشرح والبيان

أعمال الطاعات كثيرة متنوعة نوَّعها الشارع لتنشيط المسلم على العبادة والإقبال عليها، ولتعدُّد الواردات التي تتجلَّى على الشخص بتلبُّسه بطاعة من الطاعات، كما قال ابن عطاء الله: «نوَّع لك أنواع العبادات لتعدُّد أنواع الواردات، وما الواردات إلا تجليَّات وإلهامات يلقيها الله في قلوب عباده الطائعين المتقين كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]» وفي حديث ورد من مرسل مكحول: «**من أخلَص لله أربعينَ صباحًا ظهرتْ ينابيعُ الحكمة من قلبِه على لسَانِه**».

ولكن الطاعات على تعدُّدها، وكثرة أنواعها لم تخرج من حيث جزاؤها

(١) المشرق العربي، السنة الرابعة، العدد (٩) ٥ رمضان ١٣٦٨.

والثواب عليها عن أقسام سبعة كما حدَّدها الحديث الذي نشرحه وهي على الترتيب الآتي:

الأول: عمل موجب لدخول الجنة: وهو جزاء من مات على الإيمان، بمعنى أن المرء إذا مات مؤمنًا بالله ورسوله كان مآله إلى الجنة، ثم هو بعد ذلك ينقسم إلى ثلاثة أحوال:

مؤمن لم يعص الله قطُّ فهذا يدخل الجنة بدون سابقة عذاب.

مؤمن عصى الله ثم تاب توبة صحيحة محتْ ذنوبه، فهذا أيضًا يدخل الجنة من غير سابقة عذاب.

مؤمن عصى الله ومات غير تائب، أو تاب توبة غير صحيحة فهذا يأخذ قسطه من العذاب بقدر عصيانه ثم يدخل الجنة بشفاعة أو بمجرد رحمة الله.

فمآل المؤمن إلى الجنة لا محالة، خلافًا للمعتزلة في قولهم إن الفاسق يخلد في النار، وقولهم مخالف لما ثبت في الأحاديث المتواترة من إخراج الموحدين من النار ودخولهم الجنة، ثم أقصى ما يمكثه العاصي المسلم في النار أسبوع من أسابيع الآخرة أي: سبعة آلاف سنة.

الثاني: عمل موجب لدخول النار والخلود فيها: وهو الإشراك بالله فمن مات مشركًا فقد وجبت له النار وحرمت عليه الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومثل المشرك: الكافر، وهو من يؤمن بالله ويكفر برسول من رسله، أو ينكر أمرًا معلومًا من أمور الدين كوجوب الصلاة، وحرمة الزنا والخمر إلخ.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لا يسمَع بي أحدٌ من هذه الأمَّةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم مات ولم يؤمنْ بالذي جئتُ به، إلا كان من أهلِ النَّار**». رواه مسلم في "صحيحه".

الثالث: عمل بمثله، وهو عمل السيئة: وذلك أن الله تعالىٰ رحمة منه بعباده جعل جزاء المعصية بمثلها ولم يضاعفها إلا في حالات معينة، فالمعصية في المسجد تضاعف علىٰ المعصية في غيره لحرمة المسجد، والمعصية في رمضان تضاعف عليها في غير رمضان لحرمة هذا الشهر العظيم المبارك، ومن ثم جعل المالكية الفطر في نهار رمضان موجبًا للكفارة الكبرىٰ سواء كان بالجماع أو غيره، مع أن الحديث ورد في الفطر بالجماع فقط، لكن المالكية رأوا أن انتهاك حرمة الشهر تحصل بمطلق مفطِّرٍ كما تحصل بالجماع، وقالوا: لو رفض نية الصيام نهارًا فعليه الكفارة، ولو لم يفطر بالفعل لأن رفض النية إفطار، وكل هذا -كما ترىٰ- تعظيم لحرمة رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىٰ للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان.

ولأجل مضاعفة السيئة لحرمة المكان فضل كثير من الأئمة الابتعاد عن الإقامة بمكة أو المدينة مع اشتياقهم إلىٰ ذلك مخافة أن يقصروا في القيام بحقوق هذه المجاورة الكريمة فيكثر عقابهم ويشتد عذابهم.

الرابع: عمل بمثله أيضًا: وهو الهم بعمل الحسنة، ثم تركها لعذر من الأعذار، كمن هم أن يتصدق فمنعه عذر من الصدقة، فإن الله يكتب له ثواب ما هم به، أما لو ترك الحسنة لغير عذر مع قدرته عليها فهذا لا ثواب له لأنه

مُضرِب عن عمل الحسنة والمُضرب غيرُ مثاب.

الخامس: عمل بعشر أمثاله، وهو عمل الحسنة، أي: حسنة كانت صدقة أو صلاة، أو تلاوة قرآن، أو غير ذلك قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وشرط هذا الجزاء أن يكون العبد مخلصًا فيها لا يقصد بها جاهًا أو غير ذلك، للحديث القدسي: «**أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك من عملَ عملًا أشركَ معي غيري فيه فهو لشريكِهِ وليس لي منه شيء**».

السادس: عمل بسبعمائة: وهو الإنفاق في سبيل الله، وسبيل الله هو الجهاد عند الجمهور، وأضاف إليه أحمد بن حنبل الحج، فمن أنفق ماله في الجهاد أو في الحج مخلصًا لا مباهيًا ولا مكاثرًا، ضعف الله نفقته فيكون الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] ومعلوم أن الإنفاق في الحج على قول أحمد بن حنبل إنما ينطبق عليه هذا الوصف إذا كان الحج للفريضة أو لنافلة ولم يترك الحاج فيها ما هو أوجب عليه منها.

أما ما يفعله كثير من الناس اليوم من الذهاب إلى الحج عدة مرات وتركهم أهلهم أو أولادهم أو أقاربهم في حاجة إلى معونتهم المادية، فمثل هذا الحج لا يعد الإنفاق فيه إنفاقًا في سبيل الله على جميع المذاهب لأن غرض صاحبه التظاهر بكثرة الحج ووضع يده على الشُّباك النبويِّ الشريف.

السابع: عمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى وهو الصوم ذلك لأن الصوم صبر عن الشهوات والملذات، وكبح للنفس عما اعتادته طول السنة من

الإباحة في المآكل والمشارب، والصبر ثوابه غير محدود كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فلهذا كان الصوم ثوابه غير محدود ولا معلوم، وإنما يعلمه الله تعالىٰ إذ هو الذي يقدره بحسب ما يعلمه من إخلاص الصائم وقوة يقينه واحتساب ثوابه.

هذا مجمل الكلام علىٰ الأنواع السبعة التي بينها الحديث وشرحناها بما زادها وضوحًا وتقريبًا للأفهام، ولا يفوتنا أن ننبه إلىٰ أن هذه الأنواع متداخلة يصحُّ اجتماعها كلُّها أو بعضها في شخص واحد، ومتىٰ اجتمعت في شخص فإنه يعطىٰ علىٰ كل منها ثوابه الخاص فضلًا من الله وكرمًا منه. والله ذو الفضل العظيم.

٣٨- توجيهات إلهية[١]
أحب العباد إلى الله

قال داود فيما يخاطب به ربه: «يا ربِّ أيُّ عبادِك أحبُّ إليك أحبُّه بحبِّك؟ قال: يا داود، أحبُّ عبادي إلي تقيُّ القلب نقيُّ الكفَّين لا يأتي إلى أحد سوءًا ولا يمشي بالنَّميمة تزول الجبالُ ولا يزولُ، أحبَّني وأحبَّ من يحبُّني وحبَّبني إلى عبادي. قال داود: يا ربِّ إنَّك لتعلمُ أنِّي أحبُّك وأحبُّ من يحبُّك فكيف أحبِّبك إلى عبادك؟ قال: ذكِّرهم بآلائي وبلائي، يا داود ما من عبد يمشي مع مظلوم في مظلمتِه إلا ثبَّت قدميه يوم تزولُ الأقدامُ».

الشرح والبيان

هذا أثر إلهي ينبئ عن أوصاف العبد المحبوب عند الله الذي أحب الله فأحبه الله وأكرمه وآواه، ومن قواعد الإيمان أن يحب الإنسان من يحبه الله من أنبيائه وأوليائه وصلحاء خلقه.

لا يتم إيمان العبد إلا بذلك فلهذا سأل داود عليه السلام ربه في بعض مناجاته عن العبد الذي يحبه الله ليحبه داود بسبب محبة الله له فأخبره الله تعالى بجملة صفات إذا اجتمعت في عبد كان كامل الإيمان معدودًا من أولياء الله تعالى.

فقال: «**أحبُّ عبادي إليَّ تقيُّ القلب**» وتقوى القلب: عبارة عن سلامته ونقائه من المعاصي التي تفسده وتجعله بعيدًا عن قبول ما يصلحه، وأساس تقوى القلب سلامته من الشرك بجميع أنواعه، وذلك بأن يكون القلب

---

(١) الشرق العربي، السنة السابعة، العدد (٣٦) ٦جمادى الأولى ١٣٧٢.

خالصًا للإيمان ليس فيه للشرك والشك والوساوس الشيطانية مكان. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] وفي حديث رواه أحمد: «**قد أفلحَ من أخلَصَ قلبَه للإيمانِ**» الحديث.

ثم يأتي بعد ذلك سلامته من المعاصي التي هي دون الشرك وذلك مثل: الكبر والحقد وحبِّ الظُّهور والفخر وما إلى ذلك، مما يكون له على القلب أشد تأثير، وقد ورد في حديث: «**إنَّ بُدَلاءَ أمَّتي لم يدخلُوا الجنَّة بكثرةِ صلاةٍ ولا صيامٍ، ولكنْ دخلوها بسلامةِ الصُّدور وسخَاوةِ الأنْفُس والرَّحمة بجميعِ المسلمِين**».

«**نقيُّ الكفَّين**»: هذه صفة ثانية من صفات العبد المحبوب عند الله وهي نقاء الكفين والمراد بذلك: أن يكون مكسبه حلالًا لا تمتد يده إلى محرم، فلا يسرق ولا يغصب ولا يغش في المعاملة ولا يقبل الربا، وهذه صفة مهمة جدًّا بل تعتبر أهم شرط بعد الشرك، وقد قال عمر: «كلُّ لحمٍ نبَتَ من سُحْتٍ فالنَّار أولى بِهِ».

وقد يبالغ بعض الأولياء في البعد عن الحرام وصدق المعاملة به مع الله أنه عندما تناول محرم لا يعرفه يجد من نفسه وازاعًا يمنعه عن تناوله.

كان سهل بن عبد الله التستري يقول: «إذا أردت تناول محرم يضرب عرقٌ في يدي فأعلم أن ذلك الشيء محرم فلا أتناوله»، وكذلك قال أبو العباس المرسي.

بل ذكر الحافظ السيوطي في كتاب "حسن المحاضرة" أن الشيخ القباري المدفون بالإسكندرية باع بغلته لشخص لا يعرفه فمكثت البغلة يومين لا تأكل

شيئًا فردها المشتري إلى الشيخ وقال إن هذه البغلة مريضة لأنها لم تأكل يومين، فسأله الشيخ ما صنعتك؟ فأخبره أنه رقَّاص، فقال الشيخ: رد عليَّ بغلتي وخذ نقودك فإن بغلتي لا تأكل الحرام!!

«**لا يأتِي إلى أحدٍ سوءًا**»: هذه صفة ثابتة من صفات العبد المحبوب عند الله ومعناها: أنه لا يؤذي أحدًا لا بيده ولا بلسانه، بل ولا يسعى في إيذائه، وفي الحديث الصحيح: «**المُسلمُ من سَلِمَ المسْلِمون منْ لسانِهِ ويدِهِ، والمؤمنُ منْ أمِنَهُ النَّاسُ على دمائِهِم وأموالِهِمْ**». فالله سبحانه وتعالى لا يحب أحدًا يؤذي الناس أو يحتقرهم إلا في حدود ما أوجبه الله تعالى من الحدود والعقوبات الشرعية.

وقد بلغ الصالحون في حفظ أيدهم وألسنتهم من إيذاء المخلوقات مبلغ لا مطمع فيه لأحد بعدهم.

ذكر تاج الدين السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" أنه كان قاعدًا في مدخل بيته ومعه بعض العلماء ينتظرون خروج والده تقي الدين السبكي، وكان الجو ممطرًا فمر بهم كلب مبتل بالمطر وخاف تاج الدين السبكي أن يلمسه الكلب فينجسه فقال له: امش يا كلب، فسمعه والده تقي الدين فلما خرج إليهم قال لولده: أثمت فيما قلت للكلب، قال له ولده: أليس هو كلبًا؟ قال: نعم ولكنك قلتها له على سبيل الاحتقار، واحتقار المخلوقات إثم.

«**ولا يمشِي بالنَّمِيمَةِ**»: هذه صفة رابعة، وهي وإن كانت داخلة في الصفة التي قبلها فقد أفردت بالذكر هنا للتنبيه على خطورتها فالنميمة من أقبح المعاصي لأنها تفرِّق بين الأحبة، وتُوقع العداوة بين الناس، وتُوغر الصدور، وتُورث الإحَن والضَّغائن، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبيَّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم مرَّ علىٰ قبرين يعذَّب صاحباهما فقال: «**إنَّهما ليعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير** -أي: عند الناس- **بلى إنَّه لكبيرٌ**-أي: عند الله- **أمَّا أحدُهما فكان لا يستَنْزِهُ من البَولِ، وأمَّا الآخرُ فكانَ يمشِي بالنَّمِيمَةِ**».

«**تزولُ الجبالُ ولا يزولُ**»: هذه صفة خامسة ومعناها قوة الإيمان وثبات العزم بحيث يكون الشخص المؤمن أقوىٰ من الجبال الرواسي، لا تزلزله حوادث الدهر ومصائب الزمان.

«**أحبَّني وأحبَّ منْ يحبُّني وحببَّني إلى عبادِي**»: هذه ثلاث صفات مجتمعة من صفات العبد المحبوب عند الله، وهي متلازمة شرعًا، وذلك لأن شرط من يحب الله أن يحب من يحبه الله، وأن يسعىٰ في تحبيب الله إلىٰ عباده لأن أصل الإيمان حبُّ الله وفي حديث آخر: «**اللهمَّ إني أسألك حبَّك وحبَّ عمل يقرِّبني إلى حبِّك**».

قال داود: «**يا ربِّ إنَّك لتعلمُ أني أحبُّك وأحبُّ من يحبَّك، فكيف أحبِّبك إلى عبادك؟**» لما علم داود أن من صفات العبد الملازمة لمحبة الله أن يحبب الله إلىٰ عباده، سأل داود عن السبيل الموصل إلىٰ ذلك، فقال الله له: «**ذكِّرهم بآلائي وبلائي**» يعني: إذا أرت أن تحببني إلىٰ عبادي فذكرهم بنعمي عليهم وبلائي وانتقامي ممن عصاني وهذا يوافق قوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فالإنسان إذا علم نعم الله عليه وإكرامه له، وعلم بإزاء ذلك أن الله قادر علىٰ إزالة تلك النعم وإبدالها نقمًا ومصائب إذا شاء، حفَّزه ذلك إلىٰ حب الله وطاعته والتقرُّب إليه ليضمن دوام نعمه ويبتعد عن مواطن نقمه.

«يا داود ما من عبدٍ يمشي مع مظلوم في مظلمته إلا ثَبَّت الله قدميه يومَ تزولُ الأقدامُ»: هذه وصيةٌ إلهيةٌ وجَّهها الله إلى عباده في شخص داود الذي جعله الله نبيًّا وخليفة في الأرض.

أخبر الله في هذه الوصية أن من ساعد مظلومًا ومشى معه في إزالة مظلمته ثبت الله قدميه عند الصراط يوم تزول الأقدام ولا تثبت.

والحكمة في هذا ظاهرة وهي أنه لما كان المظلوم يحتاج إلى من يثبت له حقه ويدفع عنه ما حاق به من ظلم، جعل الله جزاء ذلك تثبيت الأقدام عند الصراط جزاءًا وفاقًا. والله أعلم.

٣٩- السنن والتوجيهات النبوية [١]
قوة الإيمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيف وفي كلٍّ خيرٌ، احرصْ على ما ينفعُك واستعنْ بالله ولا تَعْجِز، وإن أصابَكَ شيءٌ فلا تقُلْ لو أنِّي فعَلتُ كانَ كذا ولكنْ قلْ: قدَّر اللهُ ما شاء فَعلَ، فإنَّ لو تفتحُ عمَلَ الشَّيطَانِ»**. رواه مسلم في "الصحيح".

الشرح والبيان

ليس من نعمة أنعم الله بها على الإنسان أفضل من نعمة الإيمان لأنه يجلب سعادة الدنيا والنعيم الدائم المقيم في الآخرة.

والإيمان أيضًا يدعو معتنقيه إلى العزة والكرامة وإباء الضَّيم، وفي القرآن الكريم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فليس من شأن المؤمن أن يكون ضعيفًا ذليلًا مهانًا، لأن الإيمان والذلة لا يجتمعان، كما جاء في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه: **«نُهي المؤمنُ عن إذلالِ نفسِه»** وذلك من أول مقتضيات الإيمان الذي هو الثقة بالله والاعتماد عليه ألَّا يخضعَ المؤمن لغير الله، ولا يخشى سواه، ولا يرهب أحدًا من الخلق كائنًا من كان.

وهذا الحديث الذي نشرحه يبين هذه الناحية في المؤمن فيقول: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»**: يعني: أن المؤمن القوي في

---

(١) الشرق العربي، السنة السابعة، العدد (٣٧) ٢٠جمادى الأولى ١٣٧٢.

إيمانه القوي في عقيدته أفضل وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف لأنه بقوة إيمانه وقوة عقيدته يستسهل الصِّعاب، ويستعذب العَذاب ويستقبل الشدائد والمكاره بصدر رحبٍ وعزيمة ثابتة لا يشتكي ولا يضعف ولا يني ولا يحزن؛ لأنه واثقٌ بأن الله معه وأن النصر آخر الأمر له، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا.

وكذلك المؤمن القوي في بدنه السليم في جسمه أفضل وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف السقيم؛ لأنه بقوة بنيته وسلامة جسمه يقدر علىٰ تحمل أعباء الجهاد والثبات في ميادين الحرب والجلاء وأقوىٰ في الدفاع عن جودة الإسلام ودفع العاديات عن بلاد المسلمين، بخلاف المؤمن الضعيف في ذلك كله فإنه لضعفه أقرب إلىٰ الإنهزام أمام الحوادث لا يقدر علىٰ الثبات في صعاب الأمور ولا يتحمل مشاقَّ الجهاد والجلاد.

«**وفي كلٍّ خيرٌ**»: كل بالتنوين، أي: في كل من المؤمن القوي والمؤمن الضعيف خير وفضل وإن كان القوي أفضل من الضعيف؛ لأنهما اشتركا في أصل الإيمان وهو خير، بل هو أصل كلِّ خير، وإن تفاوتا بحسب استعدادهما ومقدرتهما لأن الإيمان درجات بعضها أفضل من بعض.

«**احرِصْ على ما ينفعُكَ**»: هذا بيان لبعض مظاهر القوة في المؤمن القوي، وإرشاد له إلىٰ سلوك الطريق الأقوىٰ والأقوم والمعنىٰ احرص أيها المؤمن القويُّ علىٰ تحصيل ما ينفعك في دينك من شئون العبادات والمعاملات التي تتعيش منها وتكتسب عن طريقها فلا تكسل في العبادات وتأدية ما فرض الله عليك منها ولا تكسل في أمور دنياك التي جعل الله فيها معاشك ولا تقعد عن

تحصيل رزقك وتتمسَّك بالتوكل المذموم فتكون عالة على غيرك بل اجتهد واعمل واسع في تحصيل رزقك.

«**واستعنْ بالله**» في أمورك كلها «**ولا تعجِز**» أي: لا تكسل ولا تقعد عن العمل متوقِّعًا حدوث ما يعرقل طريقك متعللًا بالقضاء والقدر كما هو شأن الكُسالى من الناس، بل امض في حياتك كالسَّهم النافذ.

«**وإن أصابَك شيء**» أي: حدث لك في طريقك ما يعرقل عملك من مرض أو غيره مما لامدخل لك فيه.

«**فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا**» أي: استسلم لقضاء الله واعلم أن الله لم يرد إتمام ذلك الأمر لأنه لو أراد إتمامه ليسره لك، وسهَّل عليك الوصول إليه، ولا تقل: لو فعلت كذا كان كذا فإن هذا لا يقدم ولا يؤخِّر شيئًا.

«**ولكن قل قدَّر اللهُ ما شاءَ فعَل**» أي: أني فعلت ما أمكنني، وسلكت الطريق المشروع، ولكن قدر الله عاقني عن الوصول إلى النتيجة، وما شاء الله فعل ففي هذه الحالة تجمع بين الحالتين حالة التوكل الصحيح، وحالة الاستسلام لقضاء الله بعد العجز عن بلوغ المراد «**فإن «لو» تفتح عمل الشيطان**» يعني: أن قول الإنسان: لو فعلت كذا لكان كذا يفتح بابًا للشيطان يدخل منه إلى قلبه يوسوس له ويحسره ويحزنه مع أن ذلك لا يغير من قضاء الله شيئًا، والله أعلم.

٤٠- السنن والتوجيهات النبوية[١]

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**النَّادمُ ينتظِرُ منَ الله الرَّحمةَ، والمُعجَبُ ينتظِرُ المقْتَ، واعلموا عبادَ الله أنَّ كلَّ عاملٍ سيقدُم على عملِه، ولايخرُج من الدُّنيا حتَّى يرى حُسنَ عملِه وسُوءَ عمله، وإنَّما الأعمال خواتيمُها، والليلُ والنَّهارُ مطيَّتان، فأحسِنُوا السَّير عليهما إلى الآخرة واحذرُوا التَّسويفَ، فإنَّ الموتَ يأتى بغْتةً، ولايغتَرَنَّ أحدُكم بحلمِ الله عزَّ وجلَّ فإنَّ الجنَّةَ والنَّار أقربُ إلى أحدِكم من شِراك نعلِه**». ثمّ قرأ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

الشرح والبيان

النادم: هو التائب، وإنما أطلق علىٰ التائب نادم لأن الندم أهم شرط في التوبة، ولا شك أن من ندم علىٰ ما فرط منه من الذنوب، وأقلع عنها وعزم علىٰ ألا يعود إليها فإنه متعرض لرحمة الله منتظر لعفوه وغفرانه بشرط أن تكون توبته صحيحة لا تردد فيها ولا رجوع.

أما من تاب وهو ينوي الرجوع إلىٰ الذنب أو يتردد في توبته فهذا لا يسمىٰ تائبًا بل هو متلاعب مستهزئ كما ورد في حديث عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**التائبُ من الذنبِ كمنْ لا ذنبَ له، والمستغفرُ من الذنبِ وهو مقيمٌ عليه كالمستهزِئ بربِّه**».

---

(١) الشرق العربي السنة السابعة، العدد(٤٠) ١٢ جمادىٰ الآخرة١٣٧٢.

وقد أخبر الله في غير آية من القرآن الكريم بأنه يحب التوابين والتوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة إذ لا يخلو مكلف من الوقوع في الذنوب مهما توقّى وتحرَّز لأن العصمة للأنبياء فقط، والمعجب -بفتح الجيم-: هو الذي يعجبه عمله ويرضى عن نفسه فإذا وقع منه ذنب لم يهتم له ولم يبال به فلا يحدث له توبة لاعتقاده أن عنده من الأعمال الصالحة ما يجبر الذنوب التي وقعت منه، وهذا لا شك متعرض لغضب الله وانتقامه لأن الله يكره المعجبين بأعمالهم ويحب المعترفين بذنوبهم التائبين منها.

وفي حكم ابن عطاءالله السكندري: «من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل».

وأيضًا فإن المعجب بعمله يظهر بمظهر المستغني عن رحمة الله إذ لو كان مفتقرًا إليها لسلك طريقها وتعرض لها بالتوبة العاجلة، فلما لم يفعل غضب الله عليه ومقته.

«واعلموا عبادَ الله أنَّ كلَّ عاملٍ سيقدُم على عملِه» يعني: أن كل عامل سيقدم على عمله في الآخرة خيرًا كان أو شرًّا قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣].

«ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسنَ عمله وسوءَ عمله»: يعني: أن الشخص قبل مماته يرى مآل عمله فإن كان عمله طاعة وخيرًا ختم له بخير ومات مستورًا، وإن كان عمله غير ذلك كانت خاتمته سيئة، ومات بحالة سوء. ولهذا قال عقب ذلك: **«وإنَّما الأعمال بخواتيمها»**، أي: أن العبرة بخاتمة حياة الشخص.

وهذا يوافق في المعنىٰ قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث صحيح: «**والذي نفسُ محمَّد بيده إنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنَّة حتى ما يكُون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهل النَّار فيدخلُها وإنَّ أحدَّكم ليعمل بعمل أهل النَّار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الاجنَّة فيدخلها**».

«**والليل والنهار مطيَّتان فأحسنوا السَّير عليهما إلى الآخرة**»: عمر الإنسان عبارة عن ليل يسلِمه إلىٰ نهار، ونهار يسلِمه إلىٰ ليل حتىٰ ينتهي أجله، فلهذا شبه الحديث الليل والنهار بمطيتين يركبهما الإنسان طول حياته حتىٰ يسلماه إلىٰ نهايته المحتومة، ومن كانت له مطية فالمطلوب منه أن يحسن السيرعليها، وأن يصحبها بحسن المعاملة فلا يجهدها ولا يشق عليها، وكذلك الليل والنهار اللذان هما مطية الإنسان ينبغي له بل يجب عليه أن يحسن السير عليهما، وألا يفعل فيهما سوءًا يشهدان عليه به يوم القيامة فإن الزمان والمكان يشهدان للشخص أو عليه بما فعل فيهما من خير أو شر.

وقد جاء في بعض الآثار أن اليوم يخاطب الإنسان بقوله: «أنا فجر جديد وعلىٰ عملك شهيد فإذا انصرفت عنك لم أرجع لك إلىٰ يوم القيامة».

«**واحذروا التَّسويف فإنَّ الموتَ يأتي بغتةً**»: يعني أن الإنسان لا يسوف بالأعمال الصالحة وبالتوبة النصوح فيقول سوف أفعل كذا أو سوف أتوب كما يفعل كثير من الجهلة حيث يسوفون بتوبتهم إلىٰ أن يحجُّوا أو يتزوجوا وذلك من تغرير الشيطان بهم لأن الأعمار غير مضمونة والآجال مغيبة في علم الله والموت يبغت الإنسان أصح وأقوىٰ ما كان لأن الموت لا يفرق بين صغير

وكبير، فكم من ولد سبق أباه إلىٰ الموت، وكم من مريض عاش بعد سليم.

«**ولا يغترنَّ أحدُكم بحلم الله عزَّ وجلَّ**»: يعني: أن الله حليم علىٰ عباده رحيم بهم فلا يعجل لهم بالعقوبة بل يمهلهم لعلهم يتوبون ويرجعون قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١].

فالحديث ينهانا أن نغتر بحلم الله إذا رأيناه أنعم علينا مع معصيتنا له ومخالفتنا لأمره فإن حلمه علينا لابد علىٰ رضاه بل هو إمهال واستدراج كما قال قيس ابن أبي حازم التابعي المشهور: «إذا رأيت الله منعها عليك وأنت تعصيه فاحذره».

«**فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله**»: الشراك بكسر الشين: هو سير النعل الذي تربط به وهذه الجملة من الحديث تصور لقرب الجنة والنار من الإنسان بحيث تكون في متناول يده وما ذاك إلا بعمله الصالح أو السيئ فإن عمل صالحًا كانت الجنة قريبة منه، وإن عمل سيئًا كانت النار قريبة منه فشقاوة المرء وسعادته بيده لأن الله قد نصب له الدليل وأوضح له السبيل قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

ثم قرأ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

ختم الرسول هذا الحديث بهذه الآية الجامعة التي تدل علىٰ تمام العدل وغاية الرحمة، ومضمون الحديث يعتبر شرحًا لها وتفصيلًا لبعض معانيها، والله أعلم.

٤١- السنن والتوجيهات النبوية(١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن فارقَ الدُّنيا على الإخلاصِ لله وحدَه، وعبادتِه لا شريك له، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، فارقَها والله عنْهُ راضٍ**».

الشرح والبيان

اشتمل هذاالحديث على أربع قواعد:

الأولى: الإخلاص، وهو قصد وجه الله بالعبادة دون غيره بمعنىٰ أن يصدر الإنسان في جميع أعماله عن باعث ديني لا يقصد به ذكرًا ولا مَحْمدة، وإنما يقصد رضا الله وما عنده من الثواب.

وقد حض الله علىٰ الإخلاص في غير آية من القرآن الكريم قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

والإخلاص هو أفضل المقامات وأعلاها، وهو روح العبادة وسرها كما قال ابن عطاء الله: «الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها».

فالعمل بلا إخلاص كالجسد بلا روح لايقبله الله ولا ينظر إلىٰ صاحبه والله إذا علم من عبده صدق الإخلاص في عمله أغاثه عند الشدة وفرَّج عنه كل كربةٍ وكان له وليًّا ونصيرًا.

وحسبك دليلًا علىٰ ذلك ما جاء في الصحيحين عن النفر الثلاثة الذين ذهبوا

---

(١) الشرق العربي السنة الثامنة، العدد (٦) ٩ شعبان ١٣٧٢.

في طلب ماشية لهم فآواهم المبيت إلىٰ كهف في جبل، فانحدرت عليه صخرة سدت عليهم الكهف فقال بعضهم لبعض إنه لا ينجيكم إلا الصدق، فدعا كل واحد منهم بأخلص عمل عمله في حياته فاستجاب الله لهم وانزاحت عنهم الصخرة وخرجوا يمشون. وقصتهم مشهورة في الصحيحين وغيرهما.

ومن فضيلة الإخلاص أن الله يتولىٰ صاحبه ويتجلىٰ عليه بالمعارف والأسرار كما جاء في حيث عن مكحول الشامي التابعي قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من أخلَص لله أربعين صباحًا ظهرتْ ينابيعُ الحِكمة من قلبِه على لسانِه**».

ثم الإخلاص نوعان:

إخلاص العامة: وهو الذي سبق بيانه.

وإخلاص الخاصة: وهو ألا يرىٰ شخص لنفسه وجودًا، ولا لعمله أثرًا بل يرىٰ الله متفضِّلًا عليه في كل ما يصدر منه.

والمخلصون مع شفوف منزلتهم وأناقة رتبتهم يخافون أن يخالط عبادتهم شيء يشوب إخلاصهم ويشوه أعمالهم ولهذا يقول سهل بن عبدالله التستري أحد أئمة الصوفية: «الناس هلكىٰ إلا العالمون والعالمون هلكىٰ إلا العاملون والعاملون هلكىٰ إلا المخلصون والمخلصون علىٰ خطر عظيم».

فالخطر الذي يهدد المخلصين هو خوفهم من أن يدخل عملهم شيء من الشرك الخفي وهم لا يشعرون، ولهذا ورد في الأدعية النبوية المأثورة: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك أنْ أشركَ بكَ وأنا أعلمُ وأستغفرُك لما لا أعلَم**».

القاعدة الثانية: عبادة الله لا شريك له والمراد بعبادة الله: توحيده ومعرفته

بالصفات التي وصف بها نفسه في القرآن والسنة الصحيحة قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: إلا ليوحدون ويعرفون.

فهذه الآية الكريمة تصرح بأن الله خلق عباده لحكمة بالغة ومصلحة عظيمة وهي أن يشهدوا له بالوحدانية ويعرفوه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وما بعث الله الرسل وأنزل الكتب إلا لهذا المقصد السامي، فالتوحيد هو دين الله الذي فرضه علىٰ عباده منذ آدم إلىٰ يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح: «**الأنبياءُ أولادُ عَلَّات أمَّهاتهم شتَّى ودينُهم واحدٌ**».

وأولاد العلات: هم الأولاد الذين تكون أمهاتهم متعددة وأبوهم واحد، والمقصود أن توحيد الله وإفراده بالعبادة هو دينه الذي ارتضاه لجميع عباده، وإنما اختلفت الشرائع فيما عداه من الأحكام التي هي فروع ولأجل أن التوحيد هو الأصل والأعمال بعده فروع عنه أخبر الله أن من خالف الأصل واعتقد شريكًا مع الله فإن الله لا يغفر له وهو مخلَّد في النار أبدًا أما من تمسك بالأصل وفرط في بعض الفروع أو كلها فإن الله لابد يغفر له ولو عذب قبل ذلك في النار بما شاء الله أن يعذبه به قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قال لا إله إلا الله نفَعتْه يومًا من دهرِه أصابَه قبل ذلك ما أصابَه**».

القاعدة الثالثة: إقام الصلاة، أي: المحافظة عليها والمواظبة علىٰ أدائها في أوقتها المحددة شرعًا مع إتمام أركانها والخشوع فيها.

والصلاة أهم ركن بعد التوحيد لا شيء من أركان الإسلام يعادلها، وقد شدد الشارع فيها تشديدًا بالغًا ولم يقبل في تركها عذرًا من الأعذار حتىٰ أنه

فرض على المسلمين وهو في صفوف القتال أن يصلوا بل جعل الصلاة من أسباب النصر والفتح.

والصلاة مع أهميتها كما قدمنا فإنَّ بعض الصلوات أهم من بعض فقد ورد الحضُّ بصفة خاصة على صلاتي الصبح والعصر، قال عليه الصلاة والسلام: «**من حافظَ على البَرْدَين دخل الجنَّةَ**» يعني: الصبح والعصر.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من فاتَتْه صلاةُ العصرْ فقد حبِطَ عملُه**» وهذا الحديث أحد الأدلة على أن العصر هي الصلاة الوسطى التي قال الله فيها: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقد قيل في كل صلاة من الصلوات أنها الوسطى ولكن الصحيح أنها العصر ويليه في الصحة الصبح.

القاعدة الرابعة: إيتاء الزكاة وهي أهم ركن في الإسلام بعد الصلاة وهي قنطرة الإسلام كما جاء في بعض الأحاديث، وأغلب الآيات القرآنية تقرن الصلاة مع الزكاة وذلك مما يدل على أهميتها وعظم قدرها، ولا غرو فهي طُهرة للمال وإعانة للفقير والمحتاج، ولو كان الأغنياء اليوم يخرجون زكاة أموالهم لكان مجتمعنا سليمًا من هذه الدعاوى الهادمة التي ظهرت بسبب انقطاع التعاون بين المسلمين وبخل الأغنياء وحقد الفقراء.

هذه قواعد أربعة هي دين الإسلام وروحه وخلاصته فلا شك أن من عمل بها وداوم عليها حتى فارق الدنيا ولم يقصر في شيء منها كان جزاؤه رضا الله وثوابه والله أعلم.

٤٢- السنن والتوجيهات النبوية[١]

عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ الله ناجى موسى بمائةِ ألفٍ وأربعين ألفِ كلمةٍ في ثلاثةِ أيَّامٍ فلما سمِعَ موسى كلامَ الآدميِّين مقَتَهم لما وقعَ في مسامِعِه من كلامِ الربِّ عزَّ وجلَّ، وكان مما ناجاه الله بِهِ أنْ قال: يا موسى لم يتَصنَّع المتصَنِّعون لي بمِثلِ الزُّهدِ في الدُّنيا، ولم يتقرَّب المتقرِّبون إليَّ بمِثلِ الورَعِ عمَّا حرَّمتُ عليهِم، ولم يتعبَّد المتعبِّدون لي بمثلِ البُكاء من خَشْيتِي.

قال موسى: يا ربَّ البريَّة كلِّها ويا مالكَ يومِ الدِّينِ ويا ذا الجلالِ والإكرامِ ماذا أعددَتَ لهُم وماذا جزَيتَهُم؟

قال: يا موسى أمَّا الزُّهادُ في الدُّنيا فإنِّي أبحتُهم جنَّتي يتبوَّؤون منها حيثُ شاءوا، وأما الوَرعُون عما حرَّمتُ عليهم فإنَّه إذا كان يومُ القيامةِ لم يبقَ عبدٌ إلَّا فتشْتُه وحاسبْتُه وناقشْتُه إلا الورعين فإنِّي أستحْيِيهم وأُجِلُّهم وأكرمُهم فأدخلُهم الجنَّة بغير حسابٍ، وأما البكَّاؤون من خشيتي فأولئك لهم الرَّفيق الأعلى لا يُشارَكُون فيهِ»

الشرح والبيان

موسى عليه السلام كليم الله بنصِّ القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤] وقد تعددت مناجاة الله لموسى في مواقف أخبر القرآن عن بعضها كما جاء في الأحاديث بيان بعضها الآخر.

وهذا الحديث الذي نشرحه اليوم يبين موقفًا من تلك المناجاة التي

---

(١) الشرق العربي السنة الثامنة العدد (٨) ٢٣ شعبان ١٣٧٢.

تكررت بين الله وبين عبده موسىٰ، وتكليم الله لموسىٰ لا يمكن لبشر أن يعرفه علىٰ كنهه وحقيقته لأن ذلك خارج عن طوق البشر وإنما يجب علينا الإيمان بأن الله كلم موسىٰ كما شاء علىٰ الوجه الذي أراد بغير بحث عن الكيفية والصفة.

وهذا الحديث الذي يقول: «**إن الله ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام**» لا يريد تحديد الكلام بنوع خاص وصيغة خاصة، وإنما أراد تقريب ذلك إلىٰ أفهامنا وعقولنا بما تعارفناه من أن الكلام لا يكون إلا بحروف وكلمات وإلا فكلام الله منزه عن أن يكون مثل كلام البشر بحروف وأصوات تعتمد علىٰ مقاطع ومخارج.

أما قوله: «**فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل**» فهو تصوير للفرق الواضح بين كلام الخالق وكلام المخلوق فموسىٰ عليه السلام حين سمع كلام الله علىٰ الوجه الذي أراده الله تعالىٰ، ثم سمع كلام الخلق وقع كلام المخلوقات في سمعه أشبه بأصوات العجماوات هذا تصوير تقريبي وإلا فالفرق أبعد من ذلك.

ثم بين الحديث بعض ما اشتملت عليه المناجاة مما يفيد الحض علىٰ التمسك بما جاء فيها من تلك الوصايا الإلهية العظيمة وهي قوله تعالىٰ: «**يا موسى لم يتصنع المتصنعون لي بمثل الزهد في الدنيا**».

معنىٰ التصنع: التجمل وتحسين الهيئة، والمعنىٰ أن العباد حين يتجمَّلون ويتحلون بالصفات الفاضلة للقاء الله لا يجدون أفضل من التجمل والتحلي بصفة الزهد في الدنيا لأن الزهد في الدنيا هو أحب الصفات إلىٰ الله تعالىٰ لأمرين:

الأول: أن الدنيا يبغضها الله ولا يحبها وإنما جعلها دار ابتلاء وامتحان يمتحن فيها عباده بالتكاليف ويبتليهم بالمصائب ليظهر الطائع من العاصي والصابر من الجزع، وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة: «**لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها جَرْعةَ ماءٍ**».

الثاني: أن الاشتغال بالدنيا يُلهي عن طاعة الله وفي ذلك هلاك العبد وخسرانه لأن الله إنما خلقنا لعبادته، وخلق الدنيا لنتقوىٰ بما فيها من المنافع المباحة علىٰ ما خلقنا لأجله فالرُّكون إليها جهل بحكمة الله وعدم وثوق بما وعد عباده الصالحين به في الآخرة.

ثم ليس معنىٰ الزهد أن يترك الإنسان أسباب السعي علىٰ المعيشة ويقعد عالة علىٰ الناس، ولكن معنىٰ الزهد أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه فيباشر الأسباب التي أهله الله لها ويكتسب قوته من الطرق المشروعة ويعُول نفسه ومن تجب عليه نفقته وفي الوقت نفسه لا يبخل بالمال عن إنفاقه في وجوه الخير.

وقوله تعالىٰ: «**ولم يتقرَّبْ المتقرِّبون إليَّ بمثلِ الوَرَعِ عما حرَّمتُ عليهم**» هذه وصية ثانية من الوصايا الثلاث وهي الورع عن المحرمات ومعنىٰ الورع: أن يكون الإنسان رقيبًا علىٰ نفسه يحاسبها علىٰ كل ما تفعل فإذا رأىٰ في شيء شبه تحريم ابتعد عنه حذرًا من الوقوع في الحرام، والورع ملاك الدين كما جاء في حديث آخر، ومِلاك الدين بكسر الميم أي أن من حاز الورع فقد ملك الدين.

وقوله تعالىٰ: «**ولم يتعبَّدْ المتعبِّدون لي بمثل البُكاءِ مِن خَشْيتي**». آخر الوصايا الثلاث.

والبكاء من خشية الله من أفضل القربات وأعظم المقامات لأنه يدل على امتلاء القلب بخشية الله واستشعاره لعظمته وجبروته، وبالضرورة إذا استشعر القلب عظمة الله اعترف الإنسان بضعفه وعجزه والتجأ إلى الله في أن يجبر كسره ويغفر زلته فيستجيب الله له كما جاء في بعض الآثار: «أنا عند المنكسرة قلوبُهم من أجلي».

هذه ثلاث وصايا تشتمل على ثلاثة مقامات وهي: الزهد، والورع، والبكاء من خشية الله، جعل الله لكلٍّ مقام منها جزاءً من جنسه فجعل جزاء الزهد في الدنيا إباحة الجنة للزهاد كما قال: «**أما الزهاد في الدنيا فإني أبحتهم جنتي يتبوأون منها حيث شاءوا**». وذلك لأن الزهاد منعوا أنفسهم في الدنيا عن كثير من اللذائذ المباحة واقتصروا على القوت الضروري فعوضهم الله التمتع المطلق بما في الجنة من نعيم مقيم.

وأما الورعون فإن الله يدخلهم الجنة بغير حساب كما قال: «**وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا فتشته وناقشته إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب**».

وذلك لأن الورعين قد حاسبوا أنفسهم في الدنيا وناقشوها على أعمالها فأعفاهم الله من حساب الآخرة، واستحياء الله منهم كفاية عن تكريمهم وإجلالهم.

يأتي بعد ذلك البكاء من خشية الله وهو أعلى المقامات لذلك جعل الله جزاءه موافقًا له حيث قال: «**وأما البكَّاءون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه**».

هذا جزاؤهم في الجنة أما في الموقف فإن الله يجازيهم بأن يظلهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وذلك لما سبق أن بيناه من أن البكاء دليل على استشعار القلب عظمة الله واعتراف العبد بضعفه وعجزه.

وفقنا الله إلى الانتفاع بهذه الوصايا الإلهية العظيمة حتى نتصف بما فيها من الأخلاق الفاضلة والمقامات العالية.

٤٣- السنن والتوجيهات النبوية[١]

فضائل شهر رمضان

عن عبادة ابن الصامت قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يومًا وحضر رمضان: «**أتاكُم رمضانُ، شهرُ بركةٍ يغشاكم الله فيه فينزلُ الرحمةَ ويحطُّ الخطايا ويستجيبُ فيه الدعاء ينظرُ الله إلى تنافسِكم فيه ويُباهي بكم ملائكتَه فأرُوا الله من أنفسِكم خيرًا فإنَّ الشقيَّ من حُرِم فيه رحمةَ الله عزَّ وجلَّ**».

شهر رمضان شهر عظيم مبارك أنزل الله فيه القرآن إلىٰ بيت العزة في السماء الدنيا، وجعل الله صيامه ركنًا من أركان الإسلام وادخره لهذه الأمة المحمدية إكرامًا لنبيِّها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلم يفرض صوم هذا الشهر علىٰ أمة من الأمم من قبلنا وإنما كان يفرض عليهم صوم أيام معدودات من بعض الشهور كما ثبت أن صوم عاشوراء كان مفروضًا علىٰ اليهود وفرض علىٰ المسلمين أيضًا في أول الهجرة، ولما فرض رمضان نسخ عاشوراء وأصبح صومه سنة.

وشهر رمضان -إلىٰ جانب هذا- موسم من مواسم العبادة والبر والعطف، كان السلف ينتظرون دخوله فيستقبلونه بأنواع من العبادات ويجتهدون فيه ما قدر لهم الاجتهاد، يقتدون في ذلك برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، حيث كان يخصُّ رمضان ما لا يخصُّ غيره من الشهور، وكان يحضُّ علىٰ الاجتهاد فيه بأنواع الطاعات.

وهذا الحديث الذي نشرحه اليوم من جملة الأحاديث التي وردت في فضل

---

(١) الشرق العربي، الثامنة، العدد (٩) ١ رمضان ١٣٧٢.

رمضان والتعرض فيه لنفحات الله تبارك وتعالىٰ.

يقول النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاكم رمضان**» أخذ العلماء من هذا الحديث وغيره جواز أن يقول الشخص «رمضان» من غير إضافة كلمة شهر إليه، وذهب بعضهم إلىٰ أنه يكره أن يفرد رمضان عن كلمة شهر بل يقال: «شهر رمضان» واستدلوا بحديث ضعيف جاء فيه: «**لاتقُولوا رمضان ولكنْ قُولوا شهر رمضان فإنَّ رمضانَ اسم من أسماءِ الله تعالى**»، والصحيح الأول ولم يثبت في أسماء الله تعالىٰ اسم رمضان.

«**شهر بركة يغاشكم الله فيه**» أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ رمضان شهر بركة ومعنىٰ البركة: الخير والبر، ثم بيَّن بركة رمضان بأن الله يغشىٰ عباده فيه، وليس معنىٰ غشيان الله لعباده أنه يأتيهم وينتقل إليهم بحركة فإن الله منزَّهٌ عن ذلك ولكن معناه هو ما بينه بقوله: «**فينزل الرحمة ويحطُّ الخطايا ويستجيب فيه الدعاء**».

فمعنىٰ غشيان الله أنه يتجلىٰ علىٰ عباده الصائمين في رمضان بعموم رحمته ويحط خطاياهم، أي يكفر عنهم سيئاتهم ويستجيب دعاءهم إذا دعوه لكن هذا مشروط بأن يجتنب الصائم كبائر المحرمات لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث آخر صحيح: «**الصلاةُ إلى الصلاةِ والجمُعة إلى الجمُعة ورمضانُ إلى رمضانَ مكفِّرات لما بينَهن إذا اجتُنبت الكبائرُ**».

ومشروط أيضًا بحفظ الصائم لسانه عن الفحش واللغو وحفظ سمعه وبصره عما يحرم سماعه والنظر إليه.

كما أن استجابة الدعاء مشروطة بأكل الحلال، أما من يأكل الحرام فلا حظ

له في استجابة الدعاء والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة لا حاجة إلىٰ الإطالة بها.

«**ينظر الله إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته**»: في هذه الجملة حضٌّ بليغٌ علىٰ الإكثار من العبادة في شهر رمضان لأن الصائم إذا علم أن الله ينظر إلىٰ عمله في هذا الشهر بصفة خاصة، ويباهي به ملائكته حفزه ذلك إلىٰ الإكثار من العبادة ليحظىٰ برضاء الله ويفوز بثوابه.

ولهذا كان السلف كما قلنا يجتهدون في هذا الشهر مالا يجتهدون في غيره، فكانت عائشة تنقطع في هذا الشهر للصلاة وتلاوة القرآن، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان ترك دروسه وأقبل علىٰ تلاوة القرآن، وكان الإمام الشافعي يقرأ في شهر رمضان ستين ختمه، إلىٰ غير ذلك مما ورد عن السلف من أنواع العبادات والاحتفال بهذا الشهر العظيم.

«**فأروا الله من أنفسكم خيرًا**»: يعني: اجتهدوا في العبادات حتىٰ يرضى الله عنكم ويرىٰ أنكم قد قمتم بحق هذا الشهر خير قيام.

«**وأن الشقيَّ من حُرم فيه رحمةَ الله عزَّ وجلَّ**»، يعني: أن من مر عليه شهر رمضان وهو متكاسل في العبادات غير قائم بحق هذا الشهر فإنه شقي لحرمانه من رحمة الله التي ينزلها علىٰ عباده الصائمين القائمين.

نسأل الله أن يوفقنا لاغتنام بركة هذا الشهر ويجعلنا من الصائمين المقبولين المشمولين برحمته وعنايته.

٤٤- شرح حديث شريف[١]

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دخل رمضانُ فُتِّحت أبوابُ الجنَّةِ وغُلِّقتْ أبوابُ جنَّهم وسُلسِلَتْ الشَّياطينُ**». رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الألفاظ اللغوية:

فُتِّحت، وغُلِّقت: بضمٍّ أولها وكسر ثانيها مع تشديده، ويجوز تخفيفه، لكن الرواية جاءت بالأول. ومعنى الكلمتين واضح.

وسلسلت بضم أوله وكسر ثالثه معناه: ربطت بالسلاسل .

الشرح

شهر رمضان شهر عظيم القدر خصَّه الله تعالى بأنواع من الفضائل والمزايا ليست لغيره من بقية أشهر السنة، وتلك المزايا كثيرة ذكر منها في هذا الحديث ثلاث:

الأولى: تفتيح أبواب الجنة، واختلف هل هذا التفتيح حقيقيٌّ أو هو كناية عن شيء آخر؟ فقال ابن المنير المالكي أنه حقيقيٌّ، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره.

قلت: ويؤيده حديث ابن عبَّاسٍ الطويل في فضل رمضان، وفيه أن الله تعالى يقول: «**يا رضوانُ، افتحْ أبوابَ الجِنانِ. ويا مالكُ، أغلقْ أبوابَ الجحيمِ عن الصَّائمين من أمَّة أحمدَ**».

---

(١) مجلة هدي الإسلام، السنة الأولى، العدد (٧) ١٧ رمضان ١٣٥٣ .

وهذا الحديث رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب "ثواب الأعمال" والبيهقي في كتاب "فضائل الأوقات"، وهو وإن كان ضعيفًا يستأنس به في مثل هذه المواضع على أن ضعفه قريب محتمل.

وقيل أن تفتيح أبواب الجنة كناية عن تفتيح أبواب الرحمة، وأُيد برواية مسلم: «**إذا دخل رمضانْ فتِحت أبوابُ الرَّحمة**».

وأجيب بأن أصل الرواية: «**فتحتْ أبوابُ الجنَّة**» ولكن الرواة تصرفوا فأبدلوها تارة بأبواب الرحمة وتارة بأبواب السماء كما في رواية مسلم أيضًا.

وقيل إن تفتيح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده في هذا الشهر من الطاعات التي هي سبب لتفتيح أبواب الجنة حقيقة.

ولا شك أن رمضان خص بأنواع من الطاعات مثل التراويح وغيرها.

الثانية: تغليق أبواب جنهم، وفيه من الخلاف ما في الذي قبله، فقيل إن التغليق حقيقي ويؤيده حديث ابن عبَّاسٍ المتقدم، ويؤيده أيضًا رواية النسائي من طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: «**غلقت أبواب النار**» كناية عن صرف همم الصائمين عن المعاصي التي يؤول أصحابها إلى النار، ونحوه قول التوربشتي: «تغليق أبواب جنهم كناية عن تنزه أنفس الصُّوَّام عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث عن المعاصي بقمع الشهوات».

قلت: ولرمضان في ذلك تأثير كبير فكثير من المنهمكين في المعاصي تراهم إذا حل هذا الشهر أقلعوا عن معاصيهم وكفُّوا عنها، وقد شاهدنا أناسًا لا يصلون من العام كلِّه إلا في شهر رمضان.

الثالثة: تسلسل الشياطين، أي: ربطهم بالسلاسل. واختلف في هذا الربط

هل هو حقيقي وهل الذي يربط جميع الشياطين أو بعضهم، وعلى الثاني هل هم المردة العتاة أو مسترقو السمع؟ والصحيح من هذا كله أن الربط حقيقي، وأن المربوط بعض منهم وهم المردة.

وإلى ما ذكرناه ذهب ابن خزيمة واستدل بما رواه هو في "صحيحه" من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا كانت أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشَّياطين مَرَدة الجِنِّ...**» الحديث وإسناده صحيح.

ورواه النسائي من طريق أبي قلابة عن أبي هريرة ولفظه: «**تغَلُّ فيه مردة الشياطين**».

وقوله: «**صفدت**» بضم الصاد وكسر الفاء المشددة معناه: شُدَّت بالأصفاد وهي السلاسل والأغلال. واستشكل بعض العلماء الأحاديث المتقدمة بأن مقتضى ما صرحت به من حبس الشياطين في رمضان أن لا تقع فيه الشرور والمعاصي والشاهد خلاف ذلك فإنا نرى المعاصي تقع في هذا الشهر، وأجاب صاحب المفهم وغيره بوجوه:

١- أن الذي يحبس بعض الشياطين وهم المردة أي: الطغاة الجبابرة دون غيرهم، فيجوز أن تقع المعاصي بوسوسة غيرهم ممن لم يحبس من الشياطين.

٢- أن المراد من حبس الشياطين تقليل المعاصي وهذا أمر مشاهد فإن وقوع المعاصي في رمضان أقل من غيره.

٣- أن عدم وقوع المعاصي في رمضان متحقق لكن بالنسبة للصائمين الذين حافظوا على شروط الصوم ورعوا آدابه فهم الذين لا تقع منهم المعاصي.

٤- أنه لا يلزم من حبس الشياطين عدم وقوع المعاصي لأن أسباب

المعاصي كثيرة، مثل النفوس الخبيثة فإنها بطبعها ميالة إلى المعاصي داعية إليها، ومثل شياطين الإنس وهؤلاء لا يحبسون في رمضان.

وسلك بعضهم مسلكًا آخر أبطل به الاستشكال من أصله فقال: ليس المراد من حبس الشياطين إلا قطع عذر المكلف لأن كثيرًا من الناس إذا فاتته طاعة، أو حصلت منه معصية نسب ذلك إلى الشيطان واعتل بوسوسته فكان حبس الشياطين لدفع ذلك، فكأن الله يقول للمكلف: قد حبست عنك الشياطين الذين تعتذر بهم فيما يقع منك من تقصير، ولم يبق لك ما تعتذر به فاجتهد واغتنم هذا الشهر العظيم.

ومما يتعلق بالحديث من الفوائد ما استنبطه العلماء من قوله: «**اذا دخل رمضان**» قالوا: فإنه يدل على أنه يجوز أن يقال: رمضان من غير أن يضاف إليه لفظ شهر، وهذا مذهب البخاري والنسائي، وصححه النووي.

وقال جماعة من المالكية والشافعية: يكره أن يقال رمضان بدون أن يضاف إليه لفظ شهر، واستدلوا بما رواه ابن عدي والبيهقي من طريق محمد بن أبي معشر، وعن أبيه، عن سعيدالمقبري، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان**».

وأجاب أصحاب القول الأول بضعف هذا الحديث بأن أبا معشر ضعيف في رواية الحديث، وبالخصوص في روايته عن المَقْبُري.

قال ابن أبي شيبة: سألت علي بن المديني عن أبي معشر فقال: ذاك شيخ ضعيف كان يحدث عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب بأحاديث صالحة وكان يحدث عن المقبري ونافع بأحاديث منكرة.

وكذا ضعفه النسائي والدارقطني وغيرهما، وقال البخاري: منكر الحديث.

ثم لو كان هذا الحديث أفاد كراهة أن يقال رمضان فقط لجاز لنا أن نعمل به وإن كان ضعيفًا لأن الكراهة تنزيهية والضعيف يعمل به فيها كما قال النووي، ولكن الحديث أثبت زيادة على الكراهة أن رمضان اسم الله تعالى ومعلوم عند أهل السنة أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا يثبت شيء منها له تعالى إلا بقرآن أو حديث صحيح متفق على صحته، وهذا الحديث ليس بصحيح فلذلك لم يعمل به، والله أعلم.

٤٥- شرح حديث شريف(١)

قال - صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْهُومَانِ لايشْبَعَانِ: منهومٌ في علمٍ لا يشبَعُ، ومنهومٌ في مالٍ لا يشبَعُ**». رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه.

الألفاظ اللغوية:

«النَّهم»: إفراط الشهوة في الشيء وكثرة الازدياد منه، يقال: نَهِم بكسر الهاء في الماضي وفتحها في المضارع إذا اشتدت شهوته إلىٰ أكل أو غيره، والوصف منه يأتي علىٰ ثلاث صيغ: نَهِم- ونَهِيم- ومَنْهُوم

الشرح

فقوله: «**منهومان لا يشبعان**» معناه: شخصان مفرطان في شهوتهما لا يشبعان مما يشتهيانه، بل كلما حصلا منه شيئًا اشتدت شهوتهما إلىٰ ما بعده وهكذا، ومما لا شك فيه أن أنواع الشهوة كثيرة تختلف باختلافها أوصاف المنوهمين مدحًا وذمًا فلذلك كان قوله: «**منهوم في علم...**» إلخ، موقعه مما قبله موقع المفصَّل من مجمَله في الإيضاح للمعنىٰ والتقييد لعموم اللفظ.

وقد جمع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذا التفصيل بين ممدوح ومذموم، فالنَّهم في العلم محمود وممدوح بدليل الأحاديث الكثيرة الدالة علىٰ فضل العلم، وسنشرح بعضها علىٰ صفحات هذه المجلة الغراء إن شاء الله تعالىٰ.

وقد روىٰ عمرو بن الحرث، عن درَّاج أبي السَّمح، عن أبي الهيثم، عن أبي

---

(١) مجلة هدي الإسلام السنة الأولىٰ العدد (٥) ٢٥ شعبان ١٢٥٣.

سعيد الخدري مرفوعًا: «**لن يشبَعَ المؤمنُ من خيرٍ**». وفي لفظ: «**من علمٍ يسمَعُه حتَّى يكونَ منتهاهُ الجنَّة**».

والنهم في الدنيا مذموم بدليل الأحاديث الدالة على مدح التقلل منها وفي "سنن الترمذي" مرفوعًا: «**يقولُ ابنُ آدمَ: مالي مالي، وهل لكَ من مالِكَ إلَّا ما تصدَّقت فأمضَيتَ أو أكلتَ فأفنيتَ أو لبِستَ فأبلَيتَ؟**».

وفي "السنن" أيضًا مرفوعًا: «**لو كان لابن آدم واديًا[1] من ذهب لأحبَّ أن يكون له ثانيًا ولا يملأُ فاه إلا التُّرابُ ويتوبُ الله على من تابَ**».

وكلا الحديثين قال عنهما الترمذي: «حسن صحيح».

هذا ما يتعلق بشرح الحديث على سبيل الاختصار والإيجاز على أن الحديث واضح المعنى وإنما ذكرته لأتكلم على إسناده من حيث الصناعة الحديثية؛ لأني رأيت في بعض الجرائد اليومية السائرة مقالًا لبعض الناس طعن فيه على هذا الحديث، وذكر أنه موضوع أو ضعيف أو نحو هذا، والواقع أن الحديث صحيح لا غبار عليه ولا مطعن فيه وإليك أيها القارئ بيان ذلك:

قال الحاكم في "المستدرك": حدثنا علي بن حَمْشَاد العدل: ثنا يحيى بن منصور الهروي: ثنا أحمد بن نصر المقري النيسابوري: وأخبرني أبو الحسن محمد بن عبدالله الجوهري: ثنامحمد بن إسحاق الإمام -يعني ابن خزيمة-: ثني أحمد بن نصر: ثنا شريح بن النعمان: ثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْهُومان لا يَشْبَعان: مَنْهُومٌ في**

---

(١) كذا في "سنن الترمذي" وهو مخالف لقواعد اللغة ولعله من تصحيف بعض الرواة بدليل أنه جاء بلفظ آخر مستقيم.

عِلْمٍ لا يَشْبَعُ، ومَنْهُومٌ في دُنيا لا يَشْبَعُ».

ثم قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولم أجد له عِلَّة». وسلَّم كلامه الحافظ الذهبي في "التلخيص".

وهذا السند كافٍ في صحة الحديث ولكنا مع ذلك نذكر أسانيد أخرىٰ حتىٰ يظهر خطأ من ضعَّفه أو تكلم فيه ظهور الشمس في كبد السماء ليس دونها سحاب، ولكي لا يجرؤ أحد علىٰ تصحيح الأحاديث أو تضعيفها بدون معرفة قواعد علم الحديث ولا تثبت في النقل عن أصحابه.

قال الحاكم أيضًا: ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك: ثنا أبو جعفر محمد بن عبيدالله بن أبي داود المنادي: ثنا روح بن عبادة: ثنا كَهْمَس بن الحسن، عن عبدالله بن شقيق قال: جاء أبو هريرة إلىٰ كعب يسأل عنه وكعب في القوم، فقال كعب: ما تريد منه؟ فقال: أما أني لا أعرف أحدًا من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يكون أحفظ لحديثه مني. فقال كعب: أما إنك لن تجد أحدًا يطلب شيئًا لا يشبع منه يومًا من الدهر إلا طالب علم وطالب دنيا، فقال: أنت كعب فإني لمثل هذا جئت.

ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين وقول الصحابي إني لحديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحفظ من غيري يخرج في مسانيده». وسلَّمه الذهبي غير أنه قال: «في السند انقطاع».

وأخرج الطبراني في"الكبير"، والقضاعي في "المسند" من طريق أبي بكر الداهري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منهومان لا يشبعان: طالب**

علم، وطاب دنيا». أبو بكر الداهري ضعيف.

وقال ابن أبي شيبة: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن طاووس، عن ابن عبَّاسٍ قال: «منهومان لا تنقضي نهمتُهما طالب علم وطالب دنيا». هكذا رواه ابن أبي شيبة موقوفًا.

ورواه الطبراني في "الكبير"و"الأوسط"، والبزار في "المسند" من طريق ليث -هو ابن أبي سليم- عن مجاهد، عن ابن عبَّاسٍ به مرفوعًا.

وليث بن أبي سليم حسن الحديث في الأصول على الانفراد فكيف مع المتابعات في الشواهد.

وروى الطبراني في "الأوسط"، بإسناد ضعيف عن عائشة مرفوعًا: **«أربعٌ لا يشبعنَ من أربعٍ: عينٌ من نظرٍ، وأرضٌ من مطرٍ، وأنثى من ذكرٍ، وعالمٌ من علْمٍ»**.

أفلا يستحيي من يقدم على تضعيف حديث مثل هذا له من الطرق ما لا ينزل بها عن رتبة الحسن فضلًا عن كون أحد طرقه بانفراده على شرط الصحيحين بإقرار الذهبي وكفى به ناقدًا.

٤٦- تفسير الحديث الشريف(١)

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعٌ من أعطيهُنَّ فقد أُعطِي خيرَ الدُّنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجةً لا تبغِيه حُوبًا في نفسِها ومالِه**». الحوب بفتح الحاء وتضم، هو الإثم.

هذا الحديث من جوامع الكلم وكل حديثه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كلم جوامع، فانظر أسباب السعادة الدنيوية والأخروية، وابحث عن موجبات المتعة الروحية التي تفوق كل متعة وكل لذة، ومحِّص تلك الأسباب والموجبات تمحيصًا دقيقًا تجدها لا تخرج عما حدَّه هذا الحديث الشريف في هذه الخصال الأربع، ولهذا قال: «**من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والأخرة**». إذ ما من خير إلا وهو يرجع إليهن أو يتفرع عنهن.

أولاهن: قلب شاكر: والشكر مقام قلَّ من يصل إليه بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وليس الشكر أن تقول بلسانك: الحمد لله والشكر لله، فكل الناس يقولون هذا، ولكن الشكر: أن يعترف قلبك بنعم الله ويشعر بعظمها وخروجها عن دائرة الحصر ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

فينتج عن هذا إيقان بعظمة الله وسعة قدرته فإذا حصل هذا في القلب وتكيف به نشأ عنه حب الله والرغبة في طاعته لقاء ما أنعم به، بل يستحيي

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الرابعة العدد (٧٩) ٢٦ شوال ١٣٦٧.

الإنسان حينئذ أن تصدر منه معصية لأنه يرىٰ نفسه مغمورًا في إحسان الله إليه، وليس من العدل ولا من العقل أن يقابل الإحسان بالاساءة، فيجتهد في الطاعة ويبتعد عن المعصية إرضاء للخالق المنعم المتفضل سبحانه وتعالىٰ.

ومن نِعَم الله علينا أنه يرضى منا بالعمل اليسير من الطاعة ويثيبنا عليه بالكثير من الثواب، مع أننا لو عبدناه الليل والنهار ما بلغنا حق نعمة من نعمه الكثيرة، وكان داود عليه السلام يقول: «إلهي لو أنَّ لكلِّ شعرةٍ منِّي لسانَين يسبِّحانِك الليلَ والنهارَ ما قضيتُ نعمةً من نِعمِكَ».

ثانية تلك الخصال: **«لسانٌ ذاكرٌ»**، والذكر يدل علىٰ حب المذكور واشتغال القلب به وفي حديث ضعيف: **«مَن أحبَّ شيئًا أكثرَ منْ ذِكرِه»**.

ثم الذكر أنواع كثيرة:

منها -وهو أفضلها-: تلاوة القرآن إذ هو كلام الله القديم، وهو الذكر الحكيم فيه الهدىٰ والنور، هو القول الفصل، والجِدُّ ليس بالهزْل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضله الله.

ومنها: الاستغفار: وهو استغفر الله، **ومنها**: قول لا إله إلا الله أو سبحان الله أو الحمد لله إلىٰ غير ذلك.

وينبغي للإنسان ألا يخلي نفسه من ذكر يقوله كل يوم فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في فضل الذكر والإكثار منه بقدر الطاقة.

قال معاذ بن جبل: آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: **«أنْ تموتَ ولسانُكَ رطبٌ منْ ذِكرِ اللهِ»**.

ثالثة تلك الخصال: «بدن صابر على البلاء». لأن الله تعالىٰ طبع هذه الحياة الدنيا علىٰ الكدورات والأغيار، وجعلها دار امتحان واختبار، فمن أرادها صفوًا بلا كدر فقد طلب محالًا:

ومكلِّـف الأيـام ضـدَّ طِباعِهَـا مُتطِّلــب في المــاءِ جَــذْوةِ نــارِ

وأقول قول الله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] تجده ينطق بما فطر الله عليه الدنيا من تقلبات[١]

(١) المقالة ناقصة.

٤٧- تفسير الحديث الشريف[1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أدَّيت زكاةَ مالكَ فقد أدَّيتَ ما عليكَ، ومن جمعَ مالًا حرامًا ثم تصدَّق به لم يكنْ لهُ فيه أجرٌ، وكانَ إصْرَهُ عليهِ**».

الزكاة ركن من أركان الدين وقاعدة من قواعد الإسلام قرنها الله بالصلاة في غير آية من كتابه الكريم إشادة بفضلها وإشارة إلىٰ عظيم قدرها وجليل خطرها وتوعد علىٰ تركها بالعذاب الشديد: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

والزكاة فرضها الشارع طُهرة للمال وتحصينًا له، وجعلها سببًا لنمائه وطُعمة للفقير والمحتاج والمسكين وابن السبيل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

والزكاة نظام اجتماعي عظيم يدعو إلىٰ التآلف والتعاضد والتوادد والتراحم، فالنصيب الذي يخرجه الغني من ماله يخرج الضغن من قلوب الفقراء، وتجتمع علىٰ محبته وإجلاله وترتفع الأيدي بالدعاء إلىٰ الله أن يبارك في عمره وماله.

وبالعكس إذا كان الغنيُّ بخيلًا لا يخرج الزكاة فإن القلوب تجتمع علىٰ

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية، السنة الثانيه، العدد (٣٩) ٧ صفر ١٣٦٦.

بغضه والدعاء عليه، جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

فلو أخذت الحكومات الإسلامية بنظام الزكاة الذي يفرضه دينها لصلح حال المجتمع الإسلامي، وقل فيه الفقر والإعواز واختفت منه تلك الدعاوى الهدامة التي نسمعها بين حين وآخر، ويوشك أن يعظم ضررها ويستفحل خطرها.

ووزارة الشئون الإجتماعية التي تحارب الفقر لم لا تعني بأخذ الزكاة من التجار والمزارعين وتقوم بإبلاغها لكل فقير ومحتاج؟ فإن هذا أكبر دواء لعلاج الفقر وتخفيف وطأته.

فلتقم وزارة الشئون بهذا الموضوع ولتفهم الأغنياء أنما يخرجونه من زكاة أموالهم ليس موكولًا إلى اختيارهم، بل أمر فرضه الله وأمضاه، وأوجب على الحاكم جبايته منهم وتوصيله إلى مستحقيه، فالغني الذي يخرج زكاة ماله قد قضى ما أوجبه الله عليه ولهذا يقول الحديث: «**إذا أدَّيت زكاةَ مالِك فقَد قَضَيتَ ما عليْكَ**» ولم تبقَ مطالبًا بشيءٍ واجب إلا ما يمليه عليك دينك ومروءتك من صدقات تطوع ومساعدات خيرية تقتضيها الظروف والمناسبات مما يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

لكن يجب أن تكون هذه الصدقات والمساعدات من مال طيب وكسب حلال، أما إذا كانت من مال حرام فإنها لا تقبل لأن الله الطيب لا يقبل إلا طيبًا ولهذا يقول الحديث: «**ومن جمع مالًا حرامًا ثُمَّ تصدَّق به لم يكن له فيه أجرٌ، وكان إصره** -بكسر الهمزة أي: وزره- **عليه**».

والمال الحرام أنواع كثيرة:

منها: الأرباح التي تؤخذ من صندوق التوفير.

ومنها: مكسب ورق اليانصيب.

ومنها: كسب المغنِّين والمغنِّيات.

ومنها: كسب الدجالين والمشعوذين كأصحاب الطوالع وضاربي الرمل والودع وغير ذلك.

أما كسب الزنا والرقص وبيع الخمر والخنزير فحرمته لا تحتاج إلى بيان.

وقد يكون الكسب في أصله حلالًا لكنه يحرم لعارض من العوارض فالبيع حلال، لكن يحرم وقت نداء الجمعة ويكون بيعًا فاسدًا.

وكسب أصحاب المطاعم حلال لكنه يحرم في نهار رمضان، وكذلك أصحاب القهاوي مكسبهم في نهار رمضان حرام وخبيث لأنهم ساعدوا المفطر على عصيانه وكذلك يحرم عليهم ما يكسبونه عن طريق لعب الطاولة والكوتشينه كما هو حاصل في أغلب القهاوي.

والمقصود أن طريق الكسب الشرعي واضح لمن أراد سلوكه وساعده التوفيق، وفقنا الله لما يرضيه.

٤٨- تفسير الحديث الشريف[١]

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «نَهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفَتِّرٍ».

لا خلاف بين أحدٍ من المسلمين في أنَّ شرب المُسكِر حرام، بل كبيرة من الكبائر كالزنا والرِّبا وغيرهما، والأحاديث الواردة في التوعد علىٰ شربه كثيرة جدًّا يكفي منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ عندَ الله عهدًا لمن يشربُ المُسكِر أن يسْقيَه من طينَةِ الخَبَال**». قالوا: وما طينة الخبال؟ قال: «**عرَقُ أهلِ النَّار أَوعُصارةِ أَهِلِ النَّار**».

ثم إن قليل المسكر وكثيره في الحرمة والحكم سواء. للحديث الصحيح: «**ما أسكرَ قليلُه فكثيرُه حرامٌ**». وهذا شيء لا نزاع فيه ولا خلاف ولكن كثيرًا من الناس اليوم ممن ضعف دينهم وقلَّ يقينهم يترخصون بشرب البيرة أو البوظة بدعوىٰ أنها هاضمة أو مبردة، أونحو ذلك من الأعذار الواهية التي لا تجديهم عند الله نفعًا، كما أن جماعة من جهلة المتعلمين ينسبون إلىٰ أبي حنيفة إباحة النبيذ غير عالمين أن المراد به نبيذ خالٍ عن الإسكار كما هو مبين في كتب الحنفية، أما النبيذ المسكر فحرمته مقطوع بها من غير نزاع.

بعد هذا نعود إلىٰ شرح الحديث فقول أم سلمة رضي الله عنها: «نهىٰ رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن كلِّ مسكرٍ ومفَتِّر». يفيد تحريم هذين النوعين لأن النهي المطلق في عرف الشرع يقتضي التحريم، والمسكر معروف.

أما المفتِّر بكسر التاء المشددة فهو هذه المخدرات كالحيشية وما أشبهها

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية، السنة السادسة، العدد (٤٤) ٢٢ ربيع الثاني ١٣٦٦.

فهذا الحديث يفيد تحريمها، وقد استدل به الحافظ العراقي لذلك في مجلس مناظرة عقده رجل من العجم وطلب فيه الدليل على حرمة الحشيشة، وأعجب الحاضرون باستدلال العراقي. وقد حكى النووي الإجماع على حرمة الحشيشة وذكر ابن تيمية في "فتاواه الكبرى" أن مستحلَّها يكفر، وهذا منه بناءًا على أنَّها مسكرة، ومستحلُّ المسكر يكفر بلا نزاع.

لكن الصحيح أنَّ الحشيشة مخدِّرة كما اختاره القرافي في "الفروق" وأبو الحسن في شرح "المدونة" وغيرهما، والفرق بين المسكر والمخدِّر أن المسكر ما غيَّب العقل دون الحواسِّ مع نشوة وفرح، والمخدِّر ما غيب العقل دون الحواس لا مع نشوة وفرح، وذكر القسطلاني في "المواهب اللدنية" أن بعضهم جمع في الحشيشة عشرين ومائة مضرة دينية وبدنية ولبعضهم في ذمها:

قُل لمنْ يأكُلُ الحَشِيشَةَ جَهْلًا ... يا خَسِيسًا قد عِشْتَ شَرَّ مَعْيشه

دِيةُ العَقْلِ بِدُرَّة فلماذا ... يا سَفِيهًا قد بِعتَها بحَشِيشَه

ومثل الحشيشة غيرها من المخدرات كالأفيون والسيكران والمعاجين ونحوها فكل ذلك حرام داخل في حدود المفتر في هذا الحديث وضرره على العقول والأبدان متحقَّق مشاهد.

وقد أحسنت الحكومة بمحاربة هذه الأشياء لكن ما بالها تبيح الخمر مع أنها الأصل الأصيل والداء الوبيل، فالواجب أولًا وقبل كل شيء محاربة الخمر لعظم إثمها وشدة ضررها وقبح أثرها، ثم يلحقها كل ضارٍّ بالعقل مفسد للدين مدعاة لتضييع المال وإنهاك الجسم، فإذا قدر النجاح في محاربة هذه الأدواء تم أمر المجتمع وصلح حاله واستقام سيرة إلى هدفه المنشود وغرضه المقصود.

٤٩- تفسير الحديث الشريف[1]

عن أبي أمامة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله بعثني رحمةً وهدى للعالمين وأمرني أنْ أمحَقَ المزامِير والكِبَارات -يعني البرابط- والمعازِف والأوثانَ التي كانت تُعبد في الجاهليَّة، وأَقسمَ ربِّي بعزَّته لا يشربُ عبدٌ من عبيدي جَرْعةً من خمر إلا سقيتُه مكانَها من حَميمِ جنَّهم معذَّبًا أو مغفورًا له، ولا يسقيها صبيًّا صغيرًا إلا سقيتُه مكانَها من حميمِ جنَّهمَ مُعذبًا أو مغفورًا له، ولا يدعُها أحدٌ من عبيدي من مخافَتي إلا سقيتُه إيَّاها من حظيرةِ القُدُسِ**».

بعث الله نبيَّه سيدنا محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رحمة عامة كما قال تعالىٰ مخاطبًا له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وجعل رسالته شاملة وهدايته كاملة وأيده بمعجزات باهرات أعظمها معجزة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، والباقي علىٰ وجه الدهر لا تزيغ به الأهواء ولا تتشعب معه الأراء ولا يشبع منه العلماء ولا تمله الأتقياء ولا يخلق علىٰ كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

فيه قوانين الأحكام ونظم السياسة وقواعد الإجماع وحقائق العلوم والمعارف ولطائف الأسرار والحكم، ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكان مما أمر الله به رسوله محاربة الشرك ومخالفة المشركين، والقضاء علىٰ ما كان شائعًا في الجاهلية من لهو باطل وعقائد لا تستند إلىٰ دليل صحيح وخرافات لا يقبلها نظر ولا يؤيدها منطق، كالوأْدِ والكهانة والتطيُّر

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثالثة العدد (٤٥) ٨جمادىٰ الأولىٰ ١٣٦٦هـ.

والاستمطار بالأنواء والتمائم وغير ذلك مما هو معروف في كتب التفسير والحديث والتاريخ.

ومنه ما جاء في هذا الحديث الذي نتكلم عليه وهو من رواية أبي أمامة - بضم الهمزة واسمه صُدَيٌّ بضم الصاد وفتح الدال ابن عَجْلان بفتح العين وسكون الجيم- الباهلي عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إن الله بعثني رحمة وهدي للعالمين**».

ومن رحمته عليه الصلاة والسلام أن الله رفع عن أمته العذاب العاجل الذي حل بالأمم الماضية فلم يحصل في هذه الأمة خسف ولا قذف قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

أما هدايته عليه الصلاة والسلام فظاهرة شاملة «**وأمرني أن أمحق**» بفتح الهاء المهملة «**المزامير**» جمع مزمار بكسر الميم «**والكِبَارات**» بكسر الكاف وفتح الباء الموحدة جمع: كَبَر بفتحتين.

وقوله: «**يعني: البرابط**» تفسير من الرواة، والبرابط: بفتح الباءين بينهما راء ساكنة. «**والمعازف**» بفتح الميم جمع عزف بفتح العين وسكون الزاي وهو جمع سماعي غير مقيس ويقال في المفرد: معزف بكسر الميم، وعلى هذا يكون المعازف جمعًا مقيسًا وكل هذه آلات ملاهٍ وطرب.

أما المزمار فهو معروف وأما الكَبَر فهو: طبل له وجه واحد وهو: المِزْهر أيضًا على قول، وأما البربط فهو: الكَبَر على التفسير المذكور في هذا الحديث وقيل: العود والمعازف والألات ذوات الأوتار.

وقد اختلف العلماء في جميع آلات الملاهي فمشهور مذهب مالك

والشافعي وأبي حنيفة وأحمد تحريم ذوات الأوتار في الأعراس وغيرها لما فيها من شدة الاضطراب المؤدي إلى الاستكثار منها وذلك يورث نفاقًا في القلب لبعده عن سماع القرآن وغيره مما يورث خشية الله وطاعته.

وذهب جمع إلى الإباحة مطلقًا وهو قول ابن حزمٍ الظاهري وحكاه الماوردي عن بعض الشافعية ومال إليه أبو منصور البغدادي وكان إبراهيم بن سعد الزهري أحد مشايخ الشافعي لا يحدِّث حديثًا إلا بعد نقّر العود، ولأبي المواهب التونسي تأليف في إباحة سماع الآلات ذكر فيه أن جمعًا من الصحابة سمعوا نقر العود منهم ابن عمر وعبدالله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص، ومن التابعين سعيد بن المسيب وعطاء والشَّعْبي وغيرهم.

كما أن للشيخ عبدالغني النابلسي في هذا الموضوع رسالة مطبوعة هي "إيضاح الدلالات في سماع الآلات"، وممن ألف في الإباحة أيضًا الإمام العارف شهاب الدين الحديدي.

أما ابن حجرٍ الهيتمي الفقيه فقد ذهب إلى التحريم وشدد فيه وبالغ في الرد على من قال بالإباحة وذلك في كتاب " الزواجر" وفي كتاب آخر خاص سماه "كف الرّعاع عن محرَّمات اللهوِ والسَّماع" رد به على أبي المواهب التونسي.

كل هذا في آلات الأوتار وأما غير ذوات الأوتار كالكبر والغبربال والدف فتجوز في الأعراس بلا كراهة وكذلك في الأعياد والأفراح على تفصيل كبير مذكور في محله من الكتب المشار إليها وغيرها.

وأما سماع الغناء بدون آلة طرب فهو جائز إن خلا مما يثير الشهوة ونحوها مما هو محرَّمٌ شرعًا وهذا مقام يحتاج إلى بسط لا يتحمله هذا الموضوع.

ثم قال: «**والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية**»: هذا مما أمر الله رسوله بمحقه والقضاء عليه وقد فعل فكسر الأصنام التي كانت فوق الكعبة وهدم اللَّاتَ والعزَّىٰ، وحذر أمته من الشرك وما يقرب إليه من عادات وتقاليد حتىٰ ترك الناس علىٰ منهاج واضح وطريق قويم.

«**وأقسَمَ ربي بعزَّته لا يشربُ عبدٌ من عبيدي جَرْعة من خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبًا أو مغفورًا له**»: هذا وعيد شديد لمن يشرب الخمر فقد أخذ الله علىٰ نفسه عهدًا أكده بالقسم أن يسقي شارب الخمر مكانها من حميم جهنم عياذًا بالله ولو كان مغفورًا له لأن الخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور وأصل البلايا فجدير بها هذا العذاب الشديد.

«**ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها من حظيرة القدس**». أي: الجنة، ففيها أنهار من خمر لذة للشاربين، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون، رزقنا الله دخولها من غير سابقة عذاب بمنه وكرمه.

٥٠- تفسير الحديث الشريف(١)
مجامع خصال الخير

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه استحقَّ ولايةَ الله تعالى: حِلمٌ أصيلٌ يدفعُ سَفَه السَّفيهِ عن نفسِهِ، وورَعٌ صادقٌ يحجِزُه عن معاصِي الله، وخُلُقٌ حسنٌ يداري بِهِ النَّاسَ**».

اشتمل هذا الحديث الشريف علىٰ ثلاث خصال هي مجامع خصال الخير وأصول الفضائل وأسس مكارم الأخلاق.

أولى تلك الخصال الفاضلة: حلم أصيل غير مكلف ولا دخيل يدفع به صاحبه سفه السفيه عن نفسه إغضاء عنه وتكرمًا حتىٰ ينقلب العدو صديقًا حميمًا. كما روىٰ أن عليًّا زين العابدين عليه السلام عرض له بعض السفهاء بالشتم والايذاء فمر به زين العابدين مر الكرام ولم يجبه بشيء فتبعه ذلك السفيه يقول له: إياك عنيت. فأجابه زين العابدين: وعنك أغضيت وعفوت. فقال الرجل: أشهد أنك من بيت النبوة وتاب علىٰ يديه.

وفي مثل هذا يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

والحلم -هداك الله- خلق عظيم يدل علىٰ قوة عزيمة صاحبه، وضبط نفسه عند موجبات الغضب والاستفزاز لا عن ضعف واستكانة بل عن كرم نفس وطيب عنصر بعدًا عن الدنايا وسفاسف الأمور.

وقد كان نبيُّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أوفر الناس حظًّا من هذا الخلق

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية الرابعة العدد (٧٨) ١٣ شوال ١٣٦٧.

العظيم فكان أحلم الناس على حين أنه كان أشجعهم بل كان من علامات نبوته عند أهل الكتاب أن يسبق حلمه غضبه، ولا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حِلْمًا وتغاضيًا وكثير منهم أسلموا بسبب ما شاهدوا من حلمه الذي لم يعهد له نظير.

ثانية تلك الخصال الفاضلة: ورع صادق يحجز صاحبه عن معاصي الله. والورع -يا هذا- مِلاكُ الدين وباب التقوى وعصام اليقين.

وهو نوعان: ورع كاذب يمنع من المعصية أمام الناس حيث يخشى الذم والعار، فإذا ما خلا صاحبه بنفسه خلع رداء الورع والتقوى وبارز مولاه بالمعاصي كأنه لا يعتقد أن الله يعلم سره ونجواه ومثل هذا الورع وبال على صاحبه لأنه نفاق ورياء .

الثاني: ورع صادق مبعثه خشية الله ومراقبته وهذا هو الورع المطلوب وهو الذي يحجز صاحبه عن معاصي الله في جميع أحواله.

ومعنى الورع: الابتعاد عما فيه شبهة مخالفة الوقوع في الحرام كما جاء في الحديث: «**لا يبلغُ العبدُ أن يكونَ من المتَّقينَ حتَّى يدعَ مالا بأسَ بهِ حذرًا ممَّا بهِ البأسُ**». بترك الشبهات تتفاضل الناس ويتميز المتقي من غيره، أما الحرام الواضح كالخمر والزنا فالناس في معرفته سواء.

ثالثة تلك الخصال الفاضلة: خلق حسن يداري به الناس، بأن يقابل كل شخص بما يليق بمقامه وينزله المنزلة التي هيأها الله له في المجتمع فالمدارة هي أن تعطي لكل شخص ما يناسبه وتخاطبه بما يليق به وتشعره باحترامك له ولا تجرح شعوره بكلمة نابية أو بحركة يفهم منها الزراية به والامتهان له، فمن يكون بالصفة المذكورة تتوافر القلوب على حبه، وتجتمع الناس على إجلاله

وتعظيمه، ولهذا ذهب صاحب الخلق الحسن بخير الدنيا والآخرة.

أما المداهنة -عفاك الله منها- فهي خلق ذميم ووصف قبيح تنبني على النفاق والمخادعة وهي تنحصر في تعظيم الشخص بما لا يستحقه ووصفه بما ليس فيه كأن تعظم الغني لماله وثروته لا لدينه، وتصفه بالكرم وهو بخيل وتصوِّب قوله وأنت تعلم أنه خطأ، وتمدحه بالتقوى والصلاح في حين أنه فاسق مستهتر.

ومن المداهنة أيضًا تلمس الرخص البعيدة والأقوال الشاذة لتبرير موقف صديق في خطأ وقع منه، أو منكر ارتكبه، لأن الواجب على الشخص أن لا يجاهل أحدًا على حساب الدين ولو كان أباه أو أقرب الناس إليه.

أما بعد، فهذه الخصال الثلاثة حلم أصيل، وورع صادق، وخلق حسن، ما اجتمعت في شخص وتحقق بها إلا استحق بفضل الله ولاية الله تعالى وعنايته ونصرته. وليس كل من ادعى الولاية وليًا ولا كل من تمتم بألفاظ غير مفهومة وأتى بحركات بهلوانية معلومة.

ولكن الولي من تولَّى الله بالطاعة فتولَّاه الله بالعناية.

الولي من راقب مولاه في سره ونجواه.

الولي من عامل الخلق بما يرضي الحق.

الولي من تدثَّر بدِثار الخشية وتردى برداء التواضع وتجمل بثياب التقوى.

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

٥١- تفسير الحديث الشريف في مدينة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[١]

«من حج ولم يزرني فقد جفاني».

من أكرمه الله بحج بيته الحرام وشرفه بالوقوف في تلك المشاهد العظام، فحق عليه أن يشد الرحلة إلى المدينة المنورة ليجتلي طلعة أنوارها، ويتشرف بمشاهدة آثارها، وينعم بالقرب من الحضرة النبوية الشريفة، ويفوز بقضاء مطالبه ونيل مآربه.

وفي المدينة مآثر عظيمة، ومشاهد فخمة تأخذ الألباب وتنسي من يشاهدها جميع الأهل والأصحاب، ففيها مسكن سيد الخلق وأفضل مخلوق ظهر على وجه الأرض، وفيها المسجد النبوي الكريم الذي تعدل الصلاة فيه ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والذي يشتمل على روضة من رياض الجنة وهي ما بين القبر والمنبر كما ثبت في الحديث.

في المدينة بقيع الغَرْقد وهو مدفن آل البيت الكرام والصحابة العظام وغيرهم من الأئمة الأعلام كفاطمة الزهراء وابنها الحسن بن علي وعائشة ومالك بن أنس وغيرهم ممن يطول عددهم.

وفيها مسجد قباء الذي أنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وفيها جبل أُحد الذي قال فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أحدٌ يحبُّنا

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولى العدد (١١) ٢٥ ذي القعدة ١٣٦٤.

ونحبُّه وهو على ترعةٌ من ترعِ الجنَّة». وعلىٰ هذا الجبل كانت وقعة أحد المشهورة في كتب السيرة النبوية واستشهد فيه جماعة من الصحابة كأسد الله حمزة عم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسيد الشهداء، وكعبد الله بن حرام الأنصاري والد جابر بن عبدالله، وكاليمان والد حذيفة، وغيرهم من شهداء أحد.

وفيها غير ذلك من المواقف التي يطول ذكرها ولو لم يكن في المدينة إلا زيارة المصطفىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والمثول بين يديه والسلام عليه وعلىٰ ضجيعيه أبي بكر وعمر والتوسل به إلىٰ الله والاستشفاع به لديه لكفىٰ بذلك فضلًا وشرفًا، وقد نص العلماء من المذاهب الأربعة في مناسكهم التي ألفوها علىٰ سُنِّية زيارة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتأكد طلبها، وبينوا الآداب التي ينبغي أن يسلكها الزائر في ذلك المكان الطاهر المقدس.

وذكروا ما رواه عياض وغيره عن محمد بن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالىٰ آدب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢].

ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبدالله استقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلىٰ الله يوم القيامة؟ بل استقبله استشفع به فيشفعك الله قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

فاحرص أيها الحاجُّ علىٰ زيارة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأطلها بمهجتك ومالك واعلم أنك إذا نلتها فقد سعدت وسعد جدك، ولا تتركها كما تركها بعض المحرومين فتجفو نبيَّك وتحرم خيرًا كثيرًا وفي ذلك خسران مبين، وأكثر من الدعاء هناك فإنه مستجاب واسأل ربك أن يرزقك المغفرة وحسن الختام.

٥٢- تفسير الحديث الشريف[1]

فضل الحج

«إن عبدًا صَحَّحْتُ له جِسْمَهُ ووسَّعْتُ عليه في المَعِيشَةِ تَمْضِي عليه خمسةُ أعوامٍ لا يَفِدُ إليَّ لَمحْرُومٌ».

يُقرِّر هذا الحديث الشريف أنَّ مَن تركَ الحَجَّ خمس سنوات متوالية وهو صحيحٌ مُوسِر فإنه يكون محرومًا مِن فضل الله محرومًا مِن نوال خيره محرومًا مِن هدايته وتوفيقه، ذلك لأنَّ الحَجَّ أحد أركان الإسلام وقاعدة من قواعد الدِّين، وأمارةٌ على قوَّة الإيمان وثبات اليقين.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] جعل الله في هذه الآية ترك الحج كفرًا للإشارة إلى أن الدين لا يتم إلا بالحج، وأن من لم يحجَّ فدينه ناقص وهو إلى الكفر أقرب وبه أنسب.

وفي الحديث: **«مَن مَلَكَ زادًا أو راحِلَةً لأن يحجَّ ولم يحجَّ فليَمُتْ إن شاء الله يهوديًّا أو نصرانيًّا وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»**. رواه الترمذيُّ وغيره.

والحج إلى جانب هذا يكفر الذنوب ويمحو الخطايا، ويكثر الرزق، ويطهر من جميع الشوائب، ويجعل القلب خالصًا لله لا يتجه إلى غيره، والحجاج ضيوف الله ووفود على بيته، لبوا دعوة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام،

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولى العدد (٩) ٢٤ شوال ١٣٦٤.

قال الله تعالىٰ لإبراهيم: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

فالسعيد من وفق لتلبية هذه الدعوة الكريمة ليشاهد بيت الله وما يتجلىٰ عليه وعلىٰ زائره من رحماته وبركاته في جميع اللحظات، ويحظىٰ بمشاهدة مآثر الأنبياء، ويتشرف بلَثم مواطئ أقدامهم، ويتنقل بين أماكن تستجاب فيها الدعوات، وتستدر رزق الله وبركاته ومغفرته في عرفات، وينال من ضيافة الله ما يصبو إليه قلبه ويتمناه. قال داود عليه السلام: «إلهي ما لعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك؟ قال: لكل زائر حق علىٰ المزور، يا داود إن لهم علي حقًّا أن أعافيهم في الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم». رواه الطبراني في "الأوسط".

فمن فاته الحج وفاتته فوائده ومزاياه وفضائله كان لا شك محرومًا كل الحرمان، لأنه لم يلب دعوة إبراهيم الخليل، ولم ينل شرف ضيافة الله وزيارة بيته، وفاته مع هذا كلِّه تلك المتعة الروحية واللذة القلبية التي يجدها الحاج في تنقله بين تلك الأماكن الطاهرة المقدسة فلا يملك إلا أن يسيل دموع الفرح والسرور مقرونة بالهيبة والإجلال.

فينبغي لكلِّ صحيح موسر أن يحجَّ في خمس سنين مرة علىٰ الأقل ليخرج من دائرة الحرمان، ويكون من أهل الرضا والرضوان وقد ورد: « أنَّ آدمَ أتىٰ البيتَ ألفَ أَتيةٍ لم يركب قطُّ فيهن من الهند علىٰ رجليه».

وفي الحديث عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إنَّ هذا البيتَ دعامةٌ من دعائمِ الإسلام فمن حجَّ البيت أو اعتمر فهو ضامنٌ على الله، فإنْ مات أدخله الجنَّة، وإن ردَّه إلى أهله ردَّه بأجرٍ أو غنيمةٍ»**.

٥٣- تفسير الحديث الشريف[1]

الدال على الخير كفاعله

«منْ دعا إلى هدًى كانَ له منَ الأجرِ مثلُ أجورِ من تبِعَه لا يُنقِص ذلك من أجورِهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثمِ مثلُ آثام من تبِعه لا ينقص ذلك من آثارهم شيئًا».

أخبر هذا الحديث الشريف أن المتسبب في الهدي بدعوة الناس إليه، له مثل أجر من تبعه واهتدىٰ به؛ لأنه بذل جهده واستعمل وسع طاقته في هداية الناس ودعوتهم إلىٰ الخير وحضِّهم علىٰ العمل به.

وكذلك من تسبب في الشر والضلال بدعوة الناس إليه كان عليه إثم من تبعه وعمل بدعوته، لأنه بذل جهده وعمل كل قوته في حمل الناس علىٰ الشر وأخذهم به، فلكل من الداعي إلىٰ الهدىٰ والضلالة نصيبه من الجزاء وقسطه من الثواب والعقاب لا يأخذه أحد غيره ولا يحمله عنه سواه، فليحرص الإنسان علىٰ أن يكون داعية إلىٰ الخير وإلىٰ التمسك بالآداب والفضائل، وأن يكون متمسكًا بها متحليًا بزينتها لتنجح دعوته وتؤثر في قلوب الناس حجته، إذ لا يكفي أن تدعو إلىٰ الفضائل وأنت متجرد منها وأنت تحض علىٰ الخير وأنت بعيد عنه. فإن هذا من أخلاق المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويظهرون خلاف ما يبطنون، يخادعون الله وهو خادعهم ألا ساء ما يصنعون.

فالشرط الداعي إلىٰ طريق الخير والرشاد أن يوافق قوله عمله، ويطابق سره علانيته وأن يكون الإخلاص رائده والحق هدفه وغايته، ومن حاد عن ذلك

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولىٰ العدد (١٠) ١١ ذي القعدة ١٣٦٤.

كان ضرره أكثر من نفعه وإثمه أكبر من ثوابه.

ومن هنا كان خطأ الزعماء والقادة -حين يخطئون- يعود على الجميع، وتكون مسئوليتهم عن هفواتهم جسيمة وحسابهم عليها عسيرًا؛ لأنهم قبلة أنظار الناس ومحل قدوتهم ومعقد أمالهم، فما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال يجب أن تكون نتيجة تفكير سليم، وخلاصة بحث طويل مشفوعة بإخلاص وتقدير للمسؤلية، فإن لم يستطيعوا ذلك ولم يقدروا عليه، فليتخلوا عن الزعامة والقدوة وليتروكها لغيرهم ممن هم أقدر عليها وأجدر بها، وليس من المصلحة أن يكثروا اللغط والضجيج ويضعوا العراقيل والأشواك في الطريق، فإن ذلك مع ما فيه من الوقوف في طريق الخير وقطع السبيل وحض الناس عليها، فينطبق على فاعل ذلك شِقُّ الحديث الثاني: «**ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

فهذا الحديث بين مسؤلية القادة والزعماء من العلماء وغيرهم، وحدد ما لهم وما عليهم بعبارة واضحة لا لبس فيها ولا غموض فعليهم أن يختاروا أي الطريقين شاءوا ليمشوا فيه ويسيروا عليه وليجعلوا نصب أعينهم قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

ومن أخطر الدعاة إلى الشر والضلال ناس يدعون إلى البدعة باسم السُّنة ويستغلون عقول السُّذَّج والبسطاء فيشوشون على الناس ويلبسون عليهم أمر دينهم بما يلقون إليهم من شبه زيَّنها الشيطان وحبك ديباجتها، فأوجدوا فرقة

بعد ائتلاف وخصومة بعد وفاق، وكانوا أبطال الفتنة وجنودها.

وما كان أحوج المسلمين اليوم إلى من يجمع شَتات الشَّمل ويرأَب الصدع ويرتق الفتْق حتى يعود للمسلمين غابر مجدهم، ويكونوا كما قال الله تعالى مخاطبًا لسلفهم الصالح: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفق الله المسلمين جميعًا إلى ما فيه عزتهم وسعادتهم.

٥٤- تفسير الحديث الشريف[١]

«لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ وإذا استُنفِرتمُ فانفِرُوا».

أُمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في أول نبوته أن يدعو إلىٰ الله بالرفق واللين، وأن يخاطب الناس بطريق العقل والبرهان، وألا يلجأ إلىٰ السيف والسِّنان.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

نفذ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما أمر به وصار يدعو الناس إلىٰ ربهم بالحسنىٰ، ويغشىٰ المشركين في مجالسهم ومنتدياتهم، ويعرض نفسه علىٰ وفود العرب في مواسم حجهم وأعيادهم مخاطبًا لرؤسائهم وذوي الزعامة فيهم: **«هلمُّوا إلى الله، تعالَوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكُم ألا نعبدَ إلا اللهَ ولا نُشركَ به شيئًا ولا يتَّخذَ بعُضنا بعضًا أربابًا من دون الله، أنا رسولُ الله حقًّا، أنا نذيرٌ لكم بين يدَي عذابٍ شديدٍ»**.

فآمن من سبقت له العناية من الضعفاء والموالي، ولكن صناديد قريش وعظماء العرب من غيرهم حسبوا رفقه ضعفًا وحلمه عجزًا، وظنوا أن القضاء عليه مما تناله أيدهم ويدخل تحت قدرتهم، فأمعنوا في أذيته وعقدوا العزم علىٰ الوقوف في طريق دعوته، وسلكوا لإطفاء نور الله والصد عن سبيل الله هذا ورسوله الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صابر محتسب يقابل إساءتهم بالإحسان

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولىٰ العدد (١٣) ٢٥ذي الحجة١٣٦٤ .

ويجازي إذايتهم بالمسامحة والغفران، حتىٰ لقد جاءه ملك الجبال وقال له: «إن الله كلفني أن أكون تحت أمرك فلو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت». فيقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تفعل فإني أرجو أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله**».

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أشد حلمك وما أوسع صدرك، حلم تنقطع دونه الأطماع وحسن خلق ما سمع بمثله منذ خلق الله الأرض ومن عليها في سائر البلاد والأصقاع، وكفاك فخرًا قول الله في مدحك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قضىٰ رسول الله ثلاثة عشر عامًا وهو في كفاح ونضال، وحجاج وجدال، والمشركون يزدادون عتوًا في الأرض وفسادًا، وكبرًا وعنادًا، وكان من آخر ما فعلوه أن ائتمروا في دار ندوتهم علىٰ قتله والفتك به، ليستريحوا وزعمهم من دعوته، فخيب الله سعيهم وردهم خاسئين، حيث أعلم نبيه بمكرهم وأمره بالهجرة إلىٰ المدينة فهاجر إليها ونزل علىٰ الأنصار معزَّزًا مكرمًا.

وكانت الهجرة نقطة التحول في تاريخ الدعوة المحمدية وحدًّا فاصلًا بين عهدين متباينين عهد مضىٰ بما يحمل من ضعف وقلة، وعهد مستقبل يبشر بالقوة والكثرة والعزة والغلبة، حيث أمر الله نبيه بالجهاد ونصره علىٰ أعدائه وأمكنه في رقابهم وأموالهم وديارهم، ودانت له العرب قاطبة وخشيته الملوك، وصانعته الأكاسرة والقياصرة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

واستمرت الهجرة فرضًا علىٰ المسلمين حتىٰ فتح الله مكة لنبيِّه وصارت

دار إسلام، فقال عليه الصلاة والسلام عام الفتح: «**لا هجرةَ**» أي من مكة «**بعد الفتحِ**» فتح مكة «**ولكنْ**» بقي «**جهادٌ ونيَّة**» أي: عزم على الجهاد واستعداد له «**وإذا استُنفرتم**» أي: طلب منكم أن تنفروا للجهاد «**فانفِروا**» ولا تتأخروا لأن الجهاد فرض لا ينقطع إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

كان أبو أيوب الأنصاري يقول: قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فلا أحد من الناس إلا خفيف أو ثقيل».

يعني: أنه الأمر بالجهاد يعم جميع الأمة والله أعلم.

٥٥- تفسير الحديث الشريف(١)

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقيتُ إبراهيمَ لية أُسرِيَ بي فقال: يا محمدُ، اقرأْ أمَّتك منِّي السَّلامَ وأخبرهم أن الجنَّة طيِّبةُ التُّربةِ عذْبةُ الماءِ، وأنَّها قِيعَانٌ وأنَّ غَرسَهَا سُبحانَ الله والحمدُ لله ولا إله إلَّا الله واللهُ أكبرُ ولا حول ولا قوَّةَ إلَّا بالله العظِيمِ**».

يحتفل المسلمون في شهر رجب بحادثة الإسراء والمعراج بناء علىٰ ما اشتهر عند عامة الناس أن المعراج حصل في رجب في السابع والعشرين منه، ولكن الذي حققه العلماء أن المعراج كان في ربيع الأول شهر المولد النبويِّ، وقيل كان في شهر رمضان، ومثل هذا الخلاف لا يضر ولا يؤثر في جوهر الموضوع فالذي يجب علىٰ المسلم اعتقاده أن الله أسرىٰ بنبيِّه إلىٰ بيت المقدس كما قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ثم عرج به إلىٰ السماوات حتىٰ وصل إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وهناك رأىٰ جبريل علىٰ صورته الأصلية للمرة الثانية كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٣ – ١٧].

وسدرة المنتهىٰ شجر نبق إليها ينتهي ما يصعد من جهة الأرض لا يتجاوزها الملائكة ولا غيرهم، غشيها ليلة المعراج فراش من ذهب فما يستطيع

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد ٢٧ (٣٠رجب٥ ١٣٦).

أحد أن ينعتها من شدة حسنها.

وكان المعراج بجسد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وروحه أراه الله فيه آيات عظيمة من عجائب ملكوته فرأىٰ الجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب، ومثلت له أمثلة فرآها ورآىٰ في السماء الأولىٰ آدم عليه السلام وعن يمينه نَسَم بنيه من أهل الجنة وعن يساره نسم بنيه من أهل النار، ورأىٰ في السماء الثانية ابني الخالة يحيي وعيسىٰ عليهما السلام، وفي السماء الثالثة يوسف عليه السلام، وفي السماء الرابعة إدريس عليه السلام، وفي السماء الخامسة هارون عليه السلام، وفي السماء السادسة موسىٰ عليه السلام، وفي السماء السابعة إبراهيم عليه السلام وهو مسند ظهره إلىٰ البيت المعمور الذي هو كعبة الملائكة يقصده كل يوم سبعون ألف ملك للطواف والصلاة ثم لا يعودون إليه أبدًا، وكل ملَك ونبيٍّ رحَّب بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وضحك إليه إلا مالكًا خازنَ النار فإنه رحَّب به ولم يضحك إليه، فقال له جبريل عليه السلام: «إنَّه لم يضحَكْ منذُ خلقَت النَّار ولو ضَحك إلىٰ أحدٍ لضحِكَ إليكَ».

وفي هذه الليلة فرضت الصلاة خمسين في اليوم فقال موسىٰ لنبيِّنا عليهما الصلاة والسلام: «ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تُطيق ذلك». فلم يزل يراجع ربه حتىٰ بقيت خمسًا في العدد وخمسين في الثواب.

أما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه حمَّل نبيَّنا عليه الصلاة والسلام أمانة تبليغ السَّلام إلىٰ أمته بقوله: «أقرأْ أمَّتك منِّي السَّلامَ». وهذا شرف عظيم لهذه الأمة المحمدية أن يسلِّم عليها خليل الله، ويجب علىٰ من سمع هذا الحديث أن يرد السلام علىٰ إبراهيم عليه السلام؛ لأن ردَّ السلام حقٌّ واجب، ثم قال أبو

الأنبياء لابنه سيِّد الخلق: «**وأخبرْهم**» أي: أخبر أمتك «**أنَّ الجنة طيبةُ التربةِ**» ما يغرس فيها ينبت أطيب وأحسن ما يكون «**عذبة الماء**» لا يتغير طعمه ولا يتبدل ريحه ولونه، «وإنها» أي: الجنة «**قِيعان**» بكسر القاف جمع قيعة بكسر القاف أيضًا: هي المكان المستوي من الأرض ليس به نبات ولذلك قال: «**وأن غرسها**» بكسر الغين ما يغرس فيها بمنزلة التقاوي التي تبذر في الأرض «**سبحان الله**»: أي: أنزه الله تنزيها عن شوائب النقائص وسمات المحدثات، «**والحمد لله**»: أي كل كمال وثناء وتمجيد ثابت لله بالاصالة والاستحقاق «**ولا إله إلا الله**»: أي: لا معبود يستغني عن كل ما سواه ويفتقر إليه كل ما عداه إلا الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

«**والله أكبر**» في عظمته أكبر في جبروته فلا كبير غيره ولا عظيم سواه «**ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» أي: لا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيق الله العلىٰ علي خلقه العظيم في شأنه وهو مالك أمور الخلق لا يقدورن علىٰ مقاومته ولا يستطيعون مخالفة إرادته.

ولكون هذه الكلمات الخمس اشتملت علىٰ توحيد الله وتنزيهه وتمجيده وتفريده بالقوة والعظمة والكبرياء والغنىٰ التام والعلو المطلق كانت غراس الجنة، فينبغي الإكثار من ذكرها والمواظبة علىٰ قراءتها تقرُّبًا إلىٰ الله وطمعًا في ثوابه والله الموفق والهادي.

٥٦- تفسير الحديث الشريف[(١)]

عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالىٰ حرَّم عليكُم عقُوقَ الأمَّهاتِ، ووأْدِ البنَاتِ، ومَنعًا وهاتِ، وكَرِهَ لكُم قِيلَ وقالَ وكثرةَ السؤالِ وإِضَاعةَ المالِ**».

اشتمل هذا الحديث علىٰ ستة أشياء كلٌّ منها منهيٌّ عنه لما فيه من الضرر والمفسدة وافتتح بجملة: «إن الله تعالىٰ حرم» ايذانا بعظم هذه المنهيات وقبح أثرها وشدة خطرها.

فأول هذه المنهيات وهو أهمها: **عقوق الأمهات أي**: إيذاؤهن ومضايقتهن بكلام أو عمل لا يوافقهن، ولو كان مباحًا فيجب علىٰ الشخص أن يبتعد عما يؤذي والدته ويراعي حق أمومتها وينظر إلىٰ ما تكبدت من المشاقِّ في حمله ووضعه ورضاعه ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

ولهذا خص الحديث الأمهات بالذكر نظرًا لضعفهن وما تحملن من المشاق الكثيرة، وإن كان عقوق الآباء محرمًا أيضًا بل عقوق الوالدين أو أحدهما كبيرة من الكبائر، والعاق لا يغفر له في الليالي الفاضلة كليلة النصف من شعبان ونحوها، ويعجل الله له العقوبة كما جاء في الحديث.

ويكفي دليلًا علىٰ عظم أمر الوالدين وتأكد حقهما أن الله قرن برهما بطاعته وجعل شكرهما من شكره: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد ٣٢ (٢١ شوال ١٣٦٥ هـ).

[الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

فشكر الوالدين وطاعتهما وبرهما فرض لازم بنصِّ القرآن إلا إنْ أمرا بما يحرم شرعًا فلا تجوز طاعتهما حينئذ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وثاني المنهيات: وأد البنات أي: دفنهن وهن أحياء، وكان العرب يفعلون ذلك تخلصًا من عار البنات في زعمهم، فحرمه الله تحريمًا قاطعًا ونعاه في القرآن ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩] ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

فالإسلام هو الدين الذي قرر حق المرأة في الحياة وجعل لها حقوقًا وفرض عليها واجبات وأشعرها بمسئوليتها في المجتمع، ولم يمنعها من أن تعاطى حقوقها في حدود الحجاب الذي جعله الله صونًا لها وعونًا على عفتها وطهارتها، لا كما يريد الهدامون المارقون من كتاب اليوم ومن على شاكلتهم.

وثالث المنهيات: منعًا وهات، وهاتان الكلمتان كناية عن البخل والسؤال، فمنعًا كناية عن البخل وهات كناية عن السؤال، ولا شك أن البخل قبيح مذموم بنص القرآن والسنة، والبخيل عديم الإيمان لأنه لا يثق بوعد الله تعالى في قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

والسؤال أقبح وأشد لأنه إذلالٌ للنفس، وإراقة لماء الوجه، وإضاعة للكرامة، والأحاديث في تقبيحه لا تكاد تحصى.

ورابع المنهيات: قيل وقال: هذان فعلان يُكنىٰ بهما عما يتحدث به الناس من فضول الكلام؛ لأنه إضاعة للوقت فيما لا يجدي نفعًا، والمسلم يجب أن يكون وقته معمورًا بما يعود عليه بالفائدة الدينيه والدنيوية، ويدخل في المنهي عنه هنا تلك الأقاصيص التي شُغف بها أغلب العامة مثل سِيرة عنترة وما إليها.

وخامس هذه المنهيات: كثرة السؤال عن أحوال الناس، وتتبع عوراتهم، لأنه تدخل فيما لا يعني، وتجسس محرم بنص القرآن، ويشمل الحديث أيضًا كثرة السؤال في المسائل العلمية علىٰ سبيل التعجيز والمغالطة، فإن هذا متوعد عليه في غير ما حديث، بل كان السلف يكرهون الخوض في المسائل التي لم تقع بعد ويقولون للسائل: دعها حتىٰ تقع فنبحث عن حكمها. وهذا من تمام احتياطهم وورعهم، ولم يكونوا كهؤلاء الثرثارين الذين يملأون -بل يضيعون- أوقاتهم في البحث عن فلسفة القضاء والقدر، ووحدة الوجود ونحو هذا مما لا يفيدهم في دينهم ولا دنياهم.

وسادس المنهيات، وهو آخرها في هذا الحديث: إضاعة المال، إما بصرفه في غير وجهه المشروع المباح، وإما بعدم حفظه وصيانته من التلف، وإما بالتوسع في المباحات إلىٰ الحد الذي يعد في العادة إسرافًا وتبذيرًا، فهذه الصور كلها تعد إضاعة للمال، وتقع تحت طائلة النهي في الحديث.

أما الإنفاق في الطاعة ووجوه البر فهو عبادة يثاب عليها فاعلها ولو كثر الإنفاق وفي مثل هذا قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لبلال: «**أنفْق يا بلالُ ولا تخشَ من ذِي العرِش إقْلاقًا**».

٥٧- تفسير الحديث الشريف[(١)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهم وعبدُ الخَمِيصة إنْ أُعطِيَ رضِي وإنْ لم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَسَ وإذا شِيكَ فلا انتَقَش، طُوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنانِ فرَسِهِ في سبيلِ الله، أشْعثَ رأسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قدماه، إن كانَ في الحِراسَة كانَ في الحِراسَةِ، وإنْ كان في السَّاقَةِ كان في السَّاقَةِ، إن استأذَنَ لم يُؤذَنْ لَهُ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ».

هذا الحديث عظيم القدر جليل الخطر يشتمل علىٰ فوائد هامة ما أحوجنا إلىٰ تدبرها في هذا الوقت الذي طغت فيه المادة وساد سلطانها وأخلد الناس إلىٰ عيشة الراحة وضعفت في نفوسهم الغيرة والحماسة الإيمانية، فأصبحوا لا يلقون بالًا إلىٰ ما يرمىٰ به دينهم، بل بلغ الأمر بالبعض أن صاروا يكيلون ألقاب المدح والثناء لمن يلطم المسلمين أشد اللطمات، ويبالغ في إهانتهم وتقبيح دينهم.

فهذا برنارد شو عدوٌّ الله ورسوله له كلمات عن نبيِّ الإسلام صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا تصدر إلا من أخبث الناس كفرًا وأقبحهم كذبًا وأوسخهم عقلًا وفهمًا، ومع هذا نجد في المسلمين من يخصص المقالات في مدح شخصه وأدبه ويقول إن العالم يتمنىٰ المزيد من إنتاج هذا الأديب الفذِّ والكاتب العبقريِّ!

أي عالَم تعني أيه الكاتب الفاضل؟ عالم المسلمين أم عالم المسيحيين أم عالم اللادينيين الملحدين؟

وبهذه المناسبة أعتب علىٰ "مجلة الرابطة الإسلامية" وكل مجلة إسلامية أن

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية الثنة الثانية، العدد (٣٣) ٥ ذي القعدة ١٣٦٥.

تفسح صدرها لمثل هذه المقالات التي تؤذي المسلمين في أعز شيء لديهم وهو دينهم ونبيُّهم، بل نبيُّ العالم أجمع عليه الصلاة والسلام وعلىٰ" برنادو شو" اللعنة الدائمة إلىٰ يوم القيامة، هذه نفثة مصدور وأنة من كبد محرور دعت إليها المناسبة ولنا إلىٰ هذا الموضوع عودة بحول الله.

يقول النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تعس**»: بفتح التاء وكسر العين شقي وهلك، وأصل التعس انكباب الشخص علىٰ وجهه، ثم استعمل في الشقاء والهلاك، وإضافة العبد إلىٰ الدينار والدرهم والخَمِيصة تفيد التحقير والإهانة، وتفيد أيضًا أن هذا العبد انهمك في أوحال المادة وشغف بجمعها بحيث لم يبق له وصف يعرف به إلا أنه عبدها والعياذ بالله.

«والخميصة»: ضرب من الثياب النفيسة، وجملة: «تعس... إلخ» يحتمل أن تكون دعائية أو خبرية والأول أولىٰ بل لعله متعين، والمعنىٰ أن عابد الدنيا والمنهمك في اقتنائها من كل طريق مدعو عليه بالشقاء والهلاك في الدنيا والآخرة، ودعاء النبي مستجاب.

وقوله: «**إن أُعطِي**»-بضم الهمزة وكسر الطاء- «**رضي**» «**وإن لم يُعطَ**» -بضم الياء وفتح الطاء-«**سخط**» بيان لحكمة الدعاء عليه ولمعنىٰ أن عابد الدنيا يعبد الله علىٰ حرف إن أعطاه الله رضي وفرح وظن أن هذا من رضى الله عليه، وإن منع عنه المال أو قبض عنه بعض ما يشتهيه جزع وسخط، ونسي أن ما حصل له بقضاء الله وقدره وأكثر من الشكوىٰ وتضجَّر من الظروف، وربما أظلمت الدنيا في عينيه حتىٰ يهم بالانتحار، وكل هذا ناشئ عن الجهل بالله وقلة الإيمان به وعدم الثقة بوعده، وهذا شأن المنافقين كما قال الله في وصفهم:

﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وجدير بمن هذا حاله أن يدعىٰ عليه بالهلاك، ولهذا أعاد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الدعاء عليه بقوله: «**تعس وانتكس**» والانتكاس: سقوط الشخص علىٰ رأسه.

«**وإذا شيك**» -أي: دخلت الشوكة في رجله- «**فلا انتقَشَ**» أي: فلا يجد من يخرجها منه بالمِنْقاش يقال: نقشت الشوك أخرجته، وهذا تأكيد في الدعاء علىٰ عابد الدنيا لأنه أحب ما أبغضه الله وركن إلىٰ شهواته وهواه.

أما السعي علىٰ المعاش برفق فليس بداخل في الحديث بل هو مأمور به في غيرما آيةٍ وحديثٍ والله أعلم.

لشرح الحديث بقية[1]

(١) بقية الشرح في المقالة التالية.

٥٨- تفسير الحديث الشريف(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ وعبدُ الخَمِيصَة إنْ أُعطِي رضِي وإن لم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَس، وإذا شِيكَ فلا انتَقَش طُوبَى لعبدٍ آخِذٍ بعِنانِ فرسِهِ في سبيل الله أشعثَ رأسُه مغبرَّةٍ قدماه إنْ كان في الحِراسةِ كانَ فى الحراسةِ وإن كانَ في السَّاقة كان في السَّاقة، إن إستأذَن لم يُؤذَن لَهُ وإن شَفَعَ لم يُشفَّع»**.

تكلمنا في العدد الماضي عن شطر الحديث الأول واليوم نتكلم عن شطره الثاني وهو يحض علىٰ أمرين: الجهاد، وحب التواضع وإنكار الذات.

أما الجهاد: فهو فرض من فرائض الدين حض الله عليه في كتابه المبين به يَسْبر غَوْر الأخلاق وهو الحد الفاصل بين الإيمان والنفاق.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

والجهاد عدا هذا واجب تقتضيه الحياة ما دام في الدنيا صراع بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الإسلام والكفر.

الجهاد واجب من ضروريات الحياة ما دام في الدنيا جشَعُ الاستعمار وأطماع الاستعمار.

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية، العدد (٣٤) ٢٢ ذي القعدة ١٣٦٥.

الجهاد واجب لمحاربة هؤلاء المستعمرين الذين يحاولون اغتصاب دول واسترقاق أمم واقتطاع أراض من أصحابها الشرعيين بحجة الرحمة الإنسانية أو القواعد الاستراتيجية أو نحو ذلك مما يختلقونه من الحيل الشيطانية فهل رأيت أعجب من عقول هؤلاء المستعمرين؟! وهل رأيت أخبث من دسائسهم الاستعمارية؟!

فالجهاد ضد هذه العقول وضد هذه الأساليب أمر واجب تقتضيه العزة القومية وتوجبة الكرامة الإنسانية حتى يتحرر الإنسان من إذلال أخيه الإنسان، فالدين حين فرض الجهاد لم يأت إلا بما هو من مقتضيات العزة وموجبات الكرامة.

وهكذا أوامر الدين تأخذ بيد ملتزمها إلى حيث الحياة السعيدة العزيزة التي لا يشوب عزتها ذلٌّ ولا يكدر سعادتها شقاء، وأما حب التواضع وإنكار الذات فهو أمر لازم لنجاح الأعمال وأدعى لقبولها وكل عمل دخله حب الظهور والرياسة فسد ولم يتم وفي هذا يقول ابن عطاء الله الصوفي: «ادفن نفسك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نِتاجه».

فقوله عليه الصلاة والسلام: «**طوبى**» هي: كلمة مدح وترغيب مثل نعم وحبذا، «**لعبد آخذ بعنان فراسه**» يجاهد «**في سبيل الله**» والمراد: كل ما يركب في الجهاد فيشمل المركبات الحديثة «**أشعث رأسه**» أي: رأسه مغبر «**مغبرة قدماه**» من أثر الأرض وهاتان الصفتان مجرورتان على أنهما نعت لعبد والمعنى أنه غير متفرغ لإصلاح شأنه في جهاد وجلاد وقتال ونضال «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة**» أي: حراسة الجيش «**وإن كان في الساقة كان في الساقة**» أي:

مؤخرة الجيش واتحاد الشرط والجزاء لبيان أنه خامل الذكر لا يقصد السُّموَّ فهو إن كان الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة فكذلك من غير أن يلفت نظر أحد إلىٰ نفسه أو عمله بدليل قوله: «**إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع**». وهذا الحديث كما ترىٰ سبق إلىٰ تقرير فضل الجندي المجهول والإشادة بذكره.

٥٩- تفسير الحديث الشريف[١]

أنواع الظلم

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الظُّلمُ ثلاثةٌ: فظلمٌ لا يغفِرُه الله، وظلمٌ يغفِرُه، وظلمٌ لا يتركُهُ. فأمَّا الظُّلمُ الذي لا يغفِرُه الله فالشِّركُ قال الله:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] **وأمَّا الظّلم الذي يغفِرُه الله فظلمُ العبادِ أنفسَهم فيما بينَهم وبينَ ربِّهم، وأمَّا الظّلم الذي لا يتركه الله فظلمُ العباد بعضُهم بعضًا حتى يُديرَ لبعضِهم من بعضٍ**».

أصل الظلم تجاوز الحد ووضع الشيء في غير موضعه الذي يستحقه، وهو أنواع متفاوتة، فالشرك أعظم الظلم ثم تليه المعاصي علىٰ اختلاف أنواعها من قتل وزنًا وغيرهما

والظلم من حيث دخوله في حيز الغفران وعدمه لا يتعدىٰ ثلاثة هي المذكورة في هذا الحديث، فظلم لا يغفره الله أبدًا وهوالشرك قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وإنما كان الشرك ظلمًا عظيمًا لا يغفره إلا الله لأن المشرك حين عبَد غير الله قد وضع الشيء في غير موضعه، لأن العبادة يجب تكون خاصة لله دون غيره، لأنه موجد الخلق من العدم ومربِّيهم بالنِّعم فكيف يصح أن يعبد غيره؟

وفي الحديث القدسي: «**إنِّي والجنَّ والإنسَ في نبأٍ عظيمٍ أخلقُ ويُعبَدُ غيري وأرزقُ ويُشكَر سواي** ».

---

(١) الرابطه الإسلامية السنة الثالة العدد (٣٥) ٦ ذي القعدة ١٣٦٥.

وكذلك من نَسَبِ المشركين الولد إلى الله فقد تجاوز الحد ونسب إلى الله ما لا يليق به وكذب عليه، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١].

ويلتحق بهذا الظلم في عدم الغفران لصاحبة ظلم الكفر بتكذيب أحد من الرسل كموسى أو عيسى أو محمد عليهم السلام، فمن كذب أحدًا من الرسل فقد كذب جميعهم بل كذب خالقهم الذي أرسلهم، وأوجب تصديقهم وتعظيمهم، ولا ينفعه مع ذلك زعمه بلسانه أنه يؤمن بالله إذ لو كان إيمانه صادقًا لآمن برسل الله جميعًا، وليس دين من الأديان أوجب الإيمان بجميع الرسل والملائكة غير دين الإسلام ولهذا جعله الله دينه حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ولم يقبل من الناس سواه حيث قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] فمن أسلم نجا ومن لم يسلم هلك.

وظلم يغفره الله إن شاء وهو ظلم العباد أنفسهم بالمعاصي التي ارتكبوها فيما بينهم وبين خالقهم مما لا تعلق له بمخلوق، فلله أن يغفر من هذه المعاصي ما شاء لمن شاء، لكن لابد من نفوذ الوعيد في طائفةٍ من عصاة المسلمين تصديقًا لكلام الله ورسوله ثم يخرجون من النار برحمة الله وبشفاعة الشافعين ولا يخلد في النار إلا من مات على غير الإسلام، ومن المعلوم أن العاصي إذا تاب توبة نصوحًا غفر الله ذنوبه، كما أن الكافر إذا أسلم يغفر له جميع ما فعل في الكفر حتى يبقى نظيفًا كأنه وُلد لساعته.

وظلم لا يتركه الله، أي: لا يهمله، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يُدير -بضم الياء الأولى- أي: يأخذ لبعضهم من بعض، والمعنى أن الله يجمع

يوم القيامة الظالم مع المظلوم فيأخذ للمظلوم حقه من الظالم وافيًا غير منقوص.

وليس هناك دنانير ودراهم، ولكن حسنات وسيئات يأخذ المظلوم من حسنات الظالم فإن لم يكن له حسنات أو كانت ونفذت قبل استيفاء الحق أخذ من سيئات المظلوم وطرحت على الظالم فيطرح في النار، هكذا جاء في حديث آخر صحيح، فحقوق الناس أمرها شديد جاء فيها وعيد وتهديد، والموفق من ابتعد عنها وتحامى الوقوع فيها، نسأل الله الهداية والتوفيق.

٦٠- تفسير الحديث الشريف(١)

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«قد أفلحَ من أخلصَ قلبَه للإيمانِ، وجعلَ قلبَه سليمًا ولسانَهُ صادقًا ونفسَه مطمئنَّةً وخليقتَه مستقيمةً وجعل أذنَه مستمعةً وعينَه ناظرةً فأما الأذنُ فتعِي والعينُ مقرَّة بما يوعِي القلبُ وقد أفلحَ من جعل قلبَه واعيًا»**.

هذا حديث عظيم يحضُّ علىٰ الإخلاص في الإيمان، ويرغب في جملة من الأخلاق الفاضلة الكريمة، والإخلاص خلق عظيم وسر من أسرار الله يضعه الله في قلب من يشاء من عباده، به قبول الأعمال ونجاحها، بل هو سرها وروحها، قال ابن عطاء الله في الحكم: «الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود الإخلاص فيها».اهـ

فكل عمل صحبه الإخلاص فهو ناجح، وكل عمل فارقه الإخلاص فهو فاشل.

ولهذا حض الله علىٰ الإخلاص في غيرما آيةٍ من القرآن العظيم، وجعله ركنًا من أركان العبادات كلها فلا تقبل صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج ولا غيرها إلا بإخلاص.

فهذا الحديث موافق لكثير من الآيات والأحاديث في تقرير فضل الإخلاص وبيان مزاياه وفضائله، فقوله عليه الصلاة والسلام: «**قد أفلح**» أي فاز وربح، «**من أخلص قلبه للإيمان**» أي: جعل قلبه خالصًا بالإيمان بالله وتصديق رسله وكتبه؛ لأن الإيمان أساس العمل فإذا صحَّ الأساس وسلِم

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد (٣٦) ٢٢ذي الحجة ١٣٦٥.

استقام البناء، «**وجعل قلبه سليمًا**» من الشرك وشوائبه كالرِّياء وحبِّ الظهور والرِّياسة والكبر والحقد والحسد وغيرها؛ لأن هذه المعاصي تورث فسادًا في القلب وخللًا في العمل، وتُوجب غضب الله علىٰ عبده، «**ولسانًا صادقًا**» لا ينطق إلا بالصدق لأن الصدق صفة من صفات الله وخلق من أخلاق رسله الكرام.

فالله يحب الصدق والصادقين ولا يزال العبد يصدق ويتحرَّىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا، والصدق عنوان الإيمان، وعلامة علىٰ طهارة النفس وصلاح القلب، كما أن الكذب مجانب للإيمان وعنوان علىٰ خبث الباطن وفساد السريرة، وما يكذب المرء إلا من مهانة نفسه عليه.

«**ونفسَه مطمئنَّةً**» راضيةٌ بما يجريه الله عليها، مرضيٌّ عنها من قبل الله لأنها رضيت عن الله فرضي الله عنها، وهذا أعلىٰ مقام وصف الله به أهل الجنة حيث قال تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ولهذا كتب عمر إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري يقول له: «إن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر».

«**وخليقته مستقيمة**» يعني: وجعل طبيعته مستقيمة بأن راضَها علىٰ تعاليم الشرع وحملها علىٰ اعتناق الأخلاق الفاضلة فاستقامت علىٰ ذلك، وفي الحديث: «**إنَّما العلمُ بالتَّعلُّمِ والحِلمُ بالتَّحلُّمِ**».

«**وجعل أذنه مستمعة**» لما ينفعه في دينه ودنياه فيدخل في ذلك سماع سائر العلوم النافعة المثمرة، ويخرج عنه سماع اللهو والباطل.

«**وعينه ناظرة**» نظر اعتبار وتدبر ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

والآيات في هذا كثيرة «**فأما الأذن فتعي**» ما يلقىٰ إليها، «**والعين مقرة بما يوعي القلب**» لأن القلب عن طريقها عرف فهي آلة توصل إليه المعلومات المبصرة «**وقد أفلح**» فاز وربح «**من جعل قلبه واعيًا**» حافظًا لما يلقىٰ إليه من عظات وعبر فينتفع بها في فعل ما يرضي الله واجتناب ما يغضبه فيعيش بذلك هادئًا مطمئنًا ويلقىٰ ربه راضيًا فيفوز بالسعادتين ويحظىٰ بالحسنيين. وبالله الهداية والتوفيق.

٦١- تفسير الحديث الشريف[١]

عن زيد بن أرقم عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله يحبُّ الصَّمتَ عند ثلاثٍ: عند تلاوة القرآنِ، وعند الزَّحفِ، وعند الجنازَةِ**».

حفظ السان بالصمت أمر مطلوب مرغوب، رغب فيه الحكماء ومدحه الشعراء قال الأحنف بن قيس: «الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه».

وقال الإمام مالك: «كل شيء ينتفع بفضله إلا الكلام فإن فضله يضر».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: منصت واع، أو متكلم عالم». وقال الشاعر:

ما زلَّ ذو صمتٍ وما مِنْ مُكثِرٍ ... إلا يزِلُّ وما يعابُ صَمُوتُ

إن كان منطقُ ناطقٍ من فضَّةٍ ... فالصَّمت دُرٌّ زانَه اليَاقُوتُ

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في مدح الصمت وذم كثرة الكلام، يكفي منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليسكُتْ**».

والصمت وإن كان مطلوبًا في عموم الحالات فهو في بعضها آكد طلبًا وأقوىٰ استحبابًا، منها هذه المواطن الثلاثة التي أخبر الحديث أن الله يحب الصمت عندها، ومعنىٰ حب الله للصمت: رضاه عنه وإثابة فاعله، فالصامت في هذه المواطن يثيبه الله ويرضى عنه.

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد (٣٧) ٦ محرم ١٣٦٦.

أحدها: عند تلاوة القرآن قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فالواجب عند التلاوة الإنصات والاستماع وتدبر معاني القرآن والتفكير فيما حواه من عظات وعبر، واستحضار عظمة المتكلم وجلاله، فبذلك يحصل الانتفاع بالقرآن وتحصل الرحمة للتالي والسامع.

كان الصحابة إذا قرئ القرآن يكونون كأنما على رؤسهم الطير خشوعًا لله وخضوعًا لهيبته متدبرين معاني كلامه متفكرين فيما يتلى عليهم من أحكام وحكم وأمثال ومواعظ ومنهم من كانت تغلب عليه الخشية فتهتز مشاعره وتدمع عينه ويزداد يقينه ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

ثم خلف من بعدهم خلفٌ اتخذوا قراءة القرآن تغنّيًا وسماعه تسلّيًا يكثرون عند تلاوته آهات الاستحسان حتى لا تكاد تفرق بين مجلس القرآن ومجلس الغناء والألحان لتشابههما ضجيجًا وتلحينًا وتقاربهما غناء وتفنينًا.

الموطن الثاني: من المواطن التي يحب الله الصمت فيها عند الزحف أي: عند التقاء الصفين في الجهاد؛ لأن هذا أشرف موطن يقدم الإنسان فيه نفسه وماله لله، فينبغي ألا يفسد هذه العبادة الشريفة بضجيج وصياح، فما بينه وبين الجنة إلا أن يأتيه سهم صائب، نعم قد يقتضي الحال الكلام في هذا الموطن لحفز همم الجيش وتقوية الروح المعنوية فيه ونحو ذلك، فيتعين الكلام حينئذ

ويكون السكوت جريمة وخيانة.

الموطن الثالث: مما يجب الله الصمت فيه عند الجنازة أي: عند تشيع الميت وغسله وتجهيزه لأن الميت يتأذى مما يقع عنده من صراخ وعويل وندب ونياحة كما هو حاصل اليوم، ولأن المطلوب من المشيِّعين أن يتفكروا في حال الميت، وما قد صار إليه من خير أو شر، ويعلموا أنهم بعد قليل صائرون إلى ما صار إليه فيكبحوا من جماح شهواتهم ويكفوا عن كثير من مخالفاتهم ومن لم يتعظ بالموت وأهواله فلا يرجى صالح لحاله، والله ولي التوفيق.

٦٢- شرح حديث شريف[١]
العِرق دساس

سئلتُ عن حديث: «**إياكُم وخَضْراءَ الدِّمَن فإنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ**». هل هو حديثٌ ضعيفٌ أو موضوعٌ؟ وطلب مني السائل أن أجيبه على صفحات "هدي الإسلام" الغراء.

فأقول: الحديث المذكور مجموع من حديثين كما سنبينه، فأما صدره فخرجه الرَّامَهُرمُزيُّ في "الأمثال"، والدارَقُطني في "الإفراد"، وابن عدي في "الكامل"، والعسكري في "الأمثال"، والقضاعي في "مسند الشهاب"، والخطيب في "إيضاح الملتبس"، والديلمي في "مسند الفردوس"، كلهم من طريق محمد بن عمر الواقدي: ثنا يحيى بن سعيد بن دينار، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إياكم وخضراءَ الدِّمن**». قيل يا رسول وما خضراء الدمن؟، قال: «**المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السُّوءِ**». وإسناده ضعيف، لكن سيأتي ما يشهد له.

وأما حديث «**العِرق دسَّاس**» فخرَّجه القضاعيُّ في "مسند الشهاب"، وابن الأعرابي في "المعجم"، والديلمي في "مسند الفردوس"، كلهم من طريق محمد بن عبدالرحمن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -وهو يوصي رجلًا- يقول: «**أقِلَّ من الدُّيونَ تعشْ حرًّا، وأقلَّ من الذُّنوبِ يهُن عليك الموتُ، وانظرْ في أيِّ نِصَابٍ تضعُ ولدكَ فإنَّ العِرقَ دسَّاسٌ**».

---

(١) مجلة هدي الإسلام السنة الأولى العدد (٢٧) ١٠ صفر ١٣٥٤.

ورواه أبو موسىٰ المديني في كتاب "تضييع العمر والأيام" من حديث عمر رضي الله عنه بلفظ: «**وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق جساس**».

وخرج الديلمي بإسناد ضعيف عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**النَّاسُ معادنُ والعِرقُ دسَّاسٌ**».

وخرج ابن عديٍّ في "الكامل" بأسانيد ضعيفة، عن أنس عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تزوَّجوا في الحُجْزِ**(١) **الصالح؛ فإنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ**».

وهذه الطرق إذا ضُمَّت أفادت الحديث قوَّةً يصير بها حسنًا لاسيما وله شاهد صحيح، وهو ما خرجه الشيخان عن أبي هريرة قال: جاء رجل من بني فزارة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هل لك من إبلٍ؟**» قال: نعم. قال: «**فما ألوانُها؟**» قال: حمر. قال: «**هل فيها من أوْرقَ؟**» قال: إن فيها لوُرْقًا، قال: «**فأنَّى أتاها ذلك؟**»قال: عسىٰ أن يكون نزعة عرق. قال: «**وهذا عسى أنْ يكونَ نزعةُ عرقٍ**». وخرج عبدالغني بن سعيد المصري في "المبهمات" من طريق مطر بن العلاء عن عمته -قطبة بنت هرم بن قطبة- أن مدلوكًا حدثهم: أن ضمضم بن قتادة ولد مولودًا أسود من امرأة من بني عجل فأوجس لذلك؛ فشكا إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هل لك من إبل؟**»قال: نعم. قال: «**فما ألوانها**» قال: فيها الأحمر والأسود وغير ذلك. قال: «**فأنَّى ذلك؟**» قال: عرقٌ نزعَ. قال: «**وهذا عرقٌ نزعَ**». قال فقدم عجائز من بني عجل فأخبرن أنه كان للمرأة جدة سوداء، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

---

(١) «الحُجْز» بالضَّمِّ والكسر: الأصلُ. "النهاية" لابن الأثير (١/ ٣٤٤).

٦٣- شرح الحديث الشريف[١]

عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يقول: «**بئسَ العبد عبد تجبَّر واعتدى ونَسِيَ الجبَّار الأعلى، بئس العبدُ عبدٌ تخيَّل واختَال ونسِيَ الكبيَر المتعالِ، بئس العبدُ عبدٌ بغَى وعتَا ونسِيَ المبدأَ والمنتَهَى، بئس العبدُ عبدٌ يختلُ الدنيا بالدِّين، بئس العبدُ عبدٌ يختلُ الدنيا بالشُّبُهاتِ، بئسَ العبدُ عبدٌ طمَعٌ يقودُه، بئس العبدُ عبدٌ هوى يضلِّه، بئس العبدُ عبدٌ تزيلُه الرغبةُ عن الحقِّ**». رواه الخطيب في "الكفاية".

تضمن هذا الحديث الشريف النهي عن جملة من الأخلاق الذميمة، وحذر منها في أسلوب بلاغي عظيم، وبين ما يستهدف له الشخص من الذم واللوم إذا هو اتصف بخلق قبيح ينافي ما يجب أن يتصف به المؤمن من خلق كريم وطبع قويم وهدي مستقيم يقول عليه الصلاة والسلام: «**بئس العبد عبد تجبر واعتدى**» بئس كلمة معناها الذم والتقبيح، أي: قبح العبد الذي تجبر علىٰ الناس وأجبرهم علىٰ اتباع هواه واعتدىٰ في تجبره فآذىٰ من خالف هواه ووقف في طريقه ونسي هذا العبد المتجبر المعتدي «**الجبار الأعلى**» الذي له الملك والملكوت وبيده العزة والجبروت.

«**بئس العبد عبد تخيل**» في نفسه أن له فضلًا علىٰ غيره «**واختال**» تكبر الناس لتخيله أن له مزية عليهم «**ونسى الكبير المتعال**» المنفرد بالكبرياء دون خلقه كما جاء في الحديث القدسي: «**الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قصَمتُه ثمَّ قذفتُه في جنَّهم**».

(١) نشر الفضائل، السنة ١١ العدد (٣٨) ٩ ربيع الثاني ١٣٦٣.

«**بئس العبد عبد بغى**» ظلم الناس وأخذ حقوقهم «**وعتا**» بالغ في ظلمة واستمر في طغيانه «**ونسي المبدأ**» حيث كان نطفة من ماء مهين، ثم طفلًا ضعيفًا لا حول له ولا قوة «**والمنتهى**» حيث يحشره الله فيحاسبه على ما ظلم من الحقوق.

«**بئس العبد يختل**»: يطلب «**الدنيا بالدين**» فيجعل مركزه الدينيَّ شَرَكًا لاقتناص الأموال بخدع وألاعيب كدعوى المساعدة في مشروعات تفيد المجتمع الإنساني أو الإسلامي أو ما شئت من الألفاظ الضخمة الجوفاء التي تنتقي للتأثير على الفريسة.

«**بئس العبد عبد يختل الدنيا بالشبهات**» وهي الأمور المترددة بين التحليل والتحريم لتعارض الأدلة فيها أو لاختلاف أنظار الأئمة والواجب ترك ما اشتبه فيه حذرًا من الوقوع في المحرم كما جاء في الحديث الصحيح: «**فمن اتقى الشُّبهاتِ فقد اسْتبرأَ لدينهِ وعرضِهِ، ومن وقعَ في الشُّبهاتِ وقعَ في الحرامِ**». وفي الطرق الشرعية متسع لطلب الرزق الحلال

«**بئس العبدُ عبد طمعٌ يقودُه**» إلى ما فيه حتفه وهلاكه من حيث لا يشعر، فإن الطمع -حماك الله منه- يُميت الضمير ويقتل الوجدان ويجعل من الطامع شبحًا أشبه بالحيونات المعجمة.

«**بئس العبد عبد هوًى يضله**» عن الصراط السَّوي ويُصِمُّه عن صوت الحق وتلبية ندائه كما قال البوصيري رحمه الله تعالى:

فاصْرِفْ هواهَا وحاذِرْ أن تولِّيَـه ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْـمِ أو يَصِـمِ

«**بئس العبد عبد تزيله الرغبة**» في منفعة له «**عن الحق**» فلا يقوله بل يتكلم

بما يعلم أنه باطل، ويؤيد الباطل بكل قواه ليصل إلى غرضه ولا يهمه بعد ذلك إن ضاع دينه متى وصل إلى مراده كما يشاهد كل يوم ما يجري في الحفلات والمجتمعات وغيرها مما يغضب الله ويهدر كرامة المسلمين.

فالمؤمن من يجتنب كل خلة ذميمة ويتسم بكل فضيلة متبعًا للحق في سائر أحواله حققنا الله بذلك وأصلح من أحوال المجتمع الإسلامي ما فسد، ولمّ من شعثه ما تفرق بمنة وفضله.

٦٤- الحديث الشريف[1]
فضل الحج

عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: إنَّ عبدًا صحَّحتُ له جسمَه، ووسَّعت عليه في المعيشه، تمضى عليه خمسةُ أعوامٍ لا يَفِد إليَّ لمحرومٌ**». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

هذا من الأحاديث القدسية التي يرويها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الله تبارك وتعالىٰ، وقد ذكرنا الفرق بينها وبين القرآن الكريم في تعليقاتنا علىٰ "الأربعين الغمارية" وهذا الحديث وارد في الحج وتفسيره يتوقف علىٰ ذكر مزايا الحج وتعداد فوائده وهي كثيرة:

أحدها: أنه الركن الخامس من الأركان التي بني عليه الإسلام.

ثانيها: أنه يكفر الذنوب للحديث الصحيح «**من حجَّ فلم يرفثْ ولم يفُسقْ رجَعَ من ذنوبِهِ كيوم ولدتْه أمُّه**».

ثالثها: أن يقوم مقام الجهاد للضعيف قال الحسين بن علي: جاء رجل إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني جبان وإني ضعيف فقال: «**هلمَّ إلى جهادٍ لا شوكةَ فيه، الحجُّ...**» رواه الطبراني بإسناد جيد.

وقالت عائشة: قلت: يا رسول الله هل علىٰ النساء من جهاد؟ قال: «**عليهنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه الحجُّ والعمرةُ**». صححه بن خزيمة.

رابعها: أنه يوجب الجنة للحديث الصحيح: «**العمرةُ للعمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة**».

---

(١) نشر الفضائل السنة ١١ العدد (٥-٦) ٢٨ جماد الثاني ١٢٦٢ .

المبرور: هو الذي لا تقع فيه معصية.

خامسها: أنه ينفي الفقر لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وتابِعوا بين الحجِّ والعمرةِ فإنَّهما ينفيانِ الفقْرَ والذُّنوبَ كما ينفي الكِيرُ خبَثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ، وليس للحجَّةِ المبرورة ثوابٌ إلا الجنَّة**». صححه الترمذي وغيره.

سادسها: أنه يوجب قبول الدعاء لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الحُجَّاجُ والعمَّار وفَدُ الله إنْ دعَوه أجابَهُم وإنْ استغفَرُوه غَفَرَ لهُم**». رواه النسائي.

سابعها: إن الحاجَّ يُكرم بالعافية في الدُّنيا والمغفرة في الآخرة.

رُوي عن أبي ذرٍّ أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ داودَ عليه الصَّلاةُ السَّلامُ قال: إلهي ما لعبادِكَ عليكَ إذا زارُوكَ في بيتِكَ؟ قال: لكلِّ زائرٍ حقٌّ على المزُور، يا داودُ إنَّ لهم عليَّ حقًّا أن أعافيَهم في الدُّنيا وأغفِرُ لهم إذا لقيتُهم**». رواه الطبراني في "الأوسط".

ثامنها: أن نفقة الحج مضاعفة لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**النفقةُ في الحجِّ كالنفقةِ في سبيلِ الله بسبعمائةِ ضِعفٍ**». رواه أحمد بإسناد حسن.

تاسعها: أن من مات في طريق الحج لم يحاسب.

يروىٰ عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من خرجَ في هذا الوجه لحجٍّ أو عمرةٍ فمات فيه لم يُعرَض ولم يُحاسَب وقيل له: ادخُل الجنَّة**». رواه الدارقطني وغيره.

عاشرها: أن الحاج مغمور بالرحمة في طوافه وصلاته لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزلُ اللهُ كلَّ يومٍ على حُجَّاج بيتِه الحرامِ عشرين ومائةِ رحمةٍ ستِّين**

للطَّائفين وأربعينَ للمصلِّين وعِشرينَ للنَّاظِرينَ». رواه البيهقي بإسناد حسن.

وبقيت فوائد أخرىٰ يطول تتبعها، وحيث إن الحج يشتمل علىٰ هذه الفوائد وغيرها كان من تركه مع القدرة عليه محرومًا كل الحرمان، لأنه حرم نفسه من فوائد الحج الدينية والدنيوية والاجتماعية، وكان معرَّضًا للمَحْق في الدنيا والعذاب في الآخرة.

يروىٰ عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ما من عبدٍ ولا أمةٍ يضِنُّ بنفقةٍ ينفقُها فيما يُرضِي اللهَ إلا أنفَقَ أضعافَها فيما يُسخِطُ اللهَ، وما من عبدٍ يدعُ الحجَّ لحاجة من حوائجِ الدُّنيا إلا رأىٰ محقَه قبل أن تُقضَىٰ تلك الحاجةُ -يعني: حجَّة الإسلام- وما من عبدٍ يدعُ المشيَ في حاجةِ أخيه المسلمِ قُضِيتْ أو لم تُقضَ إلا ابتُلِيَ بمعُونةِ مَن يأثَمُ عليه ولا يؤْجَرُ فيه». رواه الأصبهاني في "الترغيب".

وروىٰ الترمذي من طريق الحارث الأعور عن علي قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«من ملَك زادًا وراحلةً تبلِّغه إلى بيتِ الله ولم يحجَّ فلا عليه أن يموتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا وذلك أن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [آل عمران: ٩٧]».

وصح عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لقد هممت أن أبعث رجالًا إلىٰ أهل الأمصار فينظروا كل من كان له جِدة -بكسر الجيم: غنًي- ولم يحج فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين». رواه سعيد بن منصور في "سننه".

وقال أيضًا: «ليمت يهوديًّا أو نصرانيًّا يقولها ثلاث مرات رجل مات ولم

يحج ووجد لذلك سعة وخُلِّيت سبيله». رواه البيهقي.

وروي عن سعيد بن جبير قال: «مات جار لي موسر لم يحج فلم أصل عليه».

وروىٰ عبدالرزاق من طريق سالم بن أبي حفصة عن ابن عبَّاسٍ قال: «لو ترك الناس زيارة هذا البيت عامًا واحدًا ما مُطروا».

وروي عنه أيضًا قال: «ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار قال: وإن ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ قال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ أي: أؤدي الزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: أحج [المنافقون: ١٠].

ثم إن الحديث الذي شرحناه أخذ به الحسن ابن حي فكان يقول: ينبغي للرجل الموسر الصحيح ألا يترك الحج خمس سنين وأخذ به المالكية أيضًا حيث قالوا: يستحب الحج في كل سنة لمن حج الفرض ويتأكد في كل خمس سنين، وينبغي أن ينوي به القيام بالفرض الكفائي ليحصل له ثوابه لأن إقامته في كل سنة فرض كفاية. انتهىٰ من الأربعين الصديقية وشرحها.

٦٥- الحديث الشريف[1]

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتِي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**». رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.

أحاديث الشفاعة متواترة واردة عن أربعين صحابيًّا بألفاظ متعددة وطرق كثيرة، وهي مخرَّجة في الصِّحاح والسُّنن والجوامع والمعاجم وغيرها من كتب الحديث، وليس في دائرة العقل ما يردها، فلذلك كان إنكار المعتزلة لها سفهًا منهم خارجًا عن دائرة المعقول مردودًا بتواتر المنقول ولعمر الله إن رأيًا كهذا يجب أن ينبذ شرَّ نَبْذ ثم الشفاعة قسمان: خاصَّةٌ وعامَّةٌ.

فالخاصة: ما تتعلق بأناس في البرزخ كالشفاعة في تخفيف عذاب القبر كما ورد في الصحيحين في صاحبَي القبرين، ومثل الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار كما ورد في "صحيح مسلم" أنَّ النبَّي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وجد أبا طالب في غمرات من النار فأخرجه إلىٰ ضَحْضاح منهاوهذا خاصٌّ بأبي طالب دون غيره من الكفار لمحبته للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ودفاعه عنه وحياطته له كما هو معروف في كتب السيرة.

والشفاعة العامة أنواع أعظمها الشفاعة في تعجيل الحساب وإراحه الناس من طول الوقوف وهي بنبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يظهر الله بها فضله وكرامته علىٰ جميع خلقه في ذلك الموقف العظيم.

الثاني: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب غير السبعين ألفًا الذين

---

(١) مجلة نشر الفضائل السنة الثالثة العدد (٤٩) ٢ رمضان ١٣٥٤.

ورد بهم الحديث في الصحيح.

الثالث: الشفاعة في قوم من الموحدين استحقوا النار بذنوبهم ألا يدخلوها.

الرابع: الشفاعة في إخراج من أُدخل النار من عصاة الموحدين.

الخامس: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

إذا عرف هذا فالحديث محمول على القسم الرابع مما ذكرنا فيكون معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي لأهل الكبائرِ من أمَّتي**» أنه يشفع في إخراج من دخل النار من مذنبي أمته، ويكون الحديث على هذا عامًّا في كل صاحب كبيرة لما تقرر من أنه لا يخلد مسلم في النار.

ويجوز أن يحمل على النوع الثالث فيكون معناه أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشفع في أصحاب الكبائر أن لا يدخلوا النار، لكن يجب على هذا تخصيصه ببعض أصحاب الكبائر حتى لا يعارض الدلائل القاضية بنفوذ الوعيد في طائفة من عصاة هذه الأمة وأنه لابد من دخولهم للنار وبذلك يتفق هذا الحديث مع تلك الدلائل البالغة مبلغ التواتر.

وقد فهم بعض الناس من الحديث أنه يدعو أصحاب المعاصي إلى الاتكال على الشفاعة، وسارع بسبب ذلك إلى تضعيفه وتوهينه من غير أن يعرف من خرَّجه، ولا حال رواته.

وليس هذا التسرُّع منه بجيد؛ فإن ما فهمه من الحديث بعيد لا يراد وليس معناه إلا ما قدمنا ذكره، والحديث صحيح خرجه الترمذي في "سننه" قال: حدثنا العباس العنبري: ثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس قال:

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**».

ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

ورواه البيهقي من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس وقال: «إسناده صحيح»، ورواه الحاكم من هذا الطريق وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». وأقره الذهبي.

ثم رواه أيضًا من طريق الخليل بن عمر بن إبراهيم: ثنا عمر الألج، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس.

ورواه أيضًا من طريق سليمان بن حرب: ثنا بسطام بن حريث، عن أشعث الحداني، عن أنس.

ومن هذا الطريق خرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة في "صحيحه".

ورواه ابن خزيمة من طريق مالك بن دينار عن أنس، ورواه أيضًا من طريق يزيد الرَّقاشي وزياد النميري كلاهما عن أنس.

ورواه أبو داود الطيالسي في "مسنده"، والترمذي في "سننه" من طريقه عن محمد بن ثابت البناني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». قال محمد بن علي فقال لي جابر: يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟

ومن هذا الطريق خرجه الحاكم. ورواه ابن خزيمة وابن حِبَّان في "صحيحهما" والحاكم في "المستدرك" والبيهقي من طريق زهير بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر. وهذا إسناد صحيح.

ومن هذا الطريق خرجه ابن ماجة في "سننه " ورواه البيهقي في "البعث"

من طريق الشَّعْبي، عن كعب بن عجرة قال: قلت: يا رسول الله الشفاعة الشفاعة. فقال: «**شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**».

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي**». رواه البيهقي من هذا الطريق وقال: «هو مرسل حسن».

وقال ابن ماجه في "سننه": حدثنا إسماعيل بن أسد: ثنا زياد بن خيثمة، عن نعيم بن أبي حضر، عن ربعي بن حراش، عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**خُيِّرتُ بين الشَّفاعة وبينَ أن يدخلَ نصفُ أمتي الجنَّةَ فاخترتُ الشَّفاعةَ لأنَّها أعمُّ وأكفَى أترونَها للمتَّقين؟ لا، ولكنَّها للمذنِبينَ الخاطِئين المتلوِّثينَ**». تفرد بإخراجه ابن ماجه دون باقي الستة وقال الحافظ البوصيري في "الزوائد": «إسناده صحيح ورجاله ثقات».

ولهذه المناسبة أذكر ما نقل عن بعض الشافعية أنه كره لإنسان أن يطلب الشفاعة، وعلل ذلك بأن طلبها طلب للذنوب وهذا غلط واضح فقد طلب الصحابة الشفاعة.

ففي "مسند أحمد" عن معاذ وأبي موسىٰ قالا: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا نزل منزلًا كان الذي يليه المهاجرين قالا: فنزلنا منزلًا فنام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونحن... وذكر الحديث إلىٰ أن قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاني آتٍ في منامي فخيَّرني في بين أن يدخُل نصفُ أمتي الجنة أو الشفاعةِ، فاخترتُ لهم الشَّفاعةَ**».

فقلنا: نسألك بحق الإسلام وبحق الصحبة لما أدخلتنا في شفاعتك؟ فدعا

لهما، فاجتمع عليه الناس وقالوا مثل قولنا، وكبر الناس فقال: «**إني جاعلٌ شفاعتي لمن ماتَ لا يشركُ بالله شيئًا**».

وفي رواية فقالا -أي: معاذ وأبي موسى-: ادع الله يارسول أن يجعلنا في شفاعتك. فقال: «**أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئًا في شفاعتي**».

ورجال الإسناد رجال الصحيح غير عاصم ابن أبي النجود وهو ثقة، وإنما ضعف من قبل سوء حفظه، ويكفي فيه أنه من أئمة المقرئين أصحاب القراءات. فهذا معاذ وأبو موسى ومن ذكر معهما من الصحابه سألوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يدعوا الله أن يدخلهم في شفاعته وأقرهم على ذلك ودعا لهم به، أفتراه غفل عن ذلك التعليل الذي أبداه بعض الشافعية؟! كلا. إذًا فلا كراهة في طلب الشفاعة بل يستحب أن يطلبها الإنسان اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم فهم خير قدوة وفيهم أحسن أسوة.

٦٦- حديث فاطمة بنت أسد
وحجية الحديث الضعيف[١]

روىٰ الطبرانيُّ في معجميه "الكبير" و"الأوسط" قال: حدَّثنا أحمد بن حمَّاد بن زغبة: حدَّثنا روح بن صلاح: أخبرنا سفيان، عن عاصمٍ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أمُّ عليٍّ رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجلس عند رأسها فقال: «**رحمَكِ الله يا أمِّي، كنتِ أمِّي بعد أمِّي، تجُوعِينَ وتشبعِينَنِي، وتَعرَيْنَ وتكسِينَني، وتمنَعِينَ نفسَك طيِّبًا وتُطعَمِينَني تُريدينَ بذلك وجهَ الله والدَّارَ الآخرةَ**».

ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده ثم خلع قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببُرد فوقه ثم دعا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أسامة بن زيد وأبا أيُّوبَ الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون.

فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل فيه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاضجع فيه وقال: «**الله الذي يُحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ اغفرْ لأمِّي فاطمةَ بنتِ أسَدٍ ولقِّنها حجَّتها ووسِّعْ عليها مُدخَلَها بحقِّ نبيِّك والأنبياءِ الذينَ منْ قَبلي فإنَّك أرحمُ الرَّاحمينَ**». وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رجاله رجال

---

(١) المسلم: السنة السابعة العدد(٥) ذي الحجة ١٣٧٦.

الصحيح غير روح بن صلاح، وقد وثَّقه ابن حِبَّان والحاكم وفيه ضعف».

قلت: روح ابن صلاح: هو ابن سياه بن عمر، والحارثي يكنىٰ أبا الحارث ذكره ابن يونس في "تاريخ الغرباء" وقال: «هو من الموصل قدم مصر وحدث بها، رويت عنه مناكير».

وذكره ابن عديٍّ في "الكامل"، وروىٰ من طريقه حديثين وقال: «له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة».

وقال الدراقطني: «ضعيف في الحديث»، وذكره ابن حِبَّان في الثقات، وقال الحاكم: «ثقة مأمون».

تُوفِّي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، فالحديث صحيحٌ علىٰ رأي ابن حِبَّان والحاكم لأنَّه علىٰ شرطهما، وأما علىٰ رأي الدارقطني وابن عدي فهو ضعيف، لكن ضعفه قريبٌ محتمل وليس بضعف شديد لأنهما لم يُضعِّفا روحًا بما يقتضي ترك روايته بل عبارتهما في تضعيفه تعتبر من العبارات الخفيفة في الجرح، يؤيد ذلك قول الحافظ الهيثمي الذي نقلناه آنفًا.

والحاصل: أنَّ الحديث علىٰ القول بضعفه أحسن وأقوىٰ من كثير من الأحديث الضعيفة التي احتجَّ بها الأئمَّة في الأحكام كما يعلم بالموازنة بينه وبين تلك الأحاديث وهي مذكورة في "المنتقىٰ" للمجد ابن تيمية، و"تخريج أحاديث الهداية" للحافظ الزَّيلعي، "والتلخيص الحبير" للحافظ، "وبلوغ المرام" له.

وقولهم الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام ليس علىٰ إطلاقه كما يفهمه غالب الناس أو كلهم؛ لأنك إذا نظرت في أحاديث الأحكام التي تأخذ

بها الأئمَّة مجتمعين ومنفردين وجدت فيها من الضعيف ما لعله يبلغ نصفها أو يزيد، وربما وجدت فيها المنكر والساقط القريب من الموضوع، كما أشار إلى ذلك شقيقنا العلَّامة الحافظ السيِّد أحمد في كتاب "المثنوني والبتار" فليراجع.

بل مما أصله مالكٌ وأبو حنيفة الاحتجاج بالمرسل، ومن أصول الإمام أحمد وتلميذه أبي دواد الاحتجاج بالحديث الضعيف وتقديمه على الرأي والقياس، وقدَّمه أبو حنيفة أيضًا كما نقله ابن حزمٍ عنه، وفي مكتبتنا نسخة خطِّية من كتاب "المعيار"، وذكر في كلِّ بابٍ منه الأحاديث الضعيفة التي أخذ بها الأئمَّة الأربعة على الاجتماع والانفراد.

إذا تقرَّر هذا فلا يهولنك تهويش هذه الطائفة المتهوِّسة بأنَّ الحديث ضعيفٌ لا تقوم به الحُجَّة لما علمت من عمل الأئمَّة به، والعجب أنَّ هذه الطائفة نفسها تعمل به إذا وافق مرادها وتقدِّمه على الحديث الصحيح كما يعلم من الوقوف على ما يستدلون به لبدعهم ونزعاتهم، وهذ تلاعبٌ يوجب المَقْت.

٦٧- نبذة عن كتاب تيسير الوصول[(١)]

اطَّلعت في صحف الصباح (يوم ٣١ شهر ٧ سنة ١٩٣٧) علىٰ ما قدَّمه علماء الأزهر إلىٰ جلالة الملك هدية تنبِئ عما يكنه الأزهر نحو جلالته من إخلاص وولاء، وقد سرَّني وسرَّ كلُّ مسلم أن تلك الهدية اشتملت علىٰ أنفس ما يقدم وأعظم ما يقتنىٰ ألا وهو كتاب الله وحديث رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ولا ريب أن لهذه الهدية مغزاها الديني، فإن الكتاب والسُّنة هما أصل الدين ومنبع العرفان واليقين، ومغرس الأخلاق الفاضلة، كما أن لها مغزاها السياسي لاشتمال الكتاب علىٰ أصول الحكم ونظم العمران وقوانين الاجتماع.

وأن في اختيار العلماء الجمع بين كتاب الله وحديث رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إشارة إلىٰ أنهما صنوان لا يفترقان، وأنهما حبل الله المتين من استمسك بهما نجا، ومن تخلَّىٰ عن أحدهما هلك وإليهما المرجع عند التخاصم كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فلا يجوز لأحد يزعم التمسك بكتاب الله أن يترك حديث رسوله وراءه ظِهريًّا كما شاع بين المتفرنجة وأشباههم في هذا العصر، يرون أن لا ضرورة داعية إلىٰ السُّنة، وأن في القرآن كفاية عنها، وكأنما كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينظر إليهم من وراء حجب الغيب حيث قال كما جاء في "سنن أبي داود": «**ألا إنِّي أُوتِيتُ الكتابَ ومثلَه معه ألايوشكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكتِهِ**

---

(١) مجلة هدي الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٧) ٣٠ رمضان ١٣٥٦.

يقولُ عليكم بهذا القرآنِ فما وجدتُم فيه من حلالٍ فأحلُّوه وما وجدتُم فيه من حرامٍ فحرِّموه». وقال كما في "سنن أبي داود" أيضًا: «**لا ألفَينَّ أحدَكم متَّكِئًا على أريكتِهِ يأتيهِ الأمرُ من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنهُ فيقولُ لا ندري ما وجدْنا في كتابِ الله اتَّبعْناهُ**».

غير أني في هذه الكلمة أريد أن ألفت نظر مشيخة الأزهر الجليلة إلى أن كتاب الحديث الذي أهدي إلى جلالة الملك ليس خاصًا بصحاح الأحاديث كما أشيع عنه في الصحف بل فيه أحاديث صحيحة وضعيفة؛ لأنه مأخوذ من كتاب "جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير الجزري وهو غير صاحب كتاب "الكامل في التاريخ" و"جامع الأصول" هذا جمع بين دفتيه جميع الأحاديث التي وقعت في الكتب الستة التي تعتبر أصولًا لغيرها من كتب السنة وهي: "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" و "موطأ مالك" و"جامع الترمذي" و "سنن أبي داود" و "سنن النسائي".

وهذه الكتاب ما عدا صحيحي البخاري ومسلم فيها أحاديث صحيحة وأحاديث ضعيفة، وابن الأثير لم يُغيِّر شيئًا منها سوى جمعها، أنه رتبها ترتيبًا سهلًا قريبًا، غير أنه أشار إلى اختلاف روايات الأحاديث المتعددة وأعقب كل باب بشرح ما وقع فيه من الألفاظ اللغوية فطال بذلك كتاب "جامع الأصول" وأصبح النفع به قليلًا فاختصره الشيخ عبد الرحمن ابن الديبع الشيباني اليمني بأن اقتصر من الرويات المذكورة فيه على أكملها وحذف سائرها كذلك حذف منه ما يتعلق بشرح الألفاظ اللغوية وسمى اختصاره "تيسير الوصول إلى جامع الأصول في أحاديث الرسول".

هذا هو اسم الكتاب الحقيقي لا كما أشيع عنه في بعض الصحف من أن اسمه "تيسير الوصول في صحاح أحاديث الرسول" فإن هذا الاسم لا يتفق والواقع على أن كلًّا من "تيسير الوصول" وأصله "جامع الأصول" لم يكتفيا بما في الكتب الستة من الأحاديث، ولكنَّهما أضافا إليها أحاديث كثيرة من كتاب رزين بن معاوية العبدري، وأغلب هذه الأحاديث ليس لها إسناد يعتد به عند المحدثين، ومنها ما هو موضوع فصار "تيسير الوصول" بسبب ذلك مشتملًا على أحاديث موضوعة أيضًا.

هذه لمحة عن أصل الكتاب وموضوعه لم أقصد بذكرها الغض من قيمتة ولا من قيمة أصحاب الفضيلة العلماء الذين أهدوه، ولكني قصدت تقرير الحقيقة حتى لا يتسرب إلى نفوس الناس اعتقاد أن كل ما في تيسير الوصول من الأحاديث صحيح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإن في هذا الاعتقاد من الخطر ما لا يخفى على أهل العلم.

على أن هناك كتبًا هي أولى من "تيسير الوصول" لاختصاصها بصحيح الأحاديث نخصُّ بالذكر منها: "صحيح البخاري"، و"صحيح مسلم"، وكتاب "الجمع بين الصحيحين" للحافظ عبد الحق الأشبيلي الأندلسي وهو محفوظ بدار الكتب المصرية بقسم الحديث تحت رقم ١٨٢ أو ١٨١، على ما أتذكر، وحبذا لو كان حضرات العلماء ضموا إلى هديتهم السابقة كتابًا صغيرًا للشيخ الشرنبلالي الحنفي، واسمه "أربعون حديثًا في فضل السَّلطنة والحكام والمقسطين".

وإننا لهذه المناسبة نرفع تهانينا إلى جلالة الملك ونرجو من الله أن يوفقه لما فيه خير مصر وسعادتها.

(٤)

مقالات في الفقه الإسلامي

٦٨- التشريع الإسلامي في تلقين الميت وحكمه[(١)]

التلقين صرَّح باستحبابه جماعةٌ مِن أهل العلم فيهم المالكية والشافعية والحنابلة.

فمن أهل المذهب الأول: عبدالحق الإشبيليُّ، وأبو العباس أحمد بن عمر القرطبيُّ، وتلميذه أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبيُّ صاحب "التفسير"، وأبو بكر الطلاع، وابن الحاجِّ صاحب "المدخل"، والمنيوي، وأبو حامد بن البقَّال، والثعالبيُّ، والحطَّاب.

ومن أهل المذهب الثاني: القاضي حسين، والمتولِّي، ونصر المقدسي، والرافعي.

ومِن أهل المذهب الثالث: القاضي أبو يعلى، وأبو الخطاب.

واستدل أغلب هؤلاء لما قالوه بحديث أبي أُمامة رضي الله عنه، وهذا الحديث رويناه في كتاب "التذكرة " قال: أنبأنا الشيخ المُسنُّ الحُجَّة الرواية أبو محمد عبدالوهاب بن ظافر بن عليٍّ بن فتوح بن أبي الحسين المقدسي عرف بابن رواج بمسجده بثغر الإسكندرية، والشيخ الفقيه الإمام أبو الحسن عليُّ بن هبة الله الشافعي بمنية ابن خصيب على ظهر النيل بها، قالا: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السِّلَفي الأصبهاني قال: أخبرنا الرئيس عبدالله بن القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمد الثقفيُّ الأصبهانيُّ قال: ثنا أبو علي الحسن عبدالرحمن بن محمد بن عيدان التاج بنيسابور قال: ثنا

(١) مجلة هدي الإسلام السنة الرابعة العدد (٩) ٢١ شوال ١٣٥٦.

أبوالعباس محمد بن يعقوب الأصم قال: ثنا أبو الدرداء هاشم بن يعلىٰ الأنصاريُّ قال: ثنا عتبة بن السكن الفزاريُّ الحمصيُّ، عن أبي زكريا، عن حمَّاد بن زيدٍ، عن سعيد الأزدي قال: دخلت علىٰ أبي أُمامة وهو في النزع فقال لي: يا سعيد إذا أنا مِتُّ فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن نصنع بموتانا فقال: «إذا ماتَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فدَفَنْتُمُوهُ فلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عند رَأْسِهِ فلْيَقُلْ: يا فُلانَ بنَ فُلانةٍ فإنه يَسْتَمِعُ، فلْيَقُلْ: يا فلانَ بنَ فُلانة فإنه يَسْتَوي قاعِدًا، فلْيَقُلْ: يا فُلانَ بنَ فُلانة فإنه سيقول: أَرْشِدْني رَحِمَكَ اللهُ. فلْيَقُلْ: اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا؛ شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأنَّ السَّاعَةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن في القُبُورِ. فإنَّ مُنْكَرًا ونكِيرًا عند ذلك يَأْخُذُ كُلُّ واحِدٍ مِنْها بيَدِ صاحبه ويقول: ما نَصْنَعُ عند رَجُلٍ لُقِّنَ حُجَّتَهُ فيكونُ الله حَجِيجَهُما دُونَهُ». قال القرطبيُّ: «وهو حديثٌ غريبٌ مِن حديث حمَّاد ما كتبناه إلَّا مِن حديث سعيدٍ الأزديِّ».اهـ

وكذا رواه الطبرانيُّ في "الكبير" وفي كتاب "الدعاء" وابن منده في كتاب "الروح" والديلميُّ في "مسند الفدوس" وابن عساكر في "التاريخ" من طريق سعيد بن عبدالله هو الأزديُّ قال: شهدت أبا أُمامة وهو في النزع فقال: إذا أنا مِتُّ فاصنعوا بي كما أمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «إذا مَاتَ أَحَدٌ مِن إِخْوَانِكُمْ، فسَوَّيْتُم التُّرَابَ على قَبْرِهِ، فلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ على رَأْسِ قَبْرِهِ، ثُمَّ ليَقُلْ: يا فلانَ بنَ فُلانَة، فإِنَّهُ يَسْمَعُهُ ولا يُجِيبُ، ثُمَّ يقولُ: يا فُلانَ بنَ فُلانَة، فإِنَّهُ يَسْتَوِي قاعِدًا، ثُمَّ يقولُ: يا فُلانَ بنَ فُلَانَة، فإِنَّهُ يقولُ: أَرْشِدْنَا رَحِمَكَ اللهُ، ولكن لا تَشْعُرُونَ. فلْيَقُلْ: اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأَنَّكَ رَضِيتَ بالله رَبًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نبيًّا، وبالقُرْآنِ إمامًا، فإنَّ مُنْكَرًا ونَكِيرًا يأخُذُ واحِدٌ منهما بيَدِ صاحِبِهِ ويقول: انطَلِقْ بنا ما نَقْعُدُ عند مَن قد لُقِّنَ حُجَّتَهُ، فيكون اللهُ حَجِيجَهُ دُونَهُما». فقال رَجُلٌ: يا رسولَ الله، فإن لم يَعْرِفْ أُمَّهُ؟ قال: «**فيَنْسُبُهُ إلى حَوَّاءَ، يا فُلانَ بنَ حَوَّاءَ**». قال النوويُّ والعِراقيُّ بعد أن عزياه للطبرانيِّ: «في سنده ضعفٌ».اهـ

ولعل سبب ضعفه عندهما ما ذكره الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" أنَّ في سنده من لا يُعرَف، لكن رأيت الحافظ ابن حجرٍ قال: في "التلخيص" وقد عزاه للطبرانيِّ أيضًا: «إنَّ إسناده صالحٌ» قال: «وقد قوَّاه الضياء في أحكامه».اهـ

هذا هوالصواب؛ لأنه له طُرُقٌ وشواهد فأخرجه ابن عساكر من طريق آخر عن أبي أُمامة قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: « **إذا ماتَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَدَفَنْتُمُوه فلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ على رَأْسِهِ** ... ». وذكر الحديث إلىٰ أن قال: «**اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا شَهَادَةَ أنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأنَّ السَّاعَةَ آتِيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ باعِثُ مَن في القُبُورِ**».

وروىٰ ابن منده مِن طريقٍ آخر عنه قال: إذا مِتُّ فليقم إنسانٌ عند رأسي فليقل يا صُدَيُّ بن عَجْلان -اسم أبي أُمامة الباهلي- اذكر ما كنت عليه في الدنيا شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

وروىٰ سعيد بن منصور في "سننه": عن راشد بن سعد، وضمرة بن حبيب، وحكيم بن عمير، قالوا: إذا سُوي علىٰ الميت قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت عند قبره: «قل: لا إله إلا الله -ثلاث مرات- يا

فلان قل ربِّي الله وديني الإسلام ونبيِّي محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ ينصرف».

وروىٰ أبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخه أنهم كانوا يفعلون ذلك، وذكر عبدالحق الإشبيليُّ في كتاب "العاقبة" عن شيبة بن أبي شيبة قال: أوصتني أمي عند موتها فقالت: يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري وقل: «يا أُمَّ شيبة قولي لا إله إلَّا الله ثُمَّ انصرف، فلما كان من الليل رأيتها في المنام فقالت لي يا بنيَّ لقد كدت أهلك لولا أن تداركتني لا إله إلا الله، لقد حفظت وصيَّتي يا بُنيّ».

هذا ما رأينا كتابته في موضوع التلقين، وقد اخترت نشره في مجلة هدي الإسلام الزاهرة لما لها من الشهرة الذائعة، و العناية التامَّة بالمواضيع العِلْميَّة الهامَّة، فجزىٰ الله أسرتها خير ما يجزي به مسلمًا عن خدمة دينه، ووفَّقنا وإياهم لما يُحبِّه ويرضاه، وسنوالي إن شاء الكتابة في مناحٍ شتَّىٰ مِن هذا التراث خدمةً للإسلام والمسلمين.

٦٩- زكاة الفطر[1]

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «فرَضَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صَدقَةَ الفِطْرِ طُهْرةً للصَّائمِ من اللَّغو والرَّفثِ وطُعْمةً للمساكين فمن أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعد الصَّلاة فهي صدقةٌ من الصَّدَقاتِ».

قال الحافظ أبو بكر بن المنذر: «أجمع عوام أهل العلم علىٰ أن صدقة الفطر فرض، وممن حفظنا ذلك عنه من أهل العلم محمد بن سيرين، وأبو العالية والضحاك، وعطاء، ومالك، وسفيان الثوري، والشافعي، وأبو ثور، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأصحاب الرأي يعني: الحنفية».اهـ

فزكاة الفطر لا خلاف في فرضيتها بين العلماء كما رأيت، وهي مأخوذة من الحديث، كما أن زكاة المال منصوص عليها في القرآن، والحكمة في مشروعية الزكاة علىٰ وجه العموم مواساةُ الفقير والمحتاج والمسكين، وإشعارهم بالعطف الأخويِّ، وإذهابُ حرِّ صدورهم علىٰ الأغنياء وذوي اليسار، وإعلامهم بأنهم أعضاء في المجتمع ينظر إليهم بعين العطف والاحترام إلىٰ غير ذلك من الحكم السامية.

ولو أن الناس يخرجون الزكاة وهي من أركان الإسلام لصلح حال المجتمع، وقلت جرائم السرقة وما إليها، وشعر الفقراء بسعادة وطمأنينة لعطف إخوانهم الأغنياء عليهم، ولوجد مجتمع مثالي يسوده الود والإخاء وترفرف عليه أجنحة السعادة والهناء، بل لو أخرج الناس الزكاة كما أمرهم الله

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية، السنة الثانية، العدد (٣١) ٣ شوال ١٣٦٥.

لم تجد هذه المذاهب الهدامة سبلًا إلىٰ الظهور، فمن كان يصدق أن يظهر في بلاد إسلامية كمصر مذاهب هدامة كالشيوعية ونحوها؟ من كان يصدق هذا لولا خروج الناس علىٰ تعاليم الإسلام.

وشح الأغنياء وذهاب الرحمة من قلوبهم وتهاون الحكومات في الضرب علىٰ أيدي هؤلاء الأغنياء البخلاء، مع أن الشرع يوجب علىٰ الحكومة أن تأخذ من الغنيِّ زكاة ماله قهرًا عنه؛ لأنه حقٌّ لله في ماله لا سلطان له عليه، فلم تأخذ الحكومات الضرائب والعوائد وتسكت عن الزكاة؟ إن هذا تهاونٌ مخزٍ وخروج صارخ علىٰ أوامر الإسلام نسأل الله أن يلهمنا رشدنا.

وزكاة الفطر تشتمل علىٰ الحكم التي أشرنا إليها وعلىٰ غيرها مما بينه الحديث الذي نشرحه يقول راويه ابن عبَّاسٍ: «فرض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث».

واللَّغو: كل كلام لا فائدة فيه، والرَّفَث: الكلام القبيح، والصائم لا يخلو أثناء صومه أن يتكلم بكلام لغو أو كلام قبيح يؤاخذ به، فجعل الله زكاة الفطر تجبر ذلك، ولذلك ورد في حديث آخر: **«صومُ رمضانَ معلَّق بينَ السَّماءِ والأرضِ لا يُرفَعُ إلَّا بزكاةِ الفطرِ»**.

لأنها تجبر ما فيه من خلل ونقص وهي واجبة علىٰ الرجل وعلىٰ من تلزمه نفقته من زوجة وأولاد وخادمه المسلم.

وقوله: «**وطعمة للمساكين**» أي: مأكلة لهم أو كسبًا لهم ينتفعون به بناء علىٰ القولين في إخراج البُرِّ أو قيمته نقدًا، وإخراج القيمة اليوم أنفع وأيسر «**فمن أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ**» أي: صلاة عيد الفطر «**فهي زكاةٌ مقبولةٌ**» لأن هذا

وقت إخراجها شرعًا ويصح إخراجها قبل ليلة العيد بيوم أو يومين وهي تجب بغروب شمس ليلة العيد. «**ومن أداها بعد الصلاة**» أي صلاة العيد «**فهي صدقةٌ من الصَّدقاتِ**» وأمر القبول فيه موقوف على مشيئة الله تعالى بخلاف التي أخرجت قبل الصلاة فقد أخبر الحديث أنها مقبولة، ويحرم تأخيرها عن يوم العيد كما يحرم تأخير الصلاة عن وقتها، ولا تسقط بالتأخير بل تبقى دينًا في ذمة الشخص يقضيه مع إثم التأخير، بل ذهب بعض العلماء إلى أن تأخيرها عن صلاة العيد حرام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٧٠- أحكام فقهية في الأضحية[1]

لمناسبة قرب حلول عيد الأضحىٰ المبارك وهو العيد الأكبر للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، رأينا أن نتحف قراء المجلة بجملة من الأحكام المتعلقة بالأضحية علىٰ المذاهب الأربعة؛ لينتفعوا بها في هذه المناسبة المباركة، وراعينا في كلمتنا هذه وضوح القصد، وبسط العبارة، وسهولة المأخذ حتىٰ يكون الانتفاع بها عامًا إن شاء الله فنقول: لا خلاف بين العلماء في أن الأضحية يوم العيد الأكبر مشروعة، وأنها أحب عمل إلىٰ الله لما روته عائشة أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما عملَ ابنُ آدمَ يومَ النَّحرِ عملًا أحبَّ إلى الله من هِراقةِ دمٍ، وإنَّها لتأتي يومَ القيامةِ بقُرونِها وأظلافِها وأشعارِها، وإنَّ الدَّمَ ليقعُ من الله بمكانٍ قبل أن يقَعَ على الأرضِ، فطِيبُوا بها نفسًا**». رواه الترمذيُّ وحسَّنه.

ولأن الأضحية سنة إبراهيم عليه السلام كما قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٧]وعن زيد بن أرقم قال: قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي قال: «**سنَّة أبيكُم إبراهيمَ**» قالوا ما لنا فيها؟ قال: «**بكلِّ شَعرةٍ حسنةٌ**» قالوا فالصُّوف؟ قال: «**بكلِّ شعرةٍ من الصُّوف حسنةٌ**»رواه الإمام أحمد.

وينبغي أن نشير هنا إلىٰ أن الذبيح الذي فداه الله إسماعيل عليه السلام كما قامت عليه الدلائل المتعددة، وأما ما يروىٰ عن ابن عبَّاسٍ من أن الذبيح

(١) الشرق العربي، السنة الثامنة، العدد (١٨) ١٢ ذي الحجة ١٣٩٦.

إسحاق ورجَّحه الطبري فغلط علىٰ ابن عبَّاسٍ، بل هو من الإسرائيليات، ويكره لمن وجد سعة لأن يضحي ثم لم يفعل؛ لما رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ وجَدَ سَعةً فلم يُضَحِّ فلا يقْربنَّ مُصَلَّانا**». وروي من كلام أبي هريرة وهو أصح.

أما من لم يجد سعة لأن يضحي فلا حرج عليه في ذلك؛ لما رواه أحمد وأبو داود والترمذيُّ عن جابرٍ قال صلَّيت مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عيد الأضحىٰ فلما انصرف أتىٰ بكبشٍ فذبحه فقال: «**بسْمِ الله واللهُ أكبرُ اللهمَّ هذا عنِّي، وعمَّن لم يضحِّ من أُمَّتي**». وورد نحوه من حديث أبي رافع.

ثُمَّ هل الضحية واجبة أم سنة؟ فقال ربيعة والأوزاعي، وأبو حنيفة وبعض المالكية: أنها واجبةٌ علىٰ المُوسِر، وذهب مالكٌ والشافعيُّ وأحمد بن حنبلٍ وأبو يوسف والجمهور: إلىٰ أنها سنةٌ.

وروىٰ ابن العربي المعافري في الأحكام بإسناده: أنَّ أبا بكرٍ وعمر كانا لا يُضحِّيان مخافة اعتقاد وجوبها.

لكن ذهب الجمهور إلىٰ أنه يتأكَّد في حقِّ الموسِر، والموسر: هو القادر الذي يملك ثمن الأضحية زيادة عن مطلوباته الضرورية، وكذلك مطلوبات أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه. فمن كان كذلك تأكَّد في حقِّه أن يضحِّيَ، ويوسِّع علىٰ أهله ويتصدَّق من أضحيته فيوسِّع علىٰ الفقراء والمساكين، ويشعرهم ببهجة هذا اليوم وسروره.

وينبغي لمن أراد الضحية ألَّا يحلق شعره، ولا يقلِّم أظفاره من وقت أن يهل هلال ذي الحِجَّة إلىٰ أن يذبح أضحيته يوم العيد لما رواه مسلمٌ وأبو داود

والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أمِّ سلمة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا رأيتُم هلالَ ذي الحِجَّة وأراد أحدُكم أن يضحِّي فليمسِكْ عن شعرِهِ وأظفَارِه**» وفي رواية مسلمٍ والنَّسائيِّ: «**من كانَ له ذبحٌ يذبحُه فإذا أهلَّ هلالُ ذي الحجَّة فلا يأخذَن من شعرِهِ وأظفارِه حتَّى يضَحِّي**» وقد ذهب أحمد بن حنبلٍ وداود الظاهري وبعض الشافعية إلىٰ أنه يحرم علىٰ الشخص الذي يريد الضحية أن يحلق شعره أو يقلِّم ظفره حتىٰ يضحي. وقال الجمهور: أنه يكره ذلك ولا يحرم.

ولا يجزئ في الضحية إلَّا من مخصوصة عينها الشارع في الضأن والماعز إذا تمت سنة ودخلت الثانية، وفي البقر والجاموس لا تصح إلَّا إذا بلغت سنتين ودخلت في الثالثة، وفي الإبل خمس سنين ودخلت في السادسة هذا عند الحنفية.

وأما المالكية فخالفوا في البقر والجاموس حيث قالوا لا تجزئ إلا إذا بلغت ثلاث سنين.

والشافعية في المعز فاشترطوا فيها سنتين كاملتين ووافقوا الحنفية في سنِّ البقر والجاموس.

أما الحنابلة فخالفوا في الضأن حيث قالوا يضحىٰ بها إذا بلغت ستة أشهر ووافقوا الشافعية في الباقي.

ولا تصح الأضحية بالشاة العمياء ولا العوراء، ولا المهزولة، ولا العرجاء، ولا مقطوعة الأذن أو الذنب، أو مقطوعة الإلية إذا ذهب أكثر من ثلثها، ولا بالتي تأكل النجاسة حتىٰ تحبس وتطعم طعامًا طاهرًا، وتصح بالتي

لا قرون لها أو ذهب بعض قرنها ما لم يصل الكسر إلى المخ.

وقت الذبح:

وقت ذبح الأضحية عند الحنفية: يدخل بطلوع فجر يوم العيد، وينتهي قبيل غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد، غير أنه يشترط لمن يضحي في المصر ألا يذبَح قبل صلاة العيد فإذا ذبح قبل هذا لا تصحُّ أضحيته، وسكان القرية لا يشترط فيهم ذلك.

أما عند المالكية: فوقت الأضحية لغير الإمام يبتدئ بعد أن يذبح الإمام، وللإمام بعد الفراغ من خطبته، ويستمر الوقت إلى غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد ولا يكون الذبح إلَّا نهارًا فلو ذبح ليلًا لا تصح الأضحية.

والشافعية قالوا: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد مضي قدر ركعتين وخطبتين بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويستمر أيام العيد الثلاثة ويصح الذبح عندهم ليلًا أو نهارًا بعد دخول وقتها إلا أنه يكره في الليل.

وقال الحنابلة: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد صلاة العيد مباشرة، ولو قبل الخطبة، والأفضل أن يكون بعدها، ومن هنا يعلم أنَّ ما يفعله بعض الناس اليوم من الذبح ليلة العيد باطل على جميع المذاهب، ولا تعتبر ذبائحهم أُضحيَّات، وإنما تكون ذبائح مطلقة للأكل فقط لا نصيب فيها للأضحية الشرعية ولا يثاب صاحبها لأنه خالف السُّنة على جميع المذاهب.

الاشتراك في الأضحية:

ويصح الاشتراك في الأضحية إذا كانت من الإبل أو البقر ويصح أن يكون المشتركون في البقرة مثلًا سبعة، لكلِّ واحد سبع لا يقل عن ذلك فإن

زادوا عن سبعة لا يصح الاشتراك هذا عند الثلاثة، وأما المالكية فقالوا لا يصح الاشتراك في الثمن سواء كان المشتركون سبعة أو أقل أو أكثر ويصح اشتراكهم في الأجر أي: (الثواب).

التَّسميةُ عند الذَّبح:

وتسمية الله شرطٌ في حلِّ أكل كلِّ ذبيحةٍ سواء كانت أضحية أم غيرها، فمن تركها عمدًا لا تؤكل ذبيحته، ومن تركها سهوًا تؤكل. وقال الشافعية: ليست التسمية شرطًا في حلِّ الذبيحة، فلو تركها عمدًا صحَّت مع الكراهة.

ولا يصح بيع شيءٍ من الأضاحي لا من لحومها ولاجلودها ولا قرونها، ومن باع شيئًا منها فهو آثمٌ لورود النهي عن ذلك.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنبِّه القراء الكرام إلىٰ أنه ينبغي لهم أن يحرصوا علىٰ حضور صلاة العيد تعرُّضًا لبركتها واستمطارًا لرحمة الله في ذلك اليوم المبارك، وأن يتزاوروا و يتصافحوا وألَّا يباهي القادرون منهم عدم القادرين، وأن يمنعوا زوجاتهم عن التفاخر بأضاحيهم وإظهارها للجيران الفقراء الذين لم يتمكَّنوا من شراء الأضاحي علىٰ سبيل التفاخر والتباهي والنكاية؛ فإنَّ ذلك محرَّمٌ في الدين خصوصًا في مثل هذا اليوم الذي حضَّنا الشارع فيه علىٰ الاستكثار من فعل الخير، والتصافح والتعاطف وتناسي الأحقاد والضغائن وفَّقنا الله جميعًا إلىٰ ما فيه الخير والرشاد، وكلُّ عام أنتم بخير.

٧١- كلمة في الأضحية[1]

اتفق العلماء على أنَّ الأضحية مطلوبةٌ، ثُمَّ اختلفوا هل هي واجبةٌ أو سُنَّـةٌ، فذهب مجاهد ومكحول والحنفية إلى أنها واجبةٌ، وورد عن الشَّعْبي أنه قال: لم يكونوا يرخِّصون في ترك الأضحية إلَّا لحاجٍّ أو مسافرٍ، ورُوي القول بوجوبها أيضًا عن أبي هريرة، ولم يصح عنه.

وذهب سعيد بن المسيِّب وسعيد بن جُبيرٍ وعطاءٌ والحسن البصريُّ وطاوس وأبو جعفر الباقر ومالكٌ والشافعيُّ وأحمد وجمهور العلماء إلى أنها ليست بواجبةٍ بل سُنَّـةٌ فقط.

وصحَّ عن حذيفة بن أسيد الغفاريِّ الصحابيِّ أنه قال: لقد رأيت أبا بكرٍ وعمر وما يُضَحِّيان كراهية أن يُقتدَىٰ بهما.

وأخرج سعيد بن منصورٍ عن بلال قال: ما كنت أُبالي لو ضحَّيت بديكٍ، ولأن آخذ ثمن الأُضحِية فأتصدَّق به على مسكينٍ مُقْتَرٍ فهو أحبُّ إلي مِن أن أُضَحِّي.

وورد عن ابن عبَّاسٍ: أنه أعطى لمولاه درهمين وقال اشتر بهما لحمًا ومن لقيك فقل هذه أضحية بن عبَّاسٍ، وورد عن ابن عمر أنه قال: الأُضحية سُنَّـةٌ.

ولم يصح عن أحدٍ من الصحابة أنه قال بوجوب الأضحية وما ورد عنهم في ذلك فأسانيده ضعيفة.

ثُمَّ إنَّ سُنِّـيَّة الأضحية إنما تكون في حقِّ المُوسِر القادر الذي يملك ثمن الأضحية زائدًا على ما يكفيه ويكفي أهل بيته، فأمَّا من لا يَقْدِر على ثمنها إلَّا

---

(١) الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد (١٨) ٥ ذي الحجة ١٣٦٧.

باستدانةٍ أو تضييقٍ علىٰ نَفْسِهِ فهذا لا تُسَنُّ في حقِّه.

ومَن أراد أن يُضَحِّي فأهلَّ هلال ذي الحِجَّة فينبغي له ألَّا يأخذ مِن شعره لا بحَلْقٍ ولا بقَصٍّ، ولا يُقَلِّم أظافره حتَّىٰ يذبح أضحيته؛ لما رواه أبو داود عن أُمِّ سلمة قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كان لَهُ ذِبْحٌ** - بكسر الذال المعجمة - **يَذْبَحُهُ، فإذا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الحِجَّةِ فلا يَأْخُذْ مِن شَعْرِهِ، ولا مِن أَظْفَارِهِ حتَّى يُضَحِّيَ**».

وفي رواية للنَّسائيِّ: «**مَن رَأَى هِلَالَ ذِي الحِجَّةِ، فأَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ، فلا يَأْخُذْ مِن شَعْرِهِ، ولا مِن أَظْفَارِهِ حتَّى يُضَحِّيَ**».

ثُمَّ اتفق العلماء علىٰ أنه لا تجوز الأضحية بعيوبٍ أربعة وهي: العَرْجَاءُ البيِّن عرجها، والعَوْرَاء والمريضة، والهَزيلة التي لا شَحْم فيها، لحديث البراء بن عازب قال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أربعٌ لا تُجْزِئُ في الأَضَاحِي: العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُهَا، والمَرِيضَةُ البَيِّنُ مَرَضُهَا، والعَرْجَاءُ البَيِّنُ ظَلْعُهَا** -أي: عرجها- **والكَسِيرَةُ التي لا تَنْقَى**». الكسيرة: هي الشاة التي لا شحم فيها.

وروىٰ أبو داود عن عليٍّ رضي عنه قال: أمرنا رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن نستشرف العين والأذن ولا نُضَحِّي بعَوْراء، ولا مُقَابَلَةٍ، ولا مُدَابَرَةٍ، ولا خَرْقاء ولا شَرْقاء.

المُقابَلة: مقطوعة طَرَف الأُذُن، والمدابرة: مقطوعة مؤخَّر الأُذُن، والخَرْقاء: محروقة الأُذُن، والشَرْقاء: مَشْقُوقَة الأُذُن.

وهناك عيوبٌ أخرىٰ اختلف العلماء فيها لا محل لذكرها هنا؛ لأن فيها

تفصيلاتٍ يطول شرحها.

والأضحية تجوز بالإبل، والبقر، والغنم عند الأئمَّة الأربعة، وإن اختلفوا في أيها أفضل فمالك يرىٰ الضَّأن أفضل من الإبل والبقر في الأضحية، وأبو حنيفة والشافعيُّ يريان الإبل أفضل، ثُمَّ البقر، ثُمَّ الضأن، ثُمَّ الماعز، وصحَّ عن بلال جواز الأضحية بديكٍ.

وينبغي استسمان الأضحية لما رواه سفيان الثوريُّ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «إذا اشتريت أضحية فاسْتَسْمِن، فإن أكلت أكلت طيِّبًا وإن أطعمتَ أطعمتَ طيِّبًا، واشتر ثنيًّا فصاعدًا والثَّني ما دخل في السَّنَة الثالثة».

ويدخل وقت الأضحية بعد طلوع شمس يوم العيد ومضىٰ وقت يسعه صلاة العيد، فمن ضحَّىٰ قبل ذلك فلا أضحية له، وإنما هو لحمٌ قدَّمه لأهله، فالذين يذبحون ليلة العيد كما هو شائعٌ لا تعتبر ذبائحهم أضحية شرعية، لما رواه مسلمٌ في "صحيحه" عن البراء بن عازبٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«إنَّ أوَّلَ ما نَبْدَأُ به في يومِنا هذا أنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَنَنْحَرَ»**.

وفي الصحيح أيضًا عن أنسٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلىٰ ثُمَّ خطب فأمر مَن كان ذَبَحَ قبل الصَّلاة أن يُعِيدَ ذِبْحًا.

وعن جُنْدُبٍ قال: مرَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوم النَّحْرِ علىٰ قوم قد نَحَروا وذَبَحُوا فقال: **«مَن نَحَرَ وذَبَحَ قبل صَلاتِنا فليُعِدْ، ومَن لم يَذْبَحْ أو يَنْحَرْ فليَذْبَحْ ولينْحَرْ باسْمِ الله»**.

ويستحبُّ للمُضحِّي أن يذبح أضحيته بنفسه لما جاء في "صحيح مسلم" عن أنس قال: **«ضَحَّى رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ**

أَقْرَنَيْنِ فرَأَيتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ، واضِعًا قَدَمَهُ على صِفَاحِهِمَا، وسَمَّى وكَبَّرَ».

وروىٰ عبد الرزَّاق عن عائشة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه كان إذا أراد أن يُضحِّي اشترىٰ كَبْشَيْن عظيمين، سمينين، أَقْرَنين أَمْلَحَيْن، مَوْجُوئَيْنِ، فيذبح أحدهما عن أُمَّته مَن شهد لله بالتوحيد وله بالبلاغ، ويذبح الآخر عن محمَّدٍ وآل محمَّدٍ.

ومِن هذا الحديث يُستفاد أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام بسُنَّة الأضحية عن أُمَّته، فمن لم يستطع الأضحية منهم فقد ضحَّىٰ عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكفىٰ بهذا شرفًا.

وينبغي للمُضحِّي أن يتصدَّق مِن أضحيته لما رواه مالكٌ عن عائشة أنَّ الصحابة قالوا: يا رسول الله إنَّ الناس يتَّخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون فيها الوَدَكَ -أي: الشحم- بعد إذابته، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وما ذاك؟**» قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، فقال عليه السَّلام: «**كُلُوا وادَّخِرُوا وتَصَدَّقُوا**».

وكان أبو سعيدٍ الخدريُّ يقول لأولاده: إذا ذبحتم أضاحيكم فأطعموا وكلوا وتصدَّقوا. وهكذا جاء عن ابن مسعودٍ وعطاءٍ وقال: سعيد بن المسيِّب، وعروة بن الزبير: ليس لصاحب الأضحية إلَّا ربعها.

يقصدان بذلك أنه بثلاثة أرباعها وليس هذا بواجبٍ ولكنه مطلوبٌ مؤكَّدٌ.

ونحب أن ننبِّه أنه لا يجوز إعطاء الجزَّار أجرة ذبحه من لحم الأضحية، ولا بيع جلودها أو أي شيءٍ منها، وننتهز هذه الفرصة لنهنِّئ المسلمين بحلول هذا العيد المبارك راجين أن يكون بشير نصرٍ للمسلمين.

٧٢- العيد والأضحية[(١)]

لا خلاف بين العلماء في أنَّ الأضحية يوم العيد مشروعةٌ، وأنها أحب عملٍ إلى الله.

ولا يُجزِيء في الضحية إلَّا سِنٌّ مخصوصةٌ بيَّنها الشارع: في الضَّأن والماعز إذا تمَّت سنةً ودخلت في الثانية، وفي البقر والجاموس لا تصح إلَّا إذا بلغت سنتين ودخلت في الثالثة، وفي الإبل خمس سنين ودخلت في السادسة هذا عند الحنفيَّة.

وأمَّا المالكية فخالفوا في البقر والجاموس حيث قالوا: لا تُجزئ إلَّا إذا بلغت ثلاث سنين، والشافعية خالفوا في المعز فاشترطوا فيها سنتين كاملتين ووافقوا الحنفية في سنِّ البقر والجاموس، أمَّا الحنابلة فخالفوا في الضأن حيث قالوا تصحُّ به إذا بلغت ستة أشهر ووافقوا الشافعية في الباقي.

ولا تصحُّ أضحية بالشاة العَمْياء، ولا العَوْراء، ولا المَهْزولة، ولا العَرْجاء، ولا مقطوعة الأُذُن أو الذَّنَب، أو مقطوعة الإلْية، إذا ذهب أكثر مِن ثلثها، ولا بالتي تأكل النجاسة حتى تحبس وتطعم طعامًا طاهرًا، وتصحُّ بالتي لا قرون لها أو ذهب بعض قرنها ما لم يصل الكسر إلى المُخِّ .

وقت الذبح

وقت ذبح الأضحية عند الحنفية يدخل بطلوع فجر يوم العيد، وينتهي قُبيل غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد، غير أنه يشترط لمن يُضحِّي في المصر ألَّا يذبح قبل صلاة العيد، فإذا ذبح قبل هذا لا تصحُّ أضحيته، وسُكَّان

---

(١) الشرق العربي، السنة الثامنة، العدد (٢٢)، ١٠ ذي الحِجَّة ١٣٧٢هـ.

القرية لا يشترط فيهم ذلك.

أمَّا عند المالكية فوقت الأضحية لغير الإمام يبتدي بعد أن يذبح الإمام، وللإمام بعد الفراغ من خطبته، ويستمر الوقت إلى غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد، ولا يكون الذبح إلَّا نهارًا فلو ذبح ليلًا لا تصح الأضحية.

والشافعية قالوا: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد مضي قدر ركعتين وخطبتين بعد طلوع الشمس من يوم العيد، ويستمرُّ أيام العيد الثلاثة، ويصحُّ الذبح عندهم ليلًا أو نهارًا بعد دخول وقتها إلَّا أنه يكره في الليل.

وقال الحنابلة: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد صلاة العيد مباشرة، ولو قبل الخطبة، والأفضل أن يكون بعدها، ومِن هنا يعلم أن ما يفعله بعض الناس من الذبح ليلة العيد باطلٌ على جميع المذاهب، ولا تُعتبر ذبائحهم أضحيات، وإنما تكون ذبائح مطلقة للأكل فقط لا نصيب فيها للأضحية الشرعية، ولا يُثاب صاحبها لأنه خالف السُّنَّة على جميع المذاهب.

٧٣- اعرف دينك: «الحج»[١]

الحجُّ ركنٌ مِن أركان الإسلام وقاعدةٌ مِن قواعد الدِّين لا خلاف في ذلك بين المسلمين، ولا خلاف أيضًا أنَّ الحجَّ إنما يجب على القادر المُستطيع وإن اختلف في تحديد معنى القُدْرة وكيفية الاستطاعة.

وهل يجب على المستطيع فورًا؟ بحيث لو أُخِّر عن أوَّل سِنيِّ الاستطاعة يكون آثمًا، أو يجب على التراخي بحيث يجوز له التأخير إلَّا أن يخاف الفَوْتَ لمرضٍ أو كِبر سِنٍّ مثلًا؟ قولان مشهوران في مذهب مالكٍ قال بالأول: العراقيون، وبالثاني: المغاربة، وحكاهما خليلٌ في "المُختصَر" من غير ترجيحٍ لتساويهما، ثُمَّ لا خلاف بين العلماء أنَّ الحجَّ يُكفِّر صغائر الذنوب، أمَّا الكبائر فهل يُكفِّرها أو لا؟ في ذلك خلافٌ نشير إليه بإيجازٍ.

فنقول: ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن حَجَّ فلَمْ يَرْفُثْ ولمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِن ذُنُوبِهِ كيْومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». وقال القرطبيُّ في "المفهم": «هذا الحديث يتضمَّن الصغائر والكبائر».اهـ

واختار ابن بَزِيزَة هذا أيضًا، وقال: «يدل على ذلك حديث مباهاة الملائكة عليهم السَّلام بالحاجِّ؛ لأنَّ الملائكة مُطهَّرون مُطْلَقًا، ولا يُباهى المُطهَّر مطلقًا إلَّا بمُطَهَّرٍ مُطْلَقًا، فالقاتل يُعفَى عنه بحَجَّة وكذلك غير القتل مِن الكبائر». قال: «هذا مقتضى خبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المخبر عن الله تعالى، ولله سبحانه أن يُعوِّض المظلوم أضعافًا وله ألَّا يُعوِّضه إذ لا حجر عليه في أحكامه،

---

(١) الشرق العربي، السنة الخامسة، العدد (١٣) ٢٠ شوال ١٣٦٩.

ويعضد هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] هذا ظاهر اللفظ، ولا يخاطب الله سبحانه الخَلْقَ إلَّا بظاهرٍ من الأمر فلا يُعطَّل ظاهرٌ بباطنٍ.

وقد روىٰ ابن المبارك حديثًا عن أنسٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقف بعرفة وقد كادت الشمس تغرب فقال: «**يا بلالُ أَنْصِتْ إليَّ النَّاسَ**». فقال بلالٌ: أنصِتُوا لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فأنصتَ الناسُ فقال: «**مَعْشَرَ النَّاسِ: أتاني جبريل آنفًا فأَقْرأني مِن رَبِّي السَّلامَ وقال: إنَّ الله قد غَفَرَ لأَهْلِ عَرفاتٍ وضَمِنَ عنهم التَّبِعاتِ**».

فقال عمر: يا رسول الله أهذا لنا خاصَّةً؟ فقال: «**هو لَكُمْ ولِمَن أَتَى بَعْدَكُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ**». فقال عمر: كَثُرَ خَيْرُ الله وطاب».اهـ كلام ابن بَزِيزَة.

ومال إلىٰ هذا أيضًا الأُبِّي والحافظ ابن حجرٍ، ويؤيِّده ما رواه مسلمٌ، وابن خزيمة في "صحيحيهما" عن ابن شِماسَة قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكىٰ طويلًا وقال: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلت: يا رسول الله ابسُط يمينَك لأبايعك فبسط يده فقبضت يدي فقال: «**مالك يا عمرو؟**» قلت: أردت أن أشترط يا رسول الله. قال: «**تشترطُ ماذا؟**» قلت: أن يغفر لي. قال: «**أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما كان قبله، وأنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كان قبلها، وأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما كان قبله؟**».

فهذا عمومٌ يشمل كلَّ ذنبٍ، وأيضًا فإنَّ الإسلام يهدم جميع الذنوب قبله فليكن الحج المذكور معه كذلك.

وروىٰ الترمذيُّ عن عبد الله بن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنَّهما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ كما يَنْفِي الكِيرُ**

خَبَثَ الحَدِيدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ». قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ»، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان أيضًا.

وللطبرانيِّ في "الأوسط" عن عبدالله بن جراد الصحابيِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حُجُّوا، فإِنَّ الحَجَّ يَغْسِلُ الذُّنُوبَ كما يَغْسِلُ الماءُ الدَّرَنَ**». إسناده ضعيفٌ.

وقال ابن ماجه في "سننه": حدَّثنا أيوب بن محمد الهاشميُّ: ثنا عبدالقاهر بن السريُّ السلميُّ: ثنا عبدالله بن كنانة بن عبَّاسٍ ابن مرداس السلميُّ، أنَّ أباه أخبره، عن أبيه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دعا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عرفة بالمَغْفِرَةِ، فَأُجِيبَ: «**إنِّي قد غَفَرْتُ لهم ما خَلَا الظَّالِمَ، فإنِّي آخُذُ للمَظْلُومِ مِنهُ** » قال: « **أيْ رَبِّ، إنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ المَظْلُومَ مِن الجَنَّةِ، وغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ**».

فلم يُجَبْ عَشِيَّتَهُ، فلمَّا أصبح بالمُزْدَلِفَةِ أعاد الدُّعَاءَ، فأُجِيبَ إلىٰ ما سأل، قال: فضَحِكَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -أو قال: تَبَسَّمَ- فقال له أبو بكرٍ وعمرُ: بأبي أنتَ وأُمِّي! إنَّ هذِهِ لَسَاعَةٌ ما كُنْتَ تَضْحَكُ فيها، فما الذي أَضْحَكَكَ؟ أَضْحَكَ الله سِنَّكَ، قال: «**إنَّ عَدُوَّ الله إبلِيسَ، لَمَّا عَلِمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد اسْتَجَابَ دُعَائِي، وغَفَرَ لأُمَّتِي، أَخَذَ التُّرَابَ فجعل يَحْثُوهُ على رَأْسِهِ، ويَدْعُو بالوَيْلِ والثُّبُورِ، فأَضْحَكَنِي ما رَأيتُ مِن جَزَعِهِ**».

وروه أبوداود في "سننه" في أواخر كتاب الأدب: «قول: أضحك الله سِنَّك: قال: حدَّثنا عيسىٰ بن إبراهيم وسمعته من أبي الوليد وأنا لحديث عيسىٰ أحفظ، قالا: أخبرنا عبد القاهر بن السري -يعني: السلمي-: ثنا ابن كنانة ابن عبَّاسٍ بن مرداس، عن أبيه، عن جدِّه قال: ضحك رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم فقال أبو بكرٍ وعمر: أضحك الله سِنَّك...» وساق الحديث.اهـ كلام أبي داود.

وأورده ابن الجوزيِّ في "الموضاعات" معتمدًا علىٰ قول ابن حِبَّان في كنانة: «منكر الحديث جدًّا، ولا أدري التخليط منه أو من ابنه».اهـ

وردَّ عليه الحافظ ابن حجرٍ في "القول المُسدَّد" بأنَّ الحديث ليس بموضوعٍ، وذكر بعض شواهده، وبيَّن أنه علىٰ شرط الحسن عند الترمذيِّ.

ثُمَّ أَلَّف كتابًا خاصًّا في هذا الموضوع سمَّاه "قُوَّة الحِجَاج في عموم المَغْفِرَةِ للحُجَّاج" قال فيه: «حُكْم ابن الجوزيِّ علىٰ هذا الحديث بأنه موضوعٌ مَرْدودٌ، فإنَّ الذي ذكره لا ينتهض دليلًا علىٰ كونه موضوعًا، وقد اختلف قول ابن حِبَّان في كنانة فذكره في "الثقات"، وذكره في "الضعفاء"، وذكر ابن منده أنه قيل إنَّ له رؤية، وولده عبدالله اختلف فيه كلام ابن حِبَّان أيضًا، وكل ذلك لا يقتضي الحكم علىٰ الحديث بالوضع، بل غايته أن يكون ضعيفًا ويعتضد بكثرة طرقه، وهو بمفرده يدخل في حدِّ الحسن علىٰ رأي الترمذيِّ، ولاسيما بالنظر في مجموع طُرُقه.

وقد أخرج أبو داود في "سننه" طرفًا منه وسكت عليه فهو صالحٌ عنده.

وأخرجه الحافظ ضياء الدين المقدسي في "الأحاديث المختاره مما ليس في الصحيحين" وقال البيهقيُّ بعد أن أخرجه في "شعب الإيمان" هذا الحديث له شواهد كثيرة قد ذكرناها في كتاب "البعث" فإن صحَّ بشواهده ففيه الحُجَّة، وإن لم يصحّ فقد قال تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وظلم بعضهم بعضًا دون الشرك.

وقد جاء هذا الحديث من حديث أنسٍ، وابن عمر، وعبادة بن الصامت،

وأبي هريرة، وزيد جَدِّ عبدالرحمن بن عبدالله بن زيد، وكثرة الطرق إن اختلفت المخارج تزيد المتن قوة، وبعض ما في هذا الحديث له شواهد في أحاديث صِحاحٍ».اهـ

ومن شواهده ما رواه مالكٌ ومن طريقة البيهقيُّ عن طلحة بن عبيدالله بن كَرِيزٍ مرسلًا: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«ما رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هو فيه أَصْغَرُ، ولا أَدْحَرُ، ولا أَحْقَرُ، ولا أَغْيَظُ منهُ يومَ عَرَفَةَ، وما ذلك إلَّا ممَّا يَرَى مِن تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وتَجاوُزِ الله عن الذُّنُوب إلَّا ما رَأَى يومَ بَدْرٍ فإنه رَأَى جبريلَ يَزَعُ الملائكةَ»**.

والخلاصة: أنَّ الحجَّ المبرور يُكفِّر الكبائر كما رجَّحه ابن بَزِيزَة، والقرطبيُّ، والأبي، وابن حجرٍ العسقلانيُّ، خلافًا لابن العربي في قوله: «لا يكفِّرها»، بل زاد ابن حجرٍ أنه يُكفِّر التَّبِعات والمظالم، واستدلَّ على ذلك بما يعلم من مراجعة كتابه "قوَّة الحِجاج".

لكن ما معنى تكفير الحجِّ للذنوب؟ بيَّن ذلك عزُّ الدين بن عبدالسلام في جوابٍ له حيث قال: «فالحج يسقط ذنوب المخالفة ولا يسقط حقوق الله تعالى كالصَّلاة والزَّكاة وأشباههما، فما أجهل من جعل طاعة الله وإجابته ذنوبًا تغفر وإنما المغفور المخالفة لأعين الحقوق، فمن ترك الصلاة أو الزكاة أو غيرها من الحقوق فالحجُّ يُكَفِّر عنه إثم التأخير لأنه هو الذنب، وأمَّا إسقاطه لما استقرَّ في الذِّمَّة من صلاةٍ أو زكاةٍ أو نذرٍ فهذا خلاف إجماع المسلمين».اهـ

والبحث في هذا كثير الأطراف واسع الذيول، فلنكتف بهذه العُجالة وبالله التوفيق.

٧٤- حكم الإثفار[1]

ذكرنا في العدد الماضي أقوال من جوَّزه ومن حرَّمه، ونريد الآن أنْ نذكر أدلَّة الفريقين، ونستخلص منها ما يصلح للتمسُّك به والعمل بمقتضاه فنقول:

استدلَّ المجوزون لمدعاهم بأمرين:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣]، قالوا: فقد صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ الآية نزلت في هذه المسألة بخصوصها، وعارضهم المانعون بما خرَّجه أبو داود في "سننه" قال: ثنا عبدالعزيز بن يحيىٰ أبو الأصبغ: ثني محمد -يعني ابن سلمة- عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن مجاهد، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: إنَّ ابن عمر -والله يغفر له- إنَّما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثنٍ -مع هذا الحي من اليهود- وهم أهل كتابٍ، وكانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثيرٍ من فعلهم، وكان من أَمْرِ أهل الكتاب ألَّا يأتوا النِّساء إلَّا علىٰ حرفٍ، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريشٍ يشرحون النِّساء شَرْحًا منكرًا ويتلذَّذون منهنَّ مُقْبِلاتٍ ومُدْبِراتٍ ومُسْتلقياتٍ، فلمَّا قدم المهاجرون، تزوَّج رجلٌ منهم امرأةً من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت: إنَّما كنَّا نُؤتىٰ علىٰ حرفٍ فاصنع ذلك، وإلَّا فاجتنبني حتىٰ سرىٰ أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) مجلة الإسلام السنة الخامسة عدد (٢٦) ٢ رجب ١٣٥٥.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾أي: مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك: موضع الولد.

قال المانعون: فهذا ابن عبَّاسٍ يُصرِّح بتوهيم ابن عمر فيما تأوَّل عليه الآية ويذكر لسبب نزولها، غير ما ذكره ابن عمر، وكلامه أولىٰ بالقبول، إذ أنَّه ذكر القصَّة بتمامها، وفصَّل ما كانت عليهاالأنصار تبعًا لليهود، وما كانت عليه قريش من خلاف ذلك ما جرىٰ بين المهاجر والأنصاريَّة تفصيلًا، دلَّ علىٰ أنَّ ابن عبَّاسٍ أحاط من علم القضيَّة بما لم يحط به ابن عمر، فوجب المصير إلىٰ كلامه.

وأجاب المجوِّزون: بأنَّ توهيم ابن عمر ليس بلائقٍ إذ أنَّه لم ينفرد بذلك، بل تابعه أبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنهما، فذكر مثل ما ذكره ابن عمر، ولو فرضنا أنَّ توهيم ابن عبَّاسٍ يشملهما معًا لمكان علمه بالقضية أكثر منهما، فلا مانع يمنعنا من أنْ نستدلَّ بالآية من حيث عموم لفظها، إذ العبرة به لا بخصوص السبب، والقول: بأنَّ العام إذا خرج علىٰ سببٍ قُصر عليه، قولٌ لبعض الأصوليين وأكثرهم علىٰ خلافه.

الثاني: القياس وهو واضحٌ من مناظرة الشَّافعي لمحمَّد بن الحسن، هذا ما استدلَّ به المجوِّزون.

وأمَّا المانعون: فاستدلوا لما ذهبوا إليه بعدَّة أحاديث:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا ينظرُ اللهُ إلى رجلٍ جامع امْرَأته في دبرها**» رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي من طريق الحرث بن مخلد عن أبي هريرة، ورواته ثقات سوىٰ الحرث بن مخلد

ففيه خلافٌ، قال البزَّار: ليس بمشهورٍ، وقال ابن القطَّان: لا يعرف حاله، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، ولأحمد وأبي داود بإسنادٍ صحيحٍ عن الحرث بن مخلد عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ملعونٌ من أتى امْرأته في دُبرها**» صحَّحه ابن حِبَّان.

(٢) عنه أيضًا أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من أتى حائضًا في فرجها أو امرأةً في دُبرها أو كاهنًا فصدَّقه، فقد كفر بما أُنْزِلَ على محمَّدٍ**» رواه أحمد والترمذي والنَّسائي وابن ماجه من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميمة، عن أبي هريرة، وكذا رواه أبو داود من هذا الطريق غير أنَّه قال: «**فقد بَرِيءَ مما أُنزل على محمَّدٍ**». وحكيم الأثرم سُئل عنه علي بن المديني فقال: أعيانا هذا، وقال البزَّار: لا يحتج به، وقال البخاري: لا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة.

(٣) عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من أتى النِّساء في أعجَازِهنَّ فقد كفر**» خرَّجه الطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ رواته ثقاتٌ كما قال الحافظ المنذري، وروىٰ النَّسائي من طريق بكر بن خنيس عن ليث، عن مجاهد، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**من أتى شيئًا من الرِّجال أو النِّساء في الأدبار فقد كفر**». وبكر وليث ضعيفان.

(٤) عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ملعونٌ من أتى النِّساء في أدْبارهن**» رواه عبدالله بن عمر بن أبان، عن مسلم بن خالد الزنجي، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، ومسلمٌ ضعيفٌ.

(٥) عن عليٍّ عليه السَّلام أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تأتوا النِّساء في أعجازهن**» أو قال: «**في أدبارهن**» رواه أحمد بإسنادٍ رجاله ثِقات كما

قال الحافظ الهيثمي.

(٦) عن عبدالله بن عمرو أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال في الذي يأتي امرأته في دبرها: «**هي اللُّوطيَّة الصُّغرى**». رواه أحمد من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، ورواه النَّسائي وأعلَّه، قال الحافظ: والمحفوظ عن عبدالله بن عمر من قوله كذا أخرجه عبدالرزَّاق وغيره.

قلت: لكن عزا الحافظ المنذري حديثه مرفوعًا لأحمد والبزَّار، وقال: رجالهما رجال الصَّحيح.

(٧) عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**استحيوا فإنَّ الله لا يستحي من الحق، ولا تأتوا النِّساء في أدبارهن**». رواه أبو يعلىٰ بإسنادٍ جيِّدٍ كما قال الحافظ المنذري، وأخرجه النَّسائي والبزَّار من طريق رفعة بن صالح عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن الهاد عن عمر. وزمعة ضعيف.

(٨) عن خزيمة بن ثابت أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: نهىٰ أنْ يأتي الرَّجل امرأته في دبرها. رواه أحمد ورواه ابن ماجه بلفظٍ: «**إنَّ الله لا يستحي من الحقِّ–ثلاث مرات– لا تأتوا النِّساء في أدبارهان**». ورواه الإمام الشَّافعي بزيادة في أوله وهي: أنَّ رجلًا سأل النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، عن إتيان النِّساء في أدبارهنَّ أو إتيان الرَّجل امرأته في دبرها؟ فقال: «**حلالًا**» فلمَّا ولَّىٰ دعاه، أو أمر به فدعي، فقال: «**كيف قلت؟ في أيِّ الخربتين أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين، أمن دُبرها في قبلها فنعم، أمْ من دبرها في دبرها فلا، إنَّ الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النِّساء في أدبارهن**» وفي إسناده عمرو بن أحيحة مجهول الحال، وقال البزَّار: كل ما روي فيه عن خزيمة بن ثابت من طريقٍ فغير

صحيحٍ، وكذا قال البخاري وأبو علي النيسابوري، لكن قال الحافظ المنذري: إنَّ النَّسائي رواه بأسانيد أحدها جيِّدٌ، وقال الحافظ في "الفتح": إنَّ حديث خزيمة بن ثابت إسناده صالحٌ، ونقل عن ابن حِبَّان أنَّه صحَّحه.

(٩) عن علي بن طلق قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تأتوا النِّساء في أستاههن فإنَّ الله لا يستحي من الحقِّ**». رواه أحمد والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

(١٠) عن جابرٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن محاش النِّساء. رواه الطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، كما قال الحافظ المنذري، ورویٰ الدَّارقطني بإسنادٍ ضعيفٍ عن جابرٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**استحيوا فإنَّ الله لا يستحي من الحق، لا يحل مأتاك النِّساء في حشوشهن**». وروىٰ ابن عدي نحوه من طريقٍ آخر ضعيف أيضًا.

(١١) عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لعن الله الذين يأتون النِّساء في محاشهن**». رواه الطبراني في "الكبير" وفي سنده عبدالصمد بن الفضل، قال الحافظ المنذري: لا بأس به لم أر فيه جرحًا، وقال الذَّهبي: له حديثٌ يُستنكر وهو صالح الحال إنْ شاء الله. وروىٰ أحمد عن عقبة نحوه، وفي إسناده ابن لهيعة.

(١٢) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا ينظر الله عزَّ وجلَّ إلى رجلٍ أتى رجلًا أو امرأةً في دبرها**». رواه الترمذي والنَّسائي وصحَّحه ابن حِبَّان.

(١٣) عنه أيضًا أنَّ عمر رضي الله عنه أتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم،

فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «**وما أهلكك؟**» قال: حوَّلت رحلي البارحة، فلم يرد عليه بشيءٍ، قال: فأوحىٰ الله إلىٰ رسوله هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ «**أقبل وأدبر واتقوا الدُّبر والحيضة**».

رواه أحمد والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وسياق الحديث يفيد أنَّ عمر رضي الله عنه، أتىٰ امرأته من دبرها في قبلها، لا أنَّه أتاها في دبرها، إذْ لو كان المراد ذلك لكانت الآية نصًا في إباحته، ويكون قوله في تفسيرها: «**أقبل وأدبر واتقوا الدبر**»، مناقضًا لمعناها تمام المناقضة؛ لأنَّه أخرج من عموم الآية صورة السَّبب التي لأجلها نزلت، فتعيَّن أنْ يكون المراد ما قلناه من أنَّه: أتاها من دبرها في قبلها، نعم يتجه أنْ يقال: لِمَ عدَّ ذلك هلاكًا مع أنَّه ليس كذلك؟ والجواب: أنَّه اعتمد علىٰ ما كانت اليهود تزعمه في ذلك، وهم أهل كتابٍ حتىٰ نزلت الآية مكذِّبةً لهم فيما زعموا والله أعلم.

(١٤) عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ يعني: صمامًا واحدًا. رواه أحمد والترمذي وقال حديثٌ حسنٌ.

(١٥) عنها أيضًا قال: لما قدم المهاجرون المدينة علىٰ الأنصار تزوَّجوا من نسائهم، وكان المهاجرون يجبُّون وكانت الأنصار لا تجبي، فأراد رجلٌ من المهاجرين امرأته علىٰ ذلك، فأبت عليه حتىٰ تسأل النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأتته فاستحيت أن تسأله، فسألته أم سلمة فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، وقال: «**لا إلَّا في صمامٍ واحدٍ**». رواه أحمد.

فهذه الأحاديث مخصَّصة لعموم قوله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ وبمقتضىٰ هذا يكون الاستمتاع بجميع بدن المرأة حلالًا إلا الدبر فإنَّه حرامٌ، بل كبيرةٌ لظاهر قوله: «**لا ينظر الله إلى رجلٍ جامع امرأته في دبرها**»، وقوله: «**مَن أتى النِّساء في أدبارهن فقد كفر**». وقوله: «**ملعونٌ من أتى النِّساء في أدبارهن**»، فإنَّ هذا الوعيد الشَّديد لا يطلقه الشَّارع -بحسب الاستقراء- إلَّا في الكبائر كقوله: «**من ترك الصَّلاة فقد كفر، من أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر**»، «**سِباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ**»، وقوله: «**ملعونٌ من عمل عمل قوم لوط (ثلاث مرات)، ملعونٌ من ذبح لغير الله، ملعونٌ من أتى شيئًا من البهائم، ملعونٌ من عقَّ والديه، ملعونٌ من جمع بين امرأة وابنتها، ملعونٌ من غيَّر حدود الأرض، لعن الله آكل الرِّبا وموكله ... الحديث**»ونحو ذلك.

وهكذا لو تتبَّعت الأحاديث وجدت أنَّ كلَّ ذنبٍ لعن الشَّارع مرتكبه أو أكفره أو توعَّده بعدم نظر الله إليه، عدَّه العلماء من الكبائر، بلا خلاف منهم إلَّا من لم يصله الحديث، فقد يخالف وله العذر، هذا في ذنبٍ مقرون بوعيدٍ واحدٍ من تلك الثَّلاثة، فكيف بذنبٍ، ما كان مبعدًا وليس لأحدٍ أنْ يقول لو كان الإثفار كبيرة لجعل الشَّارع له حدٌّ كالزِّنىٰ وشرب الخمر؛ لأنَّه ليس من شرط الكبيرة أنْ يقترن بها حدٌّ، ألا ترىٰ إلىٰ كثيرٍ من الكبائر -هي أعظم من الزِّنىٰ- لم يجعل الشَّارع لها حدٌّ؛ لأنَّها أعظم من أن يجبرها الحد.

كذلك ليس لأحدٍ أنْ يستبعد عدَّ الإثفار كبيرة، ويقول: غاية ما فيه أنَّه إتيانٌ للزَّوجة في غير المحل المشروع، فلا يُعدُّ أنْ يكون صغيرة؛ لأنَّا نقول:

حكم إتيان الأجنبيَّة في دبرها أنَّه كبيرةٌ بلا خلاف فكذلك حكمه بعد صيرورتها زوجة، وعقد النِّكاح إنَّما أباح من بدنها ما سوى الدُّبر، أمَّا هو فلا يزال على حكمه الأصلي بدليل الأحاديث التي أوردناها وغيرها، ولم يقف عليها أولئك المجوِّزون الذين نقلنا كلامهم في العدد الماضي حيث أخذوا بعموم الآية غير ناظرين إلى ما عداه، على أنَّ مالكًا منهم رجع إلى التحريم كما قدَّمنا، وما ذاك إلَّا لوقوفه عليها، وكذا الشَّافعي وقف على حديث خزيمة بن ثابت فرجع إليه، أخرج الحاكم عن الأصم عن الرَّبيع قال: قال الشَّافعي: قال الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ احتملت الآية معنيين:

أحدهما: أنْ تؤتى المرأة من حيث شاء زوجها؛ لأنَّ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ يأتي بمعنى: أين شئتم.

ثانيها: أنَّ الحرث إنَّما يراد به النبات في موضعه دون ما سواه.

فاختلف أصحابنا في ذلك وأحسب كلًّا من الفريقين تأوَّلوا ما وصفت من احتمال الآية، قال: فطلبنا الدَّلالة من السُّنَّة فوجدنا حديثين مختلفين، أحدهما ثابتٌ وهو حديث خزيمة في التحريم فأخذنا به» اهـ.

فبان من هذا أنَّ القول بالتحريم هو الصَّحيح الذي تؤيده الدَّلائل من السُّنَّة النَّبويَّة، وأنَّ القول بالإباحة ضعيفٌ لا يجوز الاعتماد عليه، فمن أخذ به فقد ظلم نفسه وبالله التوفيق.

٧٤- أحكام التسمي بأسماء النبي عليه وآله الصلاة والسلام [(١)]

في "صحيح مسلم" عن جابرٍ قال: قال رسول الله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم-: «**تسمَّوْا باسمي ولا تكنَّوْا بكُنيتي فإنِّي أنا أبو القاسِم أقسِمُ بينكُم**».

قوله: «**تسمَّوا باسمي ولا تكنَّوا بكُنيتي**». قال النوويُّ: اختلف العلماء في المسألة علىٰ مذاهب كثيرة وجمعها القاضي وغيره:

أحدها: مذهب الشافعيِّ وأهل الظاهر أنه لا يحل التكنِّي بأبي القاسم لأحد أصلًا سواء كان اسمه محمدًا أو أحمد، أم لم يكن لظاهر هذا الحديث.

والثاني: أنَّ هذا النهي منسوخٌ فإنَّ هذا الحكم كان في أول الأمر لهذا المعنىٰ المذكور في الحديث، وهو أنَّ رجلًا نادي بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه النبيُّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- فقال يا رسول الله إني لم أعنك إنما دعوت فلانًا فقال: «**تسمُّوا باسمي ولا تكنوا بكُنيتي**» ثم نسخ قالوا: فيباح اليوم التكني بأبي القاسم لكل أحدٍ سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره وهذا مذهب مالكٍ، قال القاضي وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار، وجمهور العلماء قالوا: وقد اشتهر أنَّ جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول وفيما بعد ذلك إلىٰ اليوم مع كثرة فاعل ذلك وعدم الإنكار.

والثالث: مذهب ابن جريرٍ أنه ليس بمنسوخٍ وإنما كان النهي للتنزيه والأدب لا للتحريم.

والرابع: أنَّ النهي عن التكنِّي بأبي القاسم مختصٌّ بمن اسمه محمد أو أحمد، ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمىٰ بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد الأول، شعبان ١٣٧٦.

من السلف وجاء فيه حديثٌ مرفوعٌ عن جابرٍ.

والخامس: أنه ينهىٰ عن التكنِّي بأبي القاسم مطلقًا، وينهىٰ عن التسمية بالقاسم لئلا يكنىٰ أبوه بأبي القاسم، وقد غيَّر مروان بن الحكم اسم ابنه عبدالملك حين بلغه هذا الحديث فسماه عبد الملك، وكان اسمه القاسم، وفعله بعض الأنصار أيضًا.

السادس: أنَّ التسمية بمحمدٍ ممنوعةٌ مطلقًا سواء كان له كنية أم لا، وجاء فيه حديث عن النبيِّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- «**تُسمُّون أولادَكم محمدًا ثُمَّ تلعنُونَهم**». وكتب عمر إلىٰ الكوفة: لا تسموا أحدًا باسم نبيٍّ، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم، حتىٰ ذكر له جماعة أنَّ النبيَّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- أذن لهم في ذلك وسماهم به فتركهم، قال القاضي: والأشبه أنَّ فعل عمر هذا إعظام لاسم النبيِّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- لئلا ينتهك الاسم كما سبق في الحديث «**تسمونهم محمدًا ثم تلعنونهم**». وقيل سبب نهي عمر أنه سمع رجلًا يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب فعل الله بك يا محمد، فدعاه عمر فقال: أرىٰ رسول الله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- يُسبُّ بك، والله لا تدعىٰ محمدًا ما بقيت وسماه عبد الرحمن.

وحديث «**تسمُّون أولادكم محمدًا ثُمَّ تلعنونهم**». رواه البزَّار وأبو يعلىٰ وابن عديٍّ والحاكم من حديث أنسٍ وهذا الحديث معدود في فضائل التسمية باسمه -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- مع دلالته علىٰ احترم الاسم الشريف وتوقيره.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا مطرف بن عبد الله اليساري: حدثنا

محمد بن عثمان العمري، عن أبيه قال: قال رسول الله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم-: « **ما ضرَّ أحدَكم أن يكونَ في بيتِه محمَّدٌ ومحمَّدانِ وثلاثةٌ**». وهذا مرسل، وأخرج بن أبي عاصم من طريق ابن أبي فديك عن جهم بن عثمان عن ابن جشيب عن أبيه عن النبيِّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- قال: «**من تسمَّى باسمي يرجُو بركتي غدتْ عليه البركةُ وراحتْ إلى يومِ القيامةِ**». وجهم جهَّله أبو حاتمٍ وضعَّفه الأزدي. وروىٰ ابن القاسم في سماعه وابن وهبٍ في جامعه عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون: «**ما من بيتٍ فيه اسمُ محمدٍ إلا نَما ورُزقوا ورُزق جيرانُهم**». وللحافظ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن بكير البغدادي جزءٌ مطبوع في فضل التسمية بمحمد وأحمد، وفي عزمي أن أعيد طبعه مع التعليق عليه بما يتمِّم فوائده ويكمِّل مقاصده مع بيان علل الأحاديث ونقد أسانيدها يسَّر الله ذلك وأعان عليه.

قوله: «**أقسم بينكم**» يعني: يقسم بين أمَّته ما يرزقهم الله من معارف وعلوم وأموال وغيرها ويؤيِّد هذا العموم ويؤكِّده أمران:

الأول: قوله: «**إنما بُعثت قاسمًا** »وهو إنما بعثت لقسم ما أوتىٰ من الهدىٰ والنور والعلم والعرفان، فأمَّا قسم الفيء والمغانم فهم أمر ثانوي إنما حصل بعد فرض الجهاد، والأمر بقتال المسلمين بعد الهجرة.

الثاني: أنه -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- نهىٰ غيره أن يتكنَّىٰ بأبي القاسم، وعلل النهي بأنه يقسم ولو كان المراد قسم الفيء والمغانم لم يكن لهذا النهي والتعليل معنىٰ؛ لأن كل إمام وخليفة يقسم المغانم بين المجاهدين كما كان يفعل عمر وغيره من الخلفاء وذلك هو المقرَّر في الشرع فلولا أنه صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم اختص في القسم بشيء لم يشركه فيه غيره، لم يكن للنهي معنىٰ كما ذكرنا، ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم فاختص زيد بن ثابت بالفرائض، ومعاذًا بعلم الحلال والحرام، وأُبيًّا وابن مسعودٍ بعلم القرآن، وحذيفة بعلم أحوال المنافقين وكشف أسرارهم، وأبا هريرة بجرابَين من العلم بثَّ أحدهما ولم يبثَّ الآخر مخافة القتل كما في صحيح البخاري، وعليًّا بعلم القضاء وبعلوم أخرىٰ وسماه باب مدينة العلم، وهكذا كل صحابي له من رسول الله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- بابٌ من العلم أو أبواب علىٰ قدر استعداده، ثم هو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته حي في قبره تعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ويشفع، والموفَّقون من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه ويرون نوره ساريًا في الوجود ويرون كل خير واصلًا إليهم عن طريقه لا يرتابون في ذلك لأنهم رأوه عيانًا.

حقَّقنا الله بما حقَّقهم به حتىٰ نزداد معرفةً بقدر هذا النبيِّ الكريم والرسول العظيم عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم.

(٥)

مقالات في التصوف الإسلامي

٧٥- التصوف الإسلامي في السنة النبوية والأحاديث المؤيدة لهذا المذهب [1]

موضوع التصوف الإسلامي موضوعٌ كثر فيه الجدل والنقاش ووقف الناس إزاءه ثلاث فرقٍ:

أ- فرقةٌ زعمت أنَّ التصوَّف دخيلٌ على الإسلام وأنه في الجملة من المبتدَعات المُنكَرة وهؤلاء فرقة (الهوالك) المعروفين بالحافقية في مصر، والبشارمة في المغرب، ومَن على شاكلتهم من عبدة الدولار الأمريكي والالتواء الفكري.

ب- فرقةٌ اعتقدت التصوف ولكنها تغالت فيه حتى خرجت عن الحدِّ المشروع، وبأعمالها وغلوِّها أضرَّت التصوف من حيث أرادت نفعه، وهي لا تشعر، وهؤلاء المبتدعة والدُّخَلاء والمتجرون بدين الله.

ج- فرقةٌ معتدلةٌ اعتقدت التصوف على دليلٍ، وقبلت ما أتى به ودعا إليه عن برهانٍ، وطهَّرته من المدسوس والدخيل وهذه هي فرقة الحقِّ.

والتصوف بعد هذا له أصلٌ أصيلٌ في السُّنَّة النبوية يعسر استيفاء الأحاديث الواردة في شأنه والدالة على عظم موقعه من الدين، ولكني أشير إلى بعض الأحاديث التي تُعتبَر أصولًا لمذهب التصوف على العموم:

أولًا: حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الإيمان والإسلام والإحسان، وفيه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الإحْسَانُ أن تَعْبُدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإن لم تكن تَراهُ فإنَّه يراك**».

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (٦) محرم ١٣٧٥.

قال شيخ الإسلام الهرويُّ الحنبليُّ: «في هذا الحديث إشارةٌ جامعةٌ لمذهب هذه الطائفة الصوفية». قال شارحه ابن القيِّم الحنبليُّ: «لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحقِّ سبحانه وتعالى في الحركات والسكنات بل في الأنفاس واللحظات».

ثانيًا: حديث قصة الخَضِر وموسى عليهما السلام فقد ثبت في "البخاري" و"مسلم" أنَّ موسى عليه السَّلام لما قال للخَضِر: «**هل أَتَّبِعُكَ على أن تُعَلِّمني ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**» قال له الخَضِر: «**لا تَسْتَطِيعُ أن تتَّبِعَني؛ لأني على عِلْمٍ مِن عِلْمِ الله علَّمَنيه لا ينبغي لك أن تَعْلَمَهُ**».

قال البلقينيُّ في شرح "البخاري": «هذه إشارةٌ إلى علم الحقيقة وما فيها من أسرار لا ينبغي لأهل الظاهر أن يعلموها؛ لأنها تصعب على كثيرٍ منهم».

ولهذه المناسبة أشير إلى أن الخَضِر عليه السلام كان نبيًّا كما ذهب إليه جمهور العلماء قالوا: وكان مخصوصًا بعلم الحقائق كما كان موسى مخصوصًا بعلم التشريع.

ثالثًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن العِلْمِ كهَيْئَةِ المَكنونِ لا يَعْلَمُهُ إلَّا أَهْلُ العِلْمِ بالله، فإذا نَطَقُوا به لم يُنكِرْهُ إلَّا أَهْلُ الغِرَّةِ بالله**».

قال العلماء في معنى هذا الحديث أنه يشير إلى علم الحقائق وأنه لا يعلمها إلَّا العلماء بالله وهم الذين باعوا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، وأنهم إذا نطقوا في مجالسهم أو دونوها في كتبهم أنكرها عليهم المَغرورون بالله.

وهذا حال الصوفية مع المنكرين عليهم، فالصوفية بنصِّ هذا الحديث

علماء بالله، والمنكِرون عليهم مخدوعون مغرورون.

رابعًا: روىٰ الجنيد رضي الله عنه، عن السَّريِّ السَّقَطيِّ، عن معروفٍ الكرخيِّ، عن جعفر بن محمدٍ، عن أبيه محمد بن عليٍّ، عن أبيه عليٍّ زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليٍّ عليهم السَّلام، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**طَلَبُ الحَقِّ غُرْبَةٌ**».

قال القطب القسطلاني: «الحقُّ هو الله سبحانه وتعالىٰ، وطلبه هو طلب الوصول إليه والتعرف بآثاره والتعرُّض لمحابِّه ومراضيه، فالحديث يفيد أنَّ مَن طلب الوصول إلىٰ الله لابد أن يغترب أي: يبتعد عن شهوات نفسه وحظوظها».

وهذا هو ما يدعو إليه الصوفية، لأنَّ مبنىٰ طريقتهم علىٰ مخالفة النفس وكبح جماح شهواتها عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١].

فالصوفية يقولون: إذا كان شرط دخول الجنَّة مخالفة النفس فالوصول إلىٰ الله أولىٰ بذلك وأحق؛ لأن معرفة الله عند مَن ذاق لذتها أحسن من نعيم الجنَّة.

خامسًا: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**العِلْمُ عِلْمان: عِلْمٌ في اللسان فذاك حُجَّةُ الله على خَلْقِهِ، وعِلْمٌ في القَلْبِ فذاك العِلْمُ النَّافِعُ**».

هذا الحديث يشير إلىٰ ما يلقيه الله في قلوب خواص عباده من علوم ومعارف وأسرار، ويخبر مع ذلك بأن هذا هو العلم النافع، وهذا من الأحاديث التي تشير إلىٰ ما يفيضه الله علىٰ أوليائه من العلوم والأسرار.

سادسًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم: «**كان فيمن كان قبلكم مُحدَّثون فإن يكن في أُمَّتي فعمر منهم**».

التحديث هو: الإلهام، وهذا الحديث أصل فيما يحصل للأولياء من مكاشفات وإلهامات كأنها رأي العين.

سابعًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جِرابَين مِن العِلْم فأمَّا أحدُهما فقد بثَثْتُهُ فيكم، وأمَّا الآخرُ فلو بَثَثتُه لقُطِع مِنِّي هذا البُلْعومُ».

قال شرَّاح البخاري يقصد بهذا أنه حفظ من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علومًا من الحقائق والأسرار لو حدَّث بها لضاقت عنها عقول الناس وحكموا بكفره؛ لأنها تعلو علىٰ مداركهم.

ثامنًا: عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُنزل القرآنُ على سبعة أحرفٍ لكلِّ آيةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ**».

قال ابن النقيب في "تفسيره": «ظهر الآية ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمَّنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق».

تاسعًا: عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «إنَّ القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرفٍ، ما منها حرف إلَّا له ظهرٌ وبطنٌ، وإنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ عنده منه علم الظاهر والباطن».

عاشرًا: عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: «كنَّا نتحدَّث أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عهد إلىٰ عليٍّ سبعين عهدًا لم يعهدها إلىٰ غيره».

فهذان الحديثان هما أصل الصوفية في علم الباطن والحقائق والرجوع فيها إلىٰ عليٍّ، فقد أطبق الصوفية علىٰ أنَّ أستاذهم في هذه العلوم هو عليٌّ عليه

السَّلام صرَّح بذلك الجنيد رضي الله عنه وابن العربي الحاتمي في "الفتوحات" والشعرانيُّ وغيرهم.

يؤيِّدهم في ذلك حديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابها**»، وهو حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط البخاريِّ ومسلمٍ، وإن اجتهد ابن تيمية وغيره من النواصب في تكذيب هذا الحديث.

وبعضهم حين رآه صحيحًا عمد إلىٰ التأويل فزعم أنَّ لفظة «علي» في قوله: «**وعليٌّ بابُها**» من العُلوِّ والارتفاع، وهذا تحريفٌ للكَلِمِ عن مواضعه وتكلُّفٌ سمجٌ لا دليل عليه.

فتستخلص من هذا أنَّ التصوف:

أولًا: أحد أركان الدين الثلاثة لأنه مقام الإحسان الذي جعله الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحد أركان الدين حيث قال: «**إنَّ هذا جبريل جاءكم يُعَلِّمُكُمْ دِينكَمْ**».

فذكر الإسلام ثُمَّ الإيمان ثُمَّ الإحسان .

ثانيًا: أنَّ علم الباطن وعلم الحقائق الذي يتحدَّث عنه الصوفية ثابتان في القرآن والسُّنَّة.

ثالثًا: أنَّ المكاشفات والإلهامات التي يتفضَّل الله بها علىٰ أوليائه ثابتةٌ بالسُّنَّة أيضًا.

رابعًا: أنَّ عليًّا عليه السلام هو أستاذ الصوفية ومرجعهم بشهادة ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وقد ورد عن عليٍّ عليه السلام كلامٌ جميلٌ في حقائق التصوف وأسرار العلوم، نُفرد له بحثًا إن شاء الله.

٧٦- كيف تشكر النعمة؟[١]

سمعت كثيرًا من الناس بطنجة إذا أكل أحدهم وشبع يقول: اللهم أدِّ عنَّا شُكْرَ النِّعمة.

وهذا دعاءٌ قبيحٌ فيه إساءة أدبٍ مع الله تعالى؛ فلا يجوز أن يُدعَىٰ به.

وبيان ذلك: أنَّ الله تعالىٰ أمرنا بالشُّكْر علىٰ نِعَمِهِ علينا قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وفي "جمع الجوامع": «وشُكْرُ المُنعِم واجبٌ بالشرع».

فالشُّكْر عند حدوث نِعْمَتِهِ عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات.

وقد بيَّن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّىٰ عبادة الشُّكْر بفعله وقوله.

أمَّا فعله: ففي "سنن أبي داود" و"الترمذي" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا فرغ مِن طعامه قال: «**الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسَقَانا وجَعَلَنا مُسْلِمين**». وللحديث ألفاظٌ في "الصحيحين"، وطرقٌ مُتعدِّدةٌ.

وأمَّا قوله: ففي "معجم الطبراني" و"صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذهب إلىٰ أبي أيوب ومعه أبو بكرٍ وعمر فقدَّم لهم تمرًا وشواءً فلما أكلوا وشبعوا، قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

---

(١) مجلة دعوة الحق، السنة السابعة عشرة، العدد (٤) شوال ١٣٩٥.

«خُبْزٌ ولَحْمٌ وتَمْرٌ وبُسْرٌ ورُطَبٌ -ودَمَعَتْ عَيْناهُ- والذي نَفْسي بيدِهِ، إنَّ هذا لهو النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه، قال الله جلَّ وعَلَا: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] **فهذا النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه يومَ القِيامَةِ».** فكَبُر ذلك على أصحابه فقال: **«إذا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هذا، فضَرَبْتُمْ بأيدِيكُمْ، فقولوا: بسمِ الله، وإذا شَبِعْتُمْ فقولوا: الحمدُ لله الذي هو أَشْبَعَنَا وأَنْعَمَ علينا وأفضل، فإنَّ هذا كَفَافٌ بها».**

وروى الحاكم والبيهقيُّ عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«ما أَنْعَمَ الله على عبدٍ نِعْمَةً فعَلِمَ أنَّها مِن عند الله إلَّا كَتَبَ الله له شُكْرَها قبل أن يَحْمَدَهُ عليها، وما أَذْنَبَ عبدٌ ذَنْبًا فنَدِمَ عليه إلَّا كَتَبَ اللهُ له مَغْفِرَةً قبل أن يَسْتَغْفِرَهُ، وما اشْتَرَى عبدٌ ثَوْبًا بدينارٍ، أو نِصْفِ دينارٍ، فلَبِسَهُ فحَمِدَ اللهَ عليه إلَّا لم يَبْلُغْ ركبتيهِ حتَّى يَغفرَ اللهُ له».**

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إنَّ اللهَ ليَرْضَى عن العَبْدِ أن يأكلَ الأَكْلَةَ فيَحْمَدهُ عليها ويَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فيَحْمَدَهُ عليها[1]».**

---

(١) وروى أبو داود والنَّسائيُّ عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيدي وقال: **«يا معاذُ، والله إنِّي لأُحِبُّكَ فلا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ».** صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وهذا الحديث نرويه بقول كلِّ أستاذٍ لتلميذه إني أُحبِّك فقل ...إلخ، وهو من المُسَلْسَلات الصحيحية كحديث الرَّحْمةِ المُسَلْسَلِ بالأوَّليَّة، وأغلب المُسَلْسَلات ضعيفةٌ، بل منها ما هو موضوعٌ كحديث قراءة البسملة مع الفاتحة في نَفَسٍ واحدٍ، فإنه مع تَسَلْسُلِهِ يقول كلُّ راوٍ: «والله حدَّثني فلانٌ». موضوعٌ.

نِعَمُ الله علينا كثيرةٌ لا نستطيع إحصاءها، ولا نطيق أداء شكرها، ولكن الله كلَّفنا مِن ذلك بقَدْر طاقتنا.

قال سليمان التيميُّ: «إنَّ اللهَ أنعمَ على العباد على قَدْرِهِ، وكلَّفهم الشُّكْر على قَدْرهم». رواه البيهقيُّ في "الشعب".

فإذا حدَثت للمسلم نعمة فشُكْرها أن يقول: «الحمد لله» فإنَّ الله يرضى بهذا ويُثيبه عليه، فإن لاحظ مع هذا تقصيره في الشكر فله في علاج هذا التقصير إحدى طريقتين:

١ - أن يقول: اللهمَّ اغْفِر لي تقصيري في شكرك، أو: اللهمَّ اعفُ عن تقصيري، أو: اللهمَّ لا تؤاخذني بما قصَّرت، أو نحو هذا مِن الدعاء المشروع.

٢ - أن يقول: اللهمَّ ألهمني أداء شكرك، أو اللهمَّ وفِّقني لأداء شكرك، أو اللهمَّ أعنِّي عليه، أو نحو هذا مما يفيد طلب المعونة والتوفيق.

وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، معنى «أوزعني»: ألهمني.

هذا دعاءٌ قرآنيٌّ يرشدنا أن نطلب الإلهام لشكر الله على نعمه.

ولا يجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ:

١ - أنه يتضمَّن ردَّ الأمر على الآمِر به، وهو ممنوعٌ عادةً وشرعًا.

أمَّا العادة: فلأنك لو قلت لولدك أو لمن لك عليه واجب الطاعة: افعل الشيء الفلاني، وقال لك: افعله أنت عنِّي، عدَّ مخالفًا للأمر حيث ردَّه عليك واستحقَّ اللوم والتأديب، ولا يعفيني أن يبدي تأويلًا لقوله بأنه أراد كذا وكذا لأن كلامي صريحٌ في ردِّ الأمر، والصريح لا يقبل التأويل.

وأمَّا الشرع: فإنَّ مِن المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ أمر الشارع، وهذا لا يحتاج إلى دليلٍ.

٢- أنه يتضمَّن أنَّ اللهَ كلَّفك مِن شكره ما لا تطيق حتى طلبت منه أن يؤدِّيه عنك، وهذا يخالف القرآن حيث قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] والدعاء المخالف للقرآن يحرم الدعاء به كما نصَّ عليه العلماء، فلا يجوز أن يدعي بالمغفرة لكافرٍ بعد موته، ولا أن يدعي بطلب رؤية الله في الدنيا ونحو ذلك مما يخالف القرآن والسُّنَّة.

٣- أنَّ الشكر عبادةٌ أُمرنا بها، والعبادة لا يفعلها الله عن عبده، بل لا يجوز عقلًا أن يفعلها؛ لأنه معبودٌ وليس بعابد، وإنما يطلب منه التوفيق للعبادة والإعانة عليها.

٤- أنَّ الشارع بيَّن أنَّ حقَّ الله على عباده أن يعبدوه، وحقَّ العباد عليه إذا عبدوه أن يُثيبهم، وهذا حقٌّ تفضُّلي، وذلك الدعاء يستلزم أن يصير المعبود عابدًا، وهذا المعنى باطلٌ عقلًا وشرعًا فالدعاء به حرامٌ.

٥- أنَّ الداعي يطلب بدعائه حصول خيرٍ أو دفع ضرٍّ، وذلك الدعاء ليس فيه شيءٌ من ذلك، إذ لو فرض وقوع المحال وشكر الله ذاته نيابة عن عبده فالعبد لا يناله مِن ذلك الشكر ثواب له، ولا دفع ضر عنه لأنه فعلٌ فعله الله لا علاقة للعبد به فيكون ذلك الدعاء عبثًا فهو حرامٌ[1].

٦- أنَّ حمد الله ذاته وثناءه عليها واجبٌ عقلًا، اقتضاه كماله المطلق وعظمة

---

(١) لأنَّ العبث في الدعاء يتضمَّن العبث بالمدعوِّ وقال الله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦]، والعابث في الدعاء ليس بخائفٍ ولا طامعٍ.

ربوبيته مع إنعامه على مخلوقاته بجليل النِّعم ودقيقها ظاهرها وخفيِّها، وقد نصَّ العلماء على أنَّ الدعاء يجوز بالممكن سواء كان واجبًا بالشرع أو جائزًا، ولا يجوز الدعاء بالواجب العقليِّ ولا بالمحال العقليِّ، وذلك الدعاء يطلب واجبًا عقليًّا فهو غير جائزٍ شرعًا.

٧- أنَّ علماء الكلام وغيرهم قالوا: إذا كان للفظ معنيان؛ أحدهما يليق بجانب الله والآخر لا يليق؛ فلا يجوز إطلاقه على الله منعًا لإلصاق معنى لا يليق به.

مثلًا العلم الضروري له معنيان: أحدهما ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال وهذا صحيحٌ بالنسبة إلى علم الله، والآخر ما يضطر الشخص إليه كعلمه بحياته ووجوده. قالوا: فلا يجوز وصف علم الله بأنه ضروريٌّ؛ لأنه يوهم هذا المعنى الذي لا يليق به.

وكذلك قول القائل: اللهمَّ أَدِّ عنِّي شُكْرَ النِّعم. لا يجوز إطلاقه في جانب الله حتى لو فرض أنَّ له معنًى صحيحًا بضربٍ مِن التأويل والتجوُّز؛ لأنه يوهم معنًى قبيحًا لا يليق بالله تعالى.

شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها:

١- ثبت في الحديث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**سُبْحَانَكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عليك أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**».

فيجوز على هذا أن يقال: اللهمَّ أَدِّ عنِّي شُكْر النِّعم، باعتبار أنَّ الإنسان لا يُطيق شكر النِّعم ولا يُحصِيها.

وهذه شبهةٌ ضعيفةٌ جدًّا لوجوهٍ:

أولها: أنَّ الحديث أخبر بحقيقتين لا شك فيهما ولا مراء، وهما أنَّ الإنسان

لا يُحصِي الثناء على الله ولا يستطيعه؛ لأنه يقتضي الإحاطه بكمال الله وهي في حقِّنا محالٌ عقلًا، وأنَّ الله هو الذي يُحيط بكماله ويثني على نفسه كما يليق به.

ثانيها: أنَّ الثناء المطلق -وهو الذكر- عبادةٌ مطلوبةٌ أيضًا قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] وقال في معرض المدح: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وبيَّنت السُّنَّة أنواعًا مِن الذِّكر وما فيها من الثواب مثل: «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا حول ولا قوة إلَّا بالله، حسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ، اللهُ أكبرُ، سبحانَ الله وبحمدِهِ، سبحان الله العظيمِ، أستغفرُ الله العظيمَ الذي لا إله إلَّا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه».

وهذه أنواعٌ مِن الذِّكر وغيرها كلها ثناء على الله تعالى، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر الناس ذكرًا لله كما ثبت في "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: «كان يذكر الله على كلِّ أحيانه» ومع ذلك اعترف أنه لا يُحصي ثناءً على الله، لكن لم يقل: اللهمَّ أثنِ على نفسك؛ لأن هذا الدعاء لا يجوز لما سبق بيانه بل قال: «**أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**» وهذا خبرٌ صحيحٌ عقلًا وشرعًا.

ثالثها: حيث إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفَّذ الأمر بذكر الله، واعترف بالعجز عن إحصاء الثناء عليه، ولم يقل: اللهمَّ أثن على نفسك، أو اللهمَّ اذكر نفسك عنَّا، فيسعنا في هذا المقام ما وسعه عليه الصلاة والسلام وذلك بأن نشكر الله كما علمنا وإذا شعرنا بالتقصير والعجز دعونا الله بالمغفرة

أو التوفيق، ولا نقول: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

رابعها: أنه سبق في حديث عائشة أنَّ العبد إذا علم أنَّ النعمة من الله بمعنىٰ أنه اعتقد ذلك وتيقَّنه تصديقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] كتب الله له شكرها قبل أن يحمدها عليها، وهذا فضلٌ مِن الله كبيرٌ يُغنينا عن ذلك الدعاء القبيح الخطير.

٢- من أسماء الله الحسنى اسم «الشكور» وهذا الاسم يُومِئ إلىٰ جواز أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنَّا شكر النعمة.

وهذه الشبهة أضعف من سابقتها؛ لأن الشكر معناه ثناء الشاكر علىٰ إحسانٍ وصل إليه مِن المشكور، والله تعالىٰ لا يصل إليه إحسان محسنٍ؛ لأنه الغنيُّ الحميد المُنعِم المُتفضِّل، وإذن فمعنىٰ اسمه الشكور إمَّا أن يظهر أعمال عباده الصالحين وينوِّه عنها ويمدحهم عليها، وهذا مجازٌ حقيقته إظهار الشاكر للنِّعمة وثناؤه عليها.

وإمَّا أنه يثيب الثواب الكثير علىٰ الطاعة القليلة، وهذا أيضًا مجازٌ حقيقته قولهم: شكرت الشجرة إذا كثرت أغصانها، وليس في هذا إشعارٌ بجواز ذلك الدعاء القبيح.

٣- أنَّ الله تعالىٰ أمرنا بالصلاة علىٰ نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ونحن نقول: اللهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمدٍ، فنطلب منه أن يصلِّي علىٰ نبيِّه فكذلك يجوز أن يقال: اللهمِّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

وهذه شبهةٌ واهيةٌ والقياس الذي يبنىٰ عليها ظاهر الفساد؛ لأن الصَّلاة

معناها العطف كما حقّقه ابن هشام في "المغني".

ثُمَّ العطف يختلف باختلاف فاعله حسب ما يليق به، فصلاة الله على المؤمنين: عطفه عليهم برحمته ومغفرته وهدايته، وصلاته على نبيِّه: عطفه عليه بإعلاء شأنه ورفعة قدره، وصلاة الملائكة علينا: عطفهم بالدعاء لنا كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وصلاتنا نحن معشر المسلمين على نبيِّنا: عطفنا بالدعاء له برفعة قدره وإعلاء شأنه فقولنا: «اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ» هو امتثالٌ لقول الله تعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] أمرنا بالدعاء له فدعونا، ولم نرد الأمر على الآمر به كما في قول القائل: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

فظهر فساد القياس المذكور، وبطلت الشبهة من أصلها، وبالله التوفيق.

٧٧- المعصية[1]

الإثم: اسم جنسٍ يشمل المعاصي كلَّها، شمول الكلِّيِّ لجزئيَّاته.

والمعصية: مخالفة أمر الشارع أو نهيه، وتسمَّىٰ ذنبًا وخطيئة وسيِّئة، وهي تتنوَّع إلىٰ نوعين: صغيرةٍ، وكبيرةٍ.

ذلك أنَّ مجرَّد مخالفة الأمر أو النهي معصيةٌ صغيرةٌ، فإذا رُتِّب عليها حَدٌّ، أو سمِّيت موبقةً أو فاحشةً أو كبيرةً أو فسقًا، أو تُوعِّد عليها بلعنٍ أو غضبٍ أو عذابٍ أو تحريم دخول الجنَّة، أو سُمِّي مرتكبها فاسقًا أو ضالًّا أو خاسرًا، أو نحو ذلك مما يدل علىٰ عِظَم الإثم كانت معصيةً كبيرةً.

وهذا في المعاصي المنصوصة، أمَّا إذا كانت المعصية غير منصوصٍ عليها فينظر في المفسدة التي تشتمل عليها إن كانت مساويةً لمفسدة إحدىٰ الكبائر المنصوصة كانت كبيرةً مثلها، وإن كانت دونها فهي صغيرةٌ.

وقد اعتنىٰ العلماء ببيان الكبائر وألَّفوا في ذلك مؤلَّفاتٍ، منها جزء في الكبائر للحافظ الديلمي صاحب "الفردوس"، وللحافظ العلائي، وكتاب "الكبائر" للحافظ الذهبيِّ، وللحافظ ابن القيِّم، وهو أوسع وأفيد، وللجلال البلقينيِّ.

وكتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" للعلَّامة الفقيه أحمد بن حجرٍ الهيتميِّ المكِّيِّ جرَّد فيه قسم الترهيب من كتاب "الترهيب والترغيب" للحافظ المنذري، وضمَّ إليه بحوثًا فقهية فجاء كتابا حافلًا، إلَّا أنه أورد فيه كبائر استند فيها إلىٰ أحاديث ضعيفةٍ، أو أقوال أئمَّة مذهبه الشافعي، والكبيرة لا تثبت إلَّا

---

(١) مجلة دعوة الحق، السنة السادسة عشرة العدد (٨) ربيع الثاني ١٣٩٤ .

بحديثٍ ثابتٍ، أو تكون فيها مفسدة توازي مفسدة كبيرة منصوصة كما سبق.

وللصغائر والكبائر مُكفِّرات تمحو إثمها، منها ما يشملها جميعًا وهو التوبة، فإنها تُكفِّر الصغائر كما تكفر الكبائر، ونصوص الشريعة في ذلك كثيرةٌ جدًّا بحيث صار من المعلوم بالضرورة أنَّ التوبة بشروطها تمحو كلَّ ذنبٍ حتىٰ الكُفْر: قال الله تعالىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

ومنها مُكفِّراتٌ تختصُّ بالصغائر وهي ثلاثة:

١ - **اجتناب الكبائر**: قال تعالىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١].

وفي "صحيح مسلم": عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكَفِّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبائِرُ**».

٢ - **إتْباعها بحسنةٍ**: روىٰ ابن جريرٍ عن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**جُعِلَتِ الصَّلواتُ كفَّارات لما بينهنَّ فإن الله قال: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤]**».

وفي "الصحيحين" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أصاب مِن امرأةٍ قبلةً فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «**لجميعِ أُمَّتي كلِّهم**».

وفي "المسند" عن معاذٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا معاذُ أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

وروىٰ الترمذيُّ عن أبي ذرٍّ ومعاذٍ رضي الله عنهما، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

٣- **مصيبة من مصائب الدنيا**: ثبت في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن مُصِيبَةٍ تُصيبُ المُسْلِمَ إلَّا كَفَّرَ اللهُ عنه بها حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**».

وفيهما أيضًا عن أبي سعيدٍ الخدريِّ وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما يُصِيبُ المُؤمِنُ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ حتَّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها إلَّا كفَّر اللهُ بها مِن خطاياه**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن عبدالله بن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا لقي امرأةً كانت بغيًّا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتىٰ بسط إليها يده فقالت: مه فإنَّ اللهَ قد أذهب الشِّرك وجاء بالإسلام. فتركها وولَّىٰ فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها حتىٰ أصاب وجهه حائطًا.

ثُمَّ أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والدم يسيلُ علىٰ وجهه فأخبره

بالأمر فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنت عبدٌ أرادَ اللهُ بك خيرًا**». ثُمَّ قال: «**إنَّ اللهَ جلَّ وعلا إذا أراد بعبدٍ خيرًا عَجَّلَ عُقوبة ذَنْبِهِ، وإذا أراد بعبدٍ شرًّا أمسك ذنبه حتَّى يوافي يومَ القِيامَةِ كأنَّه عائِرٌ**».

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أبي تميمة الهجيميِّ قال: بينا أنا في حائطٍ من حيطان المدينة إذا بصرت بامرأةٍ فلم يكن لي همٌّ غيرها، حتىٰ حاذتني ثُمَّ أتبعتها بصري حتىٰ حاذت الحائط فالتفت فأصاب وجهي الحائط فأدماني.

فأتيتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا أراد بعبدٍ خيرًا عَجَّلَ عُقوبة ذَنْبِهِ، وربُّنا تبارك وتعالى أكرمُ مِن أن يُعاقِبَ على ذنبٍ مرَّتين**». قال الحافظ ابن حجرٍ: «إسناده حسنٌ».

قلت: كيف يكون حسنًا وفيه هشام بن لاحق أبو عثمان المدائني أو المدني؟ ضعَّفه شبابة بن سوار والبخاريُّ والساجيُّ والعقيليُّ، وترك أحمد حديثه بعد أن روىٰ عنه، لكن قوَّاه النَّسائيُّ، وقال ابن عديٍّ: «أحاديثه حِسانٌ وأرجو أنه لا بأس به» وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" كما ذكره في "الضعفاء" أيضًا.

وأبو تميمه تابعيٌّ معروفٌ يروي عن أبي هريرة وأبي موسىٰ وأصل الحديث: عن أبي تميمة الهجيميِّ أنَّ رجلًا كان في حائطٍ من حِيطان المدينة...إلخ.

ولكن هشام بن لاحق لضعفه واضطراب حديثه نسب القصة لأبي تميمة مع أنه ليس بصاحبها ولا حضرها، فالحديث مرسلٌ ضعيف الإسناد، لكنه يتقوَّىٰ بما قبله من الأحاديث.

هذا وتنقلب الصغيرة كبيرةً بانضمام معصيةٍ إليها كما سيأتي بحول الله.

وذكر كثير من العلماء أنَّ الإصرار علىٰ الصغيرة يُصيِّرها كبيرةً واحتجُّوا

بحديث: «**لا صَغيرةَ مع الإصْرارِ، ولا كبيرةَ مع الاسْتِغَفارِ**».

وهذا الحديث رواه أبو الشيخ ومن طريقه الديلمي من رواية مسلم بن سليمان سعدويه، عن أبي شيبة الخرسانيِّ، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عبَّاسٍ به مرفوعًا، ومن هذا الطريق رواه العسكريُّ في "الأمثال"، وأبو شيبة ضعيفٌ.

ورواه البغويُّ ومن طريقه الديلميُّ من رواية عبيد ابن هشام عن سفيان بن عيينة عن الزهريِّ عن أنسٍ به مرفوعًا، وفيه راوٍ مجهولٌ.

ورواه أبو حذيفة إسحاق بن بشر في كتاب "المبتدأ" عن سفيان الثوريِّ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة به. وأبو حذيفة كذَّابٌ.

ورواه الطبرانيُّ في "مسند الشاميين" من رواية مكحول، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وفي سنده بشر بن عبيد الدارسي متروكٌ.

ورواه الثعلبيُّ وابن شاهين من طريق بشر بن إبراهيم، عن خليفة بن سليمان، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أيضًا. بشر بن إبراهيم متروكٌ، وشيخه مجهولٌ.

والصحيح أنه من كلام ابن عبَّاسٍ، رواه البيهقيُّ في "الشعب" من طريق سعيد بن أبي صدقة، عن قيس بن سعدٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: «**لا صَغيرةَ مع الإصْرارِ، ولا كَبيرةَ مع الاسْتِغْفارِ**».

والمقصود أنَّ الحديث لا يثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا تقوم به حُجَّةٌ، ولهذا اختار الشوكانيُّ في "إرشاد الفحول" أنَّ الإصرار على الصغيرة صغيرة، كما أنَّ الإصرار على الكبيرة كبيرة، وهو الصواب.

أمَّا ما يُكفِّر الكبائر فأمور أربعة:

١- **الحَدُّ المُرَتَّبُ على بعضها:** لما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال -وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على أَلَّا تُشْركوا بالله شيئًا، ولا تَسْرِقوا، ولا تَزْنوا، ولا تَقْتُلوا أولادَكم، ولا تأتوا ببُهْتانٍ تَفْتَرُونه بين أيديكم وأرجلِكم، ولا تَعْصُوا في مَعْروفٍ، فمن وفَىٰ منكم فأجرُه على الله، ومَن أصاب مِن ذلك شيئًا فعُوقِبَ في الدُّنيا فهو كفَّارةٌ له، ومَن أصابَ مِن ذلك شيئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فهو إلى الله؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقَبَهُ**».

وفي "معجم الطبراني الأوسط" بإسنادٍ حسنٍ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه: «**أُبايعُكُمْ على أن لا تُشْرِكُوا بالله شيئًا، ولا تَقْتلوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ، ولا تَزْنُوا، ولا تَسْرِقُوا، ولا تَشْرَبُوا، فمَن فَعَلَ شيئًا مِن ذلك، فأُقِيمَ عليه حَدُّهُ فهو كَفَّارَةٌ، ومَن سَتَرَ الله عليه، فحِسَابُهُ على الله عزَّ وجلَّ، ومَن لم يَفعَل شيئًا مِن ذلك ضَمِنْتُ له الجنَّة**».

وروىٰ الترمذيُّ عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من أَصَابَ حَدًّا فعُجِّلَ عُقُوبَتَهُ في الدُّنيا فالله أَعْدَلُ مِن أن يُثنِّيَ على عبدِهِ العُقُوبَةَ في الآخِرَةِ، ومَن أَصَابَ حَدًّا فسَتَرَهُ الله عليه وعَفَا عنه فالله أكْرَمُ مِن أن يَعُودَ في شيءٍ قد عَفَا عنه**». حسَّنه الترمذيُّ وصحَّحه الحاكم.

وفي "المسند" عن خزيمة بن ثابتٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أصابَ ذنبًا فأُقِيمَ عليه حَدُّ ذلك الذنبِ فهوَ كفَّارتُهُ**». قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه راوٍ لم يسمَّ وهو ابن خزيمة، وبقية رجاله ثقات».

قلت: ابن خزيمة هو عُمارة بضم العين وهو ثقةٌ، ولذلك قال الحافظ ابن حجرٍ: إسناده حسنٌ.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الكبير" عن خزيمة بن معمر الأنصاري قال: رجمت امرأة في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال الناس: حَبِطَ عملُها. فبلغ ذلك النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هو كفَّارة ذنبِها وتُحشرُ على ما سِوى ذلك**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه يحيىٰ بن عبدالحميد الحِمَّانيُّ وهو ضعيفٌ».

قلت: الحِمَّاني بكسر الحاء وتشديد الميم، حافظٌ مشهورٌ وثَّقه ابن معينٍ وابن نمير والرماديُّ، وكان أحمد سيِّء الرأي فيه وهو أول من ألَّف المسند بالكوفة.

ورواه ابن السكن وابن شاهين من طريق المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن خزيمة بن معمر به. قال ابن السكن: تفرَّد به المنكدر وهو ضعيفٌ.

قلت: لم يقف علىٰ روايته الحِمَّاني، وهي تُبيِّن أنَّ المنكدر لم يتفرَّد به قال الحافظ: وقد خالفه أسامة بن زيد فرواه عن ابن المنكدر عن ابن خزيمة بن ثابت عن أبيه وهذا أشبه وفيه اختلاف آخر.

قلت: رواية أسامة أخرجها الدارمي في "سننه" وأسامة ضعيفٌ أيضًا والحديث مضطرب الإسناد كما قال ابن عبدالبر.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما عُوقِبَ رجلٌ على ذنبٍ إلَّا جعله اللهُ كفَّارةً لما أصاب مِن ذلك الذَّنْبِ**». في إسناده ياسين بن معاذ الزيات ضعيفٌ

متروكٌ، لكنه مؤيَّدٌ بالأحاديث السابقة.

ولا يعارضها ما رواه أحمد، عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، والبزَّار والحاكم من طريق معمر عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«ما أدري الحُدودُ كفَّاراتٌ أم لا؟»**. إسناده علىٰ شرط الشيخين.

لأن الأصل عدم العلم، ثُمَّ يأتي العلم ناقلًا عن الأصل، فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يكن يدري هل الحدود كفَّاراتٌ، كما أفاد الحديث، ثُمَّ أدراه الله بأنها كفَّاراتٌ. كما أفادته الأحاديث المذكورة.

٢- **الاستشهاد في سبيل الله**: روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«يُغْفَرُ للشَّهِيدِ كُلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْنَ»**.

وروىٰ أيضًا عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام فيهم فذكر أنَّ الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله، أتكفَّر عنِّي خطاياي؟ فقال: **«نَعَمْ، إن قُتلتَ في سبيلِ الله وأنتَ مُحتسبٌ مُقبلٌ غير مُدْبِرٍ»** ثُمَّ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«كيفَ قلتَ؟»** قال: أرأيت إن قتلتُ في سبيل الله أتكفَّر عنِّي خطاياي؟ فقال: **«نَعَمْ، إن قتلتَ وأنت صابرٌ مُحتسِبٌ مُقْبلٌ غير مُدبرٍ إلَّا الدَّين، فإنَّ جبريلَ قال لي ذلك»**.

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إنَّ السَّيفَ محَّاءٌ للخطايا»**.

وفي "المسند" بإسنادٍ جيِّدٍ عن عتبة بن عبدٍ السُّلَميِّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القَتْلَى ثلاثةٌ: رجلٌ مؤمنٌ جاهد بنَفْسِهِ وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدوَّ قاتلهم حتى يُقتَل، فذلك الشهيد المُمْتَحَن، في جنَّة الله تحت عَرْشِهِ لا يَفضُلُه النبيُّون إلَّا بفضلِ درجةِ النبوَّة، ورجلٌ قَرَفَ على نفسِه الذنوبَ والخطايا، جاهد بنَفْسِهِ في سبيل الله حتَّى إذا لقي العدوَّ قاتل حتى يُقتل فتلك مَصْمَصَةٌ محتْ ذنوبه وخطاياه، إنَّ السيفَ محَّاءٌ للخطايا، وأُدخل من أي أبواب الجنَّة شاء؟ فإنَّ لها ثمانيةَ أبوابٍ، ولجهنَّم سبعة أبوابٍ، ورجلٌ منافقٌ جاهد بنَفْسِهِ وماله حتى إذا لقي العدوَّ قاتلَ حتَّى يُقتَل فذلك في النار إنَّ السَّيفَ لا يمحُو النِّفاقَ**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وروىٰ العقيليُّ في "الضعفاء" من طريق أصرم بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أنسٍ مرفوعًا: «**لا يمرُّ السيف بذنبٍ إلَّا مَحاهُ**». وأصرم ضعيفٌ.

٣- **القتل**: بمعنىٰ أنَّ مرتكب الكبيرة إذا قُتل ظلمًا كان القتل كفَّارةً له

روىٰ البزَّار بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قَتْلُ الصَّبر لا يمرُّ بذنبٍ إلَّا مَحاهُ**».

قتل الصبر: أن يُقتل الشخص مُقيَّدًا، والحديث يفيد شرطيته في التكفير.

وروىٰ سعيد بن منصور: عن عمرو بن شعيب، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قُتل صَبْرًا كان كفَّارةً لخطاياه**». وهذا معضلٌ.

وروىٰ البزَّار من طريق داود بن عمرو الضبيِّ قال: حدَّثنا صالح بن موسىٰ: ثنا عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قَتْلُ الرجلِ صَبْرًا كفَّارةٌ لما قبله مِن الذُّنوبِ**».

صالح بن موسىٰ متروكٌ، ورواه أبو الأحوص ومحمد بن الفضل بن عطية، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه به. قال الدارقطني: «هذا أشبه».

قلت: يريد أنَّ هذه الرواية أشبه بالصواب من رواية صالح بن موسىٰ فالحديث من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص لا من رواية أبي هريرة.

ومحمد بن الفضل كذَّابٌ، لكن العبرة برواية أبي الأحوص سلام بن سليم وهو ثقةٌ من رجال "الصحيحين"، وكذلك شيخه عبد العزيز بن رُفيع بصيغة التصغير، فهذا الطريق علىٰ شرط الحسن بل قال الذهبيُّ: «أعلىٰ مراتب الحسن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدِّه، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه، وأمثال ذلك مما قيل: أنه صحيحٌ وهو أدنىٰ مراتب الصحيح».اهـ

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن الحسن -هو البصريُّ- قال: كان زياد يتتبَّع شيعة عليٍّ عليه السَّلامُ فيقتلهم فبلغ ذلك الحسنَ بن عليٍّ عليهما السلامُ فقال: «اللهمَّ تفرَّد بموته، فإنَّ القتل كفَّارةٌ».

دعاء الحسن بن عليٍّ أن يموت زياد بن أبيه حتف أنفه؛ لأنه لو مات مقتولًا كان القتل كفَّارةً لذنوبه.

وروىٰ الطبرانيُّ أيضًا عن ابن مسعودٍ في الذي يصيب الحدود ثُمَّ يُقتَل عمدًا، قال: «**إذا جاء القتلُ محَا كلَّ شيءٍ**».

قلت: شرط القتل المُكفِّر للذنوب أن يكون عن عمدٍ؛ لأن القاتل المتعمِّد يحمل عن المقتول ذنوبه يوم القيامة، فإن كان القتلُ خطأً لم يكفِّر الذنوب؛ لأنه لا إثم فيه علىٰ القاتل.

٤- **أعمال ثبت فيها أنها تُكفِّر الكبائر**: كالحجِّ المبرور، وقيام ليلة القَدْر، وصلاة التسابيح، ونحو ذلك مما أُفرد لجمعه مؤلَّفاتٌ للحافظين المنذري، وابن حجرٍ، وللقابونيِّ، والحطَّاب شارح المختصر، وسيدي محمد بن جعفر الكتانيِّ، وشقيقنا أبي الفيض رحمهم الله.

وللحافظ ابن حجرٍ جزءٌ اسمه: "قوة الحِجاج لعموم مغفرة الحجَّاج" طبعته مع تعليقاتي عليه.

وتلك المؤلَّفات مطبوعةٌ إلَّا مؤلف المنذري والحطَّاب وشقيقنا، وكتاب القابوني طبعته مع تعليقاتي عليه أيضًا واسمه "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب".

لم يتعرَّض العلماء لبيان الصغائر كما فعلوا في الكبائر فأردت أن أذكر أمثلة منها تكون نموذجًا لسائرها وعنوانًا عليه.

فمن الصغائر: النَّظرُ إلى المرأةِ الأجنبيَّة أو لمسهُا أوتقبيلُها: وتقدَّم حديث ابن مسعودٍ في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ وأبي تميمة.

ومنها: **لعبُ النَّرد**: روى مالكٌ وأحمد عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن لَعِبَ بنَرْدٍ أو نَرْدَشير فقد عَصَى اللهَ ورسولَهُ**»، صحَّحه الحاكم .

وفي "صحيح مسلم" عن بريدة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن لَعِبَ بالنَّرْدَشِير فكأنَّما صَبَغَ يَدَهُ في لحم خِنزيرٍ ودَمِهِ**».

لا يصحُّ في النَّرد غير هذين الحديثين وبمقتضاهما يكون معصيةً صغيرةً،

وبذلك صرَّح الجوينيُّ والد إمام الحرمين والرافعيُّ، لكن الراجح عند الشافعية أنه كبيرةٌ وليس لهم عليه دليل، نعم إن انضمَّ إليه قمار أو إخراج صلاة عن وقتها مثلًا، كان كبيرةً بلا خلافٍ.

وقرأت في نسخة أبي مسهر عبد الأعلىٰ بن مسهر، ويحيىٰ بن صالح الوحاظي من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللَّاعِبُ بالنَّرْدِ قمارًا كآكلِ لحمِ خنزيرٍ، واللَّاعِبُ به بغير قمارٍ كالمدَّهِن بشَحْمِهِ**».

ومن المعلوم أنَّ الادِّهان بشحم خنزيرٍ أو نحوه من النجاسات صغيرة، ولعب الورق المسمَّىٰ بالكارطة حكمه حكم النَّرد إن كان بقمارٍ أو أدَّىٰ إلىٰ ضياع واجبٍ فهو كبيرةٌ وإلَّا فهو صغيرةٌ.

أمَّا الشِّطْرنج فقال بتحريمه مالكٌ وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وكثير من العلماء، وكرهه الشافعي كراهة تنزيه، وكان سعيد بن جُبيرٍ والشَّعْبي وهشام بن عروة يلعبون به.

واستدل الذين حرَّموه بأحاديث واهيةٍ موضوعةٍ لا تقوم بها حُجَّةٌ، وبالقياس علىٰ النرد وهو قياس غير صحيح؛ لأن النرد مبنيٌّ علىٰ الحظِّ والشِّطرنج مبنيٌّ علىٰ الفِكر فافترقا، بل قيل: إنَّ الشِّطرنج ينفع في تدبير الجيش والحرب، ولذلك أجازه الشافعيُّ ولعب به بعض التابعين كما تقدَّم.

والدليل علىٰ تحريمه فيما أرىٰ أنه لهوٌ، وقد روىٰ أحمد والأربعة عن عقبة بن عامرٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلُّ شيءٍ يَلهو به ابنُ آدمَ فهو باطلٌ إلَّا ثلاثًا، رميهُ عن قَوْسِهِ، وتأديبه فَرَسَهُ، ومُلاعَبته أهلَهُ، فإنهنَّ مِن**

الحقِّ». إسناده حسنٌ.

وروىٰ النَّسائيُّ والطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن عطاء بن أبي رباحٍ قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاري يرتميان فمل أحدهما فجلس فقال له الأخر: كسلت؟ سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: **«كلُّ شيءٍ ليس مِن ذكر الله عزَّ وجلَّ فهو لهوٌ، إلَّا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضَين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السِّباحة»**.

حصر الحديثان أنواع اللعب الجائزة في الأشياء المذكورة لأنها حقٌّ، والشطرنج غيرها فهو باطلٌ، وكلُّ باطلٍ حرامٌ، فالشطرنج حرامٌ، لكنه صغيرةٌ إلَّا إذا أنضمَّ إليه قمار أو ضياع واجبٍ فيكون كبيرةً، وأخطأ مَن اعتبره كبيرةً مطلقًا.

ومنها: تركُ ردِّ السَّلام: قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] أوجبت الآية ردَّ التحية وجوبًا مخيرًا بين أمرين فإذا قال لك أخوك المسلم: السلام عليكم، فيجب عليك أن تقول له: وعليكم السلام ورحمة الله، وهذا أفضل، أو تقول: وعليكم السلام، فإن لم ترد عليه فأنت عاصٍ آثمٌ شرعًا، وسواء أكان المسلم صالحًا أم فاسقًا؟ سنّيًا أم مبتدعًا؟

وقال النوويُّ في "الأذكار": أمَّا المبتدع ومن اقترف ذنبًا عظيمًا ولم يتب منه فينبغي ألَّا يُسلَّم عليهم ولا يُردَّ عليهم السَّلام كذا قاله البخاريُّ وغيره من العلماء، واحتجَّ البخاريُّ بحديث قصة كعب بن مالكٍ رضي الله عنه حين تخلَّف عن غزوة تبوك هو ورفيقان له. قال: ونهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن كلامنا قال: وكنت آتي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأسلِّم

عليه فأقول: هل حرَّك شفتيه بردِّ السَّلام؟ أم لا؟

وقال البخاريُّ: قال عبدالله بن عمرو: لا تُسلِّموا علىٰ شَرَبَةِ الخَمْرِ.اهـ

وقال البخاريُّ في "صحيحه": باب من لم يُسلِّم علىٰ مَن اقترف ذنبًا ومن لم يردَّ سلامه حتىٰ تتبيَّن توبته، وفي متىٰ تتبيَّن توبة العاصي؟

وقال عبد الله بن عمرو: لا تُسلِّموا علىٰ شَرَبَةِ الخمر.اهـ

قال الحافظ في "الفتح": «أما الحكم الأول فأشار إلىٰ الخلاف فيه...» وحكىٰ الخلاف بين الجمهور وغيرهم، ثُمَّ قال: «وأما الحكم الثاني فاختلف فيه أيضًا...».اهـ

ومنه يُعلم أنَّ البخاريَّ لم يجزم بالحكمين خلافًا للنوويِّ رحمه الله، وإنَّما أشار إلىٰ الخلاف وذكر دليل أحد طرفيه، وورد عن ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ قال: «لا تسلِّموا علىٰ مَن شرب الخمر، ولا تعودهم إذا مرضوا، ولا تصلُّوا عليهم إذا ماتوا». ونقل ابن رشدٍ عن مالكٍ قال: «لا يُسلَّم علىٰ أهل الأهواء».

قلت: هذه أقوال ضعيفةٌ يُبطلها أمور:

أحدها: عموم الآية فإنها تشمل الطائع والعاصي والسُّنِّي والمبتدِع، ولو أراد الله إخراج أحد منها لبيَّن ذلك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

ثانيها: عموم الأحاديث الحاضَّة علىٰ إفشاء السلام وأنه حقٌّ مِن حقوق المسلم علىٰ أخيه ومن موجبات الجنَّة ومِن دواعي المحبَّة والأُلفة بين المسلمين.

وهي أحاديث متواترة رواها عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، والزبير بن العوام، والبراء بن عازب، وعبد الله بن سلامٍ، وأبو شريحٍ، وأبو الدرداء، وأبو أُمامة، وجابرٌ، وابن مسعودٍ، وأنسٌ،

وعمران بن حصينٍ، وسهل بن حنيف، وأبو موسىٰ الأشعريُّ، وعبد الله بن مُغَفَّلٍ، وأبو مالكٍ الأشعريُّ، ومالك بن التيهان، والمقدام بن شريح عن أبيه عن جدِّه، وشيبة الحجبي عن عمِّه، ومعاذ بن أنس.

ومن طرق هذه الأحاديث ما ثبت في "الصحيحين" عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنَّ رجلًا سأل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أي الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتقرأُ السَّلامَ على مَن عَرَفْتَ ومَن لم تَعْرِفْ**». وهذه العبارة من أقوىٰ صيغ العموم.

ثالثها: الأحاديث الدالة علىٰ تحريم الهجر فوق ثلاثة أيام والمتوعِّدة عليه بدخول النار وبالخروج من الإسلام، وبأنَّ عمل المتهاجرين لا يُقبَل حتىٰ يَصَّطَلِحا.

وهي أحاديث متواترة أيضًا رواها عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أنس بن مالكٍ، وأبو أيوب، وأبو هريرة، وعائشة، وهشام بن عامر، وابن عبَّاسٍ، وفَضَالَة بن عُبيدٍ، وحَدْرَدُ بن أبي حَدْرَدٍ، وابن مسعودٍ، وجابرٌ، ومعاذ ابن جبلٍ، وأبو موسىٰ، وأبو الصِّدِّيق، وابن عمر، وأبو ثعلبة، وسعد بن أبي وقَّاص، وعوف بن مالكٍ، وابن عمر، وأسامة بن زيد.

هذا إلىٰ أنَّ العمل بتلك الأقوال الضعيفة الساقطة يؤدِّي إلىٰ مفاسد عظيمةٍ شاهدناها كما شاهدها غيرنا وكان لها أثرها السيِّئ علىٰ المجتمع الإسلامي.

١- فمنها: العُقوق، فقد رأينا أشخاصًا هجروا آباءهم أو أمهاتهم وقبضوا أيديهم عن مساعدتهم بدعوىٰ الابتداع، والعُقوق كبيرةٌ، والعاقُّ لا يدخل الجنَّة كما في الحديث الصحيح.

٢- ومنها: قطيعة الرَّحِم، فلطالما قطع أناس رَحِمَ أخوتهم وأقاربهم بدعوىٰ الابتداع أيضًا، وقاطع الرَّحِم ملعونٌ، والجنَّة عليه حرامٌ.

٣- ومنها: تفريق كلمة المسلمين وتشتيت جمعهم، فقد صاروا بسبب هذا الهجر المشؤوم شِيَعًا وأحزابًا كلُّ حزبٍ يدَّعي في الآخر أنه مبتدعٌ، فتهاجروا وتقاطعوا وخالفوا وصية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ونبذوا روح الإسلام.

٤- ومنها: أنَّ المغرضين اتخذوا الهَجْر سلاحًا شهروه في وجه مخالفيهم في الرأي، ترىٰ الشخصين متصاحبين يتواصلان حتىٰ إذا خالف أحدهما صاحبه في رأيٍ رآه أو قول قاله حَكَمَ بتبديعه وطلب أصحابه بهجره، وقد تتبَّعت أقوال الأئمَّة الذين أجازوا هجر المبتدِع -ولم يوجبوه- لأجد لهم دليلًا علىٰ ما رأوه فلم أجد غير حديثين اثنين لا ثالث لهما:

١- روىٰ أبو داود عن سمية، عن عائشة رضي الله عنها قالت: اعتلَّ بعيرٌ لصفيَّة بنت حُيَيٍّ وعند زينب فضل ظهرٍ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لزينب: «أَعْطِيها بعيرًا» فقالت: أنا أُعطي تلك اليهوديَّة؟!

فغضبَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهجرها ذا الحِجَّة والمُحرَّم وبعض صفرٍ.

وهذا حديثٌ ضعيفٌ لجهالة سمية، فلا يقوىٰ علىٰ مقاومة الآية والحديثين المتواترين.

٢- حديث قصة كعب بن مالكٍ وهو في "الصحيحين"، لكنه لا يصح الاستدلال به؛ لأنه واقعة حال وقضية عينٍ لا يجوز تعميمها كما تقرَّر في علم

الأصول. وبيان ذلك مِن وجوهٍ:

الأول: أنَّ كعب بن مالكٍ وصاحِبَيْهِ تخلَّفوا عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والتخلُّف عنه ليس كالتخلُّف عن غيره مِن الأئمَّة والخلفاء؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠] وهذا نفيٌ معناه النهي، وهو أبلغ من النهي الصريح كما تقرَّر في علم المعاني ويقول سبحانه: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فلهذا شدَّد عليهم ما لم يُشدِّد علىٰ غيرهم.

الثاني: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر بهجرهم بعد أن تابوا منتظرًا قبول توبتهم مِن الله تعالىٰ، فلما أوحىٰ الله إليه ليلًا بقبولها أسرع بإخبارهم عقب صلاة الصبح مباشرةً، وهذا خلاف ما يدَّعيه أصحاب تلك الآراء مِن هجر المبتدع حتىٰ يتوب.

الثالث: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لكعبٍ حين أعلن توبته وصِدْقه: «**أمَّا هذا فقد صَدَقَ، قُمْ حتَّى يقضي الله فيك**». وكذلك قال لصاحِبَيْه وهذا دليلٌ علىٰ الخصوصية حيث علَّق انتهاء هجرهم بقضاء الله فيهم، وهو قبول توبتهم الذي جاء في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] وقبول التوبة لا يُدرَك إلَّا بالوحي وهو خاصٌّ بزمنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الرابع: أنهم لم يكونوا فُسَّاقًا ولا مُبتدِعين، بل كانوا من خيار الصحابة وفضلائهم، وكان الهجر تأديبًا خاصًّا بهم علىٰ خطأ ارتكبوه غير قاصدين

المخالفة ولا مُتعمِّدين المعصية.

الخامس: أنَّ هجرهم كان مؤقَّتًا غير دائمٍ بدليل قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قُمْ حتَى يقضي الله فيك**». لأنه كان ينتظر نزول الوحي بقبول توبتهم.

السادس: أنه بعد مرور أربعين يومًا بعث النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ كلِّ واحدٍ منهم: «**اعْتَزِلْ امرأتك ولا تَقْرَبْها**». وأتته زوجة هلال فقالت: يا رسول الله إنَّ هلال بن أمية شيخٌ ضعيفٌ ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا، ولكن لا يَقْرَبْكِ**». وهذا نصٌّ قاطعٌ في الخصوصية؛ لأنه لا يجوز لإمامٍ أو خليفةٍ أن يأمر أحدًا باعتزال زوجته تأديبًا له. بل هذا من خصوصيات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

السابع: أنَّ حاطب ابن أبي بلتعة بعث إلىٰ المشركين بخطابٍ يخبرهم فيه بعزم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ غزوهم، وهذا تجسُّسٌ، وهو أشدُّ مِن التخلُّف كما قال ابن القيِّم، ومرتكبه أولىٰ بالهجر مِن المتخلِّف، ومع ذلك لم يهجره النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فدل ذلك علىٰ أنَّ الهجر في قصة كعبٍ وصاحبَيه خاصٌّ بهم لا يصح تعدِّيته إلىٰ غيرهم، فتكون قضية عينٍ كما بيَّنا، والمستدلُّون بها علىٰ جواز هجر المبتدع أو العاصي هجرًا دائمًا مخطئون غاية الخطأ.

وقد استدل بعض الناس لمشروعية الهجر الدائم بآيتين لم يحسن فهمهما:

الأولى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٦٨] ولا علاقة لها بالهجر ولا تدل عليه لوجهين:

١- **أنها نزلت في المشركين:** قال السُّدِّي وابن جريجٍ وغيرهما كان

المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والقرآن، فسبُّوه واستهزؤوا به فأمرهم الله ألَّا يقعدوا معهم حتىٰ يخوضوا في حديثٍ غيره، وجاء نحو ذلك عن مجاهدٍ وقتادة وسعيد بن جُبيرٍ وأبي مالكٍ ومقاتل، وكان نزول الآية بمكَّة، ثُمَّ حصل من اليهود والمنافقين بالمدينة استهزاء بالقرآن فأنزل الله تعالىٰ في (سورة النساء) مشيرًا إلىٰ هذه الآية: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠] فالآيتان واردتان -كما ترىٰ- في الكفار، والعصاة وأهل الأهواء لا يكفرون بآيات الله ولا يستهزئون بها، فإقحامهم في الآيتين تحريف لكلام الله.

٢- أنَّ الآيتين لم تأمرا بهجر الكفَّار وإنما أمرتا بترك مجالستهم ساعة الخوض فقط، فإذا تركوه إلىٰ حديثٍ آخر جازت مجالستهم.

الثانية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وهذه الآية كسابقتها لا تمت إلىٰ الهجر بصلة إطلاقًا، لوجهين:

١- أنها واردةٌ في الكفَّار المعاندين لله ورسوله؛ لأن المحادَّة -بتشديد الدال- معناها المعاندة وتحقيق مدلولها اللغوي: أنهم في حدٍّ وجانبٍ، والله ورسوله في حدٍّ وجانبٍ، وهذا المعنىٰ لا ينطبق علىٰ العصاة وأهل الأهواء لأنهم ليسوا محادِّين لله ورسوله.

٢- أنَّ ترك الموادَّة ليس معناه الهجر ولا تستلزمه، ولكن معناها: عدم الميل القَلْبي إلىٰ الكفَّار، ألا ترىٰ أننا مأمورون ببغض أهل الكتاب ومع ذلك أجاز

لنا الشارع أن نتعامل معهم ونأكل طعامهم ونتزوَّج بنسائهم.

وكان الصحابة في المدينة يتعاملون مع اليهود ومات النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ودرعه مرهونةٌ عند يهوديٍّ، هذا مع أنَّ الله يقول فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولا شك أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والصحابة كانوا يبغضون اليهود أشد البغض ولم يمنع بغضهم الشديد مِن معاملتهم.

وأوجب الله برَّ الوالدين المشركَين فقال تعالىٰ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، وجاءت أم أسماء بنت أبي بكرٍ وهي مشركة تطلب معروف ابنتها، فقال لها النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صِلِي أُمَّكِ**».

والمقصود أنَّ الهجر الدائم ممنوعٌ شرعًا وهو بدعةٌ شِرْكِيَّةٌ كما بيَّنته في غير هذا الموضوع.

ومن الصغائر: ترك إجابة الدعوة، روىٰ الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا دُعِيَ أحدكم إلى وَليمَةٍ فليأتها**».

وفي "صحيح مسلم" عنه أيضًا قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دعا أحدُكم أخاه فليُجِبْ، عُرْسًا كان أو نحوه**».

وفيه أيضًا عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دُعِيَ أحدُكم إلى طعامٍ فليُجِبْ، فإن شاء طَعِمَ وإن شاء تَرَكَ**».

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حَقُّ المُسلمِ على المُسلمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وعِيادَةُ**

المَريضِ، واتِّباعُ الجَنائِزِ، وإجابة الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العاطِسِ».

فإجابة الدَّعوة واجبةٌ وتركها حرامٌ إلَّا أن يكون في مكان الدعوة منكرٌ كخمرٍ أو حشيشةٍ أو اختلاط نساءٍ ورجالٍ فتحرم الإجابة حينئذٍ.

ومنها: خروج الرجل من المسجد بعد الآذان بدون عذرٍ: روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي الشعثاء قال: كنَّا قُعودًا في المسجد مع أبي هريرة فأذَّن المؤذِّن، فقام رجلٌ مِن المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة بصره حتىٰ خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: «أمَّا هذا فقد عصىٰ أبا القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

زاد أحمد في روايته بإسنادٍ صحيحٍ أيضًا: ثُمَّ قال: أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا كنتم في المسجد فنُودي بالصَّلاة فلا يخرج أحدكم حتَّى يُصَلِّي**». فالخروج من المسجد بعد الأذان حرامٌ إلا لعُذْرٍ شرعيٍّ، كمن خرج ليتوضَّأ أو ليعود مريضًا مرضًا شديدًا أو نحو ذلك، لكن لو خرج من المسجد زاعمًا أنَّ الصلاة خلف الإمام لا تجوز لفسقه أو بدعته مثلًا فيكون كبيرةً؛ لأنه انضم إليه تجريحٌ واغتيابٌ.

٧٨- أصول كرامات الأولياء في السنة النبوية حول الكشف والإلهام والفيض الإلهي(١)

ثبت في "صحيح البخاري" عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد كان فيما قبلكم مِن الأُمَمِ مُحَدَّثونَ، فإن يكن في أُمَّتي أحدٌ فإنه عمرُ**».

وفي رواية: «**قد كان فيمَن قبلكم مِن بني إسرائيل يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أُمَّتي أحدٌ فعمر**».

وفي "صحيح مسلم" عن عائشة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه كان يقول: «**قد كان يكون في الأُمَمِ قبلكم مُحَدَّثون فإن يكن في أُمَّتي منهم أحدٌ فعمر منهم**». قال ابن وهبٍ: تفسير «مُحَدَّثون»: ملهمون.

وفي هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء كما قال الإمام النوويُّ رضي الله عنه، والمُحدَّث -بفتح الدال المشددة- اختلف في تأويله فقال الأكثرون: هو المُلْهَم كما قال ابن وهبٍ، قالوا وهو الرجل الصادق الظن يُلقَىٰ في رَوْعِهِ شيءٌ مِن قِبل الملأ الأعلىٰ فيكون كالذي حدَّثه غيره به.

وقيل: مَن يجري الصواب علىٰ لسانه من غير قصدٍ، وقيل: مكَلَّم تُكلِّمه الملائكة بغير نبوةٍ كما سبق في إحدىٰ روايتي البخاريِّ.

وجاء في حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ: قيل: يا رسول الله وكيف يُحدَّث؟ قال: «**تتكَلَّمُ الملائكةُ على لسانِهِ**». رواه الجوهريُّ في "فوائده".

قال الحافظ: ويحتمل ردُّه إلىٰ المعنىٰ الأول أي تُكَلِّمه في نفسه وإن لم يكن

---

(١) مجلة المسلم، السنة الخامسة العدد (١) شعبان ١٣٧٤.

مُكلَّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام.

وقوله: «**فإن يكن في أُمَّتي أحدٌ....**». قال الحافظ: «قيل: لم يورد هذا القول مورد الترديد فإنَّ أُمَّته أفضل الأمم، وإذا ثبت أنَّ ذلك وُجِد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديقٌ فإنه فلانٌ، يريد اختصاصه بكمال الصَّدَاقة لا نفي الأصدقاء، ونحوه قول الأجير: إن كنت عملت لك فوفِّني حقِّي، وكلاهما عالمٌ بالعمل».

وأخرج الطبرانيُّ في "الكبير" وأبو نعيمٍ في "الطب النبوي" والترمذيُّ الحكيم في "النوادر" عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتَّقُوا فِراسَةَ المُؤمِنِ فإنَّه يَنْظُرُ بنور الله عزَّ وجلَّ**».

ورواه الترمذيُّ في "جامعه" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ به مرفوعًا، ورواه ابن جريرٍ وأبو نعيمٍ مِن حديث ابن عمر، وهو حديثٌ حسنٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ والحافظ السيوطيُّ، ولم يُصِب ابن الجوزيِّ في الحكم عليه بالوضع، وهذا الحديث أصلٌ في الكشف الذي يقع لكثيرٍ من الأولياء؛ تجد الواحد منهم يكاشِف الشخص بما حصل له في غيبته كأنه كان حاضرٌ معه.

وفي "البخاري": «**مَن عادَى لي وَلِيًّا فقد آذَنْتُهُ بالحَرْبِ...**» الحديث، وهو أصلٌ فيما يُكرَم به الأولياء من إجابة الدُّعاء وفيما ينزل بمن آذاهم من البلاء.

وأخرج الطبسيُّ في "الترغيب" والديلميُّ في "مسند الفردوس" وأبو عبدالرحمن السُّلَميُّ في "الأربعين" التي له في التصوف بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن العَلْمِ كهَيْئَةِ المَكْنُونِ لا يَعْلَمُهُ إلَّا العُلَماءُ بالله تعالى، فإذا نَطَقُوا بِهِ لا يُنْكِرُهُ إلَّا**

أَهْلُ الغِرَّةِ بالله عزَّ وجلَّ».

وأخرج المروزيُّ في "زوائد الزهد" لعبدالله بن المبارك قال: حدَّثنا أبو معاوية: أنبأنا حجَّاجٌ، عن مكحولٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن أَخْلَصَ لله أربعين يومًا ظهرتْ ينابيعُ الحِكْمَةِ مِن قَلْبِهِ على لسانِهِ».

هذا إسنادٌ صحيحٌ لكنه مرسلٌ، وقد ورد موصولًا من حديث أبي أيوب في "حلية أبي نعيم" بإسنادٍ ضعيفٍ، وحديث ابن عبَّاسٍ القدسي: «إنما أتقبَّلُ الصَّلاةَ ممَّن تَواضَعَ لعَظَمَتي...» الحديث، وفيه: «أجعل له في الجَهَالَةِ عِلْمًا».

فهذه الأحاديث أصل فيما يُفاضُ علىٰ الأولياء مِن العلوم والمعارف والأسرار، مما قد يُنكِره بعض الأغرار، الذين يجهلون أو يتجاهلون فضل الله علىٰ عباده المخلصين، فيتهمون الأولياء بالزندقة والخروج علىٰ الدِّين.

ورأيت الذهبيَّ قال في ترجمة ذي النون المصري ما نصُّه: «كان ممن امتُحِن وأُوذي لكونه أتاهم بعِلْمٍ لم يعهدوه، كان أوَّل مَن تكلَّم بمصر في ترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء، فقال الجَهَلَةُ هو زنديقٌ قال السُّلَميُّ لما مات: أظلَّتِ الطيورُ جنازته»اهـ

وروىٰ الحاكم والخطيب بسندٍ صحيحٍ، عن إسماعيل بن إسحاق السراج قال: قال لي أحمد بن حنبلٍ: يبلغني أنَّ الحارث هذا -يعني المحاسبي- يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكانٍ أسمع كلامه، ففعلت وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا وصلُّوا العَتَمَةَ ثُمَّ قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوتٌ إلىٰ قريب نصف الليل، ثُمَّ أخذ الحارث في الكلام وكأنَّ علىٰ رؤوسهم الطير فمنهم مَن يبكي ومنهم مَن يَخِرُّ ومنهم مَن يزعق وهو في

كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد قد بكىٰ حتىٰ غشي عليه، فلما تفرَّقوا قال أحمد: ما أعلم أني رأيت مثل هذا ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلىٰ هذا فلا أرىٰ لـك صحبتهم».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب": «إنما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم؛ فإنه مقام ضيِّقٌ لا يسلكه كُلُّ أحدٍ، ويُخافُ علىٰ مَن يسلكه ألَّا يوفِّيه حقَّه».اهـ

وروىٰ الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد" قال: أخبرنا أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري: أنبأنا محمد بن الحسين السلميُّ قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يحكي عن ابن الأعرابي قال: قال أبو حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول: ما تقول فيها يا صوفي؟

٧٩- جواز التوسل بأولياء الله[1]

روىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ في "معجمه الكبير" و"الأوسط" قال: حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة: حدثنا روح بن صلاح: أخبرنا سفيان، عن عاصم، عن أنس رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجلس عند رأسها فقال: «**رَحِمَكِ اللهُ يا أُمِّي، كنتِ أُمِّي بعد أُمِّي، تَجُوعِينَ وتُشْبِعِينِي، وتَعْرَيْنَ وتَكْسُونَنِي، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطَّعامِ وتُطْعِمِينِي، تُريدينَ بذلك وَجْهَ الله والدَّارَ الآخِرَةَ**».

ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده ثم خلع قميصه فألبسها إياه، وكفَّنها ببردٍ فوقه، ثمَّ دعا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون.

فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل فيه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاضطجع فيه وقال: «**الله الذي يُحيي ويُمِيتُ وهو حَيٌّ لا يَمُوتُ، اغفر لأُمِّي فاطِمَةَ بِنتِ أسدٍ، ولَقِّنها حُجَّتها، ووَسِّعْ عليها مُدْخَلَها، بحَقِّ نبيِّك والأنبياء الذين مِن قَبْلي، فإنَّكَ أرحَمُ الرَّاحِمِينَ**». وكبَّر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكرٍ رضي الله عنهما. إسناده حسنٌ.

وفاطمة بنت أسد صحابية فاضلة قال الشَّعْبي: «أسلمت وهاجرت المدينة وماتت بها»، وقال الزبير بن بكار: «هي أول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثامنة العدد (٢) رمضان ١٣٧٧ .

فاطمة الزهراء عليها السلام».

تنبيهان:

الأول: فاطمة بنت أسد هي إحدىٰ الفواطم الواردة في الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم من طريق أبي فاختة، عن جعدة بن هبيرة، عن علي عليه السلام قال: أهدي إلي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حلة استبرق فقال: «**اجعلها خُمُرًا بين الفَواطِم فشققتُها أربعة أخمرة: خِمارًا لفاطمة بنت الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وخِمارًا لفاطمة بنت أسد، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: ولم يذكر الرابعة ولعلها امرأة عقيل أخي علي رضى الله عنها.

قلت: واسمها فاطمة بنت شيبة بنت ربيعة بن عبد شمس العبشمية، وقيل: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية أخت هند أم معاوية.

الثاني: فاطمة بنت أسد هذه غير فاطمة بنت أبي أسد المخزومية التي قطعها النبي بسبب سرقة حلي واستشفع أهلها وقومها إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بغير واحد حتىٰ استشفعوا بأسامة بن زيد حبه وابن حبه فقال له النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتشفع في حد من حدود الله؟!**» ولم يعفها من إقامة الحد عليها وقيل: اسمها فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد وبايعت.

وأما التوسل بغير الأنبياء فورد فيه الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجة وابن خزيمة في كتاب "التوحيد" والطبراني في "الدعاء" وأبو نعيم وغيرهم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَن

خَرَجَ مِن بيته إلى الصَّلاةِ فقال: اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ بحَقِّ السَّائِلِينَ عليكَ، وأسأَلُكَ بحَقِّ مَمْشَايَ هذا، فإنِّي لم أخرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِيَاءً ولا سُمْعَةً، وخَرَجْتُ اتِّقاءَ سُخْطِكَ وابتغاءَ مَرْضَاتِكَ، فأسأَلُكَ أن تُعِيذَني مِن النَّارِ وأن تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ أقبلَ الله عليه بوَجْهِهِ، واسْتَغْفَرَ له سبعون ألفَ مَلَكٍ».

ضعَّفه النوويُّ في "الأذكار" وليس كذلك، بل هو حديثٌ حسنٌ كما صرَّح به الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسي المالكي والحافظ العراقي والحافظ ابن حجرٍ العسقلاني، وله مع هذا شاهد من حديث بلال عند ابن السنِّي في "عمل اليوم والليلة"، ومن حديث أبي أمامة عند الطبراني في "الدعاء"، وهذا الحديث يفيد التوسل بحقِّ أرباب الخير على سبيل العموم كما قال ابن عِلَّان الصدِّيقي في شرح "الأذكار".

وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد مرسلًا: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستفتح بصعاليك المسلمين، وفي رواية: يستنصر بصعاليك المسلمين. وتقدم خبر استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما.

روى أبو يعلى من طريقين عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَيَأتينَّ على النَّاسِ زمانٌ يَخْرُجُ الجيشُ مِن جُيُوشِهِمْ فيُقَالُ: هل فيكم أحدٌ صَحِبَ محمَّدًا فتَسْتَنْصِرُونَ به فتُنْصَرُوا؟ ثُمَّ يُقَالُ: هل فيكم مَن صَحِبَ محمَّدًا؟ فيُقَالُ: لا. فمَن صَحِبَ أصحَابَهُ؟ فيُقَالُ: لا. فيُقَالُ: مَن رأى مَن صَحِبَ أصحابَهُ؟ فلو سَمِعُوا به مِن وراءِ البحرِ لأَتَوْهُ». قال

الحافظ الهيثميُّ: «رجال الطريقين رجال الصحيح».

وفي "أوسط معاجم الطبراني" عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«لن تَخْلُوَ الأرضُ مِن أربعين رَجُلًا مِثلَ إبراهيمَ خليلِ الرَّحمنِ، فبهم يُسْقَوْنَ وبهم يُنْصَرُونَ، ما ماتَ منهم أحدٌ إلَّا أبدلَ الله مكانَهُ آخَرَ»**.

قال سعيد وسمعت قتادة يقول: لسنا نشك أنَّ الحسن -يعني البصريَّ- منهم. قال الحافظ الهيثميُّ: «إسناده حسنٌ».

ففي الحديث إرشاد إلىٰ الاستشفاع بالأبدال وهم لا شك من الأولياء وفي الحديث الذي قبله الإفراز علىٰ الاستنصار بالصحابة والتابعين وفي هذا كفاية.

(٦)

مقالات في فضائل النبيِّ ﷺ

٨٠ - أول الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا[1]

عن ميسرة الفجر قلت: يا رسول الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: **«وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ»**.

رواه الإمام أحمد والبخاري في "التاريخ" والحاكم وصحَّحه، وقال الحافظ العسقلانيُّ والطبرانيُّ سنده قويٌّ، ورواه أبو الحسن بن بشران، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في كتاب "الوفاء" بلفظ: قلت يا رسول الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: **«لمَّا خَلَقَ اللهُ الأرضَ واسْتَوى إلى السماءِ فَسَوَّاهُنَّ سبعَ سمواتٍ وخَلَقَ العَرْشَ، كتبَ على سَاقِ العَرْشِ: محمَّد رسولُ الله خاتمُ الأنبياء. وخَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ التي أسكنها آدم وحوَّاء، فكتب اسمي على الأبواب، والأوراق، والقباب، والخيام، وآدم بين الرُّوح والجسد، فلمَّا أحياه الله تعالى نظرَ إلى العرش فرأى اسمي، فأخبره الله أنه سيِّد ولدك، فلمَّا غَرَّهُم الشيطانُ تابا واستشفعا باسمي إليه»**.اهـ

وإسناد هذه الرواية قويٌّ؛ لأنه عين إسناد الرواية الأولىٰ التي صحَّحها الحاكم، وقوَّاها الحافظ. وللحديث أمثال وشواهد صِحاحٌ أحصيناها في "الأحاديث المنتقاة".

وحاصل المعنى: أنَّ اللهَ أفاضَ علىٰ روح نبيِّه أو حقيقته المحمَّدية وصف النبوة قبل نفخ الرُّوح في آدم، وإفاضة النبوة في هذه الحالة تستلزم تقدُّم الخَلْق، ولهذا جاء من طرقٍ عن قتادة من رواية حاتمٍ وغيره **«كنتُ أوَّل النبيين في الخَلْقِ وآخِرهم في البَعْثِ»**.

قال المناويُّ "في شرح الجامع الصغير": «جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن

---

(١) مجلة الخلاصة (المسلم) السنة الثالثة العدد (٨) ربيع الأول ١٣٧٢.

معرفتها، وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت، ثُمَّ لما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر ظهر بكليته جسمًا وروحًا». اهـ

وفي حديث الإسراء عن أبي هريرة قال -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-: «**وجَعَلَني فاتحًا وخاتمًا**»اهـ، وأجاد في هذا المعنى الإمام الحافظ تقي الدين السبكي في رسالة "التعظيم والمنة".

وقول المحبين خلق الله نور محمد قبل الأشياء؛ لأن روحه الشريف كان موجودًا وموصوفًا بالنبوة قبل نفخ الروح في آدم والروح جسم نوراني لطيف كما حقَّقه ابن القيم وغيره، وإذا كان المراد حقيقته -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فهي أمر نوراني كذلك.

وقد ذكر بعضهم أنَّ المراد بهذا الحديث وما في معناه ثبوت نبوته -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- في علم الله وتقديره وهذا باطلٌ من وجوه:

الأول: أن نبوته -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- ثابتة في العلم والتقدير الإلهي منذ الأزل فتخصيصها في الحديث بوقت كون آدم بين الروح والجسد لغو يجب تنزيه الحديث عنه.

الثاني: أن نبوة الأنبياء جميعًا عليهم السلام ثابتة في العلم والتقدير فلم يبقى للنبي -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- خصوصية على غيره والحديث إنما ذكر لبيان الفضل والخصوصية فلابد أن يكون فيه معنى زائد لا يشاركه فيه نبي آخر وإلا كان الحديث عبثًا وهو باطل.

الثالث: أن الصحابة لما سألوه متى كنت نبيًا كانوا يعلمون أن نبوته ثابتة في علم الله وتقديره فهم بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدرًا زائدًا عن المعلوم لهم.

الرابع: أن عمر سأله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- «متىٰ جعلت نبيًّا»؟ وهذا اللفظ صريح في التصيير – أي متىٰ صيرك الله نبيًا – وهذا لا يتأتَّىٰ إلا في موجودٍ يصح اتصافه بالصفة التي صير إليها، كما تقول جعلت الذهب خاتمًا أي صيرتها كذلك، وقد كانت موجودة من قبل، غير أنها لم توصف بالخاتمية إلا بعد الجعل والتصير.

الخامس: أن وجود الأشياء في علم الله وتقديره لا يتصور فيها أسبقية وإنما الأسبقية في الخلق بمعنىٰ الإيجاد لا بمعنىٰ العلم.

فتبيَّن بهذا بطلان ما ذكره البعض من أنَّ المراد هو التنبي في العلم والقُدرة، وتعيَّن ما ذكرناه من أن الله أفاض علىٰ روح نبيِّه وحقيقته المحمدية وصف النبوة وآدم بين الروح والجسد تميزًا له علىٰ سائر المخلوقات، واصطفاء له من بين أنواع الموجودات، فهو خلاصة النوع الإنساني وسيد الثقلين وأبو الأنبياء صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .

٨١- من خصائص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[(١)]

عن جابرٍ رضي الله عنه: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدُ قَبْلِي، نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا فأيُّما رَجُلٌ مِن أُمَّتي أدركَتْهُ الصَّلاةُ فليُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنائِمُ ولم تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومِهِ خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً**».

خصائص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي اختص بها الأنبياء عليهم السلام كثيرة، ذكر أبو سعد النيسابوري في كتاب "شرف المصطفى" أنها بلغت ستين في العدد، وقد أفردت بالتأليف وهذ الحديث الذي نتكلم عنه الآن أفصح عن خمس من تلك الخصائص.

إحداها: نصره بالرعب، يلقى في قلوب أعدائه من مسيرة شهر، وإنما جعل الغاية شهرًا لأنه لم يكن بين بلده وبين أعدائه أكثر من ذلك، وهذه الخصوصية حاصلة له ولو كان وحده من غير جيشٍ.

ثانيها: جعل الأرض مسجدًا وطهورًا، ومعنى كون الأرض مسجدًا أنها مكان السجود لا يختص بالسجود موضع دون موضع، ولهذا قال: «**فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل**». إلا إذا كان المكان متنجِّسًا فلا يصلي فيه، أما الأمم السابقة فلم تبح الصلاة لهم إلا في أمكنة مخصوصة كالبيع والصوامع هكذا قال الخطابي.

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية، السنة الثانية، العدد (١٩) ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٥.

ويؤيده ما جاء في حديث آخر ولفظه: «**كان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم**». ومعنىٰ كون الأرض طهورًا: أن الإنسان إذا لم يجد الماء أو وجده ومنع من استعمله مانع من مرض ونحوه تيمَّم وصلىٰ، وهل يصح التيمم بكل ما في الأرض كحجر وتراب ورخام لم تدخله صنعة ونحو ذلك أو إنما يصح التيمم بالتراب فقط؟ رأيان للعلماء: ذهب المالكية إلىٰ الأول، وذهب الشافعية إلىٰ الثاني، والتيمم علىٰ كلا الرأيين من خصوصيات هذه الأمة لم يشرع لغيرها من الأمم.

ثالثتها: إحلال الغنائم وهي ما يغنم في الجهاد من الكفار قال تعالىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] أما السابقة فكانوا علىٰ ضربين: منهم من لم يؤذن له في الجهاد أصلًا فلم تكن لهم غنائم، ومنهم من أذن له في الجهاد لكن لم يحل لهم أكل الغنيمة ولا التصرف فيها بل كانوا يجمعون ما غنموه فتأتي نار تلتهمه.

رابعتها: الشفاعة والمراد بها الشفاعة العظمىٰ في إراحه الناس من هول الموقف ولا خلاف في وقوعها، كذا جزم به النووي وغيره، وقال البيهقي: لا يحتمل أن الشفاعة التي يختص بها أنه يشفع لأهل الصغائر والكبائر وإنما يشفع لأهل الصغائر دون الكبائر، وقيل الشفاعة التي اختص بها أنه لا يرد فيما يسأل، وورد في حديث آخر: «**وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئًا**». وفي رواية أخرىٰ: «**فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله**». وثبت في حديث صحيح: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

والمقصود: أن نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعطي شفاعات لكن المراد

عند الإطلاق هي الشفاعة العظمىٰ وهي المقام المحمود الذي وعده الله إياه بقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

خامستها: إرساله إلىٰ الناس عامة بخلاف من قبله من الأنبياء فإنهم كانوا يبعثون إلىٰ قومهم خاصة كما نطق القرآن العظيم، وهذا أمر واضح لا خفاء فيه غير أن بعض العلماء استشكل ذلك بأن نوحًا عليه السلام كانت بعثته بعد الطوفان عامة لأهل الأرض بدليل ما جاء في الحديث أن أهل الموقف حين يذهبون إلىٰ نوح في طلب الشفاعة يقولون له: «**أنت أول رسول إلىٰ أهل الأرض**».

والجواب أن بعثة نوح كانت خاصة كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] وأما بعد الطوفان فإن الله أهلك الكفار جميعًا ولم يبق إلا المؤمنين الذين كان نوح مرسلًا إليهم فاتفق عموم بعثته بسبب هذا الحادث وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس.

بخلاف نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فإن بعثته كانت عامة من أصلها لا بسبب حادث من الحوادث فثبتت خصوصيته بذلك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ إخوانه النبين والمرسلين وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

٨٢- توسل آدم بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم[١]

عن ميسرة الفجر قال: «قلت يا رسول متىٰ كنت نبيًّا؟» قال: «**لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سموات وخلق العرش وكتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه**».

فضائل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا تحصىٰ، ومزياه لا تستقصىٰ جعله الله نبيًّا وآدم بين الروح والجسد، وحكم ببقاء شريعته إلىٰ آخر الأمد، وأخذ العهد علىٰ النبين أن يؤمنوا به وينصروه، وعلىٰ المؤمنين أن يعزِّروه ويوقِّروه، وأقسم في القرآن بحياته، واختصه بمزيد القرب من بين سائر مخلوقاته، وبالجملة:

فإنَّ فَضْلَ رَسُولِ الله ليس لَهُ حَدٌّ فيُعْرِبَ عنه ناطِقٌ بفَمِ

وهذا الحديث يخبر عن جانب من جوانب الفضل الممنوحة لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذلك هو ما يتعلق بمبدأ أمره وأول نبوته.

فذكر هذا الحديث أن الله كتب اسمه علىٰ ساق العرش بوصفه الخاص به، وكذلك كتب اسمه علىٰ أبواب الجنة وقبابها وخيامها وأوراق أشجارها إظهارًا لتفوق قدره وعلو منزلته، وكان ذلك قبل أن ينفخ الله الروح في آدم كما في هذا

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد (١٨) ١٦ربيع الأول ١٣٦٥.

الحديث، وكما جاء في أحاديث أخرىٰ منها حديث أبي هريرة قال: قيل للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**».

وعن ابن عبَّاسٍ قال: قيل: يا رسول الله متىٰ كنت نبيًّا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**».

وعن الصنابحي: قال عمر رضي الله عنه: متىٰ جعلت نبيًّا؟ قال: «**وآدم منجدل في الطين**». أي طريح ملقي علىٰ الأرض قبل نفخ الروح فيه،

ولعل القارئ يسأل كيف يكون نبيًّا في ذلك الوقت مع أنَّ النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودًا، ولا يتصف به إلا بعد بلوغ أربعين سنة كما هو معروف؟

والجواب علىٰ ذلك أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات:

أحدها: حمل ذلك علىٰ الجعل العلمي والكون الكتابي أي كنت في علم الله وكنت مكتوبًا في الذكر وعلىٰ ساق العرش كذلك قبل نفخ الروح في آدم هذا رأي الغزالي، ويؤيده حديث العرباض ابن سارية قال سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبين وان آدم لمنجدل في طينته**». رواه أحمد والحاكم.

لكن تقي الدين السبكي ناقش الغزالي في رأيه هذا بما يعلم من مراجعته في كتاب "التعظيم والمِنَّه" فاختار التأويلين الآتيين.

ثانيها: أن تكون تلك الأحاديث تشير إلىٰ روحه الشريفة لأنه جاء في حديث عمرو بن عبسة أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، وعلىٰ

هذا فلا مانع أن يكون الله تعالىٰ أفاض علىٰ روحه الشريفة وصف النبوة، وأعلم آدم والملائكة بذلك ليعلموا قدره.

ثالثها: أن تكون الإشارة إلىٰ الحقيقة المحمدية التي جعلها الله قبل حقائق سائر الممكنات، وأهَّلها لهذا الوصف الكريم، وخلعه عليها بطريقة تقصر عقولنا عن إدراكها وعلىٰ هذا التأويل اتفقت كلمة الصوفية ويؤيده حديث أبي هريرة مرفوعا: «**كنت أول النبين في الخلق وآخرهم في البعث**». رواه أبو نعيم وله طرق.

وقد عرض زكي مبارك لهذا الرأي في كتاب "التصوف الإسلامي" ووصف الصوفية بالغلو في الحقيقة المحمدية، وأنهم حذوا حذوا المسيحيين فيما ادعوه عن الحقيقة العيسوية، وزعم أن الأحاديث السابقة باطلةٌ ما عدا الحديث المشروح فإنه لم يسمع به أصلًا.

وهذا الرجل أخرق أهوج هجَّام علىٰ ما لا علم له به دباب سباب وإني لأعجب كيف أخذ الدكتوراه بكتابه المذكور.

٨٣- حب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصل الإيمان[١]

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يُؤْمِنُ عبدٌ حتَّى أكونَ أحبَّ إليه منْ ولَدِه ووالِدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

قوله: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكمْ حَتَّى أكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ منْ ولَدِهِ...**» إلخ، قال القاضي عياضٌ وابنُ بطال وغيرُهما: «المحبة ثلاثةُ أقسام: محبةُ إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبةُ رحمةٍ وشفقةٍ كمحبةِ الولد، ومحبةُ مشاكلةٍ واستحسان كمحبةِ سائر الناس فجمعَ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أصنافَ المحبة في محبَّته».اهـ

وقال الخطابيُّ: «لم يُردْ بالحديثِ حبَّ الطبعِ، بل أراد به حبَّ الاختيار لأنَّ حبَّ الإنسان نفسَه طبعٌ ولا سبيل إلىٰ قلبِه فمعنىٰ الحديث: لا تصدُق في حبِّي حتَّىٰ تُفني في طاعتي نفسَك وتُؤثر رضاي علىٰ هواك وإن كان فيه هلاكُك».

وقال ابن بطال: «معنىٰ الحديث: أنَّ من استكمل الإيمان علمَ أنَّ حقَّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم آكدُ عليه من حقِّ أبيه وابنه والناس أجمعين لأنَّ به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم استُنقذْنا من النار وهُدِينا من الضلال».

وقال القاضي عياضٌ في "شرح مسلم": «ومن محبته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نُصرة سنَّته والذَّبُّ عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذُل نفسَه وماله دونه». قال: «وإذا تبين ما ذكرناه تبين أنَّ حقيقة الإيمان لا تتمُّ إلا بذلك ولا يصحُّ الإيمانُ إلا بتحقيق إعلاء قدر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومنزلته

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (١١) جمادىٰ الآخرة ١٣٧٥.

علىٰ كل والد وولد، ومحسن ومتفضل ومن لم يعتقدْ هذا واعتقد سواه فليس بمؤمنٍ». اهـ

وفي "صحيح البخاريِّ" عن عبد الله بنِ هشام أنَّ عمرَ بن الخطاب قال للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لأنتَ يا رسولَ الله أحبُّ إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبيَّ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«لنْ يُؤْمنَ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه منْ نفْسِهِ»**. فقال عمر: «والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحبُّ إلي من نفسي التي بين جنبيَّ». فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«الآنَ يا عُمَرُ»**. رواه البخاريُّ في كتاب الأيمان والنذور.

وروىٰ ابن إسحاق في "السيرة" والبيهقي في "الدلائل" أنَّ امرأةً من الأنصار قُتل أبوها وأخوها وزوجُها يوم أحد مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: ما فعل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قالوا: خيرًا هو بحمدِ الله كما تحبِّين. فقالت: أرُونِيه حتىٰ أنظرَ إليه. فلما رأته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جللٌ. أي صغيرة.

وقال عليٌّ رضي الله: **«كانَ رسولُ الله أحبَّ إلينا منْ أموالِنا وأوْلادِنا وآبائِنا وأمَّهاتِنا ومنَ الماءِ الباردِ على الظَّمأ»**.

قال سهلُ بنُ عبد الله التُّستَريُّ: «من لم يرَ ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ويرَ نفسَه في ملكه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يذوقُ حلاوةَ سُنَّته لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«لا يؤْمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه منْ نفسِه»**الحديث». اهـ

وقال القرطبيُّ: «كلُّ من آمنَ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إيمانًا

صحيحًا لا يخلو عن وجدانِ شيء من تلك المحبَّة الراجحة إلا أنَّهم متفاوتُون فمنهم من أخذَ من تلك المرتبة بالحظِّ الأوفىٰ ومنهم من أخذَ بالحظِّ الأدنىٰ كمن كان مُستغرقًا في الشهواتِ محجوبًا في الغفلاتِ، في أكثر الأوقات لكن الكثير منهم إذا ذَكر النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اشتاق إلىٰ رؤيته بحيث يُؤثرها علىٰ أهله وماله وولده ويبذُل نفسَه في الأمور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شُوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية آثاره علىٰ جميعِ ما ذكر لما وقر في قلوبِهم من محبته، غير أنَّ ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات». انتهىٰ

والكلامُ في محبَّته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بحرٌ واسعٌ نقتصرُ من جواهرِه علىٰ ما التقطْناه. وما توفيقُنا إلا بالله.

٨٤- حنين الجذع معجزة أكبر من إحياء الموتى[(١)]

عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كانَ جِذْعٌ يقومُ عليه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلما وُضِعَ له المنبرُ سمِعْنا للجِذْعِ مثلُ أصواتِ العِشَارِ حتَّىٰ نزلَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسَلَّم فوضَعَ يدَهُ عليهِ فسَكتَ».

رواه البخاريُّ في "صحيحه" وله طرقٌ عن جابر وبُريدةَ وعائشةَ وابن عمر وأنسٍ وأبيِّ بن كعب، وأبي سعيد الخدريِّ وابن عبَّاسٍ وأمِّ سلمةَ وسهل بنِ سعدٍ وغيرِهم.

وروىٰ أبو حاتم الرازيُّ الإمامُ العلم عن شيخِه عمرو بن سواد قال: قال لي الشافعيُّ: «ما أعطىٰ الله تعالىٰ نبيًّا ما أعطىٰ محمَّدًا، قلت: أعطىٰ عيسىٰ إحياء الموتىٰ، فقال: أعطىٰ محمَّدًا حنينَ الجِذعِ فهذا أكبرُ منْ ذلك».

قوله: كان جِذْعٌ يقوم إليه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أي يتكئ عليه حال الخطبة وذلك قبل أن يُصنع له المنبرُ، فلما صُنع له خطب عليه فسُمع للجِذعِ -بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة -مثلُ أصوات العِشار -بكسر العين- جمع عُشَرَاءَ وهي الناقةُ التي لحملِها عشرةُ أشهرٍ أو الحامل مطلقًا.

قوله: «فوضعَ يدَه عليه فسَكتَ» في رواية للبخاريِّ: «فنزل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وضمَّها إليه -أي: السارية التي هي الجِذعُ- فجعلت تئنُّ أنين الصبيِّ الذي يُسَكَّنُ، قال: كانت تبكي علىٰ ما كانت تسمع من الذِّكر عندها».

ولهذا الحديث طرق في "البخاري" و"مسند أحمد" ولا بأس أن نشير إلىٰ عزو الطرق المشار إليها في المتن، مع بيان ما في بعضها من الزوائد.

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (٢) رمضان ١٣٧٦.

فحديث بريدةَ عن أبيه وفيه من الزيادة ما نصُّه: فرجعَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوضعَ يده عليه وقال: «**اخترْ أنْ أغرِسَكَ في المكانِ الذي كنتَ فيه فتكونَ كما كنتَ، وإنْ شئتَ أنْ أغرسَكَ في الجنَّة فتشربَ منْ أنهارِها وعيونِها فيحْسُن نبتُكَ وتثمرُ فيأكلُ أولياءُ الله من ثَمَرتِكَ**». فسمعه النبيُّ يقول: «**نعم قد فعلتُ مرَّتَينِ**». فسُئل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اختارَ أنْ أغرسَهُ في الجنَّة**».

وحديث عائشةَ رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وأبو نُعيم والبيهقيُّ في "الدلائل" بنحو حديثِ بريدةَ.

وحديثُ ابن عمر رواه البخاريُّ وأحمد، وحديثُ أنس رواه أحمد والترمذيُّ وابن ماجه والدارميُّ وأبو يعلىٰ وأبو نُعيم والبيهقيُّ وفيه: خار الجذعُ كخُوار الثَّور حتىٰ ارتجَّ المسجد بخُواره فنزل إليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فالتزمه فسكت فقال: «**والذِي نفسِي بيدِه لو لم ألتزِمْهُ لما زال هكذا إلى يومِ القيامة حزنًا على رسُول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**». قال الترمذيُّ: «صحيحٌ غريبٌ».

ورواه البغوي من طريق الحسن عن أنس وزاد بعده فكان الحسن -يعني البصري- إذا حدث بهذا الحديث بكىٰ ثم قال: يا عباد الله؛ الخشبة تحن إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شوقًا إليه لمكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا إلىٰ لقائه.

وروىٰ الزبير بن بكار في "أخبار المدينة" عن المطلب بن أبي وداعة قال: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يسند ظهرَه إلىٰ جذعٍ في المسجد إذا خطب

فلما جُعل له المنبرُ وجلس عليه خار الجذعُ خُوار الثَّور فأقبل عليه حتى التزمه فسكنَ. وقال: لا تلومُوه فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يفارقْ شيئًا إلا وَجِدَ-أي حزن-عليه.

قال البيهقيُّ: «قصة حنين الجذْع من الأمور الظاهرة التي حمَّلها الخلف عن السَّلف».

وقال القاضي عياض: «حديثُ حنينِ الجذْعِ مشهورٌ منتشرٌ والخبر به متواترٌ أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة تسعةَ عشرَ ثم ذكر عشرة من الصحابة».

وقال التاج السبكيُّ في "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب": «والصحيح عندي أنَّ حنين الجذع متواترٌ وبعد أنْ عدد طرقه قال: ولست أدعي أنَّ التواتر حاصلٌ بما عددتُ من الطرق، بل من طرق أخرى كثيرة، يجدها المحدِّث ضمنَ المسانيد والأجزاء وغيرها».

ولا شكَّ أن معجزةَ حنين الجذع أكبر من إحياء الموتى كما قال الإمام الشافعي لأنَّ حنين الجماد وبكاءه كالطفل أبعد وأغربُ من عودة الحياة إلى جسم كان حيًّا وستعود إليه الحياة عند بعثته، فالميت ليس بجَمادٍ صِرْفٍ بل من شأنه الحياة كما لا يخفى.

٨٥- حديث توسل آدم بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[(١)]

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لما اقْترفَ آدمُ الخطيئةَ قال: يا ربِّ أسألُكَ بحقِّ محمَّدٍ إلا غفرتَ لي، فقال الله تعالى: يا آدمُ كيفَ عرَفتَ محمَّدًا ولم أخلُقْه بعد. قال لأنكَ لما خلقْتَنِي بيدِك ونفخْتَ فيَّ من رُوحِكَ رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائمِ العرشِ مكتوبًا: «لا إله إلا الله محمَّدٌ رسولُ الله»، فعلمتُ أنَّكَ لم تُضِفْ إلى اسْمِكَ إلا أحبَّ الخلقِ إليكَ. فقال الله تَعالى: صدقتَ يا آدمُ إنَّه لأحبُّ الخلقِ إليَّ، وإذ سألتَني بحقِّه غفرتُ لكَ، ولولا محمَّدٌ ما خلقتُكَ وما غفرتُ لكَ**». رواه الحاكم وقال: «صحيحُ الإسنادِ» وتعقَّبه الذهبيُّ فقال: «بل موضوعٌ».

وزعم ابن تيمية في "الردِّ علىٰ البكريِّ" أنَّ هذا الحديث ليس له إسناد صحيحٌ ولا حسنٌ ولا ضعيفٌ يستأنس به، ولا هو موجود في كتب الحديث المعتمدة لا "المستدرك" ولا غيره.!!

وهذا من جملة إطلاقاته التي يريد بها التَّهويل والتشغيبَ وليس ذلك بنافعِه شيئًا، فالحديثُ رواه الحاكمُ في "المستدرك"، والطبرانيُّ في "المعجم الأوسط" و"الصغير"، والبيهقي في "دلائل النبوة".

وهو ضعيفٌ فقط كما صرَّح به البيهقيُّ في "دلائل النبوة"، وقال الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" (ص ٢٥٣ ج ٨) بعد أنْ عزاه للطبرانيِّ: «فيه من لم أعرفْهم».

ثم إنَّ ضعفَه قريبٌ لأنَّ له شاهدًا قويًّا، فروىٰ أبو الحسين بن بشران من

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (٥) ذي الحجة ١٣٧٤.

طريق محمد بن سنان العوفيِّ: حدثنا إبراهيم ابن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شفيق، عن ميسرة الفجر، قال: قلت: يا رسول الله، متىٰ كنت نبيًّا؟ قال: «**لما خلَقَ الله الأرضَ واسْتَوَى إلى السَّماءِ فسَوَّاهن سَبعَ سماواتٍ وخلقَ العرشَ؛ كتبَ على ساقِ العرشِ: محمَّدٌ رسولُ الله خاتمُ الأنبياءِ، وخلَقَ الله الجنةَ التي أسكنَها آدمَ وحوَّاءَ فكتبَ اسْمِي على الأبوابِ والأوراقِ والقبابِ والخيامِ، وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ، فلمَّا أحيَاهُ الله نظرَ إلى العرشِ فرأى اسْمِي، فأخبرَه الله أنَّه سيِّدُ ولدِك، فلمَّا غرَّهما الشَّيطانُ تَابَا واسْتَشْفَعا باسْمِي إليه**». وهذا إسنادٌ قويٌّ كما قال الحافظُ.

وقال الآجريُّ في "الشريعة": حدثنا هارون بن يوسف التاجر: حدثنا أبو مروان العثماني: حدثني أبو عثمان بن خالد، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: «**منَ الكلماتِ التي تابَ بها الله على آدمَ قال: اللهُمَّ أسألكَ بحقِّ محمَّدٍ عليكَ، قال الله تعالى: وما يُدرِيكَ ما محمَّدٌ. قال: يا ربِّ، رفعتُ رأسِي فرأيتُ مكتوبًا على عرشِك: لا إله إلا الله محمَّدٌ رسولُ الله، فعلمتُ أنَّه أكرَمُ خلقِكَ**».

وأخرج ابنُ المنذر عن أبي جعفر الباقر عليه السَّلام قال: لما أصابَ آدمُ الخطيئةَ عَظُم كربُه واشتدَّ ندمُه فجاءَه جبريلُ عليه السَّلام فقال: يا آدمُ هل أدلُّك علىٰ بابِ توبتِكَ الذي يتوبُ الله عليك منه؟ قال: بلىٰ يا جبريلُ. قال: قم في مقامِكَ الذي تُناجِي فيه ربَّك فمجِّدْه وامدحْه فليسَ شيءٌ أحبَّ إلىٰ الله من المدح. قال: فأقولُ ماذا يا جبريل؟ قال: فقل: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ يحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ بيده الخيرُ كلُّه وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. ثم تبوءُ بخطيئتِك فتقولُ: سبحانك اللهمَّ وبحمدِك لا إله إلا

أنتَ، ربِّ إني ظلمتُ نفسي وعملتُ السُّوءَ فاغفرْ لي إنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنت، اللهمَّ أسألكَ بجاهِ محمَّدٍ عبدِك وكرامتِه عليكَ أنْ تغفرَ لي خطيئتي.

قال ففعلَ آدمُ، فقال الله: يا آدمُ من علَّمك هذا. قال: يا ربِّ إنك لما نفخْتَ فيَّ الرُّوحَ فقمتُ بشرًا سويًّا أسمعُ وأبصرُ وأعقلُ وأنظرُ، رأيتُ على ساقِ عرشِك مكتوبًا: بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ، لا إله إلا الله وحْدَه لا شَريكَ له محمَّدٌ رسولُ الله. فلمَّا لم أرَ على أثرِ اسْمِك اسمَ ملَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَل غيرَ اسمِه، علمتُ أنَّه أكرمُ خلقِكَ عليكَ. قال: صدقتَ، وقد تبتُ عليكَ وغفرتُ لك.

فحديثُ توسُّل آدمَ ضعيفٌ يرتقي بشواهده إلى رتبة الحسنِ لغيره، لاسيما حديث ميسرة فإنه بمفرده حسنٌ.

(تنبيهات): **الأول**: قوله في الحديث «**ولولا محمَّدٌ ما خلَقْتُكَ**» وردَ له شاهدٌ عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا ومرفوعًا، روى الموقوفُ الحاكم في "المستدرك"، وروى المرفوع الديلميُّ في "مسند الفردوس" وقد ذكرتهما بإسنادهما في كتاب "الرد المحكم المتين" كما أبطلتُ هناك دعوى الذهبيِّ وضعَ الحديث وتوسعت في الكلام عليه توسعًا بالغًا من (ص ١٣٠ إلى ص١٥٢).

أمَّا زيادة «**وما غفَرْتُ لكَ**» فقد تفرد بذكرها المؤلفُ ولم نجدْها في شيء من طرق الحديث وألفاظه، والله أعلم.

والثاني: يؤخذ من أثر أبي جعفر الباقر عليه السلام أدبُ الدعاء والتوسل، وذلك بأن يبدأ الدَّاعي بالثناء على الله ليرضى عنه، ثمَّ يثنِّي بالتوسل بأحب خلقه إليه فيقبل شفاعته ويجيب طلبه.

الثالث: أوردَ الأذرعيُّ هذا الحديثَ باعتبار أنَّ الدعاء الوارد فيه من مكفراتِ الذنوبِ، فينبغي للعاصي أن يتوسَّل إلىٰ الله بنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في محوِ أوزارِه وغفرانَ ذنوبِه.

٨٦- إسلام قرين النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[(١)]

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما منكُم مِن أحدٍ إلَّا وقدْ وُكِّلَ به قَرِينُهُ مِن الجنِّ وقَرِينُهُ مِن الملائكة، قالوا وإيَّاك يا رسولَ الله؟ قال وإيَّاي، إلَّا أنَّ اللهَ أعانَني عليه فأَسْلَمَ فلا يأمُرُني إلَّا بخيرٍ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قال النوويُّ: «أسلمُ» برفع الميم وفتحِها روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه فأسلمُ أنا مِن شَرِّه وفتنته، ومَن فتح قال: إنَّ القرين أسلمَ من الإسلام وصار مؤمنًا لا يؤمرني إلَّا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابيُّ: الصحيح المختار الرفع. ورجَّح القاضي عياضٌ الفتح، وهو المختار لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فلا يأمُرني إلَّا بخيرٍ**».

واختلفوا علىٰ رواية الفتح قيل أسلم بمعنىٰ استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا في غير "صحيح مسلم": فاستسلم، وقيل: معناه صار مسلمًا مؤمنًا وهذا هو الظاهر.

قال القاضي: واعلم أنَّ الأمة مجتمعةٌ علىٰ عصمة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه.

قلت: الصحيح الراجح ما رجحه عياض والنووي، أنه أسلم من الإسلام لما رواه البزار عن أبي هريرة مرفوعًا: «**فُضِّلتُ على الأنبياءِ بخصلتينِ: كانَ شَيطاني كافرًا فأعانَني الله عليه حتَّى أسلمَ ونسيتُ الأُخْرَى**».

وللبيهقي في "الدلائل" بإسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعًا: «**فُضِّلتُ**

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (١٢) رجب ١٣٧٥.

على آدمَ بخصلتَينِ: كانَ شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه حتَّى أسلمَ، وكنَّ أزواجِي عونًا لي، وكان شيطانُ آدم كافرًا، وزوجُه عونًا على خطيئَتِه».

وعلىٰ هذا درجَ أصحابُ الخصائص فعدُّوا من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إسلام قرينه، وفي الحديث الإخبار بوجود القرين مع كل واحد منا، لنحترز من وسوسته وفتنته وإغوائه.

روىٰ الطحاويُّ في "مشكل الآثار" حديث ابن مسعودٍ كما في "صحيح مسلم"، وروىٰ من طريق مجالد عن الشَّعبيِّ عن جابر قال: قال لنا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تدْخُلُوا على المُغِيبَاتِ** -جمع مُغيبةٍ وهي المرأة التي غاب عنها زوجُها بسفر أو غيره- **فإنَّ الشَّيطانَ يجري منْ أحدِكُم مجْرَى الدَّمِ، قيل: ومنكَ يا رسُولَ الله؟ قال: ومنِّي لكنَّ الله أعانَني عليهِ فأسْلمَ**».

وروىٰ أيضًا عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة وكان معي علىٰ فراشي فوجدتُه ساجدًا. وذكرت الحديث قالت: فلما انصرف قال: «**يا عائشةُ أخدعَكِ شيطانُك، فقالت: أما لكَ شيطانٌ؟ قال: ما منْ آدميٍّ إلا وله شيطانٌ فقلتُ: وأنتَ يا رسول الله؟ قال: وأنا، ولكنِّي دعوتُ الله فأعانَني عليه فأسلمَ** ».

قال الطحاويُّ: «فوقفنا بهذا علىٰ أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان في هذا المعنىٰ كسائر الناس، وأن الله أعانه عليه بإسلامه فصار بالسلامة منه، بخلاف غيره من الناس».

ثم قال الطحاوي: «فإن قال قائل: قد روي في هذا الباب شيء يجب الوقوف عليه لرفع التضاد عما خص به من إسلام شيطانه».

ثم أسند من حديث صفوان الأنصاريِّ أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**بسمِ الله وضَعْتُ جَنْبي، اللهُمَّ اغفرْ لي ذنْبي، وأخْسِيء شيطاني، وفُكَّ رهَاني، وأثقِلْ مِيزاني، واجعَلْني في النَّدِيِّ الأعْلَى**».

قيل له هذا عندنا والله أعلم كان من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل إسلام شيطانه، فلما أسلم استحال أن يدعو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه بذلك مع إسلامه الذي هو عليه».

٨٧- توجيه حديث: يا فاطمة سليني[1]

لفظ الحديث معروف لكثرة إلحاح المتمسلفين عليه، وكثرة رد أهل السنة ولفظة: «**يا فاطمةُ بِنت محمَّدٍ سَلِيني منْ مالي ما شئتِ أنقذِي نفسَكِ من النار فإنِّي لا أُغني عنكِ منَ الله شيئًا**». وذا طرَفٌ من حديث طويل ثبت في الصحيحين وغيرهما وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة:

الأول: أنَّ هذا الحديث أخبر بالحقيقة فإنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يغني عن أحد من الله شيئًا ولا يملكُ لأهله ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، وهذا لا ينافي أن الله يُملكه نفع أقاربِه وجميع أمته بالشَّفاعة الخاصة والعامة وقد فعل فأعطاه عدة شفاعاتٍ كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما، فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه عزَّ وجلَّ، وقد ملكه الله الشفاعة وغيرها من المكرمات. ذكر هذا المعنى الحافظُ المحبُّ الطبريُّ في "ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القربى".

الثاني: أنَّ هذا الحديثَ كان قبل أنْ يعلمَه الله بأنه ينفعُ يوم القيامة رحمه وأقاربه بالانتساب إليه دونَ غيره ذكره السَّيدُ السمهوديُّ في "جواهر العقدين" ويؤيده أنَّ الحديثَ ورد عند نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكان ذلك بمكة في أوائل بعثةِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الثالث: أن يكونَ المقصودُ من الحديث تحذيرهُم من الشرك وأنه لا يملك

(١) المسلم، السنة التاسعة، العدد (١١) ١٢ جمادى الآخرة ورجب ١٣٧٩.

لهم من الله شيئًا إنْ أشركوا أو استمرَّ من كان منهمْ مشركًا على إشراكه لأن المشرك لاحظَّ له في الشفاعة ويؤيد هذا أمور:

أحدها أنَّ أغلبَ أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يعلم من سببِ ورود الحديث.

ثانيها: أنَّه وجَّه الخطاب إلى جميعِ أقاربِه مؤمنيهم ومشركيهم فوجب أن يكونَ على وتيرة واحدةٍ هي التَّحذير من الشركِ كما هو واضح.

ثالثها: ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أيْ عمِّ قلْ لا إله إلا الله كلمةٌ أحاجُّ لكَ بها عندَ الله**». فأفاد هذا الحديثُ أنه يملك نفعَه ويحاجُّ عنه إذا هو مات على التوحيد.

وقد روى أحمدُ والحاكمُ والبيهقيُّ من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل، عن حمزةَ بن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول على المنبر: «**ما بالُ رجالٍ يقولُون إنَّ رحِمَ رسولِ الله لا تنفعُ يومَ القيامة؟! بلى والله إنَّ رَحِمِي موصولةٌ في الدنيا والآخرةِ وإنِّي أيُّها الناسُ فرطٌ لكُمْ على الحوْضِ**».

فهذا الحديثُ ورد بالمدينةِ وقد أنكر فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم وقرَّر أنَّ رحمَه موصولةٌ في الدنيا والآخرة وأنه بجانبِ هذا ينفع أمته أيضًا حيثُ يكون فرَطًا لهم على الحوضِ وهذا يؤيد ما قررناه، والحمد لله.

وعن جابر أنه سمع عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه يقولُ للناس حين تزوَّج ابنة عليٍّ رضي الله عنهما: ألا تهنوني؟ سمعت رسول الله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم يقول: «**ينقَطِعُ يومَ القيامةِ كلّ سَببٍ ونَسبٍ إلا سَبَبي ونَسَبي**».

رواه الطبرانيُّ والدارقطنيُّ وقال الحافظُ الهيثميُّ: «رجالُه رجالُ الصَّحيح غير الحسنِ بنِ سهلٍ وهو ثقةٌ».

قلت: وصححه أيضًا التاج السُّبكيُّ في أول "طبقات الشافعية الكبرىٰ" وللحديث مع هذا طرقٌ عن عمر وابن عبَّاسٍ والمسْوَر بن مخرَمَةَ وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وغيرهم.

(٧)

مقالات حول مباحثات مع المعاصرين

٨٨- قصة الأعرابي وقصة الفلاح[1]

يقولُون أمَّا الميت من الأنبياء والصالحين فلم يشرعْ لنا أن نقولَ ادعُ لنا ولا اسألْ لنا ربَّك. (وهذه دعوىٰ باطلة).

بل شرع لنا ذلك بالنِّسبة للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] فهذه الآيةُ عامَّةٌ تشملُ حالة الحياة وحالة الوفاة وتخصيصها بأحدِهما يحتاجُ إلىٰ دليل وهومفقودٌ هنا.

فإن قيل: من أينَ أتىٰ العموم للآية حتىٰ يكونَ تخصيصُها بحالةِ الحياة دعوىٰ تحتاج إلىٰ دليل؟

قلنا: من وقوعِ الفعل في سياق الشَّرط والقاعدةِ المقرَّرة في الأصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عامًّا؛ لأنَّ الفعلَ في معنىٰ النكرة لتضمنه مصدرًا منكرًا والنكرةُ الواقعة في سياق النَّفي أو الشرط تكون للعموم وضعًا.

وقد ذكر ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية حكاية الأعرابيِّ المشهورة وقد أخرجها البيهقيُّ "الشُّعب"، وابنُ الجوزيِّ في "مثير الغرام الساكن"، وابن عساكر في "التاريخ":

عن محمَّد بن حرب الهلاليُّ قال: دخلتُ المدينة فأتيتُ قبرَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فزرتُه وجلست بحذائِه فجاء أعرابيٌّ فزاره ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (٧) صفر ١٣٧٧.

جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]. وإني جئتك مستغفرًا ربَّك من ذنوبي مستشفعًا فيها بك.

وفي رواية: وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربِّي. ثم بكى وأنشد يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقَاعِ أعظُمُهُ ... فطابَ من طِيبِهنَّ القاعُ والأكَمُ
نفسِي الفِداءُ لقَبرٍ أنتَ ساكنُهُ ... فيه العفَافُ وفيهِ الجُودُ والكَرَمُ

ثم استغفر وانصرف فرقدت فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في نومي وهو يقول: «**الحق الرَّجُلَ وبشِّرْه أنَّ الله قد غفرَ له بشَفَاعَتِي**». فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده.

قال الحافظُ ابنُ عبدالهادي المقدسيُّ: «هذه الحكايةُ بعضُهم يرويها عن العتبيِّ بلا إسنادٍ، وبعضُهم يرويها عن محمَّد بن حرب الهلاليِّ، وبعضهم يرويها عن محمَّد بن حرب، عن أبي الحسن الزعفرانيِّ عن الأعرابيِّ.

وقد ذكرها البيهقيُّ في كتاب "شعب الإيمان" بإسناد مظلمٍ عن محمَّد بن رُوح بن يزيد البصريِّ: حدثنا أبو حرب الهلالي قال: حجَّ أعرابيٌّ فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أناخَ راحلته فعقلَها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ثم ذكر نحو ما تقدم».

قلت: فغايةُ ما ذكره يقتضي أنْ تكونَ الحكاية ضعيفةً إذ لم يُذكر في رواتها من هو كذابٌ أو متهمٌ بالكذب لاسيما وقد ذكرها الحافظُ ابنُ كثير ولم يتعقبْها، وكذلك أخرجَها البيهقي كما تقدم، وذكرها أيضًا الحافظ السَّخاوي في "القول البديع".

على أنَّنا لم نذكرها استدلالًا واحتجاجًا[١] وإنَّما ذكرناها استئناسًا وإيضاحًا لما قدمناه منْ أن الآية تفيد العمومُ حيثُ إنَّ، الأعرابيَّ وهو عربيٌّ فهم منها ذلك مع إخبارِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الرُّؤيا بأن الله غفر له بشفاعته فيه.

ثم وجدتُ لهذه القصَّة شاهدًا:

قال ابن السَّمعاني في "الدلائل": أخبرنا أبو بكر هبة الله بن الفرج: أنا أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف الخطيب: أنا أبو القاسم عبدالرحمن بن عمر بن تميم المؤدِّب: حدثنا علي بن إبراهيم بن علان: أنا علي بن محمد بن عليٍّ: حدثنا أحمد الهيثم الطائيٍّ: حدثني أبي، عن أبيه، عن سلمة بن كُهَيل، عن أبي صادق، عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم أعرابيٌّ بعدما دفنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرمى بنفسه على قبره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحثَا من ترابِه على رأسه وقال: يا رسولَ الله قلت فسمعنا قولك، ووعيتَ عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: «أنه قد غفر لك».

نقله الحافظُ السيوطيُّ في "تنوير الحلك" وقد أشار ابن عبدالهادي في "الصارم المنكِي" إلى هذا الأثر وقال: «وضعَ إسنادَه بعضُ الكذَّابين» ولم يبين

(١) لأننا لا نستدل بالحكايات ولا نحتج بها.

ذلك بدليل، وابن عبدالهادي -مع حفظه- متعنت في التعصب لرأيه.

فإن قيل: طلبُ الدعاء والشفاعة من الحيِّ معقولٌ لأنَّ الحيَّ يدعو ويشفع كما كان الصحابة في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يسألونه الدعاء فيدعوا لهم ويطلبون الاستغفارَ فيستغفرُ لهم، وأما الميت فكيف يعقلَ منه الدعاء والاستغفار حتىٰ يقال بجواز طلبهما منه، بل هو مشغول بما هنالك عما هنا لا يدري ماذا يجري في هذه الدار من منافع ومضار؟!.

فعدم جواز طلب الدعاء ونحوه من الميت لعدمِ أهليتِه لذلك، ولهذا وجب تخصيص الآية السابقة بحالة الحياة للقطع بأن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ لم يبقَ له تعلّق بهذه الدار ولا بما فيها.

فالجواب: أن الأمر ليس علىٰ ما توهمه هذا القائل وادعاؤه القطع بانقطاع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن أمته بعد وفاته ممنوع.

فقد ثبت بالتواتر والإجماع أنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم، وثبت أنَّ نبيَّنا يستغفر لسيئات أعمالنا كما في حديث عرض الأعمال وهو حديث صحيح.

ووقعت حادثة تشهد بصحة ذلك ذكرها المقريزي في كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" فقال ما نصه: «وقع في آخر هذا الغلاء أعجوبة في غاية الغرابة لم يسمع بمثلها، وهي أن رجلًا من أهل الفلح بجبة عسال -إحدىٰ قرىٰ دمشق- خرج بثور له ليرد الماء فإذا عدة من الفلاحين قد وردوا الماء فأورد الثور حتىٰ إذا اكتفىٰ نطق بلسان فصيحٍ أسمع من بالمورِد وقال: الحمد لله والشكر له إنَّ الله تعالىٰ وعد هذا الأمة سبْعَ سنين مجدبة فشفعَ لهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنَّ الرسول أمره أن يبلغ ذلك وأنه قال: يا رسول الله فما

علامة صدقي عندهم؟ قال أن تموت بعد تبليغ الرسالة وأنه بعد فراغ كلامه صعد إلى مكان مرتفع وسقط منه ومات.

فتسامع به أهلُ القرية وجاءوا من كلِّ حدبٍ ينسلون فأخذُوا شعره وعظامَه للتبرك فكانوا إذا بخَّروا به موعوكًا برئ وعمل بذلك محضر مثبوتٌ على قاضي البلد وحمل إلى السُّلطان بمصرَ فوقف عليه الأمراء واشتهر بين الناس خبرُه وشاع ذكره.

وذكرها أيضًا في كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" فهذه معجزةٌ عظيمةٌ شاهدة بأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم أحوالَ أمته ويشفعُ لهم، وإذا كان كذلك جاز لنا أنْ نطلبَ منه الاستغفار ونحوه أخذًا بعموم الآية كما قدمنا.

وادعاءُ تخصيصها لم يقمْ عليه دليلٌ، بل ثبتَ لمطلق موتى المؤمنين أنهم يشعرُون بمن يسلِّم عليهم ويردون عليه السلامَ ويستأنسون به ما دام جالسًا عندهم إذا كانوا يعرفونه في الدنيا فكيفَ يمتنع الدعاء منهم في هذه الحالة؟ بل هو ممكنٌ جائز ليس في العقل ما يحيلُه ولا في الشرع ما يمنعُ منه.

٨٩- حول توسل عمر بالعباس[1]

قال الحافظُ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب" ما نصُّه: «الترغيب في صلاة الحاجة ودعائها، عن عثمان بن حُنَيف رضي الله عنه أنَّ أعمىٰ أتىٰ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله ادع الله لي أنْ يكشفَ لي عن بصري؟ قال: «**أو أدعك**». قال يا رسول الله: إنه قد شقَّ عليَّ ذهاب بصري.

قال: «**فانْطلقْ وتَوضَّأْ ثمَّ صلِّ ركعتَينِ ثمَّ قل: اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّه إليك بنبيِّكَ محمَّدٍ نبيِّ الرحمةِ يا محمَّدُ إنِّي أتوجَّه إلى ربِّي بكَ أنْ يكشفَ لي عن بصَرِي اللهمَّ شفِّعْهُ فِيَّ وشفِّعْنِي في نفسِي**». فرجعَ وقد كشفَ الله عن بصره.

رواه الترمذيُّ وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ»، والنسائيُّ واللفظ له، وابن ماجه وابن خزيمة في "صحيحه"، والحاكمُ وقال: «صحيح علىٰ شرط البخاريِّ ومسلمٍ». وليس عند الترمذي: «**ثمَّ صلِّ ركعَتَينِ**».

ورواه الطبرانيُّ وذكر في أوله قصة؛ وهي أنَّ رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بنِ عفان رضي الله عنه في حاجة له.

وذكر القصة بتمامها ثم قال: «قال الطبرانيُّ بعد ذكر طرقه: والحديث صحيح».

هذا كلامُ الحافظ المنذريِّ بنصِّه، وكذا نقل تصحيح الطبرانيِّ، ووافقه الحافظ الهيثميُّ في باب صلاة الحاجة من "مجمع الزوائد".

كما وافق علىٰ تصحيح الحديث أيضًا الحافظُ أبوعبدالله المقدِسيُّ، صاحبُ"المختارة"، والحافظُ عبدالغنيِّ المقدسيُّ في كتاب "النصيحة"، والإمامُ

---

(١) المسلم، السنة السابعة العدد (١٢) رجب ١٣٧٧ .

النوويُّ في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب "الأذكار"، وابن تيمية في غير موضع من كتبه، والحافظ السخاويُّ في "القول البديع"، والحافظ السيوطيُّ في "الخصائص الكبرىٰ" وغيرهم.

ويعترض بعضُهم بأن الحديث خاصٌّ بحياة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنه لا يجوزُ التوسل به بعد مماته، وهذا منقوضٌ بفعل عثمان بن حُنيف وبلال المزني وقصتهما معروفةٌ في التوسل بالنبيِّ بعد وفاته في مسألة كانت عند عثمان بن عفان، كما هو مشهور عند أهل الحديث، ثم نردُّ علىٰ المعترضين من وجوه أخرىٰ:

منها: أنَّ تركَ الصحابةِ للتوسُّل -لو سلم علىٰ إطلاقه- يحتمل أن يكون اتفاقيًّا أي اتَّفق أنهم تركوا التوسل من غير أنْ يكون ممنوعًا، ويحتمل أنْ يكون في نظرهم غيره أفضل منه فتركوه إلىٰ الأفضل، ويحتمل أن يكون تركهم له لئلا يتخذ عادة متبعة ويترك ما سواه من الأدعية والعبادات، ويحتمل غير ذلك من الوجوه، والقاعدة: «أنَّ ما دخَلَه الاحتمالُ سقطَ به الاسْتِدلالُ».

ومنها: أنَّ هذا تركُ فعلٍ أي أنَّ الصحابةَ تركوا التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، والتركُ وحده إنْ لم يصحبْه نصٌّ علىٰ أن المتروك محظور لا يدلّ علىٰ ذلك بل غايته أن يفيدَ أن ترك ذلك الفعل مشروع، أمَّا أن ذلك الفعل المتروك يكونُ محظورًا فهذا لا يستفادُ من الترك وحده وإنما يستفاد من دليلٍ يدلّ عليه.

ومنها: لو سلم أنَ الصحابة تركوا التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته فنهايته أن يكونَ إجماعًا سُكوتيًّا لأنه لم يصرِّحْ أحدٌ منهم بمنع

التوسل جزمًا والإجماع السكوتيّ مختلف في حقيقته وفي تسميته وفي حُجّيته فكيف يكون -والحالة هذه- مخصصًا لدليل شرعيٍّ لا خلاف في حُجّيته بين أحدٍ من العلماء؟!

وقال الإمامُ العلامة علاءُ الدين القونوي في شرح "التَّعرف" أثناء كلام له في هذا المعنىٰ: وقد روىٰ أبوالقاسم الأصبهاني في "الترغيب والترهيب" بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ صَلَّى عليَّ في يومِ الجمُعةِ وليلةِ الجمُعة مائةً من الصَّلاة قُضِيَ له مائةُ حاجةٍ سبعينَ من حوائجِ الآخِرَةِ وثلاثينَ من حوائجِ الدُنيا ووكَّلَ الله بِذلكَ مَلَكًا يُدخلُه على قَبري كما تدخُلُ عَليكُم الهدايا إنَّ علمِي بعدَ مَوْتي كعِلْمِي في الحياةِ**».

وهذا وأمثاله من الأخبار تردُّ علىٰ هؤلاء المبتدعة الذن نبغوا في زماننا ومنعوا من التوسل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته.

نقول: وقد جمعَ بعضُهم كلامًا يتضمَّن نفيَ علمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد الوفاة، ونقل بعضُهم التفرقةَ بين حال حياته ووفاته فقال: والتفريق بين الحياة والوفاة كان ثابتًا عند الصَّحابة فلهذا اسْتَسْقىٰ أميرُ المؤمنين عمرُ بالعبَّاس.

ونحنُ نقولُ: أمَّا التوسُّل برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلا نسِلِّمُ أنَّ عمرَ تركه بعد موته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقديمه العباس ليدعوَ للناس لا ينفي جواز توسُّله به بعد ذلك فإنَّ أحاديثَ عرضِ صلاتنا عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالغةٌ مبلغَ التواتر ولئن عدل عنه مرةً في هذه المناسبةِ للوجوه

المعروفة فيها لقد لجأ إليه غيرُه من الصحابة في مناسبة أخرىٰ.

قال الإمام الدارميُّ في "سننه": حدثنا أبو النعمان: حدثنا سعيد بن زيد: حدثنا عمرو بن مالك النكري: حدثنا أبو الجوزاء -أوس بن عبدالله- قال: قَحطَ أهلُ المدينة قحْطًا شديدًا فشكَوا إلىٰ عائشةَ فقالت: «انظرُوا قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاجعلُوا منها كُوىٰ إلىٰ السَّماء حتىٰ لا يكونَ بينه وبين السَّماءِ سَقْفٌ»، ففعلوا فمُطرنا مطرًا حتىٰ نبتَ العشبُ وسَمِنتِ الإبلُ حتىٰ تفتَّقت من الشَّحمِ، فسمِّي عام الفتقِ.

أخرجه الدارميُّ تحت ترجمة: «باب ما أكرم الله به نبيِّه بعد موته»، وإسناده لا بأس به، وسعيد بن زيد -وإن تكلِّم فيه- من رجال مسلمٍ ووثَّقه ابنُ معين وغيره قال صاحبُ "مرقاة المفاتيحِ شرح مشكاة المصابيح" ما نصُّه: «قيل في سبب كشف قبره أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يستشفع به عند الجدب فتُمطر السَّماء، فأمرتْ عائشةُ رضي الله عنها بكشْفِ قبره مبالغةً في الاستشفاع به، فلا يبقىٰ بينه وبين السَّماء حجاب».

وبالضرورة كان في المدينة إذ ذالك صحابة وتابعُون فلم ينقَل عن أحدهم أنه أنكر عليها ذلك.

قال العلامةُ أبو عبدالله محمد بن عبدالقادر الفاسيِّ في شرح "عدة الحصن الحصين" بعد كلام في هذا المعنىٰ ما نصه: «وبالجملة فالتوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صاحب الشفاعة العُظمىٰ في حضورِه وغيابه مما لا توقف فيه».

وقال ابنُ أبي الدنيا في كتاب "مجابي الدُّعاء": حدَّثنا أبو هشام محمد بن

يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة قال: جاء رجل إلى عبدالملك بن أبجر -وكان طبيبًا- فجسَّ بطنَه، فقال بك داءٌ لا يبرأ قال: ما هو؟ قال: الدُّبَيْلَة. قال: فتحوَّل الرجل فقال: الله الله ربِّي لا أشركُ به شيئًا اللهم إني أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة يا محمَّدُ إني أتوجَّه بك إلى ربِّك وربي يرحمُني مما بي. قال: فجسَّ بطنَه فقال: قد برئتَ ما بك علةٌ.

قلت: كان ابن أبجر حافظًا وهو من رجال مسلمٍ وأبي داود والترمذيِّ والنسائيِّ، وكان لا يأخذ أجرًا على العلاجِ، وثَّقه أحمد وابن معينٍ وغيرهما وأثنوا عليه خيرًا والله أعلمُ، وبالله التوفيق.

٩٠- الفرق بين القسم والتوسل[١]

تكلَّم ابن تيمية في رسالة "زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور" علىٰ التوسُّل وقسَّمه إلىٰ أنواعٍ ثلاثةٍ، وأطالَ في النَّوع الأول والثاني ثم قال: «وأما القسم الثالث وهو أن يقول: اللهُمَّ بجاه فلانٍ عندك افعلْ بي كذا وكذا، فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقلْ عن أحدٍ من الصَّحابة والتابعين وسَلفِ الأمة أنَّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدَّعاء ولم يبلغْني عن أحدٍ من العلماءِ في ذلك ما أحكيه إلا ما رأيتُ في فتاوي الفقيه أبي محمَّد بن عبدالسَّلام فإنَّه أفتىٰ أنه لا يجوزُ لأحدٍ أن يفعلَ ذلك إلا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إن صحَّ الحديث في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ومعنىٰ الاستفتاء: قد روىٰ النَّسائيُّ والترمذيُّ وغيرهما أنَ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علَّم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «**اللهُمَّ إنِّي أسألكَ وأتوسُّلُ إليكَ بنبيِّكَ نبيِّ الرَّحمة يا محمَّدُ يا رسولَ الله إني أتوسُّل بك إلى ربِّي في حاجَتِي ليقْضِيَها لي اللهمَّ فشَفِّعْه فيَّ**» اهـ المراد منه.

وقلَّده الشوكانيُّ فحكىٰ هذا القول عن عزِّ الدين بن عبدالسلام في رسالة "الدرّ النَّضِيد في إخلاصِ كلمةِ التَّوحيد" وإن لم يوافق علىٰ هذا الاستثناء بل ناقشه ورده.

والواقع أنَّ ابن تيمية أخطأ في النَّقل لأنَّ فتوىٰ عزِّ الدين بنِ عبدالسلام في الإقسام علىٰ الله بخلقه لا في التوسُّل ونحنُ ننقلُ فتواهُ بنصِّها ليتبين المراد.

جاء في الفتوىٰ الموصليَّة ما نصُّه: «الحمد لله ربِّ العالمين وصَلَّىٰ الله علىٰ

---

(١) مجلة المسلم السنة الثامنة العدد (١) شعبان ١٣٧٧.

سيدنا محمَّدٌ وآله وسلَّم، نسخة أسئلةٍ أجابَ عنها الشيخُ الإمامُ العلامةُ شيخُ الإسلام عزُّ الدين بنُ عبدالسلام بن أبي القاسم بن مهذَّب السلمي رضي الله عنه وأعاد علينا وعلىٰ الكافةِ من بركاته.

مسألةٌ: ما يقولُ وفقه الله في الداعي يُقسِمُ علىٰ الله تعالىٰ بعظيمٍ من خلقِه في دعائه كالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والوليِّ والملَكِ؟ هل يكرَه له ذلك أم لا؟ ثم ذكر عدَّةَ أسئلةٍ ثم قال: أجابَ الشيخُ رضي الله عنه: أما الدُّعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علم بعض الناس الدعاء فقال في أوله: «**قُلِ اللهُمَّ إنِّي أقسِمُ عليكَ بنبيِّكَ محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمةِ**». وهذا الحديثُ -إن صحَّ- فينبغي أن يكون مقصورًا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأنه سيِّدُ ولدِ آدمَ وأنْ لا يُقسَمَ علىٰ الله تعالىٰ بغيره من الأنبياء والملائكةِ والأولياءِ لأنهم ليسوا في درجتِه وأن يكونَ هذا مما خُصَّ به نبيُّنا علىٰ علوِّ درجتِه ومرتبتِه».

هذا كلامُه بحروفِه نقلناه من "الفتاوي الموصلية" وهي تحتَ يدِنا، وهكذا نقله أصحابُ الخصائص كالحافظ السيوطيِّ والقسطلانيِّ وغيرِهما مستدلِّين به علىٰ أن الإقسام علىٰ الله بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من خصوصياته وهذا غير ما نحن فيه وهو التوسل إلىٰ الله بجاهه مثلًا بدون إقسام عليه.

فإن قيل: قد نقل البرزلي في "نوازله" كلام ابن عبدالسلام وحمل القسم فيه علىٰ التوسل حيث قال أثناء كلامه مانصه: «وتقدم جواب عز الدين في الإقسام علىٰ الله بأحدٍ من خلقِه وأنه اختار أن لا يُتوسَّل بأحد من خلقه إلا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خاصة وتقدَّم ما فيه من مذهب غيره وما ذكر

في حكايات كثيرةٍ من الوسيلة بالصالحين فأحرىٰ الملائكةُ والأنبياءُ؛ فظاهره أن القسَم والتوسُّل واحدٌ، وأصرحُ منه قول أبي عبدالله الفاسي: إذا كان لا يراد بالقسم اليمين لما علم من النهي عن القسَم بغير الله تعالىٰ لم يبقَ إلا استعماله في معنىٰ التوسُّل والاستشفاع والتأكيد به وأطلق القسم علىٰ ذلك مجازًا فعلىٰ هذا لا يكونُ في نقل ابن تيمية خطأ لما تبين أنَّ القسم بمعنىٰ التوسُّل.

فالجواب من وجوه:

الأول: الراجحُ بل الواقعُ أنَّ القسَم غيرُ التوسُّل كما صرَّح به الحطاب وأبو عبدالله القصار وغيرهما لمغايرة حقيقة القسَم للتوسل وتباينهما وهذا واضحٌ لا يحتاج إلىٰ بيان.

الثاني: أنَّ الذين جعلوا القسَم بمعنىٰ التوسُّل اعترفوا بأن ذلك علىٰ سبيل المجاز لا الحقيقة والمجازُ خلافُ الأصلِ وإنَّما ارتكبوه لقرينة قامتْ عندهم، وهي النهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ، لكنَّ النهيَ عند معظم العلماء للكراهة لا للتحريم بدليل قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أفْلَحَ –وأبيهِ– إن صَدَقَ**» ونحوه من الأحاديث، علىٰ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مستثنىٰ من هذا النهي، فقد أجاز الإمام أحمدُ –في إحدي الروايتين عنه– الحلف به وأوجب الكفَّارة في حنثه؛ لأنَّ الله تعالىٰ أقسَم به في قولِه تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فإنَّ هذا القَسَمَ مِن الله بحياة رسوله كما أجمع عليه أكثر المُفسِّرين مِن السَّلَف والخَلَف.

قال ابن القيِّم: بل لا يعرفُ السَّلفُ فيه نزاعًا، قال: فهو أهلٌ أنْ يُقسم به والقسمُ به أولىٰ من القسَم بغيره من المخلوقات، ولأنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم أحد جزأي الشهادة التي لا يتمُّ إسلامُ الشَّخص إلَّا بها، وهذا مدرك عِزِّ الدِّين في جعله الإقسام به من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولم يتفطَّن لذلك ابن تيمية وغيره ممن حمل كلامه علىٰ التوسُّل.

الثالث: أنَّ واجبَ الأمانة العلميَّة يقضي علىٰ ابن تيمية أن ينقل كلام عزِّ الدين بلفظه ثم يحمل القسم فيه علىٰ التوسُّل كما فعل البرزليُّ، ويترك للقارئ أن يوازنَ بين رأيه ورأي من يخالفه في ذلك الحمل، أمَّا أن يُطلق القولُ بأنَّ عزَّ الدين يجعلُ التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من خصوصياته قاطعًا بذلك غير ناظرٍ إلىٰ ما في حمل القسَم علىٰ التوسُّل من الخلاف فذلك تدليسٌ لا يرضاه عالمٌ يحترمُ نفسَه ويعتزُّ بكرامته العِلْميَّة، وأقلُّ ما يقال فيه -مع كثير من التغاضي والتساهل- إنَّه خطأ.

٩١- المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حي في قبره والتوسل بالحي لا خلاف عليه فتوسلوا به(١)

لا يزال الخلافُ يثيرُه عملاءُ الاستعمار والمنتفعُون به بين آونةٍ وأخرىٰ حول التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قبره، يصرِفون الناس عن كبريات المهامِّ بذلك، وطالما أردنا إسكاتَ هؤلاء من طريقهم وأسلوبهم، فهم يقرِّرون جواز التوسل بالحيِّ ولو شيطانًا، ويمنعون التوسل بالميت ولو نبيًّا.

وهنا نثبت لهم أنَّ رسول الله حيٌّ في قبره وإذن فالتوسُّل به جائزٌ، وكذلك الشهداءُ ومن جاء ذكر حياتهم البرزخية كالمؤذن، وحاملِ القرآن، وبهذا ينقَضُ هذا الخلافُ من أساسِهِ لو كانوا يعقلُون، قال الكاتب(٢):

أخرج ابنُ ماجه عن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من حديثه: «**إنَّ اللهَ حَرَّم على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ، فنبيُّ الله حيٌّ يُرْزَقُ**». قال الحافظ المنذريُّ: «إسناده جيدٌ» وكذا قال العلامة السمهوديُّ، وقال السخاويُّ: «رجاله ثقاتٌ».

فالأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم وأجسادهم لا تَبلىٰ، والإجماع منعقدٌ علىٰ هذا كما حكاه غير واحدٍ، منهم ابنُ حزمٍ، والسَّخاويُّ في "المقاصد الحسنة" وغيرهما، للنصوص الصحيحة الصريحة، والدلائل الكثيرة القاطعة.

فمن أفتىٰ بفناءِ أجسادهم فقد خرقَ الإجماعَ وكذَّب بما صحَّ عن الله والرسول فقد ذكر الله تعالىٰ في غير آية من القرآن أنَّ الشُّهداء أحياءٌ في

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (١١) جمادىٰ الآخرة ١٣٨٧.

(٢) هذه الديباجة من المجلة.

قبورهم، وأجمعَ المسلمون علىٰ أنَّ الأنبياء أرفعُ درجةً من الشهداء.

قال ابنُ حزمٍ بعد ذكره الآيات الواردة في أنَّ الشهداء أحياءٌ ما نصُّه: «ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ الأنبياء عليهم السلام أرفعُ قدرًا ودرجةً وأتمُّ فضيلة عند الله عزَّ وجلَّ وأعلىٰ كرامةً من كلِّ من دونَهم ومن خالفَ في هذا فليس مُسلمًا».

وصحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بطريقِ التواتر أنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم وأنَّ أجسادهم لا تبلىٰ، قال السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" ما نصُّه: «أحاديثُ حياةِ الأنبياءِ في قبورِهم؛ قال السيوطيُّ في "مرقاة الصعود": «تواترتْ بها الأخبارُ».

وقال في "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" ما نصُّه: «حياةُ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومةٌ عندنا علمًا قطعيًّا لما قام عندنا من الأدلة في ذلك، وتواترتْ به الأخبار الدالَّة علىٰ ذلك».

وقال ابنُ القيِّم في كتاب "الروح" نقلًا عن أبي عبد الله القرطبيِّ: «صحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ الأرضَ لا تأكل أجسادَ الأنبياء وأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اجتمعَ بالأنبياء ليلةَ الإسراء في بيتِ المقدسِ وفي السماء، خصوصًا موسىٰ، وقد أخبر بأنَّ ما من مسلمٍ يُسلِّم عليه إلَّا ردَّ اللهُ عليه روحه حتىٰ يردَّ عليه السلام إلي غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجعٌ إلىٰ أنهم غُيِّبوا عنَّا بحيثُ لا ندركُهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنَّهم أحياءٌ موجودون ولا نراهم.

وقد نقل كلام القرطبيِّ وأقرَّه أيضًا الشيخ محمد السفارينيُّ الحنبليُّ في

شرح عقيدة أهل السُّنَّة ونصه: «قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخُنا أحمد بن عمر -القرطبي صاحب "المفهم في شرح صحيحِ مسلم": «والذي يزيحُ هذا الإشكال -إنْ شاء الله تعالىٰ- أنَّ الموتَ ليس بعدمٍ محضٍ وإنما هو انتقال من حال إلىٰ حال، ويدلّ علىٰ هذا أنَّ الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشُّهداء كان الأنبياء بذلك أحقَّ وأولىٰ. مع أنه قد صحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء»، وذكر الكلام السابق بلفظه.

ويحقِّق ما ذكره هؤلاء الأئمة من تواتر الأحاديث الدالة علىٰ حياة الأنبياء أنَّ حديثَ عرض الأعمال عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واستغفاره لأمته ورد من عشرين طريقًا، وحديث: «**إنَّ اللهَ حرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء**» ورد من طرقٍ كثيرةٍ جمعها الحافظ المنذريُّ في جزءٍ مخصوصٍ ذكره في اختصاره لـ"سنن أبي داود"، وحديث الإسراء وإخباره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيه أنه رأىٰ الأنبياءَ يصلّون وغير ذلك مما هو صريحٌ في حياتهم ورد من طريق خمسة وأربعين صحابيًّا؛ سرد منهم سبعةً وعشرين الحافظُ السيوطيُّ في "الأزهار المتناثرة"، وزاد عليه تلميذُه الحافظ الشاميُّ والزرقاني في "شرح المواهب" ما كمل به العدد المذكور كما ذكره شيخنا السيد محمد بن جعفر الكتاني في "نظم المتناثر".

علىٰ أنَّ المسألة كافٍ في إثباتها حديث: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء**». فإنَّه علىٰ إفرادِه صحيحٌ لا غبارَ عليه، وقد صحَّحه من الأئمة ما لا يُحصىٰ عددُهم، منهم: ابنُ خزيمة وابنُ حِبَّان والحاكمُ، وزاد أنَّه علىٰ

شرط البخاريِّ وأقرَّه الذهبيُّ.

وصححه أيضًا النوويُّ في "الأذكار"، والحافظُ عبد الغنيِّ بن سعيد بل قال: إنه حسنٌ صحيحٌ، والقرطبيُّ في "التذكرة" وابنُ دحية فقال: «إنه صحيحٌ محفوظٌ بنقل العدل عن العدل»، وحسَّنه ابنُ العربي المعافريُّ فيما نقله الثعلبيُّ عنه في كتاب "العلوم الفاخرة"، وسكت عنه أبو داود وقد قال: «ما سكت عنه فهو صالحٌ عنده»، وصدره الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" وغيره من الذين لا يكاد يسلم في نقدهم حديث كابن العربي المعافريِّ، فإنا نورد الحديث بسنده ونتكلم على رجاله.

فقد أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد في "مسنده"، وابن أبي عاصم في "الصلاة" له، وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه في سننهم، والطبرانيُّ في "معجمه"، وابنُ خزيمة وابن حِبَّان والحاكمُ في صحاحِهم، والبيهقيُّ في "حياة الأنبياء" و"شُعب الإيمان" وغيرهما من تصانيفه، من طريق حسين بن علي الجعفيِّ: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشْعث الصنعانيِّ، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم **«أفْضَلُ أيامِكُم الجمُعةِ، فيه خُلِقَ آدمُ وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفخةُ وفيه الصَّعقةُ، فأكثروا عليَّ مِن الصَّلاةِ فيه فإنَّ صَلاتكُم معْرُوضةٌ عليَّ»**.

قالوا: وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ يقولون: بَلِيت.

فقال: **«إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»**.

رجاله كلُّهم ثقاتٌ، وأبو الأشعث الصنعانيُّ: اسمُه شَراحِيلُ بنُ آدة من رجال مسلمٍ، وثَّقه العجليُّ، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر: من رجال البخاريِّ ومسلمٍ، وثَّقه ابنُ معين والعجليُّ وابن سعد والنَّسائيُّ ويعقوبُ بن سفيان وأبو داود وجماعة.

والحسينُ بن عليٍّ الجعفيُّ: من رجال البخاريِّ ومسلمٍ ثقةٌ باتِّفاق وكان عثمان بن أبي شيبة يقول: بخٍ بخٍ، ثقة صدوقٌ وبه تمَّ الإسناد.

فإنه شيخُ جماعة ممن أخرجوا الحديث، فهذا برهانٌ ما حكم به أولئك الأئمة من الصِّحة لهذا الحديث.

ثم إنَّ له طريقًا آخر أخرجه بن ماجه عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أكثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ يومَ الجمُعةِ فإنَّه مشهودٌ تشهدُه الملائكةُ وإنَّ أحدًا لنْ يُصلِّيَ عليَّ إلا عُرِضتْ عليَّ صلاتُه حتَّى يَفْرُغَ مِنْها**» قال: وقلتُ: وبعد الموتِ؟ قال: «**وبعدَ الموتِ، إنَّ الله حرَّمَ على الأرضِ أنْ تأكُلَ أجْسِامِ الأنبياءِ**». فنبيُّ الله حيٌّ يُرزقُ.

قال الحافظُ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب": «إسنادُه جيِّدٌ». وكذا قال السمهوديُّ في "وفاء الوفاء". وقال السخاويُّ في "القول البديع": «رجاله ثقاتٌ لكنه منقطعٌ».

قلت: لا يضرُّ انقطاعُه فإنَّ الحديثَ الأول الصحيحَ شاهدٌ له وعاضدٌ له، وكذا صححه مع التنصيص علىٰ انقطاعه الحافظُ البوصيري في "زوائد ابن ماجه".

وللحديث طريق ثالثٌ مرسَلٌ عن ابن شهاب ولفظه: «**أكثِرُوا عليَّ من الصَّلاةِ في الليلةِ الغرَّاءِ واليومِ الأزْهرِ، فإنَّهما يؤدِّيان عنكُم، وإنَّ الأرضَ لا تأكلُ أجسادَ الأنبياءِ، وكلّ ابنِ آدمَ يأكلُه التُّرابُ إلا عَجْبُ الذَّنَبِ**». أخرجه

النميريُّ كما ذكره السخاويُّ في "القول البديع".

وله طريق رابعٌ أخرجه ابن ماجه من حديث شداد بن أوس بلفظ حديث أوس بن أوس المتقدِّم.

فالحديث مع صحَّة إسناده وثقة رجالِه وكونهم علىٰ شرط البخاريِّ ومسلمٍ ووجود هذه الطرق العاضدة له لا يَرتاب في صحَّته إلا جاهلٌ أو متعصِّبٌ معاندٌ.

ثُمَّ للمسألة أدلةٌ أخرىٰ أيضًا منها حديث: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورِهم يُصلُّون**».

رواه أبو يعلىٰ قال: حدَّثنا أبو الجهم الأزرق بن علي: حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير: حدثنا المستلم بن سعيد، عن الحجاج بن الأسود، عن ثابت، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورِهم يُصلُّون**».

ثابت: هو البُناني لا يسأل عن جلالته وإمامته ثقةٌ باتِّفاق، من رجال البخاريِّ ومسلمٍ.

والحجَّاج بن الأسود: قال الحافظ في "اللسان": قال أحمد: ثقةٌ، رجل صالح. وقال ابن معين: ثقةٌ. وقال أبو حاتم: صالحُ الحديث. وذكره ابن حبَّان في "الثقات".

وقد اشتبه فيه الحال علىٰ الذهبيِّ فقال: «إنه نكرةٌ»، يعني مجهولًا.

وردَّه الحافظُ بأنَّه معروفٌ روىٰ عن ثابت وجابر بن زيد وأبي نضرة وجماعة، وعنه جرير ابن حازم وحمَّاد بن سلمة وروح بن عبادة وآخرون ثم

ذكر توثيقه الذي قدمناه.

والمستلم بن سعيد: من رجال الأربعة، وقال أحمد: شيخٌ ثقةٌ من أهل واسط قليل الحديث. وقال ابن معين: صويلحٌ. وقال النَّسائيُّ: ليس به بأس. وذكره ابن حبَّان في "الثقات".

ويحيىٰ بن أبي بكير: ثقةٌ من رجال البخاريِّ ومسلم، وثَّقه ابن معين والعجليُّ، وقال أبو حاتم: صدوقٌ، وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، وقال علي ابن المديني: ثقةٌ.

وأبو الجهم: روىٰ له البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والحاكم في "صحيحه"، وذكره بن حِبَّان في "الثقات".

فهذا حال رجال الإسناد كلّهم ثقات ليس في واحد منهم طعنٌ ولا مغمزٌ، فهو صحيح علىٰ رأي ابن حبَّان والحاكم وأمثالهما، حسن علىٰ رأي البخاري وأمثاله.

ثم له طرقٌ أخرىٰ غير هذا الطريق أخرجها البيهقيُّ في "حياة الأنبياء"، وبها يرتفع إلىٰ درجة الصحيح المتفق عليه، وهو قاطعٌ صريحٌ.

ومنها حديث «**مررْتُ على موسَى وهو قائمٌ يصلِّي في قبرِه**». الذي أخرجه مسلمٌ وغيره، وحديث صلاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالأنبياء واجتماعه بهم كما تقدَّم في كلام القرطبيِّ وأنها متواترة، وبها احتجَّ البيهقيُّ أيضًا في "حياة الأنبياء".

وقد ورد من ثلاثة طرق عند عبدالرزاق والطبراني في معجمه عن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجاهد: «**إنَّ المؤذِّنَ المحتَسِبَ**

كالشَّهيدِ المتَشَحِّطِ في دمِهِ، وإذا ماتَ لم يُدوَّدْ في قبرِه».

وورد من ثلاثة طرق من حديث جابر بن عبد الله وأبي هريرة وعبد الله ابن مسعودٍ «**إنَّ حاملَ القرآنِ العاملَ بهِ لا تأكلُ الأرضُ لحمَه**». أخرج جميعها ابن مَنده.

وإذا ثبتَ هذا للمؤذِّن وحاملِ القرآن فكيفَ بالأنبياء عليهمُ الصلاة والسلام؟!

٩٢- معنى الوسيلة (١)[1]

رغب إليَّ صديقي الأستاذ محمود محمَّد العجميّ أن أكتب كلمةً لصدور العدد الأول من "مجلة الوسيلة" فسُررت بتوفيقه في إنشاء مجلة تدعو إلى الأخلاق والفضيلة، ورجوتُ له النَّجاح في مهمَّته الصحفيَّة النبيلة، ورأيت إجابة لرغبته أن أكتب كلمةً صغيرةً في معنى الوسيلة وما يتَّصل به.

الوسيلة تطلق على معانٍ؛ منها الحاجة:

قال عنترة:

إنَّ الرِّجالَ لهُم إليكَ وَسِيلَةٌ ... أنْ يَخْطِبُوكِ تَكَحَّلِي وتَخَضَّبِي

ومنها القُربةُ: وعليه فسر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥] هذا على بعض التفاسير، وقيل الوسيلة هنا الطاعة وقيل غير ذلك مما لا داعي لذكره الآن.

ومنها الوسيلةُ في الدعاء، وهي أنواع:

أحدها: أنْ يتوسَّل الداعي إلى الله باسمٍ من أسمائه الحسنى كأن يقول: اللهمَّ إني أسألك بأنَّك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أن ترزُقَني كذا وأن تُعطيَني كذا.

ثانيها: أن يتوسَّل إلى الله بعملٍ صالحٍ عمله في حياته كأن يقول: اللهمَّ إني أسألكَ بحبِّي لك أو إخلاصي في طاعتِك أن تعطيَني كذا. وهذا وردَ في أصحابِ الغار الثلاثة الذين انطبقتْ عليهم الصخرةُ فلم يجدوا مخلصًا إلا

---

(١) مجلة الوسيلة- السنة الأولى- العدد (١) ١٨ شعبان ١٣٧٠

بالتوجُّه إلىٰ الله وسؤاله بأرجىٰ عمل عملوه ففرَّج الله عنهم كما جاء في الحديث المخرج في الصحيحين وغيرهما من طرقٍ.

ثالثها: أنْ يتوسَّل إلىٰ الله بطلب الدعاء ممن ترجىٰ بركته كأن يأتي إلىٰ رجل صالحٍ ويسأله أن يدعوَ الله له في قضاءِ حاجته، وكما ثبت في الصحيح أنَّ عمر استأذن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يعتمرَ فأذنَ له وقال له: «**لا تنْسَنا منْ دعائِكَ يا أخِي**».

وكما ثبت متواترًا أنَّ الصحابةَ كانوا كلما حزبَهم أمرٌ لجأوا إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستشفعون به إلىٰ الله في كشف ما ينزل بهم فيكشف الله عنهم بشفاعته ويرد عنهم باسمه ودعائه.

رابعها: أنْ يتوسَّل إلىٰ الله بوليٍّ من أوليائه ممن اختارهم الله لجواره في دار بقائه وهذا النوع هو محلُّ نزاعٍ كبير بين كثير من المسلمين وقد أخذ هذا النزاع يتطوَّر ويشتد حتىٰ وصل إلىٰ حدِّ التغالي بين كلٍّ من الطرفين، فبينما نجد مانعي التوسل يلمزُون مخالفيهم بالكفرِ الصريحِ والإشراك القبيحِ، نجدُ مناقضيهم يغرقُون في مدحِ الأولياء والتوسل بهم إلىٰ حدٍّ لا يرضاهُ ذو عقلٍ وإنصافٍ، إلا أنَّ طوائفَ مانعي التوسُّل اتخذوا هذا اللونَ من الجدل بضاعةً يتاجرون بها ويأخذون مرتبات شهرية وسنوية ضخمةً في نظير الترويج لهذا المذهب والدعاية له بل بلغتْ بهم الشَّراهة وحبُّ المال والثراء الفاحش إلىٰ حدٍّ أنهم يتصرفون في أموال جمعياتهم ويصرفونها في مصالحهم ويستغلُّون اسم الجمعية في قبضِ النوائل والمكافآت، هذا عدا أنَّهم يتَّخذون مكان الجمعية مخزنًا للتخزين والبضائع التي يتاجرون فيها، فصدقَ عليهم الحديثُ الذي رواه

الترمذيُّ والخطيب وغيرهما، عن أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو حديثٌ طويلٌ جاء فيه مما يتعلق بمقصودنا قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بئسَ العبدُ عبدٌ يختِلُ الدُّنيا بالدِّينِ، بئسَ العبدُ عبدٌ يختِلُ الدُّنيا بالشّبُهاتِ، بئسَ العبدُ عبدٌ طمَعٌ يقُودُه، بئسَ العبدُ عبدٌ هوى يُضِلّه، بئسَ العبدُ عبدٌ تُزِيلُه الرَّغبةُ عنِ الحقّ**».

فهذه الصفاتُ التي جاءت في هذا الحديث الشريف مقرونةٌ بالذَّم والتقبيحِ كلها تنطبق علىٰ أصحاب هذه الدعوة الذين أثْرَوا علىٰ حسابها واقتنَوا البيوت والأطيان ولا يهمهم في سبيل الحصول علىٰ المال أن يخالفوا ضمائرَهم ويحيدوا عن الحقِّ واضحًا جليًّا.

علىٰ أنَّ موضوعَ الوسيلة الذي طنطنَ حوله هذه الشِّرذمة وأثرتْ علىٰ حسابه لا يستحقُّ كل ما أثاروه من جدل وشقاق ونزاع فإن سؤال الله ببركة وليٍّ من أوليائه أو بجاه أهل بيت نبيِّه الكرام لا يمكن أن يختلف في جوازه اثنان إذا وجد إنصاف واجتنب المتنازعان طريق الشِّقاق والخلاف، إذ الأدلة النقلية والعقلية تؤيده وتعضدُه.

وذلك ما سنعرِضُ له في العددِ الآتي إنْ شاء الله.

٩٣- معنى الوسيلة(٢)[١]

وعدنا في المقال السَّابق أن نبيِّن الأدلةَ التي تجيز الوسيلةَ بالمعنى المتنازَع فيه بين جمهور المسلمين وشرذمة الوهابيِّين وإلى القارئ الكريمِ بعض الأدلة التي وعدناه بها:

١- روى الترمذيُّ في "جامعه" والنسائيُّ في "عمل اليوم والليلة" وابن ماجه في "السنن" والحاكم في "المستدرك" والبيهقيُّ في كتابي "الدعوات" و"دلائل النبوة" والطبراني في "معاجمه" وغيرهم، عن عثمان بن حُنَيف أنه كان قاعدًا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجاءَ ضريرٌ يشكو ذَهاب بصره ويسأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يدعوَ الله له ليردَّ بصرَه عليه فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أوْ تصبرُ خيرٌ لك؟**» فقال الضرير: ليس لي قائدٌ وقد شقَّ عليَّ ذَهاب بصري، فأمره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يتوضَّأ ويُصلِّي ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء: «**اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّه إليكَ بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمةِ يا محمَّد، إنِّي أتوجَّهُ بِكَ إلى ربِّي في حاجَتِي هذه لتقْضى لي -وتذكرُ حاجتَكَ- اللهمَّ فشفِّعْه فيَّ**». قال عثمان: فلم يطل بنا الحديث حتى جاء الضريرُ وكأنَّه لم يكنْ به ضررٌ قط.

صحَّح هذا الحديث الترمذيُّ والطبرانيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ والذهبيُّ والمنذريُّ والهيثميُّ والعسقلانيُّ والسيوطيُّ وغيرُهم من الحفَّاظ.

وقد حاول الوهَّابيون في شخص زعيمِهم الشيخ رشيد رضا أن يضعِّفوا

---

(١) مجلة الوسيلة- السنة الأولى- العدد (٢) ٢٥ شعبان ١٣٧٠

هذا الحديث متعلِّلين بتعلُّلات باطلةٍ فما أفلحوا ولا نجحوا، والحديث كما ترى صحيحٌ ثابت يتحدَّاهم أن يجدوا وجهًا لضعفه فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلًا ولقد بلغَ من جودةِ إسناده وثقةِ رجاله أنَّ ابن تيمية نفسَه -وهو زعيم الوهابيين- اعترف بصحته في غير كتاب من كتبه ولم يحاولْ أن يطعنَ فيه بشيء، وإنما حاول أن يخصص التوسُّل الوارد فيه بحالتي الحياة وحضور المتوسَّل به دون حالتي موته أو غيبته عن المتوسل.

وهو تخصيص باطلٌ لأمور:

أحدها: أنَّ القاعدة المقرَّرة في الأصول أنَّ الحديثَ إذا وردَ على سبب خاصٍّ فالعبرةُ بعمومِ لفظه ولا عبرةَ بخصوص السَّبب إلا إذا ورد نصٌّ من الشارع على تخصيصه بحادثة السبب وليس في هذا الحديث نصٌّ من الشارع على التخصيص.

ثانيها: أنَّ أبا بكر بن أبي خيثمة روى هذا الحديث في "تاريخه" وزاد في روايته أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما علم الضرير الدعاء المذكور قال له: «**وإنْ كانتْ لكَ حاجةٌ فمثلَ ذلكَ**». وإسنادُ هذه الزيادة صحيحٌ على شرط البخاريِّ ومسلمٍ، فهذا نصٌّ من الشارع على تعميمِ الدُّعاء واستعماله في سائر الأحوال حياة وموتًا غيبة وحضورًا.

ثالثها: أن عثمان بن حُنيف راوي الحديث فهم منه العمومَ وأشار باستعماله بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا شكَّ أنَّ الصحابيَّ الذي روى الحديث وشاهدَ سببَ ورودِه أولى بفهمِ الحديث من غيره كائنًا من كان كما هو مقرَّرٌ في علم الأصول.

٢- روىٰ الطبرانيُّ في "معجمه الكبير" و"الأوسط" عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ فاطمةَ بنتَ أسدٍ أمَّ عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه لما تُوفِّيت نزل النبيُّ في صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قبرها قُبيل الدفن واضطجع فيه وقال: «**اللهمَّ وسِّعْ علَيها مُدخَلَها ولقِّنْها حجَّتَها بجاهِ نبيِّكَ والأنبياءِ الذين منْ قَبلي**». وهذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط ابن حبَّان والحاكم، حسن علىٰ شرط غيرهما، فهو حجَّةٌ علىٰ جميع الفروض والاحتمالات.

وهو كما يرىٰ القارئ يدلُّ علىٰ جواز التوسُّل بمن تُوفِّي من الأنبياء، وإذا جاز التوسل بهم في هذه الحالة جاز التوسل بغيرهم من الصالحين والأولياء لأنَّ المسئول هو الله سبحانه وتعالىٰ في جميع الحالات، وذكرُ الأنبياء أو الأولياء في الدعاء إنما هو توسُّلٌ واستشفاعٌ.

٣- روىٰ ابن ماجه عن أبي سعيد الخدريِّ، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الدعاء الذي يقال عند الخروج إلىٰ صلاة الجمعة جاء فيه: «**اللهمَّ إني أسألكَ بحقِّ السَّائلينَ عليكَ وبحقِّ ممشَايَ هذا فإنِّي لم أخرجْ أشرًا ولا بَطرًا ولا رياءًا ولا سُمْعةً وخرجتُ اتِّقاءَ سخْطكَ وابتغاءَ مرضاتِك فأسألكَ أنْ تجيرَني منَ النَّار وتغفرَ لي ذنُوبي إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ**». وهو حديثٌ حسنٌ حسَّنه الحافظُ العراقيُّ وتلميذُه ابن حجرٍ، وكفىٰ بهما حجَّةً في هذا الشأن.

والسائلون المتوسل بحقِّهم في هذا الحديث هم المتضرِّعون إلىٰ الله بخالص طويَّاتهم وحسن إخلاصهم كما بيَّنه خاتمة المحدِّثين بمصر أبو الفيض السيد مرتضىٰ الزّبيدي في "شرح الإحياء" وفي هذا دليل علىٰ جواز التوسل بعموم الصالحين أمواتا وأحياءًا.

هذه ثلاثة أحاديث واحد منها يكفي في الموضوع ولكنا مع ذلك سنتبعها بآثار عن الصحابة والتابعين والأئمَّة لنقطع ألسنة هؤلاء المتخرِّصين الذين اتخذوا الشَّغَب والفتنة لهم ديدنًا لقاء عرَض من الدنيا.

٩٤- معنى الوسيلة(٣)[١]

روىٰ الطبرانيُّ في معجميه "الكبير" و"الصغير"، والبيهقيُّ في "دلائل النبوة"، عن عثمان بن حُنيف أنَّ رجلًا أتاه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخبره أن له حاجةً عند عثمان ولم يستطعِ الوصولَ إليه ليكلمه في قضائها ورجا عثمانَ بن حُنيف أن يكلم الخليفة في مسألته.

فقال له عثمان بن حُنيف: توضأ وصلِّ ركعتين وقل: «اللهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمةِ يا محمَّدُ إني أتوجَّه بك إلىٰ ربِّي في حاجتي هذه لتُقضىٰ لي، اللهمَّ فشفِّعْه فيَّ». وتذكر حاجتك، ثم اذهب إلىٰ الخليفة.

ففعل الرجل ما أمره به عثمان بن حُنيف ثم ذهب إلىٰ عثمان بن عفان وبمجرد وصوله أخذ الحاجب بيده وأدخله علىٰ الخليفة فأجلسه عثمان علىٰ طِنِّفسة بجانبه ثم سأله عن حاجته وقضاها له، واعتذر له بأنه كان ناسيًا لها ولم يذكرها إلا في هذه الساعة.

فلما خرج الرجل من عند الخليفة قابل عثمان بن حُنيف فشكره ظانًّا أنه كلَّم الخليفة في مسألته فقال له عثمان بن حُنيف: والله ما كلمته ولكني أمرتك أن تفعل ما أمر به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الضَّرير أنْ يفعَله حين جاء يطلب الدعاء برد بصره إليه.

هذه القصة إسنادها صحيحٌ، صحَّحها الطبرانيُّ والبيهقيُّ والمنذريُّ والهيثميُّ وغيرهم.

وقد حاول بعضُ الوهابيين الوُعَّاظ أن يضعِّف هذه القصة فلم يوفَّق في

---

(١) مجلة الوسيلة، السنة الأولىٰ، العدد (٣) ٣ رمضان ١٣٧٠.

تضعيفها لاسيما بعد أن صحَّحها حافظان ناقدان هما: زكي الدين المنذري ونور الدين الهيثمي.

ويؤخذ من هذه القصة جواز التوسل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته؛ لأنها حدثتْ -كما رأيت- في عهد عثمان بن عفان والذي أمر بالتوسل في هذه القصة هو عثمان بن حنيف راوي الحديث، وهو أعلمُ بمعناه من كلِّ مَن بعده من الأئمَّة والعلماء بلا نزاع.

ولما وجد ابن تيمية هذه القصة صحيحةً ولم يجدْ مطعنًا فيها حاول أن يصرِفَها عن معناها بمحاولةٍ بعيدةٍ عن جادَّة الصواب، ولسنا الآن بصدد مناقشته فيما حاوله.

وروىٰ ابن أبي شيبة والبيهقيُّ عن مالك الدار -وكان خازنَ عمر- قال: أصابَ الناسَ قحطٌ عام الرَّمادة فأتىٰ رجل إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: يارسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام وقال له: «**اذهبْ إلىٰ عمرَ وأخبرْه أنَّهم مُسْقَون وقلْ له: عليك الكيسَ الكيسَ**». يعني الحزم الحزم.

فأتىٰ الرجل عمر فأخبره بما فعل وبما رأىٰ وأبلغه رسالة النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم التي تلقَّاها في المنام، فبكىٰ عمر رضي الله عنه وقال: اللهمَّ ما آلو إلا ما عجِزْتُ عنه. أي: اللهمَّ ما أقصِّرُ في الحزم إلا ما عجِزْتُ عنه.

وهذا الأثر صحيح صحَّحه البيهقيُّ في كتاب "الدعوات" وصحَّحه أيضا الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني في كتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" وبيَّن أنَّ الرجل الذي رأىٰ المنام وذهب إلىٰ عمرَ يخبره به اسمُه بلال بن

الحارث المزنيُّ صحابيٌّ معروفٌ.

فأنت ترىٰ من هذا الأثر أنَّ بلالًا الصحابي ذهب إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم متوسِّلًا به، وأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتاه في المنام وأخبره أنهم مسقون وأمَرَه

أن يذهبَ إلىٰ عمر ويخبره، وأنَّ عمر لما أخبره لم ينكر عليه ولم يقل له أشركت ولا كفرت ولا شيئًا من هذه الألفاظ الفاحشة التي تعوَّد سلفية اليوم أن يطلقوها علىٰ المسلمين.

فليس أدلَّ علىٰ جواز التوسل من هذا الأثر الصحيح الذي اجتمع فيه رأي عمرَ وبلال بن الحارث المزني علىٰ جواز التوسل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته.

٩٥- حول أولية النور المحمدي(١)[1]

في أوائل رمضان كتبنا كلمةً وجَّهنا فيها إلى مُنْكِرِ أوليَّة النُّور النَّبوي سؤالًا عن الحديث الذي سُئلنا عنه من قبل الأستاذ الأديب حسن محمدين عويس ومن قبل المجلَّة، وهو حديث: «**أوَّلُ ما خلقَ الله نورُ نبيِّكَ يا جابرُ**»، ولم يكن الغرضُ من السُّؤال الاستفادة، ومتى صحَّ أنْ يُستفاد من جاهل؟! كما أنَّنا لم نقصدْ به التعنيت والتشديد، وإنْ كان الكلامُ على الحديث المذكور صعبًا شاقًّا لا يحرِّره إلَّا المبرِّزُون في هذا الشَّأن، نعم لم يكن غرضنا هذا ولا ذاك ولكن حملنا على ما فعلنا أنا رأينا ذلك المنكر نحا باللائمة على من سألنا دونه، وادَّعى أنَّ حقَّ الفصل في الحديث له؛ لأنَّه القائل بعدم صحَّته، ولأنَّ الكلام موجَّهٌ إليه، وزعم في امتعاضٍ وحنقٍ، أنَّ العدول في السُّؤال عنه إلينا نتيجة انخداع السَّائل بنا، فلم نرضَ لنفسنا أنْ نقف موقفًا نكون فيه غاصبين حقَّ غيرنا، وكيف لنا أنْ نرضى وقد عرفنا في آداب البحثِ والمناظرة أنَّ الغصْبَ ممنوعٌ، وأنَّ كلامَ الغاصب عند المحقِّقين غيرُ مسموعٍ، لذلك رأينا أنْ نردَّ الأمر إلى نِصابه ونَكِلَ الفصلَ في الموضوع إلى من هو أحقُّ به في نظر نفسِه، حتى لا نكون قد خرجنا عن القواعد قيد شبرٍ.

سألنا ذلك المنكر وحدَّدنا له النقط التي كان يدور بخلدنا أنْ نُلِم بها لو أجبنا، وهي سبع نقاطٍ على هذا الترتيب:

سندُ الحديث من مخرِّجِه عبدالرزَّاق إلى جابر بن عبدالله، بيان حال رجاله،

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٤٨) ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٥٤.

هل له شواهدُ؟ هل لرواته متابعاتٌ؟ هل نصَّ علىٰ صحَّته أو ضعفه أحدٌ من الحُفَّاظ؟ ما الرَّأي الخاص فيه؟ وما توجيهه؟

علىٰ أنَّنا قدرنا حرج موقف المُنكِر إزاءَ سؤالنا هذا ووعورة الجواب عليه، وأشفقنا ألَّا يهتدي إلىٰ مصادر الحديث، فأرشدناه إليها ولم نستحسن مع هذا أنْ نستعجلَه، ونضيِّق عليه فأمهلناهُ شهرًا كاملًا، وهي مدَّة تكفي لإنشاء مؤلَّف حافلٍ بل مؤلَّفات لا لكتابة جواب فحسب، ثمَّ قلنا بعد هذا كله: عسىٰ أنْ نكون قد قلَّدنا القوسَ باريها، وانتظرنا ما يسردُ علينا من تحقيقاتِ المنكر وتدقيقاته، ولا غرر أنِ انتظرنا فهو هو عند نفسه، المحقِّقُ المدقِّقُ وعقليته في ادعائه لم يخلق الله مثلها، فأين الإمام الرَّازي وفلسفته؟ وأين الحافظُ ابن حجرٍ وبحثه واطلاعه؟ وأين فلان؟ وأين فلان؟ كلّ النَّاس مخرِّفون عداه، وكلّهم مغفَّلون سِواه، ولقد صدق الحافظُ أبو محمد بن حزم حيث قال: صنوف الحق أكثر من أنواع الثمر.

انتهىٰ أمد الإمهال وإذا بمجلَّة هدي الإسلام تُطْلعنا بمقال عنوانه هكذا: «ردٌّ علىٰ ردٍّ»، فعجبنا لمنطق العنوان، وحقَّ لنا أن نعجب إذ نحن لم نرد علىٰ أحدٍ في كلمة رمضان، ولم نكتبْ فيها ما يستحقُّ ردًّا ولا قبولًا، وإنَّما وجهنا سؤالًا، والسُّؤال كما لا يخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ مسكة من العلم والعقل من قبيل الإنشاء الذي لا يقبل تصديقًا ولا تكذيبًا ولا قبولًا ولا ردًّا، وإنَّما يعتمدُ جوابًا مطابقًا، فكان مقتضىٰ العنوان أنْ يكتب بما يفهم منه، أنَّ المُعنون له جوابٌ عن سؤال من سأله الكاتب، ولكن ما الحيلة فيمنْ لا يعرفُ مواقعَ الكلامِ ولا يفرِّق بين ما يستحقُّ جوابًا وما يستحقُّ ردًّا؟ دعْ عنك هذا فهو أهون مما بعده

وإنَّ بعض الشَّر أهونُ من بعض، ألقِ نظرة على المقال تَرَ عجبًا مما لم يخطر ببالك ولا سنَح بفكرك، ولعلَّك تسأل ماذا عسى أنْ يكون في هذا المقال؟ فإليك البيانُ فيه ما شئت من فنونِ الشَّتمِ والسبابِ فيه وادعاء ينطق بتكذيبهما الجماد، وفيه خلطُ المواضع البعيدة التناسب على وجهٍ يشهد الجاهلُ وعديمُ الذَّوق أنَّه محضُ هذَيان، وفيه قُحَّةٌ بالغةٌ تنبئ عن صفاته وفيه وفيه من ضروب التخريف والسَّخافة مالا أكاد أحصيه، افتتحَ ذلك المنكِرُ مقاله بالإزراء علينا والحطِّ من كرامتِنا، حتى لقد رمانا بما لو صحَّ لكان في إسلامنا شكٌّ والعياذُ بالله تعالى، ذلك أنَّه قال في حقِّنا بعد كلامٍ ما لفظه: «مؤْثِرًا نفسه على كرامةِ صاحبِ الأحاديثِ».اهـ حرفيًّا. فبالله عليكم أيُّها القُرَّاء ما معنى هذا الكلام السَّاقط؟ وكيف ترون الحكم في أيِّ مسلمٍ صحَّ عنه أنَّه آثر نفسه على كرامة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ثمَّ طَفرَ طفرةً بعيدة المدى فتناول بالثَّلب شقيقَنا السَّيد أحمد للمناسبتين الآتيتين:

١ – كونه أخًا للمردود عليه، وتلك مناسبةٌ شديدةُ الارتباط بالموضوع في نظر المنكر، ولم يفتطن لها أهلُ الأصول، وإلا لأثبتُوها في مسالك العِلَّة، فهنيئًا للمنكر بهذا الاختراع الطَّازج.

٢ – كونه صحَّح حديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها**» وتلك زلَّةٌ في نظر المنكر لا تُغفر، ولماذا؟ لأنَّ حديثَ العلم لم تقبله عقليته الجبَّارة، تلك العقليَّة التي سبقت عقليَّة الإمام الرَّازي وأمثاله من فلاسفةِ العالم وذهبت إلى حيث ...! والحقُّ يقال: نحنُ مخطِئون فيما فعلنا أشدَّ الخطأ، فقد كان يجب علينا

معشرَ أهلِ الحديثِ في مشارق الأرض ومغاربها أن نعرضَ الأحاديث علىٰ حضرة المنكر فما قبله عقلُه منها صحَّحناه وما لم يقبله تكلَّفنا تضعيفَه وتوهينه، ولو خولفت الصِّناعة الحديثية ولو كان في "صحيحي" البخاريِّ ومسلم ولو صحَّحه المحدِّثون قاطبةً، وما قيمة هذا بالنسبة إليه؟ أليس كل النَّاس مُحرِّفين عداه؟! أليستْ القواعدُ مردودةً إلَّا ما تعطَّف علينا منها فأعاره عينَ الرِّضا والقبول؟!

احتجَّ المنكر لتضعيف حديث «**أنا مدينةُ العلمِ ...**»إلخ بنقول أهل الجرح والتعديل التي ذكرها الحافظ السُّيوطي في كتاب "اللآليء المصنوعة"، وما درىٰ المسكين أنَّ تلك النقول عرفناها وأضعافها قبل أن يعرفَ هو كتاب "اللآليء"، وأزيدُ علىٰ ذلك أنَّنا استقيناها من نفس المصدر التي استقىٰ منها صاحبُ "اللآليء"، ما درىٰ هذا ولا درىٰ أنَّ أخي فنَّدها في كتابه "فتح الملك العليِّ" بما لا يبقىٰ معه أدنىٰ شك لعالمٍ عاقلٍ، ما درىٰ هذا ولا درىٰ أنَّ أخِي سلك في تصحيح الحديث تسعة مسالكَ تخلَّلها قواعد حديثيَّة، وأخرىٰ أصوليَّة، ومسائل من الجرح والتعديل، وشواهد للحديث معنويَّة، ومتابعات لرواته، إلىٰ غير هذا مما لو أتيح للمنكر أنْ يعرف بعضَه لادَّعىٰ -وهو علىٰ قصوره كثير الدعاوىٰ- أنَّه أوحدُ عصره حديثًا وأصولًا واطِّلاعًا، ما درىٰ هذا ومن أدراه به كيف له أنْ يصل إليه؟ أستغفر الله، بل هو غنيٌّ عن هذا كلِّه بما وهبه الله من عقلٍ جبَّارٍ، وفكرٍ لا يُشقُّ له في ميدان المنطق الصَّحيح والمناظرة الحقَّة غُبار، بخٍ بخٍ!

مما يستدلّ به المنكر علىٰ عدم تحقيقي في علمِ الحديث أنَّني أثبت أحاديث

المهدي، وقلت: إنَّ ظهوره حقٌّ، ومن مدةٍ شهر أخذ عنوان مقالاتنا العشر «ظهورُ المهديِّ حقٌّ» وغيره هكذا «المهديُّ حقٌّ ظهوره» وكتب تحته ما يضحك الثَّكلىٰ ويتسلَّىٰ به متعب الفكر إذا طلب الرَّاحة من عناء المطالعة، ولستُ في حاجةٍ إلىٰ وصفِ ما وقعَ فيه علىٰ التفصيل، فأسلوبُ المنكر في كتاباته معروفٌ لا يخرجُ عن هذه النقاط: شتمٌ بغير موجبٍ، دعاوىٰ كاذبةٌ، وقاحةٌ متناهيةٌ، خبطٌ وتخليطٌ، فهذا ونحوُه هو فنُّ المنكر منذ أنِ ابتلىٰ الله عالمَ الجرائد والمجلَّات به إلىٰ يومنا هذا، وإلىٰ ما شاء الله أن تستمر البليَّة به، يدَّعي أنَّ أحاديث المهديِّ لا تخلو من خدْشٍ، ونحن لا ننازع في هذا، ولكنَّا نستفسره أهيَ كلها مخدوشةٌ أم بعضُها؟ إنْ ادعىٰ الأول: فالواقع يكذِّبه وابن خلدون نفسه أوَّل من يخالفه، وإنْ اختار الثاني: صدَّقناه وصدَّقه الواقع ووافقه ابن خلدون، وحينئذ يكون بالضرورة في أحاديث المهديِّ ما هو سالمٌ من الخدش ولا معنىٰ لسلامته إلَّا أنَّه صحيحٌ أو حسنٌ فإذا صحَّ قولنا: «ظهورُ المهدي حقٌّ»؛ لأنَّ ما ثبت عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا بدَّ أنْ يكون حقًّا، ومن شكَّ في ذلك فحكمُه ظاهرٌ.

انتقد ابن خلدون ثمانية وعشرين حديثًا من أحاديث المهديِّ، وهي كلها (١٢٠) حديثًا، ثمَّ قال في آخر نقده: فهذه جملة الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزَّمان، وادَّعىٰ بعد نقله كلام الصُّوفيَّة في المهدي أنَّه استوفىٰ جميعها، وهو معذورٌ في هذا الادعاء؛ لأنَّه لم يقفْ علىٰ بقيَّة طرقها التي زادت علىٰ المائة كما ذكرنا ثمَّ قال: «وهيَ كما رأيتَ لم يخلص منها إلَّا القليل أو الأقلّ منه»، فكتب عليه شقيقنا السَّيد أحمد في كتابه "إبراز الوهم

المكنون من كلام ابن خلدون" لا في تغليظ ابن خلدون كما حرَّفه المنكر ما نصُّه: «قلتُ: وقد عرفت استنقادنا لها بالحق من نقده بالباطل، وأنَّ نقده لم يبقِ موجهًا إلَّا في القليل أو الأقل منه عكس ما قال»، وعلىٰ فرض تسليم دعواه وأنَّه لم يسلم منها إلَّا القليل أو الأقل منه، فما الشُّبهة عنده في دفع ذلك القليل؟ وما الاعتذارُ عن عدم قبول ذلك الأقل الذي اعترفَ بصحَّته وأقرَّ بخلاصه من النَّقد وسلامته؟ أيرىٰ فيما يذهبُ إليه أنَّه لا يعمل بمقتضىٰ وارد إلَّا إذا اشتهر أو تَوتَّر، كلَّا إنَّه لا يرىٰ هذا ولا رآه أحدٌ قبله ولا بعده، وإنَّما هو عنادٌ ظاهرٌ واختفاءٌ عن الحقِّ واضحٌ، وتكبُّر عن الإذعانِ لما لم يوافقْ الهوىٰ والمزاج، فكم رأيناه يحتجُّ بأحاديث أفرادٍ ليس لها إلَّا مخرجٌ واحدٌ، وفي ذلك المخرج أيضًا مقالٌ، نعم تلك لا ضرر فيها علىٰ النَّاصبيَّة وهذه الأحاديث المتواترة غير موافقة أصول مذهب النَّواصب والخوارج، فلذلك انتقد منها ما وجد له سبيلًا ولو في محلّه، ورأىٰ أنَّ ما صحَّ منها ولم يبلغ حد التواتر علىٰ شرطه لا يُعمل به في مثل هذا الباب، وإنْ تواتر علىٰ طريقة الجمهور، هذا ظاهرُ كلامه بل صريحُ صنيعه، انتهىٰ المقصودُ منه.

وهذا بعينه يتوجَّه علىٰ المنكر إلَّا إنْ حكَّم عقليَّته فلم يقر بصحَّة حديث أصلًا، وابن خلدون اعترف بصحَّة حديثين.

الأول: أخرجه الحاكم قال: ثنا أبو بكر بن إسحاق وعلي بن حَمْشاد العدل وأبو بكر محمد بن أحمد بن بالَوَيه قالوا: ثنا بشر بن موسىٰ الأسدي عن هارون ابن خليفة، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابيِّ، عن أبي الصِّدِّيق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقومُ السَّاعةُ**

حتَّى تُمْلأَ الأرضُ جَوْرًا وعُدْوانًا، ثمَّ يخرجُ مِن أهل بَيتِي رجلٌ يمْلؤُها قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ ظُلْمًا وعُدْوانًا».

وقال الحاكم أيضًا: ثنا الحسين بن علي الدارمي: ثنا محمد بن إسحاق الإمام: ثنا محمد بن يسار عن ابن أبي عدي، عن عوف الأعرابي به ثم قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشَّيخين، وأقرَّه ابن خلدون ومن قبله، أقره الحافظُ الذَّهبيُّ وهو أشدُّ الحُفَّاظ تحريًا في التصحيح.

الثاني: أخرجه الحاكمُ أيضًا قال: حدَّثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي: ثنا سعيد بن مسعود: ثنا النضر بن شُميل: ثنا سليمان بن عبيد: ثنا أبو الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يخرجُ في آخرِ أُمَّتي المهديُّ، يسْقِيهِ اللهُ الغَيْثَ وتخرج الأرضُ نباتَها، ويُعْطِي المالَ صِحَاحًا، وتكثرُ الماشيةُ، وتعظمُ الأُمَّة سَبعًا أو ثمانيًا يعني حِججًا**» قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد وأقرَّه الحافظ الذَّهبي وكذا ابن خلدون، غير أنَّه كتب عليه هذه العبارة: «مع أنَّ سليمان بن عبيد لم يخرج له أحدٌ من السِّتة، لكن ذكره ابن حبَّان في "الثقات" ولم يرد أنَّ أحدًا تكلَّم فيه». اهـ

وهي كما ترى لا تفيد طعنًا في الحديث، وكون الرَّاوي لم يُخرج له السِّتةُ ليس بضائره شيئًا، وكثيرٌ من الثِّقاتِ لم يروِ عنهم أحدٌ من السِّتة فكان ماذا؟ على أنَّ ابن خلدون اعترف بأنَّ سليمان بن عبيد ذكره ابن حبَّان في "الثقات" واعترف بأنَّ أحدًا لم يتكلَّم فيه، وهل يطلب في مُطلقِ التصحيح أكثر من هذا؟ فهذان حديثان صحيحان باعترافِ ابن خلدون يخرجان من الثمانية والعشرين

المنتقدة، مجموع المنتقد (٢٦) حديثًا تخرجُ من المائة والعشرين يبقى الخالص من النقد (٩٤) حديثًا، هذا بعد فرض تسليم نقد ابن خلدون، كيف وهو في حيِّز المنعِ فأين يذهبُ المنكرُ؟ أليس الأولى به أنْ ينقبعَ في عقرِ بيتِه، ويريحَ النَّاس من صخَبِه؟ ولله درُّ من قال: لو سكتَ من لا يعلم لقلَّ الخلافُ. (يتبع)

٩٦- حول أولية النور المحمدي (٢)[١]

طفر المنكِر طفرةً أخرىٰ -وكلّ مقاله طفراتٌ- فقال يخاطبني: أليس في تصحيحك لحديث: «**شَفَاعَتِي لأهْلِ الكَبَائر مِن أُمَّتي**» كلامٌ -وما هو هذا الكلام-؟ قال مبينًا له: «ادَّعيت أنَّ أهل الحديث متَّفقون علىٰ صحَّته، والإمام الذَّهبي يقول في "ميزانه" ناقلًا عن أبي يعلىٰ: إنَّه منكرٌ، وفي "تذكرة الموضوعات" للمقدسي قال: إنَّ فيه محمَّد بن ثابت البناني وأنَّه ليس بشيءٍ، والسُّيوطي لم يدَّع فيه الصِّحَّة فأين الاتفاق؟» اهـ.

لو كان المنكر يعقلُ لأدركَ أنَّ صواب العبارةِ أنْ يقولَ: أليس في نقلك الاتفاق علىٰ صحة حديث: «**شَفاعتي لأهل الكبائر مِن أُمَّتي**» كلامٌ ثمَّ ينبِّه بما بعده حتىٰ تتسقَ الجملتان، وترتبط ثانيتهما بأولاهما ارتباط النتيجة بالدَّليل فيحسن حينئذ موقع قوله: «فأينَ الاتفاقُ» مما قبله؟ وأمَّا موقعُه الآن فأقبحُ موقع، والجملتان متنافرتان؛ لأنَّ الأولىٰ: تشير إلىٰ الخدش في نفس تصحيح الحديث، والثَّانية: وهي مبيِّنة للأولىٰ ومتمِّمة لها، تخدش في نقل الاتفاق علىٰ صحته فيصير المعنىٰ هكذا: تصحيحك لحديث: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**» فيه كلامٌ؛ لأنَّك نقلتَ الاتفاق علىٰ صحَّته، والاتفاقُ غيرُ صحيحٍ ينتج أنَّ الحديث غير صحيح!! أليس كذلك؟! قياسٌ منطقيٌّ صحيحٌ، لكنَّه فاسد الصُّورة والمادة... ولا تعجبنّ لما فيه من تلازم بدون ملازمة، فإنَّ لذلك نظيرًا من مذهب المعتزلة في إثباتِ الصِّفات المعنويَّة مع نفي أصلِها، وهو صفات

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٤٩) ٢٦ ذي الحجة ١٣٥٤.

المعاني، ولو أنَّه عكَس فاستدلَّ بنفيِ التصحيح علىٰ نفيِ الاتِّفاق علىٰ الصِّحة لكان أظهرَ في اللزوم مما فعل لكن شاءت عقليَّته الجبَّارة أنْ يكون استدلاله علىٰ الوجه الأكمل فسبحان الفتَّاح العليم!!!

أمَّا ما نقله عن الذَّهبيِّ في "الميزان" فهو لا يدلُّ علىٰ وجود خلافٍ في صحَّة الحديث كما زعم، وإنَّما يدلُّ علىٰ وجود خلل في عقله، وهكذا شِدَّة الذَّكاء تنقلبُ بصاحبها إلىٰ غباوةٍ شديدةٍ، فإنَّ الشَّيء إذا خرجَ عن حدِّه انقلب إلىٰ ضدِّه.

عادة الذَّهبي وغيره من أهل التعديل والتجريح: أنَّهم يوردون الحديث الصَّحيح بل والمتواتر في ترجمة راوٍ مجرَّح ويطلقون أنَّه باطلٌ! أو منكرٌ أو نحو هذا، ويريدون خصوص سندٍ معيَّنٍ أو لفظ لكون ذلك الرَّاوي المجرح اختلقه إنْ كان كاذبًا أو وهم فيه ولم يكن كذلك، وليس مرادهم الحكم علىٰ الحديث من أصله، فلهذا نصَّ الحُفَّاظ: أنَّه لا يصحُّ أخذِ كلام المجرَّحين في الحديث علىٰ إطلاقه إلَّا بعد مراجعته من مظانِّه؛ لأنَّهم يتكلَّمون باعتبار صناعة خاصَّة، ولذا تجد الذَّهبيَّ يستنكر أحاديث في "الميزان" وقد صحَّحها في غيره من كتبه من طريقٍ آخر كما ستمر بك أمثلة من ذلك إن شاء الله تعالىٰ، قال الحافظُ السُّيوطي في كتاب "اللآلِيء" أثناء كلام ردَّ به علىٰ ابن خلدون ما نصُّه: «واعلم أنَّه جرت عادة الحفَّاظ كابن حبَّان والحاكم والعقيلي وغيرهم، أنَّهم يحكمون علىٰ حديثٍ بالبطلان من حيثيَّة سندٍ مخصوصٍ، لكون راويه اختلق ذلك السَّند لذلك المتن، ويكون ذلك المتن معروفًا من وجهٍ آخر، ويذكرون ذلك في ترجمة ذلك الرَّاوي يجرحونه به، فيغتر ابن الجوزيِّ بذلك ويحكم علىٰ

المتن بالوضع مطلقًا ويورده في كتاب "الموضوعات" وليس هذا بلائقٍ، وقد عاب عليه الناس ذلك آخرهم الحافظ ابن حجرٍ».اهـ

وقال أيضًا بعد كلامٍ ما نصُّه: «وكثيرًا ما تجدهم يقولون: هذا الحديث بهذا الإسناد باطلٌ-أي وهو بغيره ليس بباطلٍ- فمثل هذا لا يُذكر في كتب الموضوعات، وإنَّما يُذكر في كتب الجرحِ والتعديلِ في ترجمة الرَّاوي الذي يُراد جرحه».اهـ

فأين كان المنكر عن هذا الكلام النفيس وهو الباحثُ الكبير؟! لو أنَّه طالع كتاب "اللآلئ"-وهو متداولٌ بكثرة- لما وقعَ في هذه الأضْحوكة، أو لو أنَّه طالع الكتاب الذي انتقده -لطيشِه- قبل أنْ يراه وهو "فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ" لوجد فيه هذه القاعدة بأدلتها مع قواعدَ أُخرَ لا يظفر بها حتىٰ في كتب المصطلح الكبيرة، لكنَّه ذو عقلٍ جبَّارٍ ينقد الكتبَ قبل أنْ يراها ويكتبُ بدون مطالعةٍ ولا تثبُّتٍ، ففي عقله غناءٌ عن كلِّ هذا وإذ قد ذكرنا تلك القاعدة، ولم يكن ليعرفها المنكر ولو عاش في تخبُّطه آلاف السِّنين، فلنوضِّحْها بجملةٍ من الأمثلة إذ بالمثال يتضح الحال.

١ – حديث: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ**» متفقٌ عليه من حديث أنس وأبي أيوب، ورواه الدَّارقطني في "غرائب مالك" من طريق أبي داود وإبراهيم بن فهد عن القَعْنبيّ، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر به مرفوعًا، وقال: هذا باطلٌ.

٢ – حديث: «**صلاةٌ في مسجدِي هذا أفضلُ مِن ألفِ صلاةٍ فيما سِواه، إلَّا المسجدَ الحرامَ**»، متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة، ورواه الدَّارقطنيُّ في

"الغرائب" من طريق أحمد بن محمد بن عمران، عن عبدالله بن نافع الصَّائغ، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وقال: لا يثبت بهذا الإسناد وأحمد بن محمد مجهولٌ.

٣ - «اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تمْرةٍ» متفقٌ عليه من حديث عديٍّ بن حاتم، ورواه الدَّارقطنيُّ في "الغرائب" من طريق الحسن بن يوسف عن بحر بن نصر، عن ابن وهب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر وقال: هذا باطلٌ بهذا الإسناد.

٤ - حديث «كلّكم راعٍ ومَسْئولٌ عنْ رعيَّته»، متفقٌ عليه من حديثِ ابن عمر، وذكره الذَّهبي في ترجمة إبراهيمَ بن بشَّار الرَّمادي من روايته عن ابن عيينة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ به مرفوعًا، وقال: هذا وهمٌ كان ابن عيينة يرسِله، ثمَّ نقلَ عن ابن عدي أنَّه قال: لا أعلمُ أنكر علىٰ إبراهيم إلَّا هذا، وباقي حديثه عن ابن عيينة مستقيمٌ.

٥ -حديث «منْ يُرِدِ الله به خَيرًا يُفَقَّه في الدِّين»، متفقٌ عليه من حديث معاوية، وذكره الحاكم في "تاريخه" من طريق الحجَّاج بن سمرة عن أبيه، وقال: هذا باطلٌ وإسناده مظلمٌ، وكذا ذكره الذَّهبيُّ في ترجمة أحمد بن محمَّد الوراق من روايته عن أبي بكر بن عبَّاس، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله به مرفوعًا؛ لزيادة «ويلهِمُهُ رُشْدَه» ثمَّ استنكره ونقل عن ابن عدي مثل ذلك.

٦ -حديث «إذا دَخَلَ أحدُكم المسجدَ فلا يجلسْ حتَّى يَرْكَعَ ركْعَتَين»، متفقٌ عليه من حديث أبي قتادة، وذكره الذَّهبيُّ في ترجمة اليسع بن طلحة من

روايته عن أبيه، عن ابن عبَّاس وعدَّه من مناكيره.

٧ - «مَن بَدَّلَ دينَه فاقْتُلُوهُ» رواه البخاريُّ في "صحيحه" من حديث ابن عبَّاسٍ وأشار إليه الذَّهبيُّ في ترجمة موسىٰ بن إبراهيم الدمياطي من روايته عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر وأطلق أنَّه باطلٌ، قال الحافظ في "اللسان": «يعني بهذا الإسناد وليس المتن باطلًا، وإنَّما أطلقَ ذلك بالنسبة لهذا الإسناد».اهـ

٨ – حديث: «مَنْ قالَ عليَّ ما لم أقلْ فلْيتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّار» متواترٌ كما هو معلومٌ، وذكره الذَّهبيُّ في ترجمة محمَّد بن عبدالله بن الخيَّام السَّمَرْقَنديِّ من روايته عن الخضر وإلياس عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه موضوعٌ.

٩ –حديث: «الحياءُ مِنَ الإيمانِ، والإيمانُ في الجنَّةِ، والبَذَاءُ مِنِ الجفَاءِ، والجفَاءُ في النَّارِ» صحَّحه الحاكمُ علىٰ شرط الشَّيخين من حديث أبي بكرة وأقرَّه الذَّهبي، ثمَّ ذكره في ترجمة أحمد بن عبدالله بن يزيد الطبركي من روايته عن عليِّ بن إسحاق الحنظليِّ عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر وحكم بأنَّ المترجم وضعه.

١٠ - «طَلَبُ العِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ» له طرقٌ متعدِّدةٌ أشرت إليها في مقالي «نقد وإجابة» وذكره الذَّهبيُّ في ترجمة إبراهيم بن موسىٰ المَرْوَزِيِّ من روايته عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر ونقل عن أحمد أنَّه قال: هذا كذبٌ. وأعقبه بقوله: يعني هذا الإسناد وإلَّا فالمتنُ له طرقٌ ضعيفة.

١١ – حديث «مَنْ حَلفَ بشيءٍ دونَ الله فقدْ أشْرَكَ» صحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشَّيخين من حديث ابن عمر، وأقرَّه الذَّهبيُّ ثمَّ ذكره في ترجمة إسرائيل بن

يونس بن أبي إسحاقَ السَّبِيعِي وقال: غريبٌ.

١٢ - «**البحرُ هُوَ الطَّهُورُ ماؤُه الحِلُّ مَيْتَتُهُ**»[١]، رواه مالكٌ وأحمد والأربعة من حديث أبي هريرة، وصحَّحه البخاريُّ والترمذيُّ وابن المنذر والبغويُّ وابن مَنْده وابن الأثير وابن الملقِّن، ورواه الدَّارقطنيُّ في "الغرائب" من طريق أحمد بن عمر بن زنجويه، عن هشام بن عمَّار، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر ثمَّ قال: باطلٌ بهذا الإسناد، ومثل هذا كثيرٌ في "الميزان" و"لسانه" و"تعجيل المنفعة" وغيرها من الكتبِ المخصَّصة لبيان حال رواة الأحاديث، فلو أردنا استقصاءَه لاحتجْنا إلىٰ زمنٍ طويلٍ، وعلىٰ أنَّ فيما ذكرناه كفاية، والمقصود أنَّ أهل التعديل والتجريح يحكمُون علىٰ الحديث بالبطلان أو النَّكارة أو الضعف، ويعنون طريقًا مخصوصًا أو لفظًا معيَّنًا، ولا يضيرُهم أنْ يكون الحديث بالنَّظر إلىٰ أصله صحيحًا أو حسنًا أو متواترًا، فمن اعتمد إطلاقهم وأخذه حجَّةً علىٰ عمومه، ردَّ كثيرًا من الأحاديث الصَّحيحة والمتواترة، وأبان فعله ذلك عن جهلٍ عظيمٍ كما وقع للمنكر، فإنَّه رأىٰ الذَّهبيَّ استنكره في "الميزان" من طريقٍ خاصٍّ -ويُلاحظ أنَّ رؤيته كانت مصادفة- فما زاد علىٰ أنَّ نقله نقل مسطرة معتقدًا أنَّه فلج علينا، وهيهات هيهات، نحن لا نفوه بالكلمة حتىٰ نحسب لها حسابها ونحوطها بسياجٍ من الدَّلائل القويَّة، فما كنَّا غافلين عمَّا في "الميزان"

---

(١) هذا الحديث غير موجود في "الصحيحين" مع وجوده في "الموطأ"، وبهذا ونحوه يبطل قول من يزعمُ تعاطي هذا الشَّأن: «إنَّ كلَّ حديثٍ موصولٍ في "الموطأ" فهو مخرَّجٌ في "الصحيحين"» وقد حققَ الموضوعَ شقيقُنا السَّيد أحمد في كتابه "سَمْل العينين، ممن فضَّل الموطأ علىٰ الصحيحين" وهو ردٌّ علىٰ كتابِ "دليل السَّالك إلىٰ موطأ مالك"». اهـ كاتبه.

وقت أنْ قلنا: إنَّ حديثَ الشَّفاعةِ صحيحٌ، وإنَّ المحدِّثين متفقين على صحَّته، كما لم يكن يخطرُ لنا ببالٍ أنَّ ذكاءَ المنكر سيصلُ به إلى هذا الحدِّ حتَّى ينقضَ كلامنا بكلامٍ لم يعرفْ أوله من آخره، ولا كيف محمله عند أهله، ولكن حيث وقع ما لم نكن نتوقَّعه، وجب أنْ نلمعَ إلى الحديث بما يزيل عنه الإشكال فنقول:

حديث الشَّفاعة خرَّجه الترمذيُّ وابنُ خزيمة قالا: ثنا العبَّاس العنبريُّ: ثنا عبدالرزَّاق عن مَعْمَر، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليهوآله وسلَّم: «**شَفاعَتي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتي**» قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه.

ورواه البيهقيُّ من طريق عبدالرزَّاق عن مَعْمَر، عن ثابت، عن أنس، وقال: إسنادٌ صحيحٌ.

ومن هذا الطريق رواه الحاكمُ وقال: صحيحٌ على شرط الشَّيخين ووافقه الذَّهبيُّ.

وقال ابن خزيمة: ثنا محمَّد بن يحيى: ثنا الخليل بن عمر، وثنا يحيى بن محمَّد بن السَّكن: ثنا الخليل ابن عمر قال: قال عمر الأصمُّ -وهو عمر بن سعيد- عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنسٍ به مرفوعًا.

ورواه الحاكمُ من طريق الخليل بن عمر بن إبراهيم: ثنا عمرُ الأبحّ -بالموحدة والمهملة وهو الأصمُّ- عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنسٍ، وهذا الطريق رفع احتمال إرسال خفي في طريق ابن خزيمة.

وقال ابنُ خزيمة: ثنا العبَّاس بن عبدالعظيم -وهو العنبريُّ-: ثنا سليمان بن حرب: ثنا بسطام بن حريث عن أشعث الحُدَّاني -بضم المهملة وتشديد

الدَّال- عن أنسٍ به مرفوعًا.

ورواه أحمد وأبو داود والحاكم من طريق سليمان عن أشعث عن أنسٍ.

ورواه ابن خزيمة من طريق مالك بن دينار عن أنسٍ، ورواه أيضًا من طريقِ يزيد الرَّقاشي وزياد النميري، كلاهما عن أنس.

وخرَّجه ابن خزيمة وابن حبَّان في "صحيحيهما" في "المستدرك" والبيهقيُّ في "البعث" من طريق زهير بن محمَّد، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جابر، قال الحاكم: صحيحٌ علىٰ شرط الشَّيخين، وقال الذَّهبي: صحيحٌ علىٰ شرط مسلم.

وروىٰ البيهقي في "البعث" من طريق الشعبي عن كعب بن عجرة قال: قلت يا رسول الله: الشَّفاعة الشَّفاعة، قال: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتِي**»، وقال عبدالرزَّاق: أخبرنا مَعْمر عن ابن طاوس، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شَفاعتِي يومَ القيامةِ لأهْلِ الكبائرِ منْ أُمَّتي**»، ومن هذا الطريق رواه البيهقي وقال: مرسلٌ حسنٌ.

هذا ما حضرنا من طرق الحديث أمليناه في الحال، وإليك أسماء بعض الحفَّاظ الذين صحَّحوه وهم: الترمذيُّ وابنُ خزيمة وابنُ حِبَّان والحاكمُ والبيهقيُّ والمنذريُّ والذَّهبيُّ والبوصيريُّ -وليس هو صاحب البردة- والسَّخاويُّ، هذا وقد وضع بعض الضُّعفاء المتروكين له أسانيد اختلاقًا منهم أو وهمًا، فلذلك أورده الذَّهبيُّ في تراجمهم من "الميزان" مستنكرًا ذلك، فقال في ترجمة صديق بن سعيد الصوناجي التركي: روىٰ عن محمَّد بن نصر[1] المَرْوَزيِّ عن يحيىٰ، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ**

(١)وقع في "الميزان" بصير وهو خطأ مطبعي.

من **أُمَّتي**» هذا لم يروه هؤلاء قط، لكن رواه عن صديق من يجهل حاله: أحمد بن عبدالله بن محمَّد السرسي فما أدرىٰ من وضعه اهـ.

وقال في ترجمة عبدالله بن أبي بكر المقدمي: له عن جعفر بن دينار عن أنسٍ مرفوعًا: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتِي**» قال أبو يعلىٰ: هذا منكرٌ اهـ.

وقال في ترجمة موسىٰ بن عبدالرحمن الصَّنعاني: روىٰ عن ابن جريج عن عطاء، عن ابن عبَّاس مرفوعًا: «**شَفاعَتي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتِي**» وسرد أحاديث ثمَّ قال: قال ابنُ عديٍّ: هذه الأحاديثُ بواطيلُ اهـ.

بقي أنْ نتكلَّم علىٰ قول ابن طاهر المقدسي الذي نسخه المنكِر نسخًا من "تذكرة الموضوعات" معتقدًا أنَّه خادشٌ في صحة الحديث أيضًا ككلام الذَّهبيِّ السَّابق، فكان أنموذجًا من نماذج جهله، والواقع أنَّ كلام المقدسي لا حجَّة فيه علينا لأمورٍ:

١ - أنَّ ابن طاهر المقدسي متكلِّمٌ بلسان ابن حبَّان وابن عديٍّ؛ لأنَّ كتابه "تذكرة الموضوعات" ملخَّصٌ من "الضعفاء" للأول، و"الكامل" للثاني، وقد عرَّفْنَاك فيما سبق أنَّ صنيعَهما وغيرهما من الحفَّاظ، تضعيف الحديث من طريقٍ خاصٍّ لا مطلقًا.

٢ - أنَّ ابن طاهر هو نفسه مخدوشٌ فيه، وقد أورده الذَّهبيُّ في المحمَّديين في "الميزان" فقال ما نصُّه: محمَّد بن طاهر المقدسي ليس بالقوي «**بانَ له أوهامٌ كثيرةٌ في تآليفِه**» وقال ابن ناصر: كان لحنة وكان يصحِّف، وقال ابن عساكر: جمع أطراف الكتب السِّتَّة فرأيته بخطِّه «وقد أخطأ فيه في مواضع خطأً فاحشًا»اهـ.

ونقل من "تذكرة الحفَّاظ" عن الحافظ ابن عساكر أنَّه قال: مصنَّفاته كثيرة «لكنَّه كثير الوهم» اهـ.

ورماه بعضُهم بالزَّنْدقة والانحلال وعدم الثِّقة، لكن دافع عنه الذَّهبيُّ في "تذكرة الحفَّاظ" ولخَّص كلامه الحافظ في "اللسان"، وحاصله أنَّه صدوقٌ ثقةٌ يهِم كثيرًا، ولأجل وهمه المتفق عليه بينهم ذكرناه؛ لننبِّه المنكر على قيمة الكتب التي يحتجُّ بها ويعتمد عليها، ولنعرفه مقدار بحثه وتحقيقه.

٣ – أنَّ ابن طاهر ضعَّف الحديث بمحمَّد بن ثابت البناني وهو غير موجود في الطُّرق التي صحَّحناها وصحَّحها الحفَّاظ الذين ذكرنا أسماءهم وغيرهم، فكيف يرد كلامه نقضًا علينا مع هذا التباين؟!

٤ – أنَّ تضعيف ابن ظاهر باطلٌ من أصله؛ لأنَّ محمَّد بن ثابت البناني لم ينفردْ بالحديث، بل تابعه عليه زُهير بن محمَّد –وهو من رجال الشَّيخين– متابعةً تامَّةً، وله مع هذه المتابعة شواهد متعدِّدة من حديث أنسٍ وكعبِ بن عُجْرة ومرسل طاوس وقد ذكرناها، مما دلَّ كل ذلك على أنَّ محمَّد بن ثابت حفظ الحديث ولم يهم فيه، فلا معنى لتضعيف الحديث به مع وجود من وافقه على روايته، ولهذا لم يذكره الحافظ في ترجمته من "الميزان" مع ذكره أحاديث من مناكيره.

والخلاصة: أنَّ هذه الأمور كل واحدٍ منها يكفي لبطلان التعلق بكلام ابن طاهر في تضعيف الحديث، فكيف بها مجتمعة؟ وبالله التوفيق.

٩٧- هل ينفع الشريف نسبه؟[(١)]

زارني فضيلة الأستاذ الشَّيخ حسن النجَّار حفظه الله، وأخبرني أنَّ جماعة من فضلاء قنا تذاكروا فيما بينهم فضائل أهل البيت، وما لهم من مزايا ليست لغيرهم، وكان مما ذكروه من الأحاديث في هذا الموضوع حديث: «**كلُّ سببٍ ونَسَبٍ ينقَطِعُ يومَ القيامةِ إلَّا سَببِي ونَسَبي**»، فأشكل عليهم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ونحوه من الآيات والأحاديث الدَّالة علىٰ أنَّ يوم القيامة لا نسبَ فيه نافعٌ، ولا تُقبل شفاعةُ شافعٍ، إلَّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليمٍ، وإلَّا من أذن له بالشَّفاعة من رسولٍ كريمٍ، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وبعد أخذٍ وردٍّ ومناقشة بعضهم لبعض، قرَّ رأيهم أنْ يبعثوا لي بالمسألة علىٰ وجهها، لأبدي رأيي فيها، وطلبوا أنْ يكون ذلك علىٰ صفحات مجلَّة الإسلام، فلبَّيتُ رغبتهم رغبةً في الثَّواب، راجيًا من الله أنْ يوفقني للصَّواب، وأنْ يجعلني عند ظنِّ أولئك الأفاضل بي فهو الموفِّق والهادي، وعليه سبحانه اعتمادي.

وأوَّل ما نبدأ به ذكر الآيات الواردة في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية، فمنها قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[لقمان: ٣٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ

(١) مجلة الإسلام، السنة السابعة، العدد (١) سنة ١٩٣٨.

حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ٨ - ١١]، وقوله عز شأنه: ﴿ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، وفي آية أخرىٰ في سورة المدثر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وقوله جل ذكره: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧].

ومن الأحاديثِ في هذا المعنىٰ ما جاء في "صحيح" مسلم والسُّنن الأربعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«مَنْ نفَّسَ عن مُؤمنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامَةِ...»**. وذكر الحديث إلىٰ أنْ قال: **«ومن أبْطَأَ به عملُه لم يُسرِعْ به نَسَبُهُ»**.

وأخرج أحمد والبيهقي عن عقبة بن عامرمرفوعًا: **«إنَّ أنسابَكُم هذه ليستْ بِسِبابٍ على أحدٍ، وإنَّما أنتم وَلَدُ آدم طَفُّ الصَّاعِ لم تملؤه، ليس لأحدٍ فضلٌ على أحدٍ إلَّا بدِينٍ أو عملٍ صالحٍ»** زاد أحمد والطبراني: **«حسب الرَّجل أنْ يكون فاحشًا بذيئًا بخيلًا جبانًا»** ورجال إسناده علىٰ شرط الحسن إلَّا أنَّ في ابن لهيعة وهو مختلفٌ فيه.

وأخرج البزَّار والطَّبرانيُّ واللَّفظ له عن أبي سعيدٍ مرفوعًا: **«إنَّ ربَّكم واحدٌ وأباكم واحدٌ، فلا فضلَ لعربيٍّ على أعْجَميٍّ ولا أحمَرَ على أسودَ إلَّا بالتقْوَى»**، ولفظ البزَّار: **«إنَّ أباكم واحدٌ وإنَّ دينكم واحدٌ، أبوكم آدمُ، وآدمُ خُلِقَ مِن تُرابٍ»**، وإسناده صحيحٌ.

وروىٰ أبو داود والترمذيُّ والبيهقيُّ واللفظُ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إنَّ الله عزَّ وجلَّ أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرَها بالآباءِ، النَّاسُ بنو آدمَ وآدمُ مِن ترابٍ، مؤمنٌ تقيٌّ،**

وفاجرٌ شقيٌّ، لينتهينَّ أقوامٌ يفتخِرون برجالٍ إنَّما هم فحمٌ من فحمِ جَهنَّم، أو ليكونُنّ أهونَ على الله من الجِعْلان التي تدفعُ النَّتنَ بأنفِها» إسناده حسنٌ.

وأخرج الطبراني في "الصغير" و"الأوسط" والبيهقي عن أبي هريرة أيضًا مرفوعًا: «إذا كان يومُ القيامة أمر الله مناديًا ينادي: ألا إنِّي جعلتُ نسبًا وجعلتُم نسبًا، فجعلتُ أكرمَكم أتقاكم، فأبيتُم إلَّا أنْ تقولُوا: فلانُ ابن فلانٍ خيرٌ من فلانِ ابنِ فلانٍ، فاليومَ أرفعُ نَسَبي وأضعُ نسبَكم أينَ المتَّقُون؟» ورواه البيهقي أيضًا موقوفًا وقال: هو المحفوظ.

قلت: لأنَّ في سند المرفوع طلحة بن عمرو وهو متروكٌ.

ورواه الحاكم بلفظ: «إنَّ الله يقولُ يومَ القيامةِ، أمرتكُم فضيَّعتُم ما عَهِدتُ إليكُم ورَفَعتُم أنسابَكم، أينَ المتَّقونَ أينَ المتَّقونَ؟ إنَّ أكرمَكُم عند الله أتقاكُم».

وللخطيب من حديث عليٍّ عليه السَّلام: «إذا كان يومُ القيامةِ أُوقِفَ العبادُ بينَ يدي الله تعالى غُرْلًا بُهمًا، فيقولُ الله: عبادي أمرتُكم فضيَّعتُم أمري، ورفعتُم أنسابَكم فتافخرتُم بها، اليومَ أضعُ أنسابَكم، أنا الملكُ الديَّان أنا الملكُ الديَّان أينَ المتقونَ أينَ المتقونَ؟ إنَّ أكرمَكم عند الله أتقاكُم» قال الخطيب: حديثٌ منكرٌ لم أكتبه إلَّا بهذا الإسناد.

وأخرج الطَّبرانيُّ عن حبيب بن فراش العصغري سمع النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «المسلمونَ أخوةٌ، لا فضلَ لأحدٍ على أحدٍ إلَّا بالتَّقوى» إسناده ضعيفٌ.

وللبيهقي من حديث جابر في خطبة الوداع: «ألا لا فَضْلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ، إلَّا

بالتقوى، **إنَّ أكرمَكم عند الله أتقاكُم، ألا هلْ بلَّغتُ**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**فليُبلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ**» الحديث في إسناده ضعف.

وللترمذيِّ نحوه عن ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ.

وروىٰ أحمد عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**انظرْ فإنَّكَ لستَ بخيرٍ من أحمرَ ولا أسودَ، إلَّا أنْ تفضُلَه بتَقْوى**» رجاله ثقاتٌ مشهورون إلَّا أنَّ فيه إرسالًا.

وروىٰ الطبرانيُّ عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف قال: سمع عبدالرحمن بن عوف رجلًا يقول: أنا أولىٰ النَّاس برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: غيرُك أولىٰ به منك ولك نسبُه. إسناده ضعيفٌ.

وأصحُّ ممَّا تقدَّم كله وأصرح في الدَّلالة علىٰ المقصود ما جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، دعا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قريشًا فعمَّ وخصَّ، فقال: «**يا معشرَ قريشٍ أنقذُو أنفسَكم منَ النَّارِ، يا معشرَ بني كَعْبٍ أنقذُوا أنفسَكم منَ النَّارِ، يا معشرَ بني هاشمٍ أنقذُوا أنفسَكم من النَّار، يا معشر بني عبدالمطلبِ أنقذُوا أنفسَكم منَ النَّارِ، يا فاطمةُ بنت محمَّدٍ أنْقِذِي نفسَكِ منَ النَّارِ، فإنِّي واللهِ لا أملِكُ لكُم منَ الله شيئًا إلَّا أنَّ لكُم رحمًا سأبُلّها بِبَلَاهَا**».

وفي رواية البخاري: «**يا بَني عبدِ منافٍ اشترُوا أنفسَكم من الله، يا بني عبدالمطَّلبِ اشترُوا أنفسَكُم من الله، يا أمَّ الزُّبيرِ بن العوَّام عمَّةَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ اشتريا أنفسُكما منَ الله، لا أملِكُ لكُما منَ الله**

شيئًا سَلَاني من مالي ما شئْتُما»، وفي لفظ مسلم: «يا فاطمةُ بنت محمَّدٍ، يا صفيَّة بنت عبدِالمطلب لا أملكُ لكم منَ الله شيئًا، سلُوني من مالي ما شِئْتُم».

ولأحمد من حديث أبي هريرة أيضًا بلفظ: «يا بني عبدِالمطلبِ اشترُوا أنفسَكُم من الله، يا صفيَّة عمَّةَ رسولِ الله ويا فاطمةُ بنت رسولِ الله اشترِيَا أنفسَكُما منَ الله فإنِّي لا أغْني عنكُما منَ الله شيئًا سلَاني منْ مَالي ما شِئْتُما». وللحديثِ ألفاظٌ وطرقٌ في "المسند" و"الصحيحين" والسنن.

ورواه الطبرانيُّ بزيادةٍ منكرةٍ، ولفظُه عن أبي أمامةَ قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بني هاشم فأجلسهم على الباب وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت، ثمَّ اطلع عليهم فقال: «يا بني هاشمٍ اشترُوا أنفسَكم منَ النَّار وأوسِعُوا في فِكَاكِ رِقابِكُم، وافتكّوا أنفسَكم منَ الله عزَّ وجلَّ فإنِّي لا أملكُ لكُم منَ الله شَيئًا، ثمَّ أقبلَ على أهلِ بيتِه فقالَ: يا عائشةُ بنتَ أبي بكرٍ ويا حفصةُ بنت عمرَ ويا أمَّ سلمةَ ويا فاطمةُ بنت محمَّد ويا أمَّ الزُّبير عمَّة رسولِ الله، اشترُوا أنفسَكم مِنَ النَّار وأوسِعُوا في فكَاكِ رقابِكُم، وافتكُّوا أنفسَكم منَ الله عزَّ وجلَّ، فإنِّي لا أملك لكم من الله شيئًا ولا أغني»، فبكت عائشةُ وقالت: أي حِبِّي هل يكون ذلك يوم لا تغني عنَّا من الله شيئًا؟ قال: «نعمْ في ثلاثِ مواطنَ يقولُ الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء: ٤٧]، فعند ذلكَ لا أُغْني عنكُم من الله شيئًا، ولا أملكُ لكم من الله شيئًا، وعند النُّورِ منْ شاء أتمَّ الله له نورَه، ومن شاءَ أكبَّه في الظُّلماتِ يغمُّه فيها، فلا أملكُ لكم منَ الله شيئًا ولا أُغني عنكم من الله شيئًا، وعند الصِّراط من شاء سلَّمه وأجازه، ومن شاء كبكبه في

النَّار» قالت عائشة: أي حبي قد علمت الموازين هي الكفتان فيوضع في هذه فترجح هذه وتخف الأخرىٰ، وقد علمنا ما النور وما الظُّلمة فما الصِّراط؟ قال: «**طريقٌ بين الجنَّة والنَّار يجوز النَّاس عليها، وهو مثل حدِّ الموُسِي، والملائكة حافَّة يمينًا وشمالًا يخطفونهم بالكلاليب مثل شوك السَّعدان، وهم يقولون: ربِّ سلِّم سلِّم، وأفئدتهم هواءٌ فمن شاء الله سلَّمه ومن شاء الله كبكبه فيها**». في سنده علي بن يزيد الألهاني الشَّامي متروكٌ، والحديث منكرٌ؛ لأنَّ آية الإنذار نزلت بمكَّة، فقد جاء في "الصحيح" عن ابن عبَّاس أنَّها لما نزلت صعد النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الصَّفا فجعل ينادي... الحديث. وعائشة وأمُّ سلمة وحفصة لم يكن عنده، ولامن أزواجه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا بالمدينة، ولو ثبت الحديث لأمكن أنْ يقال: بتعدُّد القصَّة لكنَّه غير ثابتٍ فلا حاجة إلىٰ ادعاء التعدُّد مع أنَّه خلاف الأصل، علىٰ أنَّ تفسير الميزان والصِّراط في هذا الحديث يشهد له ما جاء في أحاديث أخرىٰ.

٩٨- هل ينفع الشريف نسبه(٤)[1]

وعدنا في المقال الثالث -بعد إذ أتينا بجملةٍ غير يسيرةٍ من طرق حديث: «كلُّ سببٍ ونسبٍ» وما في معناه- أنْ نجمع بينه وبين ما يعارضه مما قدمناه في المقال الأول؛ لأنَّ الجمع بينهما هو المقصود الأهم من السؤال، زيادةً على كونه مقررًا وجوبه في علم الأصول، إذا تعارضت النقول، وقد رأينا أنْ نقدِّم قبل ذلك تأويلًا ذكره بعض العلماء حاول أنْ يدفع به التعارض -حيث خفي عليه وجه الجمع- فقال: معنى الحديث أنَّ أمَّته عليه وآله الصَّلاة والسَّلام تُنسب إليه يوم القيامة، حيث تُدعى بأمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بخلاف سائر الأمم فإنَّهم لا ينسبون إلى أنبيائهم، فالمراد بالنَّسب في الحديث على هذا نسبٌ عامٌّ، هو انتساب الأمَّة إلى نبيها وإضافتها إليه، أمَّا النسب المنفي في الآية ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾[المؤمنون: ١٠١]، فهو النَّسب الخاص المعهود وهو نسب القرابة، وحينئذ لا تعارض بين الآية والحديث؛ لأنَّ النَّسب المنفي في أحدهما غير المثبت في الآخر، ذكر هذا التأويل الحافظ السُّيوطي في "الخصائص" والقسطلاني في "المواهب" وأشارا إلى تضعيفه، وحكاه الرَّافعي في "الشرح الكبير" وجهًا في معنى الحديث.

قال السَّيد السمهودي في "جواهر العقدين": ويرده أمور:

أحدها: ما ثبت عن عمر في استناده إليه في الحرص على تزويجه بأمِّ كلثوم، وأقرَّه عليٌّ رضي الله عنه على ذلك، وكأنَّ هذا القائل لم يطَّلع على ذلك.

---

(١) مجلة الإسلام، عدد (١١) ربيع الأول ١٣٥٧.

قلت: وأقرَّه المهاجرون والأنصار أيضًا، مع أنَّ عمر رضي الله عنه صرَّح بقوله: وإنَّه كانت لي صحبة أحببت أنْ يكون لي معها سببٌ.

ثانيها: ذكر الصهر مع السَّبب والنَّسب، كأنَّه لم يطَّلع عليه أيضًا.

ثالثها: غضبه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما قيل: إنَّ قرابته لا تنفع.

رابعها: في الأحاديث ما يقتضي نسبة غير هذه الأُمَّة إلىٰ أنبيائهم، ففي "صحيح" البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «**يجيء نوح عليه السَّلام وأُمَّته فيقول الله تعالىٰ: هل بلَّغت؟ فيقول: أي ربِّ. فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ ... الحديث**» وكذا جاء في غيره اهـ.

وبقي أمرٌ خامسٌ: وهو قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**والله إنَّ رحمي موصولة في الدُّنيا والآخرة**».

وبالجملة فهذا التأويل بعيدٌ، وسيَّما التكلُّف عليه ظاهرة، فتعيَّن غيره طريقًا للجمع بين الآية والحديث، وذلك ينحصر في مسالك:

المسلك الأول: أنَّ الحديث محمولٌ علىٰ أنَّه من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعلىٰ هذا درج الحافظ البيهقي في "السنن الكبرىٰ"، والحافظ السُّيوطي في "الخصائص"، والقسطلاني في "المواهب"، وجمهور العلماء الذين أَلَّفوا في الخصائص والمعجزات، وفي نفس الحديث إشارةٌ إلىٰ ذلك فإنَّ الإضافة في قوله: «**إلَّا سببي ونسبي**» إضافة تمييز وتخصيص، لمجيئها بعد عموم: «**كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ**»، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ عامٌّ في غير النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أمَّا هو فلا يشمله هذا العموم، ويتأيَّد هذا المسلك بما تواتر من أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

اختصَّه الله يوم القيامة بفضائل ومزايا لم يشركه فيها نبيٌ مرسلٌ ولا ملكٌ مقرَّبٌ، كالشَّفاعة العظمىٰ، والحوض، والسِّيادة المطلقة علىٰ ولد آدم، وأنَّه قائدالمرسلين وإمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم وصاحب المقام المحمود، وبيده لواء الحمد، وأول من يقرع باب الجنَّة وهي محرَّمةٌ علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها، وعلىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمَّته، ويدخلها منهم سبعون ألفًا بغير حسابٍ، وأنَّه لا يزال يسأل فيُعْطَىٰ ويشفع فيُشفَّع، حتىٰ إنَّ إبليس يتطاول طمعًا في الشَّفاعة وحتىٰ يناديه ربه: «أرضيت يا محمَّد»، فيقول: «أي ربِّ رضيت» وحتىٰ أنَّ مالكًا خازن النَّار يقول: يا محمَّد ما تركت لغضب ربِّك في أمَّتك من بقيَّة، إلىٰ غير ذلك من خصائصه التي لا تُحصىٰ في ذلك اليوم العظيم، فيكون اتصال نسبه من جملتها، إذ هو أظهر ما يمتاز به يومئذ مع انقطاع سائر الأسباب والأنساب، وأيُّ ميزة تكون له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا كان كغيره من آحاد النَّاس يفرُّ من أخيه وأمِّه وأبيه وصاحبته وبنيه؟! وإذا كان العالم الصَّالح يشفع في أقاربه وأصحابه كما ورد، فما ظنُّك بسيد العلماء؟ وقد ذكر السَّيد السمهودي عن ابن عبدالقديم قال: أخبرني محمَّد بن أحمد بن يوسف الأنصاري السلاوي قال: أخبرني الشَّريف القاضي الرَّازي الحنفي أنَّه رأىٰ والدي -يعني أبا عبدالله السلاوي- في المنام سنة (٦٢٣) فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: بشيءٍ من النِّسبة بيني وبين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: فقلت له: أنت شريف؟ فقال: لا. قلت: فمن أين النِّسبة؟ قال: كنسبة الكلب إلىٰ الرَّاعي. قال ابن عبدالقديم: فأوَّلته بالنسبة إلىٰ الأنصار، قال: ابنه أو إلىٰ العلم اهـ.أي: لأنَّ اسمه أحمد وهذا كما قال

صاحب البردة:

فــإنَّ لي ذِمَّـــةً مِنْـــهُ بتَسْـــمِيَتي　　محمَّدًا وهـو أوفَىٰ الخَلْـقِ بالـذِّمَمِ

قال السَّيد السمهودي عقب الحكاية المذكورة: وكون المقول له ذلك في النَّوم شريفًا من أهل البيت النَّبوي ظاهرٌ في أنَّ السلاوي أراد بشارته بأنَّ الشَّيء من مطلق النِّسبة -لكنايته عنه بنسبة الكلب إلىٰ الرَّاعي وإنْ بعدت- نافعٌ، فكيف بالنِّسبة النِّسبيَّة الخاصَّة اهـ.

فإن قال قائلٌ يعكِّر علىٰ هذا المسلك: قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث "الصحيحين": «**يا فاطمة أنقذي نفسك من النَّار فإنِّي لا أملك لك من الله شيئًا**» وفيهما أيضًا عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جهارًا غير سرٍّ يقول: «**إنَّ آل أبي[1] ليسوا لي بأولياء، وإنَّما وليي الله وصالح المؤمنين**»، زاد البخاري من طريقٍ آخر: «**لكن لهم رحم سأبلها ببلاها**». ففي الحديث الأول: تصريحٌ بأنَّه لا يملك لآل بيته من الله شيئًا، وفي الحديث الثاني: نفىٰ أنْ يكون له وليٌّ منهم إنْ لم يكن صالحًا.

قلنا: ليس الأمر كما توهم هذا القائل، وبيان ذلك يتضح بالجواب عن الحديثين.

فأمَّا الحديث الأول فيجاب عنه من وجوه ثلاثة:

الأول: أنَّ الحديث أخبر بالحقيقة فإنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يملك لأحدٍ من الله شيئًا لا ضرًا ولا نفعًا، وهذا لا ينافي أنَّ الله يملكه نفع أقاربه

---

(١) كذا جاء في "الصحيح" بدون ذكر المضاف إليه وقد اختلف في تعيينه علىٰ أقوال ذكرها الحافظ في "الفتح".

وجميع أمَّته بالشَّفاعة الخاصَّة والعامَّة، فهو لا يملك إلَّا ما يُمَلِّكه له مولاه عزَّ وجلَّ، وكذا قوله في رواية أخرىٰ: «**لا أُغني عنكم من الله شيئًا**» أي: بمجرَّد نفسي من غير ما يكرمني الله به من شفاعةٍ أو مغفرةٍ من أجلي -وقد أكرمه الله بذلك- وإنَّما أطلق الكلام ولم يقيِّده لاقتضاء المقام ذلك؛ لأنَّه مقام تخويفٍ وحثٍّ علىٰ العمل، ولأجل أن يحرِّضهم علىٰ أنْ يكونوا أوفىٰ النَّاس حظًّا من التقوىٰ والخشية لله عزَّ وجلَّ، ذكر هذا المعنىٰ المحب الطبري وغيره.

الوجه الثاني: أنَّ هذا كان قبل أنْ يُعْلِمَهُ الله بأنَّه يشفع وينفع يوم القيامة بالانتساب إليه دون غيره، ذكره السَّيد السمهودي ويؤيِّده أنَّ الحديث ورد عند نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، وكان ذلك في أوائل ما بعث النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الوجه الثالث: أنْ يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشِّرك، وأنَّه لا يملك لهم من الله شيئًا إنْ أشركوا أو استمر من كان منهم مشركًا علىٰ إشراكه؛ لأنَّ المشرك لا حظَّ له في الشَّفاعة، ولو كان أخصُّ الأقربين بل محكومٌ عليه بالخلود في النَّار أبد الآبدين أعاذنا الله منها وجميع أحبابنا، وهذا الوجه استنبطته ولم أره منصوصًا، ويؤيِّده أمران:

١ - أنَّ أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يعلم من سبب ورود الحديث.

٢ - أنَّه لم يوجِّه الخطاب إلىٰ طائفةٍ منهم معيَّنة، ولكنَّه عمَّهم جميعًا كما جاء في "الصحيح"، فشمل مؤمنيهم ومشركيهم، فوجب أنْ يكون الخطاب علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ هي التحذير من الشِّرك كما هو واضحٌ.

وبقي **أمرٌ ثالثٌ**: وهو ما جاء في "الصحيح" في قصَّة وفاة أبي طالب، أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أي عمِّ قل: لا إله إلَّا الله كلمةٌ أحاج لك بها عند الله**». وفي رواية للطبري: «**أجادل عنك بها**» أفاد هذا الحديث: أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يملك لأبي طالب حجَّة يحتج له بها عند الله إنْ لم ينطق بكلمة التوحيد، مع أنَّه أقرب النَّاس إليه؛ لأنَّ الشرك يمنع من ذلك علىٰ أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شفع في تخفيف العذاب، فشفع فيه كما في "الصحيح"، فهو أهون أهل النَّار عذابًا كما في الحديث.

وأما الحديث الثاني: فهو ينفي الولاية وهي وصفٌ خاصٌّ يستوجب مزيد العناية وكمال الرِّعاية، وذلك -أعني نفي الولاية- لا يستلزم نفي حصول نفع رَحِمَه وقرابته، وشفاعته للمذنبين من أهل بيته؛ لأنَّ الولاية وصفٌ خاصٌّ كما قلنا، وانتفاء الخاص لا يوجب انتفاء العام، والعام هنا: هو ثبوت الانتفاع بالشَّفاعة، وإليه يشير الاستثناء بقوله: «**ولكن لهم رحمًا سأبلها ببلاها**» فقد جوَّز الخطابي بعد أنْ حمل البلال علىٰ الصِّلة الدُّنيويَّة أنْ يحمل علىٰ الصِّلة الأخروية قال: فيكون معنىٰ قوله: «**أبلها ببلاها**» أشفع لها يوم القيامة اهـ، ويؤيِّده ما صحَّ من طرقٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي**» ففي هذا الحديث إثبات شفاعته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في أقلِّ الكبائر في أهل الكبائر، مع أنَّهم ليسوا بأولياء له إجماعًا، وإنَّما وليّه الله وصالح المؤمنين، قال السَّيد السمهودي: نعم ينتفي عنهم – أي مذنبي أهل البيت- بذلك الوصف بولاية الله ورسوله، وأعظم بها خسارة وإساءة أنْ يمنح الله العبد قرب النَّسب من أفضل خلقه وأشرفهم، فيكفر هذه النعمة بتعاطي ما

يسوءه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عند عرض عمله عليه، فإذا قال له يوم القيامة: «**يا محمَّد أعرض عنه**» كما ورد في الحديث، وكفىٰ بلاء ونقمة، وإنْ حصل الغفران ودخول الجنان، فإنَّما أولياؤه المتقون؛ لأنَّ ولي الله ورسوله من توالت منه الطَّاعات ولم يصر علىٰ ارتكاب المنهيات اهـ.

ويريد بقوله: كما ورد في الحديث: ما رواه البخاري في "الأدب المفرد" وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ أوليائي يوم القيامة المتَّقون، وإنْ كان نسبٌ أقرب من نسبٍ لا يأتون بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمَّد، فأقول: هكذا وهكذا وأَعْرَض في كِلا عِطْفَيْهِ**» فظهر مما تقدَّم: أنَّ ليس بشيءٍ في الحديثين ما يعكِّر علىٰ ما اخترناه منالخصوصيَّة فإن قال قائلٌ: كيف تعمل بحديث مسلم وما جوابك عنه؟ وهو قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من حديث: «**ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»؟

قلنا: ليس فيه أيضًا ما يُعكِّر علىٰ اختيارنا؛ لأنَّنا لم نَدَّع أنَّ النَّسب يقوم مقام العمل، وأنَّه يرفع صاحبه إلىٰ درجات المقربين، وإنْ كان من الكسالىٰ المتعطِّلين، بل نحن معترفون بأنَّ التقرُّب إلىٰ الله محصورٌ في الاجتهاد في الطَّاعات، وأنَّ من قصَّر في ذلك لا يمكن جبر تقصيره بنسبٍ أو حسبٍ.

وإنَّما الذي ندَّعِيه -استنادًا إلىٰ الأدلَّة السَّابقة- أنَّ للنَّسب دخلًا في الشَّفاعة ونحوها مما تقتضيه القرابة من صلةٍ، وتوجيه لحمة النَّسب من عطفٍ وشفقةٍ، وقد كان النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أوصل النَّاس رحمًا وأبرهم بالقرابة وأرعاهم لحرمتها، وأشدَّهم عطفًا عليها، بل تواتر من عطفه علىٰ أمَّته يوم القيامة ما يفوق عطف الأم الرؤوم علىٰ طفلها الرَّضيع، حتىٰ أنَّ الأنبياء

كلٌّ منهم يقول: نفسي نفسي، وهو يقول: «أُمَّتي أُمَّتي»، أتراه مع هذا العطف الذي ليس له من نهاية-تاركًا أهل بيته-؟ أظنُّ أنَّ أحدًا لا يرىٰ ذلك ولن يراه، اللَّهم إلَّا إذا كان عنده غضٌّ من الجانب النبوي، وعداء لمن ينتمي إليه، وليس كلامنا مع هذا فإنَّه مخذولٌ ومخبولٌ، وبالله التوفيق.

٩٩- ليس بعشك فادرجي[١]

يقول عميد كلية الآداب بالجامعة: «لا أعرف في كتاب الله ولا في سنة رسوله نصًّا يمنع اجتماع الفتيات والفتيان حول أستاذ يُعلِّمهم العلم والأدب والفنَّ».اهـ

قد يكون لهذا الكلام موقع من القبول لو أنه صدر من إمامٍ مُطَّلعٍ سَبَرَ غورَ الشريعة فيما ترمي إليه من حِكَم وأسرار، وأحاط بجمهرةٍ كبيرةٍ من الأحاديث النبوية، مع الاطلاع على أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من بقية المجتهدين، أما وهو صادرٌ من شخصٍ لا يعرف من الدِّين فتيلًا ولا رأى من كتب السُّنَّة كثيرًا ولا قليلًا فماذا يكون نصيبه سوى الرفض؟!

وماذا يقال عن صاحبه سوى أنه جاهل دعي، ومفتات مدعي، غرضه التضليل ليصل إلى تشويه الحقائق ورائده إنكار الحق ليتوصَّل إلى ما يريده من إثبات الباطل؟!

وذلك ضربٌ من التجديد في نظر العميد، وقد يكون صادقًا في أنه لا يعرف نصًّا في الكتاب والسُّنَّة يُحرِّم اجتماع الفتيان والفتيات على النحو الذي يعنيه ويريده؛ لأنه لم يكن في العصر النبويِّ جامعة مصرية فيها دكاترة وعمداء يجتمع على محاضراتهم فتيان وفتيات، ولكنه كاذبٌ في أنه ليس هناك نصٌّ يُحرِّم اختلاط الجنسين في مجلسٍ علميٍّ أو دينيٍّ أو نحو ذلك من المجتمعات العامَّة، فإنَّ النصوص طافحة بذلك وبالغة في الكثرة إلى حدٍّ بعيدٍ، أصبحت حرمة الاختلاط بسببه من ضرورات الدين وأولياته، بحيث لا يشك فيها أحد من

---

(١) مجلة الإسلام، السنة السادسة، العدد (٢) ١٣ محرم ١٣٥٦.

أهل الإسلام بل ولا كافر درس كتب الإسلام.

ونحن إذ نذكر هنا جملة من الأحاديث والآثار في هذا الصدد ليس غرضنا إقناع الخصم وإفحامه فإن حضرة العميد عنيد؛ لا تخضعه إلا مقامع من حديد، ولكن غرضنا أن نبيِّن للرأي العام إلى أي حدٍّ بلغ الطعن في الدين بهؤلاء المجددين، عسى أن يعتبر أولئك المغرورون بهذا النوع من التجديد الزائف ويفيقوا من تقلديهم الأعمى، ويتمسَّكوا بتعاليم دينهم القويم والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل .

١- جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء وافدة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قبل النساء فقالت له: إني رسول مَن ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقولن بقولي وعلى مثل رأيي، إن الله تعالى أرسلك للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهن، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بوجهه إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم مَقالة امرأةٍ أحسن سُؤلًا عن دينها من هذه؟**» فقالوا: بلى والله يا رسول الله. فقال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**انصرفي يا أسماء وأَعْلِمي مَن وراءك مِن النِّساء أنَّ حُسْنَ تَبَعُّل إحداكنَّ لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كلَّ ما ذكرت للرِّجال**». فانصرفت أسماء وهي تُهلِّل وتُكبِّر استبشارًا بما قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ذكره الحافظ ابن عبدالبر في "الاستيعاب"، وخرجه الطبراني والبزار وغيرهما.

فانظر في قول أسماء: «ومواضع شهوات الرجال» وإقرار النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لها نجد أن الحكمة في الفصل بين الجنسين هي كون المرأة موضع شهوة الرجل، وليس بضروري أن تتحقق الشهوة بالفعل وتلك عادة الشرع الحكيم يعمد إلى الأشياء التي ينجم عنها ضرر في المجتمع وفساد في الأخلاق فينوط الحكم بمظنتها سدًّا للذريعة وحسمًا للشر من أصله، فلو أبيح الاختلاط على النحو الذي يريده العميد وثوقًا بأخلاق الشباب -كما يقول- لضاعت حكمة التشريع وأصبح الناس في فوضى ليس لها نهاية.

وهل في الشباب العالمي من هو أزكى طهرًا وأتقى قلبًا وأعف نفسًا من عمر بن الخطاب رضي الله؟ وإليك مثلًا من شدة حرصه على وجوب الفصل بين الجنسين:

قالت عائشة رضي الله عنها: كنت آكل مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وآله وسلم طعامًا في قعب فمرَّ عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال عمر: «أوه لو أُطاع فيكنَّ ما رأتكنَّ عينٌ». فنزلت آية الحجاب. خرَّجه النَّسائيُّ والطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

سبحان الله!! عمر يتأوه من مجرد ملاقاة أصبعه لأصبع عائشة وهو هو في تقواه ونزاهته ونحن الآن نثق بأخلاق الشباب ولا نرى بأسًا من مزاحمتهم لفتيات في قاعات المحضارات!! رحماك يا رب!!

٢- جاءت امرأة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: يا رسول الله:

ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله قال: «**اجتمعن يوم كذا وكذا**». فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعلمهن مما علمه الله... الحديث. خرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم.

فهذا الحديث نصٌّ في الموضوع لأنَّ النساء طلبن من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يجعل لهن مجلسًا علميًّا خاصًّا بهنَّ فأجابهنَّ إليه، ولو كان يباح الاختلاط لما أجابهنَّ، ولبيَّن لهنَّ أنه لا حرج في اجتماع فتيان وفتيات علىٰ أستاذ يعلمهنَّ العلم والأدب والفن؟!

٣- قال ابن عبَّاسٍ: شهدت صلاة الفطر مع نبي الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب. قال: فنزل نبي الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتىٰ جاء النساء ومعه بلال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] فتلىٰ هذه الآية حتىٰ فرغ منها ثم قال: «**أنتن على ذلك؟**». فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها منهن: نَعَمَ يا نبي الله؟ قال: «**فتصدقن**» فبسط بلال ثوبه ثم قال: هلم فدًىٰ لكنَّ أبي وأمي. فجعلن يلقين الفَتَخَ[1] والخواتيم في ثوب بلال. أخرجه البخاري ومسلم.

٤- قال جابر بن عبدالله: «إن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام يوم الفطر فصلىٰ فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب الناس فلما فرغ نبي الله صلَّىٰ الله عليه

(١) «الفَتَخُ»: الخَوَاتِيمُ العِظَامُ كانت في الجاهِلِيَّةِ.

وآله وسلَّم نزل وأتىٰ النساء فذكرهن وهو يتوكأ علىٰ يد بلال باسط ثوبه يلقين النساء صدقة...» الحديث. خرَّجه البخاريُّ ومسلمٌ.

ففي هذا الحديث والذي قبله أن النساء حضرن صلاة الرجال ومجامعهم يكن بمعزل عنهم، ويؤخذ منها أيضًا أن الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم ألا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إليه، فبلال إنما مشىٰ مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما ذهب لتعليم النساء لكونه خادمه ومتولي قبض صدقته.

٥- قال أبو داود في كتاب "السنن": «باب في اعتزال النساء في المساجد عن الرجال»، ثم روىٰ بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو تركنا هذا البابَ للنِّساءِ**». قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتىٰ مات.

وروىٰ أبو داود في هذا الباب أيضًا عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينهي أن يدخل من باب النساء.

من هذين الحدثين يعلم أن النساء كن يقعدن في المسجد بمعزل عن الرجال وأن لهن بابًا يدخلن منه لا يشاركهن فيه غيرهن مخافة الاختلاط بهن.

٦- قال ابن خزيمة في "صحيحه": «باب اختيار صلاة المرأة في حجرتها علىٰ صلاتها في دارها، وصلاتها في مسجد قومها علىٰ صلاتها في مسجد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإن كانت صلاة في مسجد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد، والدليل علىٰ أ ن قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سِواه من**

المساجد» إنما أراد بها صلاة الرجال دون صلاة النساء».

ثم روىٰ بإسناده عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها قالت للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك. قال: «**قد عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلاةَ مَعِي، وصَلاتُكِ في بَيْتِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في حُجْرَتِكِ، وصَلاتُكِ في حُجْرَتِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في دارِكِ، وصَلاتُكِ في دارِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في مَسْجِدِ قومِكِ، وصَلاتُكِ في مسجدِ قومِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في مسجدي**».

قال فأمرت فبني لها مسجد في أقصىٰ شيء من بيتها وأظلمه وكانت تصلي فيه حتىٰ لقيت الله عزوجل. ورواه أيضًا أحمد وابن حِبَّان في "صحيحه".

والقصد من هذا الحديث تقليل خروج المرأة من بيتها ما أمكن، وإبعادها عن مجتمعات الرجال خوف الوقوع في الاختلاط المذموم، يدل علىٰ ذلك قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث آخر: «**خير مساجد النساء قعر بيتوهن**». رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة والحاكم.

وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث آخر: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيتوهن خير لهن**». رواه أبو داود وغيره.

٧- قال عبدالله بن مسعود، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**النِّساء عورة، وإنَّ المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان فيقول إنك لا تمرِّين بأحدٍ إلَّا أعجبته، وإنَّ المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا أو أشهد جنازةً أو أصلِّي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها**». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ، وروىٰ الترمذيُّ، وابن خزيمة،

وابن حِبَّان عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**المرأة عورةٌ فإذا خرجتْ استشرفها الشيطانُ وأقرب ما تكون من وجه ربِّها وهي في قعر بيتها**». صحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان.

٨- قال أبو عمرو الشيباني: رأيت عبدالله بن مسعودٍ يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول: «اذهبن إلىٰ بيوتكن خير لكن». خرجه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ.

١٠٠- رسول الله ينفع ويضر حيًا وميتًا بإذن الله وأنوف خصومه المتمسلمين رغمة[1]

هذه الأوراد والأحاديث التي أوردها السيد السائل -وإن كانت في الظاهر متعارضة- فهي في الواقع ونفس الأمر متفقة لا تناقض بينها ولا تعارض وبيان ذلك من وجهين:

الأول: أنَّ الآيات والأحاديث التي تدل على اختصاص الله بالنفع والضر أخبرت بالحقيقة؛ لأن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يملك معه نفعًا ولا ضرًّا ولا هداية ولا إضلالًا، وهذا لا ينافي أن يعطيه من ذلك ما يشاء ويملكه منه ما يريد.

والقرآن يشير إلى ذلك ويدل عليه قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فمعنى الآية: لا أملك لنفسي جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ إلَّا ما شاء أن أملكه بتمليكه. تأمَّل!!

وقد فعل الله ذلك فأعطاه الشفاعة العُظمَى وغيرها من الشفاعات، وجعله رحمة مهداة وجعله هاديًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، إلى غير ذلك من المكرمات التي أعطاه الله له ومَلَّكه إياها.

وقد صحَّ في الحديث من عِدَّة طرقٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنقطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَببي ونَسبي**»، ولهذا خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُمَّ كلثوم بنت عليٍّ عليهما السلام، فلما زوَّجه

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثالثة، العدد (٩) ربيع الآخر ١٣٧٣.

إياها، خطب عمر في الناس وقال: ألا تهنوني، سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: « **يَنقطِعُ يومَ القِيامَةِ كُلُّ نَسَبٍ وسَبَبٍ إلَّا سَببي ونَسبي**». زاد في روايةٍ أخرىٰ: «فلذلك رغبتُ في أمِّ كلثوم»، ولهذا الحديث طرقٌ استوفاها الحافظ ابن كثيرٍ في "جامع المسانيد" والحافظ السخاوي في كتاب "استجلاب ارتقاء الغرف" والعلامة السيد السمهودي في "جواهر العقدين" وغيرهم.

فانظر كيف حرص عمر علىٰ مصاهرة علي ليكون له من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نسب ينفعه يوم القيامة!!.

الوجه الثاني: أن تلك الآيات والأحاديث التي تدل علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا ينفع ولا يضر؛ خاصَّة بحالة الشرك، وأنَّ من مات علىٰ إشراكه لا ينفعه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقرابةٍ ولا شفاعةٍ؛ لأن الشرك يقطع الصلة قطعًا تامًّا، ويؤيد هذا أمور:

أحدها: أنَّ تلك الآيات والأحاديث وردت بمكة في أوائل البعثة، حيث كان أهل مكة مشركين، بل كان جل أعمامه وعشيرته مشركين، وحديث: «**يا فاطمة اعملي... إلخ**» قاله امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، كما ثبت في الصحيح.

ثانيها: ما ثبت في قصة وفاة أبي طالب أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أي عمِّ، قل:** «**لا إله إلا الله**» **كلمة أحاج لك بها عند الله**».

وفي رواية للمحب الطبري: «**أجادل عنك بها**». فأفاد أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يملك لعمه الشفاعة بل يحاج عنه ويجادل بشرط أن يكون مسلمًا، أما إن بقي علىٰ إشراكه فلا يملك له شيئًا .

ثالثها: أن الأحاديث التي وردت في المدينة بعد الهجرة بينت ذلك غاية البيان وأثبتت النفع ثبوتًا صريحًا، لأن الشرك كان قد انقطع من أهله وعشيرته ولم يبقىٰ فيهم إلا المسلمون كعلي وفاطمة، وحمزة وجعفر، والعباس رضي الله، عنهم ونحن نذكر بعض الأحاديث دليلًا علىٰ المعنىٰ:

١- ثبت في الصحيحين من حديث الشفاعة الطويل قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فأستأذنُ على ربِّي، فإذا رأيتُه وقعتْ له ساجِدًا، فيدعني ما شاء الله، ثُمَّ يقال لي: ارْفَعْ رأسَكَ، وسَلْ تُعْطَ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ. فأرفع رأسي فأحمد ربِّي بتحميدٍ يُعَلِّمني إياه، ثُمَّ أشفع فيحد لي حدًّا، ثُمَّ أخرجهم مِن النَّار، وأدخلهم الجنَّة، ثُمَّ أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة، حتى ما يبقى في النَّار إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرآنُ**». قال قتادة: أي وجب عليه الخلود يعني الكفار.

٢- روىٰ البزَّار وغيره عن ابن عبَّاسٍ، قال: توفي لصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ابن، فبكت عليه، فقال لها: «**تبكين يا عمَّه؟ مَن توفِّى له ولدٌ في الإسلام كان له بيت في الجَّنة يسكنه**». فلما خرجت لقيها عمر بن الخطاب فقال يا صفية: سمعت صراخك، إن قرابة محمد لا تغني عنك من الله شيئًا. فبكت فسمعها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تبكي ففزع من ذلك وخرج، وكان مكرمًا لها يبرها ويحبها، فقال لها: «**يا عمة تبكين وقد قلت لك ما قلت؟**». فقالت ليس ذلك أبكاني، وأخبرته ما قال الرجل، فغضب صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**يا بلال هجِّر بالصلاة**». فقام صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: «**ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، إنَّ كلَّ نَسَبٍ وسَبَبٍ مُنقطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سببي ونسبي، وإنَّ رَحِمي موصلةٌ في الدُّنيا**

والآخرة». قال عمر: فتزوَّجت أُمَّ كلثوم لما سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يومئذٍ وأحببت أن يكون بيني وبينه نسب وسبب.

٣- أخرج الحاكم عن جابرٍ، قال: كان لآل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خادمة يقال بريرة، فلقيها رجل فقال لها غطي شعيفاتك، فإن محمد لا يغني عنك من الله شيئًا. فأخبرت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فخرج يجر رداءه محمرة وجنتاه، وكنا معشر الأنصار نعرف غضبه بجر رداءه محمرة وجنتيه، فأخذنا السلاح ثم أتينا، فقلنا يا رسول الله مرنا بما شئت، والذي بعثك بالحق نبيًا لو أمرتنا بآبائنا وأمهاتنا وأولادنا لمضينا لقولك فيهم. ثم صعد المنبر فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنىٰ عليه ثم قال: «**من أنا؟**»قلنا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال: «**أنا سيِّد وَلَدِ آدمَ ولا فَخْرَ، وأنا أوَّل مَن تنشقُّ عنه الأرض يوم القِيامَةِ ولا فخرَ، وصاحب لواء الحمدِ ولا فخرَ، وفي ظلِّ عرشِ الرحمن عزَّ وجلَّ يومَ القِيامَةِ يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه ولا فخرَ، ما بال أقوم يزعمون إن رَحِمي لا تنفعُ؟! بلى حتى يبلغ حا وحكم -وهما قبيلتان في اليمن- إني لأشفع فأشفَّع، حتَّى أنَّ مَن أشفع له ليشفع، حتى أن إبليس ليتطاول طمعًا في الشفاعة**».

ولعلَّ في هذا الجواب الموجز كفاية، وإن أراد سيادة السائل زيادة بيان فلدينا مزيد والحمد لله.

١٠١- كبار أئمة الإسلام ومحدثوه يتوسلون عند قبر النبي ﷺ وقبور الصالحين[1]

قال الدارمي "في سننه": حدَّثنا أبو النعمان: حدَّثنا سعيد بن زيدٍ: حدَّثنا عمرو بن مالكٍ النكريُّ: حدَّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله قال: قَحِطَ أهلُ المدينة قَحْطًا شديدًا فشكوا إلى عائشة فقالت: «انظروا قبرَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاجعلوا منه كُوًى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ ففعلوا، فمُطِرنا مطرًا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتَّقت مِن الشَّحْمِ، فسُمِّي عام الفَتْقِ».

فهذه عائشة أمُّ المؤمنين أمرتهم أن يلجأوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره، ويجعلوا من قبره كوًى إلى السماء مبالغةً في الاستشفاع به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبالضرورة كان في المدينة إذ ذاك صحابةٌ وتابعيون فلم ينقَل عن أحدٍ منهم أنه أنكر عليها ذلك.

ورجال هذا الأثر لا بأس بهم، وسعيد بن زيد وإن كان مُتكلَّمٌ فيه فهو من رجال مسلمٍ، وقد وثَّقه ابن معينٍ وغيره.

وقال الخطيب في "تاريخ بغداد": أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن رامين الإسترابادي: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعيُّ قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسى بن جعفرٍ فتوسَّلتُ به إلَّا سهَّل اللهُ تعالى لي ما أحب.

قلت: موسى هو الكاظم، والخلال أحد أئمَّة الحنابلة.

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (٤) ذي القعدة ١٣٧٥.

وقال الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد" أيضًا: أخبرنا القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد الصيمريُّ: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقري: نبأنا مكرم بن أحمد: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم: نبأنا عليُّ ميمون قال: سمعت الشافعيَّ يقول: إني لأتبرَّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كلِّ يومٍ -يعني زائرًا- فإذا عَرَضَتْ لي حاجةٌ صلَّيت ركعتين وجئتُ إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عنِّي حتى تُقضَى.

فهذا الشافعيُّ أحد الأئمَّة الأربعة يتبرَّك بأبي حنيفة ويتوسَّل بالدعاء عنده، ونظير ذلك ما ذكره التاج بن السبكيُّ في "طبقات الشافعية" في ترجمة الغزالي الكبير -واسمه أحمد بن محمد - قال: حكى لي سيدنا الشيخ الإمام العلَّامة وليُّ الله جمال الدين عمدة المحقِّقين محمد بن محمد الجمالي حيَّاه الله وبيَّاه وأمتع ببقياه أنَّ قبر الغزالي القديم مشهورٌ بمقبرة طوسٍ، وأنهم يسمونه الغزالي الماضي، وأنه جرَّب من أمره أن من كان به همٌّ ودعا عند قبره استُجيب له.

وذكر ابن السبكيِّ أيضًا في ترجمة ابن فورك أنَّ الإمام الشهيد أبا الحجَّاج يوسف بن دوناس العبدلاوي المالكي المدفون خارج باب الصغير بدمشق قبره ظاهرٌ معروفٌ باستجابة الدعاء عنده.

ونقل أيضًا عن عبدالغافر الفارسي: أنَّ قبر ابن فورك ظاهر بالحيرة يُستسقَى به ويُستجاب الدعاء عنده.

ونقل أيضًا في ترجمة الإمام نصر المقدسي عن الإمام النوويِّ أنه قال: سمعنا الشيوخ يقولون الدعاء عند قبره يوم السبت مستجابٌ.

وقال الحافظ أبو بكر بن المقري في "مسند أصبهان": كنت أنا والطبرانيُّ

وأبو الشيخ في مدينة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء أتيت إلىٰ القبر الشريف وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع. فقال لي الطبرانيُّ: اجلس فإمَّا أن يكون الرزق أو الموت.

فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علويٌّ ففتحنا له فإذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيءٌ كثيرٌ فقال: يا قوم شكوتم إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فإني رأيته فأمرني بحمل شيءٍ إليكم.

نقل هذه الحكاية الحافظ السخاويُّ في "القول البديع" فهؤلاء ثلاثة من كبار حفَّاظ السُّنَّة وعلمائها، وهم ابن المقري والطبرانيُّ وأبو الشيخ، أتوا إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قبره وشكوا إليه الجوع لعلمهم أنه حيٌّ في قبره، وأنَّ له شفاعةً عند ربِّه، فأغاثهم الله وأطعمهم علىٰ يد العلويِّ بأمرٍ منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وذكر الحافظ السخاويُّ أيضًا مما عزاه لأبي عبد الرحمن السُّلَميِّ بإسناده إلىٰ أبي الخير الأقطع قال: دخلت المدينة وأنا بفاقةٍ فأقمت خمسة أيام لم أذق ذوقًا فتقدَّمت إلىٰ القبر الشريف وسلَّمت علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله وتخلَّيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبا بكرٍ عن يمينه وعمر عن شماله وعليًّا بين يديه فحرَّكني عليٌّ وقال قم قد جاء النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه فدفع لي رغيفًا فأكلت نصفه فانتبهت فإذا بيدي نصف رغيفٍ.

وأبو الخير الأقطع صاحب هذه الحكاية ذكره القشيريُّ في "الرسالة" وقال

مغربي الأصل سكن تينات وله كرامات وفِراسةٌ حادَّةٌ، وكان كبير الشأن، مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

وذكر من كلامه قوله: «ما بلغ أحد إلىٰ حالةٍ شريفةٍ إلَّا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين».

وذكر بن القيِّم في كتاب "الكبائر" وفي كتاب "السنة والبدعة" له ومن هذين الكتابين نقلًا عن الحافظ السِّلَفيِّ نزيل الإسكندرية بإسناده إلىٰ يحيي بن عطاف المعدل، أنه حكىٰ عن شيخ دمشقي جاور الحجاز سنين أنه شكا ظلمه من رجل أسال عينه إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عند الحجرة الشريفة ثُمَّ نام فلما استيقظ حتىٰ وجد عينه قد صحَّت ولم يلبث أن انتقم الله ممن ظلمه.

والحكايات من هذا النوع كثيرةٌ كما قال ابن تيمية، بل قال: ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأعرف من هذا وقائع، وذكر منها حكاية بلال ابن الحرث المزني ونحن ننقل كلامه بلفظه.

قال في "اقتضاء الصراط المستقيم" ما نصُّه: «ولا يدخل في هذا الباب ما يروىٰ أنَّ قومًا سمعوا ردَّ السَّلام مِن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو قبور غيره من الصالحين، وأنَّ سعيد بن المسيِّب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرَّة نحو ذلك، فهذا كله حقٌّ ليس مما نحن فيه، والأمر أجل مِن ذلك وأعظم.

وكذلك ما يروىٰ أنَّ رجلًا جاء إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فشكا إليه الجَدْبَ عام الرَّمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر، فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فإن هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون

النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأعرف من هذا وقائع، وكذلك سؤال بعضهم للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو لغيره مِن أُمَّته حاجته فتقضىٰ له، فإن هذا قد وقع كثيرًا وليس هو مما نحن فيه». انتهىٰ كلام ابن تيمية.

نقول وإنما الغرض من ذكر هذه الوقائع المُسلَّم بها إنما هو تكذيب من يزعم أن شيئًا من هذا لم يحصل في القرون الفاضلة.

ويكون تكذيب هذا الزعم أبلغ إذا كان السؤال حاصلًا من علماء أجلاء، إيمانهم أثبت ويقينهم أرسخ كبلال بن الحارث المزني، وعائشة، وأبي الجوزاء، والحافظ ابن المقري، والطبراني، وأبي الشيخ، وأبي الخير الأقطع الزاهد المشهور.

وغيرهم كثير ممن لو وُزِن علم واحدٍ منهم وإيمانه بعلم ابن تيمية وإيمانه لرجح عليه، وإن كان لابد من التقليد فتقليد هؤلاء أولىٰ من تقليد ابن تيمية وأذنابه، ونعني بأذناب ابن تيمية من هم علىٰ شيءٍ من العِلْم، وفتنوا بأقوال ابن تيمية من بين أقوال سائر العلماء.

وقال القسطلانيُّ في "المواهب اللدنية": «وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفُّع والتوسُّل به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجديرٌ بمَن استشفع به أن يُشَفِّعه الله تعالىٰ فيه».

وتكلَّم علىٰ معنىٰ الاستغاثة وأنه لا فرق بين التعبير بلفظها أو بلفظ التوسل والتشفع أو التوجه ثُمَّ قال: «ثم إنَّ كلًا مِن الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجُّه بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -كما ذكره في "تحقيق النصرة" و"مصباح الظلام"- واقعٌ في كل حال قبل خلقه وبعده، في مدة

حياته وبعد وفاته، في مدة البرزخ وبعد البعث، وفي عرصات القيامة».

وتكلَّم علىٰ الحالة الأولىٰ ثم قال: «وأمَّا التوسل به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصىٰ أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام" للشيخ أبي عبدالله بن النعمان طرفٌ من ذلك، ولقد كان حصل لي داءٌ أعيا دواءه الأطباء وأقمتُ به سنين فاستغثت به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة الثامن والعشرين من جمادىٰ الآخرة سنة ٨٩٣ هـ بمكَّة زادها الله شرفًا، فبينما أنا نائمٌ إذ جاء رجلٌ معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء داء أحمد بن القسطلانيِّ من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف، ثُمَّ استيقظتُ فلم أجد بي والله شيئًا مما كنت أجد، وحصل الشفاء ببركة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ووقع لي أيضًا في سنة ٨٨٥ هـ في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر إذ صرعت خادمتنا غزال الحبشية، واستمرَّ بها أيامًا فاستشفعتُ به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ذلك، فأتاني آتٍ في منامي ومعه الجِنِّيُّ الصارع لها فقال لقد أرسله لك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعاتبته وحلَّفته ألَّا يعود إليها.

ثُمَّ استيقظتُ وليس بها قَلَبَةٌ كأنما نشطت مِن عِقالٍ، ولا زالتْ في عافيةٍ من ذلك حتىٰ فارقتها بمكَّة سنة ٨٩٤ هـ والحمد لله ربِّ العالمين». "ومصباح الظلام" محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ٥٩م.

١٠٢- زيارة قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سنة ثابتة فلا تسمعوا ضلالات المتعصبين[١]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**لَيَهْبِطَنَّ ابن مريمَ حَكَمًا عادِلًا وإمامًا مُقْسِطًا، ولَيَسْلُكَنَّ فجًّا حاجًّا أو مُعتمرًا، وليأتينَّ قبري حتَّى يُسلِّم عليَّ ولأردنَّ عليه**». يقول أبو هريرة: أي بَنِي أخي إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام، رواه الحاكم وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ.

في الحديث استحباب إتيان قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لزيارته والسلام عليه وهذا مما لا خلاف فيه.

قال القاضي عياض: «وزيارة قبره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سنةٌ مِن سُنن المسلمين مُجمَعٌ عليها وفضيلة مُرغَّبٌ فيها».

بل ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبةٌ كما حكاه الشوكانيُّ في "نيل الأوطار"، والذي صرَّح بالوجوب من المالكية أبو عمران الفاسي.

قال الحافظ عبد الحق الإشبيليُّ المالكيُّ في كتاب "تهذيب الطالب": «يريد أنها واجبةٌ وجوب السُّنن المؤكَّدة». وقالت الحنفية أنها قريبةٌ من الواجبات، حكاه الشوكانيُّ أيضًا، وحكى ابن هبيرة اتفاق الأئمَّة على استحبابها.

وشد بلال المؤذِّن الرحلة من الشام إلى المدينة بقصد الزيارة، كما رواه ابن عساكر بإسنادٍ جيِّدٍ، وإن حاول ابن عبد الهادي تضعيفه تعصُّبًا لرأي ابن تيمية الذي خالف الإجماع بإنكاره مشروعية الزيارة الشريفة، وزعم أنَّ السفر إليها معصيةٌ لا تقصر فيه الصلاة، وردَّ عليه العلماء قوله هذا وبدَّعوه.

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (٥) ذي الحجة ١٣٧٥.

وأفرد التقيُّ السبكيُّ في الردِّ عليه كتابًا خاصًّا سمَّاه "شفاء السقام بزيارة خير الأنام" وهو مطبوعٌ.

وليس لابن تيمية حُجَّةٌ فيما زعم إلَّا حديث "الصحيحين": «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد**». لكن القصر في الحديث إضافيٌّ باعتبار المساجد لا حقيقيٌّ، بدليل ما ثبت بإسنادٍ حسنٍ كما قال الحافظ: «**لا ينبغي للمَطِيِّ أن تشدَّ رحالها إلى مسجدٍ تُبْتغَى فيه الصَّلاةُ غير مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**». رواه الإمام أحمد في "المسند" عن شهر بن حوشبٍ قال: سمعت أبا سعيد الخدريَّ وذكر عنده صلاة في الطور فقال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا ينبغي للمَطِيِّ**...»إلخ، وحسَّنه الحافظ الهيثميُّ أيضًا في كتاب "مجمع الزوائد".

وهو كما ترىٰ صريحٌ في أنَّ النهي عن شدِّ الرِّحال للمساجد لأجل الصلاة لا لأجل شيءٍ آخر -والزيارة غير الصلاة- فالزيارة وغيرها خارجةٌ عن النهي، كما ترىٰ الأحاديث يُفسِّر بعضها بعضًا والجمع بينها واجبٌ، وإلغاء أحدهما بغير دليلٍ حرامٌ، كما نبَّهنا عليه غير مرَّةٍ، وانظر "الشفا" للقاضي عياض وشروحه و"المواهب اللدنية" وشروحه و"نيل الأوطار للشوكاني" وغيرها.

(تنبيه): قال العلَّامة ابن الحاج في "المدخل": «مَن لم يُقَدَّر له زيارته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بجسمه فلينوها كل وقتٍ بقلبه، وليحضر قلبه أنه حاضر بين يديه مستشفع به إلىٰ مَنْ مَنَّ به عليه، وهذه زيارة رُوحية حضورية لا ينالها إلَّا مَن له مزيد تعلُّقٍ واختصاصٍ بالجناب النبويِّ الشريف حقَّقنا الله بهذا المقام بمَنِّه وفضله».

١٠٣- ميلاد الهداية[(١)]

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ إبراهيم أبو الخشب كلمةً متهافتةً متخاذلةً ليس عليها مسحة من طلاوة العلم، ولا يُزينها شيءٌ مِن رَوْنق الحُجَّة، أبى فيها إلَّا أن يستمرَّ على شذوذه وشَطَطِهِ بعباراتٍ تنمُّ عن غرورٍ كاذبٍ، وأدبٍ مُصطَنعٍ، فرأينا أن نوقفه عند حدِّه ونبيِّن له ما تناقض فيه وتخاذل، مع استعدادنا لعودة إن عاد، حتى يذهب شيطان الغرور من رأسه.

١ - زعم الأستاذ فيما استخلصه مِن ردِّي عليه أنه أساء الأدب في مذهب الإمام مالكٍ، وهذا زَعْمٌ ناشئ مِن خطأ فهمه وقلَّة اطلاعه، والذي قصدته في كلامي أنه أساء الأدب في المذاهب الأربعة وإنما امتاز مذهب الإمام مالك بإيجابه الأدب في مثل هذه الإساءة، وإنما لم أصرح بهذا لأني كنت أعتقد أن هذا من المسائل التي لا تخفى على الأستاذ كعالم، وقدرت في نفسي أن يكون قد درسها فيما درس من كتب الأزهر، فبان خطأ اعتقادي وتقديري.

ولا لوم عليَّ في هذا الخطأ ولكن اللوم على من عرض نفسه لمثل هذا الموقف!! ويحق لي أن أقول: الآن يمد رجله أبو حنفية!!

٢- أحالنا الأستاذ -زاده الله عِلْمًا- على "السيرة الحلبية"، و"سيرة دحلان" ليعزِّز دعواه وقد كان في هذه الإحالة موفقًا كل التوفيق، وكنت أخشى ألا يهتدي إلى هذين الكتابين ولكن الله سلَّم، ثُمَّ العجيب أنه لم ينقل من هذين المصدرين شيئًا من الخوارق التي قارنت ميلاد الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع أنَّ هذا هو دعواه في كلمته الأولى لا شيء آخر مما أتعب نفسه في

---

(١) الشرق العربي، السنة الثانية، العدد(٣٦) ١٧ ربيع الثاني ١٣٦٧.

نقله ثاني مرة.

٣- زعم أنَّ تلك الخوارق موضع تندر المبشِّرين والملاحدة، وهذا استدلال طريفٌ يجب أن نسير على منواله في نقد المعجزات والخوارق، فما كان موضع تندرهم تركناه وما لم يكن كذلك قبلناه!!

يا هذا ألم تعلم أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ويقول: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٨] أفنترك الدين والصلاة لئلا يسخروا منا؟!

٤- استدل على نقص بشرية الرسول -وأستغفر الله من حكاية هذا الهراء- بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

وأنَّ هذه الآية ترمي إلى تخلُّفه عليه الصلاة والسلام عن ركب الشعراء، أي الذين قال الله عنهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

ثُمَّ ما لبث الأستاذ أن صفع نفسه صفعةً قويةً حيث قال: وكان هذا النقص عين الكمال، فالحمد لله على هذا الاعتراف الصريح وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا!!

٥- أمَّا زعمه تخلُّف الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حلبة الرأي فهي جليطة وإساءة أدب أيضًا، وما استدل به لذلك بعضه ضعيف، وبعضه ليس من رأي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبعضه ليس مما نحن فيه أصلًا.

ولو أنه رجع إلى كتب الحديث كـ"فتح الباري" و"شرح النووي" و"الأبي على مسلم" و"سيرة ابن سيد الناس" وغيرها لأدرك خطأه وبعده عن الصواب، ولكن قاتل الله الغرور... ومَن لي بأن تدري بأنك لا تدري.

٦- زعم الأستاذ أنه يحضره من دراسة "الآمدي" في الأزهر جواز الاجتهاد للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في أصح الأقوال.

ونحن نقول إذا كان هذا صحيحًا فكيف زعم كلمته الأولىٰ أن وصفه بالاجتهاد والرأي يطعن علىٰ الرسالة؟ هذان زعمان متناقضان ولا سبيل إلىٰ رفع التناقض إلَّا بأن نقول: لعله كان ناسيًا حتىٰ ذكَّرناه!.

٧- بعد هذا كله يبقىٰ ما أخذناه علىٰ الأستاذ في كلمته الأولىٰ سالمًا لم يمس بشيءٍ، ولا سبيل إلىٰ محوه إلَّا بإعلان التوبة والاستغفار ومقام الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعلىٰ من أن يكون موضع مناقشة تردَّد فيها ألفاظ لا تليق بمقامه الكريم، ولئن كان الأمر كما يزعم الأستاذ لما كان في ترديده وإشاعته من خيرٍ، وسيبقىٰ الرسول في عقيدة المسلمين وكما هو عند الله، إنسانا كاملًا ممتازًا لا يلحقه بشرٌ في كمال بشريته ولا يفوقه مَلَكٌ في فضله وشرف رفعته، ويعجبني قول القائل:

وأكْمَلُ مِنْكَ لم تَرَىٰ قَطُّ عَيْنِي ... وأَجْمَلُ مِنْكَ لم تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِن كُلِّ عَيْبِ ... كأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كما تَشَاءُ

١٠٤- من هم ورثة الأنبياء[1]

قرأت في العدد الأخير من المجلة كلمة تحت عنوان «كرامة العلماء» جاء فيها هذه العبارة: «اطلعت على هذا الخبر فساءني أن أجد بعض المجلات تضع ورثة الأنبياء وحملة مشاعل الهدى...» إلخ.

والذي يعنيني من هذه الكلمة قول الكاتب «ورثة الأنبياء» يقصد بذلك أصحاب الفضيلة علماء الأزهر.

ولهذه المناسبة أحب أن أنبه إلى حقيقة علمية طالما غفل عنها الناس حيث صاروا يطلقون على علماء الأزهر أنهم ورثة الأنبياء، وهذا إطلاق يخالف الواقع لأن العالم في نظر الشرع هو المجتهد الذي تقوم به الحجَّة على خلق الله ويستطيع أن يؤيد الدين بمقاله وماله وحاله.

وهو أيضًا المراد بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالى يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَن يُجدِّدُ لها دينها**».

والتجديد كما قال العلماء إنما يكون بالاجتهاد وقوة العارضة في العلم وسعة الاطلاع والتضحية بالنفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله.

وعلماء هذا العصر لا ينطبق عليهم هذا الوصف لأمرين:

أولًا: أنهم مقلدون يتمسكون بمذهب من المذاهب الأربعة والمقلد ليس بعالم كما في كتب الأصول.

الثاني: أنهم لم يبدوا تضحية في سبيل نشر الدين والدفاع عنه بل لم ينبسوا

---

(١) الشرق العربي، السنة الرابعة، العدد (٥) ٦ شعبان ١٣٦٨.

بكلمة في توافه الأمور فضلًا عن عظائمها، وطالما ترقبنا اجتماع العلماء في عدة مناسبات فإذا الاجتماع ينفض عن بحث الترقيات والعلاوات، ومن يستحق الدرجة الأولى والثانية.

والدِّين ينادي أغيثوني ولا مجيب.

١٠٥- حول قصة موسى والخضر[1]

تكلمنا في العدد (٤٢) من سنة المجلة الماضية تحت عنوان: «شرح حديث شريف» عما سلكه ويسلكه كتَّاب العصر من محاولة التخلص والهرب من السنة بطرق مختلفة، وذكرنا في ذلك العدد أمثلة لتلك الطرق ولم نشأ أن نتوسع فيها لعلمنا أن وقائع الزمان ستؤيدنا فيما نقول وكذلك كان.

فهذا فضيلة الزميل: كاتب التفسير في هذه المجلة عرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠]، ثم ذكر الخلاف في فتى موسى هل هو يوشع أو غيره؟ وهل موسى هو النبي المعروف أو غيره؟ وهل الذي اتخذ سبيله في البحر هو الحوت أو فتى موسى؟ وتكلم على معنى: سربًا، وعجبًا، وذكر معنى له من الاحتمالات ورجح ما رآه ينطبق على الآية كما قال.

والذي لاحظناه في هذه الكلمة أنه أشار إلى ما خالف رأيه إشارة تفيد التضعيف معبرًا بقوله: «جاء في الروايات»، مرددًا ذلك ليفهم القارئ أن ما ضعفه إنما هو مجرد روايات لا تستند إلى أساس علمي صحيح، ولكن نظرة بسيطة يلقيها القارئ على قصة موسى مع الخضر يجد أن ما ضعفه كاتب التفسير مما ذكر أنه روايات كله موجود في "صحيح البخاري" مسندًا إلى ابن عبَّاسٍ عن أبي بن كعب عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث طويل،

---

(١) الشرق العربي، السنة الرابعة، العدد (٧) ٢٠ شعبان ١٣٦٨.

ومما جاء في هذا الحديث مصرحًا به عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم النقط الآتية:

١ - أن موسىٰ هو موسىٰ بني إسرائيل.

٢ - أن فتىٰ موسىٰ هو يوشع بن نون.

٣- أن الذي اتخذ سبيله في البحر سربًا هو الحوت لا فتىٰ موسىٰ.

٤ - أن خروج الحوت من المكتل ونزوله في البحر كان لموسىٰ وفتاه عجبًا.

٥ - أن صاحب موسىٰ هو الخضر.

هذه أهم النقاط التي اشتمل عليها الحديث الصحيح الصريح عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو في "صحيح البخاري" الجزء الرابع (صفحة ٣٠١ إلىٰ ٣٠٤) طبعة منير.

فكان الواجب علىٰ فضيلة كاتب التفسير أن يرجع إلىٰ "البخاري" ليرىٰ الحديث فيه ويسير علىٰ هدية، إذ من المتفق عليه بين العلماء أن خير ما فسر به القرآن هو الوارد، وأن ما صح عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في تفسير آية لا يجوز العدول عنه لمن عرفه.

وليس "صحيح البخاري" كتابًا نادرًا أو مخطوطًا حتىٰ يعسر الاطلاع عليه، وليست قصة موسىٰ مع الخضر من قبيل العقائد حتىٰ يزعم زاعم أن العقائد لا يعمل فيها بخبر الآحاد، وحتىٰ لو سلمنا أن قصة موسىٰ مع الخضر من قبيل العقائد فليس كل العقائد يطلب فيها المتواتر، بل بعضها فقط.

فقد ذكر الإمام الأبي في "شرح مسلم" وغيره من العلماء أن ما كان من العقائد لا يتعلق بالله ولا بصفاته يعتبر فيه خبر الآحاد، انظر الجزء الأول

والرابع من "شرح الأبي على مسلم".

وذكر العلماء أيضًا أن ما يتعلق بقصص الأنبياء، وبالأخبار عن بني إسرائيل، وعن الأمور الغيبية يعتمد فيه على ما ثبت عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإسناد صحيح أو حسن كما تجد ذلك منصوصًا عليه في مواضيع من "البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير، وفي كتاب "الإعلان بالتوبيخ" للحافظ السخاوي وفي كتاب "الشفا" للقاضي أبي الفضل عياض، وغير ذلك من كتب المحدثين والمفسرين.

كما نص ابن كثيرٍ في "تفسيره" على وجوب اتباع ما صح عن الصحابة في تفسير القرآن لأنهم شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا مراد الله بما تلقوه عن الرسول الكريم، وبما شاهدوه من القرائن التي لم نشاهدها نحن إلا ما كان من قبيل الاستنباط والاجتهاد، فذلك يتمشى على الخلاف في حجِّية قول الصحابي وغيرها.

وذكر الحاكم وأبو عبد الله أن ما صح عن الصحابي تفسير آية يتعلق بسبب نزولها أو يكون متعلقًا بقصة كهذه يعطى حكم المرفوع، إذ يحمل على أن الصحابي تلقى ذلك عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لم يكن يأخذ عن الإسرائيليات، والصحابة الذين أخذوا عن الإسرائيليات قليلون معدودون، فكيف إذا قال صحابي جليل كأبي بن كعب الذي كان يسميه عمر: «سيد المسلمين» أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين قصة موسى وعين أشخاصها وصرح بما أبهمه القرآن منها؟

أقول: كيف يجوز لعالم مهما علا أمره أن يعدل عن حديث صحيح صريح

كهذا، ويسمي ما جاء فيه روايات إيذانًا بضعفها ليمهد الطريق إلى ما اختاره من الآراء الضعيفة؟!

وبعد؛ فسبيل الباحث في مثل هذا أن يسلك أحد طريقين:

الأول: التمسك بما جاء في الحديث الصحيح وتفسير الآية تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

الثاني: أن يبين أن الحديث الوارد في تفسير تلك الآيات ضعيف ويبين ضعفه بالطرق المعروفة للعلماء أو يجمع بينه وبين ما اختاره.

على ألا يقدم رأيه على ما صح عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لئلا يدخل في النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

أما أن يترك الحديث كما هو ويعرض عنه فلا محمل له إلا الهرب من السنة والتخلص منها كما قلنا. ونسأل الله التوفيق.

١٠٦- تحقيق ولادة النبي صلّى الله عليه وآله وسلَّم[1]

كتب إليَّ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغني عوض يذكر ما رآه في بعض كتب الموالد وحواشيها من أنَّ ولادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم تكن من المحل المعتاد للولادة بل كانت من ثقب تحت السرة وفوق الفرج، أو من الخاصرة اليسرىٰ تحت الضلوع، وذكر ما كان أفتىٰ به الأستاذ الشيخ حسين سامي في العدد الثامن من السنة الحالية مما يخالف ذلك، ثم طلب مني أن أبيِّن علىٰ صفحات المجلة القول الفصل في الموضوع بيانًا شافيًا لا يترك ألمًا في أي نفس.

فتلبيةً لطلبه وتوفيةً للسؤال حقه من الجواب أقول: إنما كانت ولادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من المحل المعتاد للولادة لا من غيره والدليل علىٰ ذلك أمران:

١- أنَّ الأصل في البشر خروجهم حين الولادة من الفرج تلك عادة الله فيهم منذ خلق آدم وحواء، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من البشر فالأصل أنه ولد مما يولد منه أمثاله في البشرية، كما أنه تطوَّر في الرحم مثلهم من نطفةٍ إلىٰ علقةٍ إلىٰ مضغةٍ إلىٰ أن أوجده الله إنسانًا كاملًا مُبرَّأً من جميع العيوب والنقائص صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والتمسُّك بالأصل واجبٌ إلىٰ أن يرد ناقل عنه، ولا ناقل هنا كما ستعرفه مما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

٢- تصريح أمِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأنها رأت حين الولادة نورًا خرج من فرجها أضاءت له قصور الشام، قال الإمام محمد بن سعد في

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٢١) ٢٤ جمادىٰ الأول ١٣٥٤.

"الطبقات": أنا عمرو بن عاصم بن عاصم الكلابي: حدثنا همام بن يحيي، عن إسحاق بن عبدالله أنَّ أمَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قالت: «لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام» فولدته نظيفًا ما به قذر ووقع إلىٰ الأرض وهو جالسٌ علىٰ الأرض بيده.

وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد: ثنا إبراهيم بن السندي: ثنا النضر بن سلمة: ثنا أبو غزية محمد بن موسىٰ: ثني أبو عثمان سعيد بن زيد الأنصاري، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مسترضعًا في بني سعد بن بكر فقالت أمه آمنة لمرضعته: «انظري ابني هذا فسلي عنه، فإني رأيت كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض كلها حتىٰ رأيت قصور الشام».

فقول السيدة آمنة في هذين الأثرين: خرج من فرجي نور وشهاب صريح في خروج النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من فرجها الطاهر إذ لا معنىٰ لخروج النور من ذلك المحل المخصوص إلا لكون النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولد منه، وإلا لو كان ولد من محل آخر غير الفرج لتبعه النور في الخروج من ذلك المحل كما لا يخفىٰ.

وأما كونه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولد من ثقب تحت السرة أو في الخاصرة اليسرىٰ فأول من قال ذلك أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي في كتابه "شفاء الصدور" وتمالأ علىٰ نقله المتأخِّرون ممن لا إلمام لهم بشيءٍ من علم الحديث كالقليوبي، والبجيرمي، والحلواني، والإنبابي، والباجوري، وأبي خضير الدمياطي، والجرداني، والتلمساني، والتجاني، والمعطي بن الصالح،

الشرقاوي، وغيرهم، وليتهم اقتصروا على ما ذكره ابن سبع ولكنهم زادوا من عندياتهم أنَّ جميع الأنبياء ولدوا كذلك[1] قياسًا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو قياسٌ باطلٌ؛ لأن المعجزات والخصائص لا يعتمد فيها إلا على النقل المحض كما هو مقرَّرٌ في محله، هذا مع أنَّ المقيس عليه -وهو ما ذكره ابن سبع- باطل أيضًا لوجوه:

١- ما تقدم من تصريح السيدة آمنة بخروج النور من فرجها وهو يدل كما قدمنا على خروجه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منه.

٢- أن ابن سبع ذكر القول معلَّقًا بدون إسنادٍ ولم يعزه لأحدٍ من أهل التخريج حتى يرجع إليه فيعرف هل هو صحيح أو لا.

٣- أن ابن السبع لم يكن بالمعتمد في النقل ولا من أهل الحديث المُميِّزين بين صحيحة وسقيمه، وقد ملأ كتابه المذكور بالواهيات والموضوعات مما أوجب عدم الاطمئنان إلى ما فيه.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي في كتاب له في الجهاد ما نصه: «اشتمل كتاب "الشفاء" على أحاديث في فضائل الأعمال ودلائل النبوة، وغير ذلك مما قد وضع فيه مؤلفه من عجائب الغرائب أصولًا وفروعًا، وجمع فأوعى، وأودعه أحاديث عارية عن الإسناد خالية من

---

(١) ولا تغتر بمن عزا ذلك من المتأخِّرين لابن سبع فإنه غلط محض إذ لا وجود له في كتابه "الشفاء" والشيخ التجاني إنما نقل ذلك عن بعض التقاييد، ومن المنصوص عليه عند المالكية عدم الاعتماد على ما فيها أعني التقاييد ما لم تعلم صحته من طريق آخر ذكر ذلك ميارة في شرح "المرشد المعين" وابن الحاج في "حاشيته" عليه.

التصحيح والتضعيف اخترت منها جملة اتبعت الرخصة في نقلها وخرجت من عهدتها بعزوها».اهـ

نقله محدِّث فاس في وقته بل والمغرب قاطبة أبو العلاء العراقي الحسيني في أول تخريج أحاديث شفاء القاضي عياض، وقال الشهاب الخافجي في شرح "الشفاء": «أعلم أن في كتاب "الشفاء" بعض أحاديث ضعيفة وقليل مما هو موضوع تبع فيه ابن سبع في شفائه، وقد نبَّه على ذلك كله الجلال السيوطي في "مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا"».اهـ

ومثله لشيخ شيوخنا السيد محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه في كتابه "الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة" عند الكلام على شفاء القاضي عياض وسبقهما إلى ذلك الحافظ الذهبي فإنه نص على أن ما في "الشفاء" من الأحاديث الموضوعة مأخوذ من ابن سبع وعاب القاضي عياض بذلك

٤- أنَّ كتب الحديث والسِّير والموالد والتواريخ المسندة راجعناها وراجعها غيرنا من كبار المحدِّثين عندنا بالمغرب بخصوص هذا الموضوع إذ كان حصل فيه بين العلماء نزاع فلم نجد فيها لذلك القول ذكرًا لا بتصريح ولا بتلويح، ومن المقرَّر في علمَي الأصول والمصطلح أنَّ الحديث إذا لم يوجد بعد البحث يقطع بأنه موضوعٌ هكذا صحَّحه الإمام الرازي في "المحصول" والتاج السبكي في "جمع الجوامع" والحافظان الشمس السخاوي والجلال السيوطي كلاهما في "شرح التقريب" وغيرهم.

فهذه أربعة وجوه تدل على بطلان ذلك القول وسقوطه عن درجة

الاعتبار، وقد أبطله أيضًا قبلنا جماعة من العلماء منهم شيخ شيوخ المغرب في وقته الإمام العلامة المحدِّث المحقِّق أبو السعود عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي المتوفىٰ سنة ١٠٩١هـ رضي الله عنه وولداه الإمامان الكبيران سيوطي زمانه في الحفظ وكثرة التأليف أبو زيد عبدالرحمن، ومحلي وقته في التحقيق وسرعة الإدراك أبوعبدالله محمد، وتلميذه الإمام ناصر السنة أبو عبدالله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي، وتلميذه وتلميذ الذي قبله المحدث المسند البارع الرحلة أبوعبدالله محمد بن عبدالسلام بناني شارح "الاكتفاء" و"الشفا" وغيرها من كتب السنة، والأصولي المحقق الطيب بن عبدالحميد بن كيران شارح "ألفية السيرة" للحافظ العراقي، والعالم النحرير مفتي درعة أبو عبدالله محمد بن محمد الحسيني الدرعي رحمه الله تعالىٰ.

كل هؤلاء السبعة أفتوا ببطلان ما ذكره ابن سبع، وصرَّحوا بأنه لا أصل له وأنه مختلَقٌ مصنوعٌ، واستدلوا علىٰ ذلك بنحو ما قدمناه، ولو نقلنا كلامهم لطال بنا الحال لكنا نقتصر علىٰ نقل كلام الأخير منهم لاختصاره، وإليك نصه حرفيًا من أجوبته: «وسئل عما يقوله بعض الناس أنَّ المصطفىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم تلده أمه من المحل الذي يولد منه الولد دائمًا وإنما ولدته من محل آخر هل لذلك أصل أم لا؟ فأجاب بأن ذلك لا أصل له بل ولدته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من المحل الذي يولد منه الولد، نقيًّا نظيفًا طاهرًا ما به قذر قال الإمام ابن حجرٍ: قالت أم المصطفىٰ: «رأت عندما وضعته كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض حتىٰ رأيت قصور الشام»، وفي رواية أخرىٰ قالت: «لما ولدته خرج من فرجي نور أضائت به قصور الشام» فولدته نظيفًا

والله أعلم».اهـ

ولصديقنا العلامة المحدث الشيخ عبدالحي الكتاني في الموضوع تأليف خاص سماه "إنارة الأغوار والأنجاد بدليل معتقد ولادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من السبيل المعتاد" نحا فيه أيضًا ما نحوناه من الجزم ببطلان ما ذكره ابن سبع وهو مفيد في بابه.

هذا، ولا يفوتنا أن ننبِّه علىٰ خطأ وقع للمتأخِّرين وذلك أنهم نقلوا عن القاضي عياض في كتاب "الشفا" وعن ابن رشد في كتاب "الجامع من البيان والتحصيل" أنهما قالا بمثل قول ابن سبع والواقع أنهما لم يذكرا ذلك القول ولا أثر له في كتابيهما المذكورين كما نبه عليه سيدي محمد بن عبدالقادر الفاسي المار ذكره.

وأما فتوىٰ المالكية بأن من قال: «ولد نبينا من مجرىٰ البول» يقتل فليست تلك الفتوىٰ منهم بناء علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولد من غير المحل المعتاد للولادة كما توهَّمه المتأخِّرون، ولكنها مبنيَّةٌ علىٰ ما أصَّلوه -أعني المالكية- من أن منتقص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يجب قتله ولو عبر بما هو جائزٌ في حقِّه عقلًا وشرعًا وعادة. انظر "الشفا" للقاضي عياض فقد أطال في تقرير هذا وإيضاحه.

علىٰ أن نفس الفتوىٰ التي استشهد بها المتأخِّرون ترشد إلىٰ ضد ما توهَّموه وإليك نصها:

قال العلامة أبو محمد عبدالواحد الونشريسي في "المعيار": «سئل ابن رشد عن رجل شهدت عليه البيِّنة أنه قال: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج

من المخرج الذي خرج منه البول وثبت ذلك من قوله عند الحاكم وهو ينكر ذلك ويكذب الشهود ويقول: حاشا لله أن أقول مثل هذا». اهـ

فأجاب: «الواجب فيما شهد به على هذا الرجل الضعيف الدين والخارج عن ملة المسلمين أنه قال في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يسأل الشهود الذين شهدوا عليه بذلك عن الكلام الذي جر قوله ذلك وكان سببًا له خرج عليه جوابًا له فإن تبيَّن في ذلك تبيينا لا يشك فيه أنه قصد بذلك الغض منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والاحتقار لشأنه والوضع له عن مكانه ولم يكن عنه مدفع في البينة التي شهدت بذلك وجب قتله، وإن لم يتبيَّن أنه أراد بذلك سوىٰ إثبات كونه من البشر ليس بملك من الملائكة وجب عليه الأدب الموجع إذ لم ينزِّه النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يذكره بمثل هذا وقد كان غنيًّا وفي مندوحةٍ عنه». اهـ هذا نصُّ كلام ابن رشد

قال سيدي محمد بن عبدالقادر الفاسي: «لا يفهم منه نفي الولادة عن المحل المعتاد ولم يتعرض لذلك أصلًا وإنما مقصوده بيان حكم من صدرت منه تلك المقالة الشنعاء وذلك أنه دائر بين أمرين أحدهما أن يكون قصد التنقيص والازدراء؛ والحكم بما ذكر من القتل ظاهر حينئذ، ولا فرق عند قصد التنقيص بين هذه العبارة وغيرها من العبارات حسبما دلت عليه نصوص الأئمَّة، ثم نقل عن القاضي عياض وغيره أنه يجب القتل علىٰ من قصد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأذىٰ أو نقص تعريضًا أو تصريحًا، أو عيَّره برعاية الغنم، أو السهو، أو النسيان، أو السحر، أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه، أو أذىٰ من عدوه، أو شدة في زمنه، أو بالميل إلىٰ نسائه.

ثم قال: وثانيها ألا يقصد التنقيص وإنما ذلك لبيان أنه من البشر لا من الملائكة مثلًا، فهذا حكمه الأدب كما ذكر لما في العبارة من الشناعة الدالة على التهوُّر وسوء الأدب، فإن بعض الأمور وإن جازت في حقِّ الأنبياء لكن يجب الاحتراز عنها لما فيها من سوء التعبير ويلتمس من الألفاظ ما يؤذن بالتعظيم والتوقير».اهـ كلام الفاسي

فتبيَّن من هذا أنَّ سبب إفتاء المالكية بقتل من قال ولد نبينا من مجرى البول هو ما في هذه العبارة من الخشونة وقلة الأدب، وأنه لو عبر بقوله مثلًا: ولد نبينا من المحل المعتاد للولادة لما أفتوا فيه بقتل ولا تأديب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١٠٧ – نقد وإجابة(٣)[١]

ثمَّ قال الأستاذ: وأمَّا ما انتقده الأستاذ الغُماري من أنَّ الخبر الذي روي موصولًا ومرسلًا هو خبر الحمد لا خبر البسملة كما وقع في السؤال فسبق قلم، إلى أنْ قال: وتقييده بخبر البسملة دعوى من غير دليلٍ اهـ.

ونحن نقول: دليلنا على التقييد، هو ما بين حديث البسملة وحديث التسمية من المناسبة الظَّاهرة، ولم يكن لنا بحسبان أنَّ الأستاذ يترك تلك المناسبة الواضحة، ويعتقد وجود مناسبة بين حديثي التسمية والحمد، مع ما بينهما من الفوارق التي لا تخفى، وإنْ سبقه إلى ذلك الاعتقاد النووي وغيره، فهو غير مسلَّم لهم.

وقول الأستاذ: فلا مانع من أن يعني بخبر الحمد وخبر البسملة، ما هو الأعم منهما وهو ذكر الله تعالى والثناء عليه، كما يدلُّ لذلك رواية ذكر الله إلى قوله: بل يرجع إلى أصل الإطلاق.

يقال عليه: كلُّ ذلك مُسلَّمٌ مقبول، لو كانت رواية ذكر الله صحيحة ولكنَّها ضعيفة، كرواية البسملة، قال الحافظ في "الفتح" عند الكلام على قول أبي سفيان في حديث هرقل الطويل: ثمَّ دعا بكتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإذا فيه «**بسم الله الرحمن الرحيم**» ما نصُّه: «قال النووي: «فيه استحباب تصدير الكتب بالبسملة، وإنْ كان المبعوث إليه كافرًا ويحمل قوله في حديث أبي هريرة: «**كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع**» أي: بذكر الله

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، ٢٥ ربيع الثاني ١٣٥٤.

كما جاء في روايةٍ أخرىٰ، فإنَّه رُوي علىٰ أوجهٍ بـ«**ذكر الله**»، بـ«**بسم الله**»، بـ«**حمد الله**»، قال: وهذا الكتاب كان ذا بال من المهمات العِظام، ولم يبدأ فيه بلفظ الحمد، بل بلفظ البسملة».اهـ

والحديث الذي أشار إليه أخرجه أبو عوانة في "صحيحه" وصحَّحه ابن حِبَّان أيضا، وفي إسناده مقالٌ، وعلىٰ تقدير صحَّته فالرِّواية المشهورة فيه بلفظ «**حمد الله**» وما عدا ذلك من الألفاظ التي ذكرها النَّووي، وردت في بعض طرق الحديث بأسانيد واهية».اهـ كلام الحافظ

وهو -كما ترىٰ- مصرِّح بأنَّ رواية ذكر الله واهية الإسناد، فيعلم منه بطلان ما سبق للأستاذ، كما يعلم منه أيضًا بطلان ما نقله عن النووي والرملي ومحمد بن إسماعيل الأمير من قولهم: بتعاضد حديث التسمية، وحديث: «**كلُّ أمرٍ ذي بال**»، وذلك لما ذكرناه في مقالنا الأول: أنَّ شرط العاضد أنْ يكون قويًّا في نفسه حتىٰ يحصل بانضمامه إلىٰ ما يراد عضده به قوَّة يحصل بها الانجبار، والأمر هنا بخلاف ذلك، فكيف يصح ادعاء التعاضد؟

والحاصل: أنَّ حديث: «**كلُّ أمرٍ ذي بال**» لا يجوز أنْ يكون عاضدًا لحديث التسمية، سواء قيَّدناه بحديث البسملة أو حملناه علىٰ رواية ذكر الله كما قال الأستاذ تبعًا لغيره، فهو علىٰ كلا الأمرين غير عاضدٍ، ثمَّ ذكر الأستاذ خمسة أحاديث زادت -فيما قال- علىٰ ما حددناه من أحاديث الباب، ولست أدري كيف استساغ الأستاذ أنْ يذكرها مع أنَّها لا تلاقي الموضوع الذي نبحث فيه.

أمَّا أولًا: فلأنَّا بيَّنا في مقالنا أنَّ مراد الحافظ السُّيوطي بذكر حديث التسمية في المتواتر، التواتر اللَّفظي، وتلك الأحاديث إنْ أفادت -علىٰ ما فيها-

تواترًا فهو معنويٌّ، وهذا خلاف ما قلنا وخلاف مراد الحافظ السُّيوطي؛ لأنَّه إنَّما ألَّف كتابه "الأزهار المتناثرة" للمتواتر اللَّفظي كما يؤخذ من كلامه في "التقريب"، وكما صرَّح به شيخ شيوخنا السَّيد محمَّد بن جعفر الكتاني في كتابه "نظم المتناثر" وإنْ أدخل فيه بعض الأحاديث المتواترة المعنى، فذلك قليل يمكن أنْ يكون ذكره على سبيل السَّهو، ومما يؤيِّد ما قلنا في خصوص مسألتنا أنَّ تلك الأحاديث التي ذكرها الأستاذ أوردها الحافظ السُّيوطي في "الجامع الكبير"، ولم يعرِّج عليها في كتاب "الأزهار"، مع أنَّه لخَّصه من الكتاب المذكور، ومن كتاب "مجمع الزوائد".

وأمَّا ثانيًا: فلأنَّ معنى تلك الأحاديث مباين لمعنى حديث التسمية أشد المباينة، ذلك أنَّ حديث التسمية معناه نفي صحَّة الوضوء لمن لم يسم الله عليه، وبه أخذ أحمد في إحدى الرِّوايتين عنه، وإسحاق بن راهويه والحسن والظاهريَّة والعترة، فحكموا ببطلان وضوء من لم يسم الله عليه.

وتلك الأحاديث معنى بعضها: «كمال وضوء من سمى الله عليه»، وهذا منافٍ لمعنى حديث التسمية، فكيف يصح أنْ نجمع بين معنيين متنافيين ونجعلهما من بابٍ واحدٍ؟ ثمَّ نستخلص منهما معنًى متواترًا؟

إنَّ هذا لبعيد، نعم من لم يوجب التسمية في الوضوء كالشَّافعيَّة جعل تلك الأحاديث قرينة صارفة لحديث التسمية عن حقيقته، قال الرَّافعي في "الشرح الكبير" ما نصُّه: من سنن الوضوء أنْ يقول في ابتدائه: بسم الله على سبيل التبرك والتيمُّن.

وذهب أحمد إلى أنَّ التسمية واجبة لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا

وضوء لمن لم يسمِّ الله عليه»، قلنا: المعنىٰ لا وضوء كامل.

كذلك جاء في بعض الروايات[١]، ويدلُّ عليه قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن تَوَضَّأ وذَكَرَ اسمَ الله كان طهورًا لجميع بَدَنِهِ، ومَن توضَّأ ولم يَذْكُرِ اسمَ الله كان طهورًا لأعضاء وضوئه**»، ولو كانت التسمية واجبة لما طهر شيءٌ اهـ.

وسبقه إلىٰ هذا التأويل أبو عبيد في كتاب "الطهور" والبيهقي في "السنن الكبرىٰ"، ولذلك خرَّج الحديث الأول والثاني من تلك الأحاديث التي ذكرها الأستاذ، ولكن لا يخفىٰ أنَّ تأويل الحديث علىٰ معنىٰ من المعاني لا يجعله نصًّا في ذلك المعنىٰ المتأول هو عليه حتىٰ يجعل مع الحديث الصَّارف له عن حقيقته من بابٍ واحدٍ، لا سيَّما مع وجود المتمسِّك بالحقيقة والمانع لصحَّة التأويل كما هنا، فقد قدَّمنا عن أحمد ومن ذكر معه أنَّهم تمسَّكوا بحقيقة حديث التسمية.

ونذكر من خدش في صحَّة تأويله، قال الشوكاني في "نيل الأوطار": وذهب الشَّافعيَّة والحنابلة والحنفيَّة ومالك وربيعة وهو أحد قولي الهادي إلىٰ أنَّها -يعني التسمية-: سُنَّة واحتجوا بحديث ابن عمر مرفوعًا: «**من توضَّأ وذكر اسم الله ... الحديث**»، وذكر بقيَّة الأحاديث التي ذكرها الأستاذ وغيرها مما استدلوا به علىٰ نفي وجوب التسمية، ثمَّ قال: قالوا: فيكون هذا الحديث قرينة لتوجه ذلك النفي -يعني في حديث التسمية- إلىٰ الكمال لا إلىٰ الصِّحَّة كحديث: «**لا صلاة لجار المسجد إلَّا في المسجد**» فلا وجوب، ثمَّ ذكر ما أيَّدوا به هذا التأويل، ثمَّ قال: ولا يخفىٰ علىٰ الفطن ضعف هذه المستندات وعدم صراحتها وانتفاء دلالتها علىٰ المطلوب وما في الباب -يعني حديث التسمية-

---

(١) لم يرد ذلك في شيء من الروايات فليعلم. اهـ كاتبه

إنْ صلح للاحتجاج أفاد مطلوب القائل بالفريضة لما قدمناه اهـ، والذي قدَّمه هو أنَّ النَّفي في حديث التسمية للصِّحَّة، لكونها أقرب إلى الذَّات وأكثر لزومًا للحقيقة... إلخ ما ذكره فليراجع.

والمقصود من هذا الكلام كله: تنبيه الأستاذ إلى أنَّ تلك الأحاديث التي زادها كما قال: على ما حددته لا تصلح أنْ يسلك بها مسلك حديث التسمية، لما بينهما من المخالفة في التراكيب واللَّفظ والمعنى، وإنَّما تصلح أنْ تكون مؤولة له في رأي من لا يوجب التسمية على ما في ذلك التأويل من المناقشة والمنازعة من طرف المتمسك بحقيقة حديث التسمية، ولهذا لم نذكرها مع وجودها في كتب التخريج التي نراجعها كلَّ صباحٍ وكلَّ مساءٍ كـ"نصب الراية" و"الدراية" و"التلخيص" و"الجامع الكبير" وغير ذلك، فذِكْر الأستاذ لها وادعاؤه أنَّها من باب حديث التسمية، وأنَّها زائدة على ما حددته الطرق، ذهولٌ منه عمَّا ذكرناه والكمال لله، ثمَّ اقتصاره في الاستدراك على خمسة أحاديث قصور (أو تقصير)؛ لأنَّ الأحاديث من ذلك المعنى تزيد على مازاده بعدَّة أحاديث:

١ –حديث ابن عبَّاسٍ بلفظ: «**منْ توضَّأ وذكر اسم الله على وضوئه، تطهَّر من جسده كله، ومن توضَّأ ولم يذكر اسم الله عليه لم يتطهَّر إلَّا موضع الوضوء**» خرَّجه الدَّارقطني والبيهقيُّ وضعَّفه.

٢ – حديث الحسن الكوفي مرسلًا بلفظ: «**مَن ذكر الله عند الوضوء طَهُر جسده كلّه، فإنْ لم يذكر اسم الله عليه لم يطهر منه إلَّا ما أصاب الماء**» خرَّجه عبدالرزَّاق وهو مع إرساله ضعيفٌ.

٣ – حديث أبي سعيد الخدري: «**منْ قال: بسم الله، حين يتوضَّأ فإذا فرغ**

من وضوئه قال: سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أنْ لا إله إلَّا أنت أستغفر وأتوب إليك، طبعت بطابعٍ ثمَّ جُعلت تحت العرش، حتى يوافي بها صاحبها يوم القيامة» خرَّجه ابن النجَّار في "تاريخ بغداد" وإسناده ضعيفٌ.

٤ - حديث البراء: «ما من عبدٍ يقول حين يتوضَّأ: بسم الله، ثمَّ يقول لكلِّ عضوٍ أشهد أنْ لا إله إلَّا الله... الحديث» خرَّجه المستغفري في كتاب "الدعوات"، وقال: حسنٌ غريبٌ.

٥ - حديث أبي هريرة: «منْ سمَّى في وضوئه لم يزل ملكاه يكتبان له الحسنات حتى يحدث من ذلك الوضوء» خرَّجه الشَّيرازي في "الألقاب"، وقال: تفرَّد به ابن علوان. قلت: وهو مشهورٌ بالوضع.

وخرَّجه الطبراني في "الصغير" بلفظ: «يا أبا هريرة إذا توضَّأت فقل: بسم الله والحمد لله، فإنَّ حفظتك لا تستريح تكتب لك الحسنات حتى تُحْدِث من ذلك الوضوء»، قال الطبراني: لم يروه عن علي بن ثابت أخي عزرة إلَّا إبراهيم البصري، وقال الذَّهبي: هذا الحديث منكر وآفته إبراهيم.

٦ - حديث: «يا علي إذا توضَّأت فقل: بسم الله اللَّهم إنِّي أسألك تمام الوضوء وتمام الصَّلاة وتمام رضوانك وتمام مغفرتك فهذا زكاة الوضوء ... الحديث»، خرَّجه الحرث بن أبي أسامة في "مسنده" قال الحافظ السُّيوطي في "الجامع الكبير" هكذا أخرجه الحرث مختصرًا ولم يسق بقيَّته، ونقل في كتاب "الإغضاء" مثل ذلك عن الحافظ في "أمالي الأذكار" وأنَّه قال زيادة على ذلك: لا يحضرني سياق لفظه اهـ.

قلت: وقد وقفت على بقيَّته في كتاب الوصايا من كتاب "بغية الباحث بزوائد مسند الحارث" للحافظ نور الدين الهيثميِّ، فأحببت أنْ أذكره ليستفاد، قال الحارث بن أبي أسامة: حدَّثنا عبدالرحيم بن واقد: ثنا حمَّاد بن عمرو عن السري بن خالد بن شداد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، عن عليٍّ قال: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«يا عليُّ، إذا توضَّأت فقل: بسم الله ...»** إلخ ما سبق وبعده: **«وإذا أكلت فابدأ بالملح واختم بالملح، فإنَّ في المِلح شفاء من سبعين داء، أولها الجُذام والجنون والبَرَص ووجع الأضراس ووجع الحلق ووجع البطن، ويا علي كُلِ الزَّيت وادهن بالزَّيت، فإنَّه من ادهن بالزَّيت لم يقربه الشَّيطان أربعين ليلة، ويا علي لا تستقبل الشَّمس فإنَّ استقبالها داءٌ واستدبارها دواءٌ، ولا تجامع امرأتك في نصف الشَّهر ولا عند غُرَّة الهلال، أمَا رأيت المجانين يصرعون فيهما كثيرًا، يا علي وإذا رأيت الأسد فكبِّر ثلاثًا تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر أعزُّ من كلِّ شيءٍ وأكبر، أعوذ بالله من شرِّ ما أخاف وأحاذر، تُكْفَى شرُّه إنْ شاء الله، وإذا هرَّ الكلب عليك فقل: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾**[الرحمن: ٣٣]**، يا عليُّ، وإذا كنت صائمًا في شهر رمضان فقل بعد إفطارك: اللهمَّ لك صُمْتُ وعليك توكَّلت وعلى رزقك أفطرتُ، يكتب لك مثل من كان صائمًا من غير أنْ ينتقص من أجورهم شيئًا، يا عليُّ واقرأ سورة ياسين، فإنَّ في ياسين عشر بركات ما قرأها جائعٌ إلَّا شبع، ولا ظمآنٌ إلَّا رُوي، ولا عارٍ إلَّا اكتسي، ولا عزب إلا تزوَّج، ولا خائفٌ إلَّا أمن، ولا مسجونٌ إلَّا خرج، ولا مسافرٌ إلَّا أُعِينَ على سفره، ولا من ضلَّت له ضالة**

إلَّا وجدها، ولا مريضٌ إلَّا بريء، ولا قرئت على ميت إلَّا خُفِّف عنه» هذا لفظ الحديث بتمامه وهو موضوعٌ، في سنده حمَّاد بن عمرو وضَّاع، ومع ذلك لو رحل طالب العلم مسيرة سنة وزيادة، ثمَّ لم يحصِّل في رحلته إلَّا هذا الحديث لما خابت رحلته؛ لأنَّ العثور على حديث كهذا شذَّ عن حفظ حافظين كبيرين هما سيد الحُفَّاظ وخاتمة الحُفَّاظ أعز من بيض الأنوق فلله الحمد على ما ألهمنا وعلَّمنا.

٧ - حديث أبي بكر رضي الله عنه موقوفًا عليه: **«إذا توضَّأ العبد فذكر اسم الله، طهر جسده كلُّه، وإن لم يذكر لم يطهر إلَّا ما أصابه الماء»** خرَّجه ابن أبي شيبة ولا يحضرني الآن حال إسناده.

٨ - حديث مكحول موقوفًا أيضًا ولفظه: **«إذا تطهَّر الرَّجل وذكر اسم الله طهر جسده كله، وإذا لم يذكر اسم الله حين يتوضَّأ لم يطهر منه إلَّا مكان الوضوء»** خرَّجه سعيد بن منصور في "سننه"، فهذه ثمانية أحاديث فات الأستاذ أنْ يذكرها علينا مع أنَّها من معنى ما استدركه، فأين كان عنها؟ هذا إنْ صحَّ الاستدارك، وإلَّا فقد عرَّفناك أنَّه باطلٌ من أصله، لمباينة تلك الأحاديث لمعنى حديث التسمية، وأنَّها إنما يصحُّ ذكرها على سبيل التأويل وصرف لفظ حديث التسمية عن ظاهره عند من يقول بعدم وجوب التسمية، دون من يقول بظاهر لفظ الحديث، ويمنع صحَّة تأويله كما قدَّمنا، كل ذلك على أنَّنا لو سلَّمنا جدلًا أنَّ تلك الأحاديث التي ذكرها الأستاذ هي بمعنى حديث التسمية وأنَّه يصح استدراكها علينا فلا يحصل بها التواتر الذي عليه مدار كلام الأستاذ لأمرين.

١٠٨- نقد وإجابة(٤)[(١)]

١ - أنَّ طرقها أشدُّ ضعفًا من طرق حديث التسمية، فضمها إليه لا يفيد كبير قوة على ما هو مقرَّرٌ في علوم الحديث.

٢ - أنَّ حديثين منها دلالتهما على المقصود ضعيفة، تكاد تكون دلالة إشارة وهما حديث أنس وحديث جابر في قصَّة نبع الماء من بين أصابعه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقوله للصحابة: «**خذوا بسم الله**» وفي لفظ: «**توضؤوا بسم الله**».

والذي غرَّ الأستاذ حتى ذكرهما، قول البيهقي في حديث أنس: إنَّه أصح شيء ورد في التسمية، ولكنَّه لم يدر أنَّ الحافظ تعقَّبه بنحو ما ذكرناه، وكذا الشَّوكاني وقد نقلنا كلامه فيما سبق، ثمَّ بعد أنْ ذكر الأستاذ الحديث الخامس قال: حديثٌ غريبٌ تفرَّد به مرداس من ولد أبي موسى الأشعري، ضعَّفه بعض ووثَّقه آخرون وبقيَّة رجاله ثقات اهـ.

ونحن نقول: الحديث خرَّجه الدَّارقطني في "سننه" قال: حدَّثنا محمَّد بن مخلد: نا أبو بكر محمَّد بن عبدالله الزهيري: نا مرداس بن محمَّد بن عبدالله بن أبي بردة: نا محمَّد بن أبان عن أيوب بن عائذ الطَّائي، عن مجاهد، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من توضأ فذكر اسم الله... الحديث**».

مرداس ذكره الذَّهبي في "الميزان" فقال: «لا أعرفه وخبره منكرٌ في التسمية على الوضو ».اهـ وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: يغرب ويتفرَّد، وقال الحافظ: ليَّنه الحاكم.

---

(١) السنة الرابعة، ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤.

ومحمَّد بن أبان ذكره الذَّهبي أيضًا فقال: محدِّثٌ شهيرٌ روىٰ عن مهدي بن ميمون وهشيم والطبقة، فيه مقالٌ، قال الأزدي: ليس بذاك، وقال ابن حِبَّان في "الثقات": ربما أخطأ اهـ. وقال الحافظ في "التقريب": صدوقٌ تكلم فيه الأزدي من العاشرة اهـ.

وأيوب بن عائد الطَّائي ذكره في "الميزان" أيضًا فقال: وثَّقه أبو حاتم وغيره.

وأمَّا أبو زرعة فسرد اسمه في "الضعفاء" وكان من المرجئة، قاله البخاري، وأورده في "الضعفاء" لإرجائه، والعجب من البخاري يغمزه وقد احتجَّ به لكن له عنده حديث، وعند مسلم له حديثٌ آخر فإنَّه مقلٌّ اهـ.

وأقول: بل العجب من الذَّهبي؛ لأنَّ البخاري لم يحتج بأيوب وإنَّما أخرج له حديثًا في كتاب المغازي بمتابعة شعبة الإمام له، نعم احتجَّ به مسلم والترمذي كما قال الذَّهبي والحافظ، والصَّحيح فيه أنَّه ثقةٌ، وإنَّما ضُعِّف لأجل الإرجاء، إذا علم هذا ففي كلام الأستاذ نظرٌ من وجهين:

الأول: قوله في مرداس: وثَّقه آخرون. مع أنَّك علمت مما ذكرناه أنَّ أحدًا لم يوثِّقه إلَّا ابن حِبَّان، ولا تفهمن أنَّ تليين الحاكم له يعدُّ تعديلًا أو توثيقًا، كلَّا بل هو تجريحٌ خفيفٌ كما تقرَّر في علوم الحديث، فمرداس ضعيفٌ بمقتضىٰ كلام الحاكم والذَّهبي والحافظ في "التلخيص" ولا يرد علىٰ هذا ذكر ابن حِبَّان له في "الثقات"؛ لأنَّ تساهل ابن حِبَّان في التوثيق معروفٌ نبَّه عليه الحافظ قديمًا وحديثًا، قال الحافظ محمَّد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي في كتاب "الصارم المنكي" في الكلام علىٰ هارون بن قزعة الذي احتجَّ السُّبكي علىٰ توثيقه بذكر ابن حِبَّان له في "الثقات" ما نصُّه: ليس في ذلك ما يقتضي صحَّة

الحديث الذي رواه، ولا قوته، وقد علم أنَّ ابن حِبَّان ذكر في هذا الكتاب الذي جمعه في "الثقات" عددًا كثيرًا وخلقًا عظيمًا من المجهولين الذين لا يعرف لهم ولا غيره أحوالهم، وقد صرَّح ابن حِبَّان بذلك في غير موضعٍ من هذا الكتاب فقال في الطبقة الثالثة: سهل يروي عن شدَّاد بن الهاد روىٰ عنه يعقوب ولست أعرفه ولا أدري مَنْ أبوه، هكذا ذكر هذا الرجل في "الثقات"، ونصَّ علىٰ أنَّه لا يعرفه وقال أيضًا: حنظلة شيخٌ يروي المراسيل لا أدري من هو روىٰ ابن المبارك عن إبراهيم بن حنظلة عن أبيه هكذا ذكره لم يزد، وقال أيضًا: الحسن أبو عبدالله شيخٌ يروي المراسيل روىٰ عنه أيوب النجَّار لا أدري من هو ولا ابن من هو، وقال أيضًا: جميلٌ شيخٌ يروي عن أبي المليح بن أسامةَ روىٰ عنه عبدالله بن عون لا أدري من هو ولا ابنُ من هو، وقد ذكر ابن حِبَّان خلقًا كثيرًا من هذا النَّمَط وطريقته في هذا الكتاب أنَّه يذكرُ من لم يعرفْه بجرحٍ وإنْ كان مجهولًا لم يعرفْ حاله، وينبغي أنْ يتنبَّه لهذا، ويُعرف أنَّ توثيق ابن حِبَّان للرجل بمجرَّد ذكره في هذا الكتاب من أدنىٰ درجات التوثيق اهـ.

وقال الحافظ السَّخاوي في "شرح الألفية" في الكلام علىٰ من أَلَّف في الثِّقات والضُّعفاء ما نصُّه: وفي "الثقات" لأبي حاتم بن حبَّان وهو أحفلها لكنه يدرج فيهم من زالت جهالة عينه، بل ومن لم يرو عنه إلَّا واحدٌ ولم يظهر فيه جرحٌ، وذلك غير كافٍ في التوثيق عند الجمهور وربما يذكر فيهم من أدخله في الضعفاء إمَّا سَهوًا أو غير ذلك اهـ. علىٰ أنَّ ابن حِبَّان أشار إلىٰ غمز مرداس حيث قال: يغرب ويتفرَّد؛ وذلك لأنَّ مرداسًا قليل الرِّواية جدًّا حتىٰ إنَّ الحافظ ابن القطَّان جهله لذلك، فإذا كان مع قلَّة روايته يغرب ويتفرَّد فأنىٰ

يكون ثقة؟ وأول شرطٍ في الثِّقة الضَّبط وعدم التفرُّد.

الثاني: قوله: وبقيَّة رجاله ثقاتٌ، مع أنَّ في تلك البقيَّة محمَّد بن أبان وهو لم يصل إلى درجة الثِّقة، بل هو في الدرجة الرَّابعة من التَّعديل، وهي ما حلَّاه به الحافظُ في "التقريب" كما نقلناه عنه فيما سبق، ولا نذكر هنا توثيقَ ابن حِبَّان فقد عرَّفناك ما فيه وأنَّه من أدنى درجاتِ التوثيق، على أننا لو سلَّمنا أنَّه من أعلى درجات التَّوثيق أو أعلاها بإسقاط من، لما صحَّ للأستاذ أنْ يطلقَ قوله وبقيَّة رجاله ثقاتٌ، وفيهم من تُكلِّم فيه؛ لأنَّ هذه العبارة لا يطلقُها المحدِّثون إلَّا على سندٍ لا خلافَ في ثقةِ رجاله أو فيهم خلافٌ لا يضرُّ لشهرتِهم وجلالتِهم، أمَّا إذا كان فيهم خلافٌ ضارٌّ كحال محمَّد بن أبان، فإنَّه لم يكن عنده من الإتقان والضَّبط والشُّهرة والجلالة ما يجعل الطَّعن فيه ضعيفًا ساقطًا، فسبيل التعبير في سندٍ هذا حالُ رجاله أنْ يقال: رجاله موثَّقون، أو ثقاتٌ وفي بعضهم خلافٌ، أو في بعضهم ضعفٌ أو نحو ذلك مما يفيد أنَّ رجالَ السَّند لم يصِلُوا أو بعضهم إلى درجة الثِّقة المطلق، هكذا كان يجب على الأستاذ أنْ يعبِّر، ولعلَّ الذي حمله على ذلك الإطلاق عدم اطلاعه على سند الدَّارقطني، الذي أتينا به على وجهه وما كان ينبغي له؛ لأنَّ الحكم على سندٍ بثقة رجاله أو ضعفهم يعتمد الوقوف عليه بتمامه، وجمع الطرق المناسبة له، واستقاءها من نفس الكتب التي خُرِّجت فيها، حتى يمكنَ للإنسان حينئذ أنْ يبنيَ حكمَه على أساسٍ متينٍ، ثمَّ قال الأستاذ: «وأمَّا حديثُ أبي سعيد الخدريِّ الذي رواه الترمذيُّ والدَّارميُّ وابن ماجه والحاكمُ وصحَّحه من طرقٍ متعدِّدة إلى كثير بن زيد وربيح بن عبدالرحمن». اهـ وفيه نظر من وجهين:

١ – قوله: إنَّ الحاكم صحَّح حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، وليس كذلك بل هو إنَّما صحَّح حديثَ أبي هريرة بعد أنْ أخرجه من طريقين عن يعقوب بن سلمة ثمَّ ذكر حديث أبي سعيد شاهدًا له، ولم يتكلم عليه بتصحيحٍ ولا تضعيف، وإنَّما نقل عن أحمد أنَّه قال: هو أحسن شيءٍ في الباب.

٢ –قوله: من طرقٍ متعدِّدة إلىٰ كثير بن زيد، لا يخلو إمَّا أنْ يكون متعلِّقًا بقوله: صحَّحه، أو بقوله: رواه.

فإنْ كان الأول: فهو باطلٌ؛ لأنَّ الحاكمَ مع كونِه لم يصحِّحْه كما بيَّنَاه آنفًا، ماروواه عن كثير بن زيد إلَّا من طريقٍ واحدٍ ليس غير، وهو هذا: قال الحاكم: ثنا أبو العبَّاس محمَّد بن يعقوب: ثنا الحسن بن علي بن عفَّان: ثنا زيد بن الحباب: ثنا كثير بن زيد عن ربيح بن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدريِّ، عن أبيه، عن جده، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: فذكر الحديث.

وليس في طرق "المستدرك" لهذا الحديث طريق عن كثير.

بقي في كلام الأستاذ نظرٌ ثالثٌ: وهو أنَّ عزوَه حديثَ الخدريِّ للترمذيِّ يقتضي أنَّه رواه في "السُّنن"؛ لأنَّ القاعدةَ أنَّ العزوَ لأحدٍ من أصحابِ الكتب السِّتة إذا أُطلق انصرفَ لكتابه المشهور، فإنْ كان في غيره قيِّد به كما هنا؛ لأنَّ الترمذيَّ لم يروِ حديثَ أبي سعيد في "سننه" وإنَّما رواه في كتاب "العلل الكبير"، فكان الواجبُ علىٰ الأستاذِ أنْ يقيِّد العزْوَ لا أنْ يطلقه، ولعلَّ له في الإطلاق عذرًا من تقليدٍ أو غيره.

ثمَّ قال الأستاذ: «فأمَّا كثير فقد ضعَّفه النَّسائيُّ، وقال أبو زُرعة: صدوقٌ وفيه لِينٌ، وقال ابن المدينيِّ: صالحٌ وليس بالقويِّ، وقال ابنُ معين: ثقةٌ

(خلاف ما قاله الأستاذ)».اهـ

وهذا اتهامٌ من الأستاذ لنا جارحٌ لو لا ثقتُنا بحسن قصده لكان لنا معه شأنٌ يذكر!! ثمَّ هو في الوقت نفسِه دالّ علىٰ قصورٍ أو تقصيرٍ؛ لأنَّ ما نقلناه عن ابن معين موجودٌ في الكتب المتداولة المشهورة التي لا غنىٰ للمحدِّث عن مراجعتها كلَّ حين، ففي "التلخيص الحبير" عند الكلام علىٰ سندِ حديثِ أبي سعيد الخدري ما نصُّه: وأمَّا حال كثير بن زيد فقال ابن معين: ليس بالقوي. وقال أبو زرعة: صدوقٌ فيه لينٌ. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه اهـ.

ومثله في باب التسمية للوضوء من كتاب "نيل الأوطار"، فليراجعه من أراده، وقال الحافظ في ترجمته من كتاب "تهذيب التهذيب" بعد أن ذكر جملة من شيوخه وتلاميذه ما نصُّه: قال عبدالله بن أحمد عن أبيه ما أرىٰ به بأسًا. وقال عبدالله ابن الدَّورقي عن ابن معين: ليس به بأسٌ. وقال معاوية بن صالح وغيره عن ابن معين: صالحٌ. وقال ابن خيثمة عن ابن معين: ليس بذاك.(وكان أولًا قال: ليس بشيءٍ). وقال ابن عمَّار الموصليُّ: ثقةٌ. وقال يعقوب ابن شيبة: ليس بذاك السَّاقط وإلىٰ الضعف ما هو إلخ ما هناك فليراجع.

فقد صحَّ -كما ترىٰ- عن ابنِ معينٍ أَنَّه عبَّر في كثير بن زيد، بثلاثِ عباراتٍ كلّها تجريحٌ.

١- ليس بالقويِّ وهي التي اتَّهمنا الأستاذ في نقلها.

٢- ليسَ بذاك.

٣- ليس بشيءٍ وهي أشدُّ؛ لأنَّها في الدرجة الرَّابعة من التخريج، بخلاف اللتين قبلها، فهما في الدَّرجة السَّادسة، فما كان ينبغي للأستاذِ أنْ يبادرَ بإنكار

ما لم يطَّلع عليه بدون تأنٍّ ولا رويَّة، بل كان يجبُ عليه أنْ يبحثَ ويراجعَ، ثمَّ إنْ لم يجد فلا يجزمْ بالإنكار؛ لاحتمال أنْ نكونَ قد اطَّلعْنا على ما لم يطَّلع عليه كما هو الواقعُ في مسألتنا هذه، ونحنُ -ولله الحمدُ- لم نكنْ «ولن نكونَ» لنتساهلَ في نقلٍ عن أحدٍ لغرضٍ من الأغراض، فليطمئنَّ قارئ مقالاتنا ومؤلَّفاتنا، وما رآه فيها من النُّقول فليعتقدْ أنَّه وِفْقَ المنقول عنه من غير زيادةٍ ولا نقصٍ، إلَّا إنْ اقتضى الحال التصرُّف فيه فننبِّه على ذلك، هذه عادتنا في كتاباتنا فلنْ يجدَ الأستاذُ ولا غير الأستاذ سبيلًا إلى طعنٍ في نقلٍ نقلناه من حيث صحَّته عن صاحبه والحمد لله.

إنْ قال قائلٌ: فما العمل فيما نقله الأستاذ عن ابن معين من توثيق كثير بن زيد؟ وكيف يتلاقى مع ما صحَّ عنه من تضعيفه؟

قلنا: لو أردنا أنْ نتسرَّع تسرُّعَ الأستاذ لأنكرنا ما نقلَه عن ابنِ معين، ولا يهمنا أنْ يأتيَ هو أو غيره بعد ذلك بتصحيحٍ من كتاب "الترغيب" -وهو مستند الأستاذ!- أو من كتاب "الميزان"؛ لأنَّ من يتسرَّع يوطِّن نفسَه على أنْ يُتعقَّب عليه، بخلاف من يتروَّى ويتأنَّى فإنَّه لا يكاد يترك للتعقُّب عليه سبيلًا، وفي حديثٍ عند الطبراني والقضاعي بإسنادٍ ضعيفٍ عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «**من تأنَّى أصَابَ أو كادَ، ومن عجَّل أخْطأ أو كادَ**»، وله طرقٌ وألفاظ، لكنَّا نعترف بصحَّة ما نقله الأستاذ ونرجِّحُ غيره عليه لأمرين:

١ - أنَّ النقول عن ابن معين بتوثيقِ كثير أقل منها بتجريحه، بل لم يرد عن ابن معين تصريحٌ بتوثيقه إلَّا في رواية ابن أبي مريم على حين أنَّه جرَّحه بثلاثِ عباراتِ كلُّها صريحةٌ كما أوضحناه فيما سبق.

٢ - أننا تتبَّعنا حال كثير، من كتبِ الرجال ككتاب "الضُّعفاء والمتروكين" للنَّسائي، و"تهذيب الكمال" للمزِّي، و"تهذيب التهذيب" للحافظ، و"تقريب التهذيب" له، و"الميزان" للذَّهبيِّ، و"لسان الميزان" للحافظ، و"الخلاصة" للصفي الخزرجي، فلم نجدْ عنده من الضَّبطِ والإتقانِ ما يرقِّيه إلى درجة الثِّقة، بل وجدنا في بعضِ رواياته من العِللِ والخلَلِ ما ينْحطُّ به إلى الدَّرجة الرَّابعة من درجاتِ التعديل الذي هو أعمُّ من التوثيق، وعليها اقتصرَ الحافظُ في "التقريب"، وعادتُه في هذا الكتاب كما قال في خطبتِه: أنَّه يحكمُ على من يذكره بحكمٍ يشمل أصحَّ ما قِيل فيه، وأعدل ما وصفَ به، بألخصِ عبارةٍ، وأخْلصِ إشارةٍ، بحيث إذا اضطربت عليك أقوال أهل التجريح والتعديل في راوٍ من رجال الكتب السِّتة، ولم تميِّز الرَّاجحَ منها من غيره، فاعتمدْ على ما تجدُه في هذا الكتاب، فهو عُصارة التحقيقِ ونحنُ ننقل لك منه ترجمةِ كثيرٍ بنصِّها، قال في حرفِ الكافِ: كثير بن زيد الأسلميُّ أبو محمَّد المدني ابن مافَنَّة[1] (بفتح الفاء وتشديد النون) صدوقٌ يخطيءُ، من السَّابعة، ماتَ آخر خلافةِ المنصور اهـ بحروفه.

---

(١) هي أمُّه وهكذا ضُبِطَ اسمها في "تهذيب التهذيب" غير أنه وقعَ في الثاني صافنة بالصَّاد، وهو خطأ مطبعيٌّ وضبط في "الخلاصة" بالقاف الموحدة أي: قبة والأول أصحُّ. اهـ كاتبه.

(٨)

مقالات متنوعة

١٠٩- أغلاط شائعة[١]

شاعَ بين كثيرٍ من الناسِ عباراتٌ وجملٌ تجري بينهم في محاوراتهم ومناظراتهم كأنها من المسلَّمات، لا يحاولُ أحدٌ منهم أن يردَّها أو يناقشَ معناها مستدركًا أو معترضًا، وهي في الواقعِ خطأ بحتٌ ليس لها نصيبٌ من الصَّواب، بل منها ما يمسُّ العقيدة ويخدشُها بحيث يسير معتقدُ معناها واقعًا في الضلال وهو لا يشعرُ.

وتلك الجمل كثيرةٌ أحاول أن أجمعَها في كتاب خاصٍّ مع بيان خطرِها وضررها وإني ذاكر هنا بعضًا منها، نموذجًا لباقيها وعنوانًا عليها.

١- من تلك العبارات قولهم: «المزيةُ لا تقتضي التَّفضيل». وهي أقبَحها وأشدُّها ضررًا، وأظنُّ الشيطانَ ألقاها على ألسنتِهم ليضلَّهم بها.

فبسببُ هذه العبارة الخبيثة اعتقدُوا أنَّ في الأولياء من هو أعلمُ من بعض الأنبياء، كما اعتقدوا أنَّ بعضَ الأذكار أو الصلواتِ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوازي القرآنَ بل يزيدُ عليه مراتٍ! مع أن تلك العبارةَ التي بني عليها هذا الضَّلال وأمثاله كاذبةٌ ومختلةٌ.

أما كذبها فلأن المزية تقتضي التفضيل حتمًا وذلك لوجهين:

١- أنَّ معناها: هي الخصلةُ التي تُوجد في شيءٍ دون غيرِه فيتميزُ بها عليه وهذا هو معنى التفضيل.

٢- أنَّ المزيَّة والفضيلةَ والخصيصةَ والمنقبةَ ألفاظٌ مترادفةٌ تدلّ على الخصلةِ

---

(١) مجلة دعوة الحق.

التي يفضِّل الله بها بعضَ مخلوقاتِه، وقد تكونُ وَهْبيةً أو كسبيَّةً.

فالنبوةُ والرسالة مزيةٌ وهبيةٌ وخصيصةٌ وفضيلةٌ ومنقبةٌ فضَّل الله بها أنبياءه ورسله.

وتخصيصُ جبريلَ عليه السَّلام بالوحي مزيَّة وهبيةٌ وفضيلةٌ وخصيصةٌ ومنقبةٌ فضَّل الله بها جبريل عليه السلام على الملائكة.

والعلمُ فضيلةٌ ومزية وخصيصةٌ ومنقبة فضَّل الله به العالم على الجاهل.

وليلة القدر فضَّلها الله بنزول القرآن فيها وهي مزيَّة وفضيلةٌ وخصيصةٌ ومنقبة، وبها أيضًا فضَّل الله شهر رمضان.

ويوم الجمعةِ، ويوم عرفةِ، ويوم عاشوراء، وعشر ذي الحجة، فضَّلها الله بمزايا لم توجدْ في غيرِها من الأيام.

وفضَّل الله مكةَ والمدينةَ بمزايا لم توجدْ في غيرهما من البلاد.

وإذا تعارضت المزايا في شخصَين أو زمانين أو مكانين؛ فُضِّل أحدُهما على الآخر بأكثرِها عددًا وأكبرها وزنًا وقيمةً.

ومن هنا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضلَ الأنبياء لكثرة مزاياه وعِظَم وزنِها وقيمتِها، وعلى هذا الأساس يحصلُ التفاضلُ بين الصَّحابة والأئمةِ والعلماءِ والأولياءِ.

ثم المزايا التي يمكنُ المفاضلة بينها عند التعارض هيَ العارضةَ لصاحبها كالرِّسالة والصحبةِ والعلمِ والزهدِ مثلًا، أمَّا المزية الذاتية للشيءِ فلا يمكنُ أن توازيها مزيةٌ عارضةٌ فضلًا عن أنْ ترجحَ عليها.

ولهذا كان القرآنُ أفضلَ الأذكار على الإطلاق لأنَّه كلامُ الله فمزيَّته ذاتيةٌ له

بمعنى أنها جزءٌ من مفهومه، إذ لا يمكنُ أن يُتصوَّر القرآنُ في الذِّهنِ إلا أنه كلام الله وصفتُه، بخلاف الذكر أو الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ فإنَّه عملنا أُضِيفَ إلى الله على وجه العبادة له وشتان بينَ صفة الله وعبادته.

فمن زعمَ أنَّ بعض الأذكار يوازي القرآن أو يزيدُ عليه كان كمن زعم أن قدرة المخلوقِ في بعض حالاتها تساوي قدرةَ الخالقِ أو تزيدُ عليها وكلا الزَّعْمين فاسدٌ بضرورة العقلِ، ضلالٌ بحكم الشَّرع.

والحديث القدسيُّ الذي يرويه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الله تبارك وتعالى هو مع أنَّه كلامُ الله تراخى في الفضل عن القرآنِ لأمرين:

الأول: احتمالُ أنْ يكون مرويًّا عن الله بالمعنى لا باللفظِ والقرآنِ ليس كذلك بل هو مرويٌّ باللفظِ والمعنى.

الثاني: احتمالُ أن يكون وحيًا في المنام أو نفثًا في الرُّوعِ والقرآن لا يكون وحيًا في المنام ولا نفثًا.

فلهذين الاحتمالين لم يُعطَ حكمَ القرآن في الفضل ولا في التلاوة.

وأمَّا خللُ تلك العبارة فلأنَّ الذين يلوكُونها بألسنتِهم لا يستطيعونَ أنْ يذكروا لها معنى يفرقُ بينها وبين الفضيلةِ والخصيصةِ والمنقبةِ حتى يمكنهم أن يقولوا هذة مزية لا تقتضي التفضيل وهذه فضيلة تقتضيه.

نعم ليس لديهم تعريفٌ يفرق بين هذه الألفاظِ المترادفةِ ويلزَمُ على هذا الخلل فساد كبير؛ إذ ما من فضيلةٍ إلا ويمكنُ أن يقالَ عنها أنها مزيَّة لا تقتضي التفضيل فيقال في خلةِ إبراهيمَ عليه السَّلام أنه مزيةٌ لا تقتضي تفضيلَه، ويقال

في موسىٰ عليه السَّلام كونه كليمَ الله مزيةٌ لا تقتضي تفضيلَه، ويقالُ مثل ذلك في فضائل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفي فضائل الصَّحابة فتبطل الفضائل ويختلُّ ميزان معرفتِها وفي هذا من الفسَاد ما لا يخفىٰ.

قد يقال: إن الله تعالىٰ صرَّح بتفضيل موسىٰ بالكلامِ فقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فنقول: هذه الآية دليلٌ لنا علىٰ أنَّ المزيَّة تقتضي التفضيل، وعلىٰ أن تلك الجملةَ كاذبةٌ.

ومن فروع هذه الجملة -سوىٰ ما سبق- اعتقادُهم أنَّ الوليَّ قد يكون أعلم من النبيِّ مستندين إلىٰ قصَّة موسىٰ والخضر عليهما السَّلام بناءً علىٰ زعمِهم أن الخضِر وليٌّ، وهذا رأيٌ ضعيفٌ شاذٌّ، والراجحُ عند الجمهور وهو الذي لا يجوز غيره أن الخضِرَ نبيٌّ.

والدليل علىٰ نبوته من القرآن أمور:

١- قوله لموسىٰ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧] ولا يجرؤ ولي أن يخاطب رسولًا بهذا النفي المؤكَّد اعتمادًا علىٰ مجرد الإلهام أو الكشْفِ، ولولا أنه نبيٌّ يوحىٰ إليه ما علم ذلك ولا نطق به.

٢- قتلُه للغلامِ، ولولا أنه أُوحي إليه بقتلِه لما فعلَ ذلك بمجرَّد إلهامِ الأولياءِ.

٣- قوله عن اليتيمين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، ما علم إرادة الله ذلك إلا بوحيٍ منه.

٤- قوله: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، أي: فعلتُه بوحيٍ.

٥- علم النبيِّ يقينيٌّ بوحيٍ، وعلم الوليِّ ظنيٌّ بإلهامٍ، ولم يكنْ موسىٰ ليرحلَ في طلبِ علمٍ ظنيٍّ يخطئُ ويصيبُ ومعه علمٌ يقينيٌّ لا يخطئُ.

٦- تبيَّن لي من أسلوبِ القرآن الكريم أنَّ الله تعالىٰ إذا نَسبَ إلىٰ ذاته المقدَّسة تعليمَ شخصٍ معيَّن فذلك دليل علىٰ نبوته، اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقال في الخضر: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

٧- قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥]، أي نبوة.

٨- قول موسىٰ له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] أي مما علمك الله.

٩- وفي الصحيحن عن أبي بن كعب، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **أنَّ الخضِرَ قال لموسى -عليهما السَّلام-: أنا على علمٍ منْ علمِ الله لا يَنْبَغِي لكَ أن تعلَمَه، وأنتَ على عِلمٍ منْ علمِ الله لا ينبغِي لي أنْ أعلَمَهُ».**

معنىٰ كلامه أن كلانا علىٰ علم من الله بشريعة تخالف الأخرىٰ فلا ينبغي لأحدنا أنْ يعلمَ شريعةَ الآخرِ لأنه غيرُ مكلَّفٍ بها وتثيرُ دهشتَه واستغرابَه.

وهذه هي النبوَّةُ في أجّلىٰ معانيها.

وبعضهم استند إلى قول أبي يزيد البِسطامي: «خُضنا بحرًا وقفتْ الأنبياء بساحله»، فهم منه أنَّ الوليَّ قد يخوضُ في علومٍ ومعارفَ لم يعرفْها الأنبياءُ، وأبو يزيد لم يقصدْ هذا المعنى لأنه كفرٌ صُراحٌ، وإنما قصد بحرَ الشَّهواتِ فهذا البحر وقف الأنبياء بساحله يحذرُون الناس من خوضه كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا آخذٌ بحُجَزِكُم عَنِ النَّارِ وأنتمْ تقتَحِمُونَ فيها**». وقال أيضًا: «**حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ**».

وروى ابن عبد البرِّ في "الاستيعاب": عن خالد بن سعيد بن العاص أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفيرِ جهنم ورأى والده يدفعه فيها ورأى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آخذ بحقويه لئلا يقعَ فيها ففزِعَ وقال: أحلفُ بالله إنها لرؤيا حقٍّ، ولقي أبا بكر رضي الله عنه فذكر ذلك له فقال أبو بكر: أُريدَ بك خير، هذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاتَّبِعْه، وإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزُك من أن تقعَ فيها، وأبوكَ واقعٌ فيها. فلقي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأجياد فأسلمَ.

فوظيفة الأنبياء تحذير الناس من خوض بحر الشهوات الذي يؤدي بهم إلى النار، أعاذنا الله منها.

٢- ومنها قولهم: «حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبين» هذه الجملة قيلت قديمًا ووقعتْ في كلامِ بعضِ الكبراء مثل الإمام النوويِّ رضي الله عنه وظنه بعضهم حديثًا، وليست هي بحديثٍ، كما قال السَّخاويّ.

والواقع أنها خطأ من وجوهٍ ثلاثة:

١- أنَّ الحسنةَ من حيث ذاتها لا تختلفُ باختلاف فاعلِها فالحسنةُ من

العاصي حسنةٌ من الطائعِ، والحسنةُ من العالِمِ أو الوليِّ حسنةٌ من النبيِّ، ولا يعقل أن تكونَ حسنةٌ من صالح هي نفسها سيئةٌ من نبيٍّ.

نعم قد يعرضُ للحسنة ما يجعلها سيئةً لأمر خارجٍ عارضٍ لها لا لذاتِها، وهي من أفرادِ مسألة الواحد بالشَّخص له جهتان لا تلازم بينهما وهذه المسألة مقرَّرة في علم الأصول.

٢- أنَّ الأبرار هم المقرَّبون، اختلفا في المفهوم واتحدا فيما هو صدق.

وعلى هذا يصير معنى الجملة: حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ الأبرارِ، وهذا تهافتٌ.

والدليل على اتحادهما قول الله تعالى في الملائكة المقربين: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦]، مع قوله في الصالحين من المؤمنين: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

بررَة وأبرارٌ جمعان لبارٍّ، أولهما جمعُ كثرةٍ والآخرُ جمعُ قِلَّةٍ، عبر في الملائكة بجمع الكثرة لأنهم مع كثرتهم طائعون مقربون ليس فيهم عاص.

وعبر عن المؤمنين بجمعِ القِلَّةِ لأنَّهم أقلَّاءُ بالنسبة لغيرهم.

يؤيد هذا أنه عبر في أضدادِهم بجمعِ الكثرةِ حيثُ قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢]، لأنَّهم أكثرُ بني آدمَ.

٣- ما المرادُ بحسناتِ الأبرار؟ إن أريدَ جميعُها فهو باطلٌ قطعًا، وإن أريد بعضُها، فما هو؟ وكيف السبيلُ إلى تعيينه؟ وما الدليلُ عليه؟

٣- ومنها قولهم: «خطأٌ مشهورٌ خيرٌ من صوابٍ مهجورٍ». وهذه جملة

خطيرة تدعو إلىٰ تركِ صوابٍ كثير بدعوىٰ أنَّه مهجورٌ لا يعرفُ، وقد وقعتْ أخطاءٌ كثيرةٌ في مسائل دينية واشتهرت، فهل يتبعها الناسُ ويدعونَ الصَّوابَ المهجور؟! إن فعلوا ذلك ضلُّوا ضلالًا مبينًا.

ثم الخطأ يحصُل عن جهل من المخطأ، والصَّواب نتيجة علمٍ وبحثٍ، فهل يجوز الجهل علىٰ العلم؟! والله تعالىٰ علمنا أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فأفاد أن الخطأ من المعفوات وأن الصواب هو الأصل والقاعدة.

وصرَّح النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذلك في قوله: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عن أُمَّتي الخطأ والنِّسْيانَ والأمرَ يُكرهُونَ عليهِ**». فكيف يصيرُ الخطأ المعفوُّ أصلًا معمولًا به ويطرحُ الصوابُ الذي هو الأصل؟! أليس في هذا مخالفةٌ للكتاب والسُّنة؟ ثم ما هذه الشهرة التي تجعل الخطأ مقبولًا دونَ الصَّواب؟!

إن كانت عند العوامِّ فلا اعتبارَ لها وإن كانت عند العلماء؛ فلم يحصُل أنهم تواطئُوا علىٰ خطأ حتىٰ اشتهرَ بينهم بل لا بد أن يتنبَّه له وينبه عليه طائفة منهم.

ثم لفظُ الهجر يفيدُ ترك الشيء عن عمدٍ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، وتركُ الصَّوابِ عن عمدٍ يوقعُ في الإثمِ لأنه إمَّا عن عنادٍ أو استكبارٍ، فاستبدال الخطأ المشهور به إصرارٌ علىٰ الإثمِ وهو معصيةٌ، فحقَّ تلك العبارة أن تكونَ هكذا: «صوابٌ مهجورٌ خيرٌ من خطأ مشهورٍ».

٤- الأبيات المشهورة:

طَلَعَ البَدْرُ علينا مِن ثَنِيَّات الوَدَاع
وَجَبَ الشُّكْرُ علينَا ما دَعَا لله دَاع
أيُّها المَبْعُوثُ فينَا جِئْتَ بالأَمْرِ المُطَاع
جِئْتَ شَرَّفْتَ المدينة مَرْحبًا يا خَيْرَ داع

صرَّح الشيخُ مسعود بن محمد بن عليّ جموع في كتاب "الدرة المضية من خبر سيد البرية" أنَّها قِيلتْ في استقبال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عند دخول المدينة المنورة مهاجرًا، وهكذا شاعَ بين الناس وهذا خطأ مشهور.

والصَّواب كما قال ابنُ القيِّم: أنها قيلت عند قدوم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من غزوة تبوك، و«ثنية الوداع» موضعٌ في المدينة من جهةِ الشَّام لا من جهة مكة.

١١٠- الحدود والشفاعات والخصومة المحرمة[١]

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**منْ حالتْ شفاعتُه دونَ حدٍّ منْ حدُودِ الله فقدْ ضَادَّ الله عزَّ وجلَّ، ومنْ خاصَمَ في باطلٍ وهو يعلمُ، لم يزلْ في سَخطِ الله حتَّى يَنْزِعَ، ومنْ قال في مؤمنٍ ما ليسَ فيه أسكنه الله رَدْغَةَ الخبَالِ حتَّى يخرجَ ممَّا قال وليس بخارجٍ**». رواه أبو داود والطبرانيُّ في "الحاكم" وصحَّحه.

أمر الله بإقامة الحدِّ علىٰ من فعل ما يوجبه ونهىٰ عن تركه رأفةً بالمحدود، فمن شفع في ترك حدٍّ فقد ضادَّ الله فيما أمر به، والحدُود الشرعيةُ تُركتْ منذُ زمانٍ، فلذلك كثرتِ الجرائمُ وفسدتِ الأخلاقُ، وطلب المصلحون الدواءَ وعزَّ عليهم وجودُه، مع أنَّ العلاجَ الوحيدَ هو إقامةُ الحدودِ طبقَ ما أمرَ الله ورسولُه لا غيرُ، وقد قال الإمامُ مالك: لن يصلُحَ آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أوَّلُها.

والحديث وإن كان واردًا في الحدِّ فيدخل في وعيدِه كل من شفع في حقٍّ بعد ثبوتِه بالطّرقِ المشروعةِ، وأمَّا المخاصمةُ في الباطلِ مع العلمِ به فتحصُل من كثيرٍ من المحامِين؛ حيثُ يترافعُون في قضايا يعلمُون أنها باطلةٌ رغبةً في الحصول علىٰ المال، بل إنَّ جميعَ المحامين داخلُون في هذا الوعيد لأنَّهم يترافعُون علىٰ قانونٍ يعلمون أنه مخالفٌ للشريعة الغرَّاء.

و«ردْغَة الخبال» فسرها حديث آخر بأنها «عُصَارة أهلِ النَّارِ» فالويلُ لمن كان هذا، سكناه حمانا الله من ذلك.

---

(١) مجلة الخلاصة (المسلم)، السنة الثالثة، العدد (١٧) محرم ١٣٧٠ .

١١١- ما يجب أن تعرفه عن ليلة القدر

بحث شامل(١)

ليلة القَدْرِ باقيةٌ إلى القيامة:

سُمِّيت ليلةَ القدر لتقدير الله تعالى فيها ما يكونُ في تلك السَّنة من الأرزاق والآجال وغير ذلك والمرادُ بهذا التقدير إظهارُ ذلك للملائكةِ عليهم السَّلام وهي المرادُ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ [الدخان: ٣ – ٥] وذهبَ المتنطِّعون إلى أنَّ ليلة القدر رُفعت ولم يَعُد لها وجودٌ ولكنَّ الذي أجمع عليه أهل السُّنة أنها باقيةٌ مستمرةٌ إلى يوم القيامة وإنَّما رُفع تعيُّنُها لا غير وقد روى عبد الرزَّاق عن عبد الله بن بخنس قال قلتُ لأبي هريرة: زعمُوا أنَّ ليلة القدر رُفعت قال: كذَبَ مَنْ قال ذلك.

متى تكونُ ليلة القَدْرِ؟

اختلف العلماءُ في تعيين ليلةِ القدرِ، وفي أيِّ ليلة تكون، وذهبوا في ذلك مذاهبَ شتَّى وصلت إلى بضعةٍ وأربعين مذهبًا كلّ مذهب استدلّ صاحبُه بما ترجَّحَ عنده.

وأقربُ الأقوال فيها أنَّها في رمضان، وفي العشر الأواخر، وأنَّها ليلة سبعٍ وعشرين. وهو مذهبُ جماعةٍ من الصحابة منهم أبيُّ بن كعب، وعمرُ، وابنه، وحذيفةُ. وهو الجادَّة من مذهبِ أحمد، ورواية عن أبي حنيفةَ، وقول أكثر العلماءِ.

---

(١) مجلة الخلاصة (المسلم)، السنة الثانية العدد (٢) رمضان ١٣٧١ .

علامة ليلة القَدْر:

في "صحيح مسلم" عن زِرِّ بن حُبَيش قال: سمعتُ أُبيَّ بن كعبٍ يقول - وقيل له: إنَّ عبد الله بن مسعود يقول: «من قام السَّنة أصابَ ليلةَ القدر»-: «والله الذي لا إله إلا هو إنَّها لفي رمضانَ -يحلف ما يستثني- ووالله إني لأعلمُ أيّ ليلةٍ هيَ؛ هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقيامها، هي ليلةُ صبيحةِ سبعٍ وعشرين وأمارتُها أن تطلعَ الشمسُ في صبيحةِ يومها بيضاءُ لا شُعاعَ لها».

وفي "صحيح مسلم" أيضًا عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: **«أيكُمْ يَذكرُ حِينَ طلعَ القمرُ وهوَ مثلُ شِقِّ جَفْنةٍ؟»**.

قال أبو الحسن الفارسيُّ: «أي ليلة سبعٍ وعشرينَ فإنَّ القمرَ يطلع فيها بتلك الصفة».

وأخرج البزَّار عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«ليلةَ القدْرِ ليلةٌ طَلْقةٌ لا حارَّةٌ ولا بارِدةٌ»**.

وفي "المسند" بإسناد رجاله ثقاتٌ عن عبد الله بن الصَّامت رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«ليلةُ القدرِ في العشرِ البواقِي، من قامهنَّ ابتغاءَ حِسْبتِهن فإنَّ الله تباركَ وتعالى يغفرُ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ وهي ليلةُوِترٍ تسعٍ أو سبعٍ أو خامسةٍ أو ثالثةٍ أو آخرِ ليلة»**.

وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«إنَّ أمارةَ ليلةِ القدرِ أنَّها صافيةٌ بَلجَةٌ كأنَّ فيها قمرًا ساطعًا ساكنةٌ سَاجِيةٌ لا بردَ فيها ولا حرَّ ولا يحلّ لكوكبٍ**

أنْ يُرمَى بِهِ فيها حتَّى يُصبِحَ وإنَّ أمارتَهَا أنَّ الشَّمسَ صبيحتَها تخرجُ مستويةً ليسَ لها شُعاعٌ مثلَ القمرِ ليلةَ البدرِ لا يحلُّ للشيطان أنْ يخْرجَ معَها يَومَئذٍ».

بلجة: يعني مشرقة.

استنباط ابن عبَّاسٍ تعيين ليلة القَدْر:

نقل ابنُ قدامة تعيين ليلة القدر من عددِ كلماتِ السُّور وأنَّ كلمة ﴿هِيَ﴾ من قوله تعالىٰ:

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ [القدر: ٥] سابع كلمة بعد العشرين من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر: ١] إلخ، فتكون ليلة سبعة وعشرين، ونقله ابن حزمٍ عن بعض المالكية.

وقال ابن عطية: «إنَّ هذا من مُلح التفاسير، واستنبطَ بعضهم ذلك من جهة أخرىٰ فقال: ليلة القدر تسعةُ أحرفٍ وقد أعيدت في السُّورة ثلاثَ مرات فذلك سبعٌ وعشرون».اهـ

وهذه الاستنباطات ليست من العلمِ في شيء، نعم استنبط ابن عبَّاسٍ ليلة القدر بطريقة أخرىٰ، فروىٰ عبد الرزَّاق والطبرانيُّ وغيرهما عن ابن عبَّاسٍ قال: دعا عمر أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا علىٰ أنَّها في العشر الأواخر قال ابنُ عبَّاسٍ فقلتُ لعمر: إني لأعلم أو أظن أي ليلة هي. فقال: أي ليلة هي؟ فقلت: «سابعة تمضي أو سابعة تبقىٰ من العشر الأواخر» فقال عمرُ: «من أينَ علمتَ ذلك؟».

قلت: «خلقَ الله سبعَ سمواتٍ وسبعَ أرضين وسبعةَ أيام، وإن الشهر يدور علىٰ سبعٍ، وخلق الإنسان من سبعٍ، ويسجد علىٰ سبعٍ، والطواف بالبيت

سبعٌ، ورمي الأحجار سبعٌ، وأشياء ذكرها».

فقال عمر: «لقد فطنتَ لأمر ما فطنَّا له».

وكان قتادة يزيد عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ويأكل من سبعٍ، قال: هو قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا﴾ [عبس: ٢٧ - ٢٨] قال ابنُ كثير: «إسناده جيد قوي، ولكن المتن غريب جدًا».اهـ

(تنبيه): قالا صاحبا "الكافي" و"المحيط" من الحنفية: من قال لزوجته أنت طالقٌ ليلةَ القدر طلقتْ ليلةَ سبع وعشرين لأنَّ العامةَ تعتقدُ أنَّها ليلةَ القدرِ.

سبب رفع تعين الليلة:

في الصحِيحين عن عُباده بنِ الصامتِ قال: خرج النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحىٰ رجلان من المسلمين فقال: «**خرجتُ لأخبرَكُمْ بليلةِ القَدْرِ فتلاحَى فلانٌ وفلانٌ فرُفِعَتْ، فعسَى أنْ تكونَ خيرًا لكم فالتمسُوها في التاسِعَة والسَّابعِةِ والخامَسةِ**».

وفي رواية لمسلم: «**فجاءَ رجلانِ يختَصِمانِ معَهُما الشَّيطانِ**».

وفي رواية ابنِ إسحاق أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقيهما عند سدة المسجد فحجزَ بينهما فكانتْ المخاصمةُ والملاحاةُ شؤمًا علىٰ الأمَّة حيثُ رفع بسببِهما تعيينُ الليلة، والله أعلم.

هل عَلِمَها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؟

كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعلمُها وذلك لأمرين:

أحدهما: ما نقله البخاريُّ في "الصحيح" في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ٢] عن سيفانَ بن عيينة قال: «كلُّ شيءٍ من القرآنِ فيه «وما

أدراك» فقد أخبرَه به وكلُّ شيء فيه «وما يدريك» فلم يخبرْ به».اهـ

وهو صحيح بالنِّسبة للشقِّ الأول منقوضٌ بالنسبة للشقِّ الثاني لقولة تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣] وقد علمَ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بتزكيته.

ثانيهما: ما رواه الطبرانيِّ في "الكبير" بإسناد حسن، عن عبد الله بن أُنيس قال: يا رسول الله أخبرني أيّ ليلة تُبتَغي فيها ليلةُ القدرِ؟ فقال: «**لولا أنْ تترك الناسُ الصَّلاة إلا تلكَ الليلةَ لأخبرتُكَ**».

وفي "مسند البزَّار" بإسناد رجاله ثقاتٌ، عن مَرْثَد قال: لقيتُ أبا ذرٍّ عند الجمْرة الوسطىٰ فسألتُه عن ليلة القدرِ فقال: ما كان بأسألَ عنها منِّي، قال: قلت: يا رسول الله يا رسول الله أنزلت علىٰ الأنبياء بوحي إليهم ثم تُرفع؟ قال: «**بل هِيَ إلى يومِ القيامة**» قلت: يا رسول الله أيتهنَّ هي؟قال: «**لوْ أذِنَ لي لأنبأْتُكَ بِها ولكنِ التَمِسْها في التِّسْعَينِ والسَّبعَين**» بفتح العين فيهما، أي التاسع عشر والتاسع والعشرين، والسَّابع عشر والسَّابع والعشرين، ولا تسألني بعدها، ثم أقبل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجعل يحدث، قلت: يا رسول الله في أي السَّبعين هي؟ فغضبَ عليَّ غضبةً لم يغضبْ عليَّ قبلَها ولا بعدها مثلَها، ثم قال: «**ألم أنْهكَ عنها، لو أذِنَ لي لأنبأْتُكَ بِها ولكنْ...**» وذكر كلمة أن تكون في السبع الأواخر.

ففي هذا دليل علىٰ أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعلِمَها ولم يُؤذنْ له في تعيينها لئلا يَتكِل الناسُ ويتركوا العبادةَ طولَ السَّنة اعتمادًا علىٰ أنَّ ليلة القدر تكفِّر جميعَ الذّنوب.

كيف يراها الرَّائي؟

اختلف العلماء هل لها علامةٌ تظهر لمن وُفِّقتْ له؟ فقيل: يرىٰ كلَّ شيء ساجدًا، وقيل: يرىٰ الأنوارَ في كلِّ مكانٍ ساطعةً، حتىٰ في المواضع المظلمة، وقيل: يسمعُ سلامًا أو خطابًا من الملائكة، وقيل: علامتُها استجابةُ دعاءِ مَن وُفِّقت له، واختار الطبريُّ أن جميع ذلك غير لازم، وأنه لا يشترط لحصولها رؤيةُ شيء ولا سماعه. اهـ والله أعلم.

قيام ليلةِ القدر يكفِّرُ الذنوب:

في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ قامَ ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتِسابًا غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبِه، ومنْ صَامَ رمضانَ إيمانًا واحتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقدَّمَ منْ ذنبِه**».

زاد في بعضِ الرِّواياتِ عند النَّسائيِّ وغيره: «**وما تأخَّر**»، وفي هذه الزيادة كلام استوعبه الحافظ في كتاب "الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة".

أقلّ ما يحصلُ به قيامُ الليلة:

قال مالك في "الموطأ": بلغني أنَّ سعيدَ بن المسيِّب قال: من شهِد العشاء ليلة القدرِ -يعني في جماعة- فقد أخذَ بحظِّه منها.

وقال الشافعيُّ في القديم: من شهدَ العشاءَ والصبحَ ليلة القدر فقد أخذ بحظٍّ منها.

وأخرج أبو الشيخِ الأصبهانيُّ ومن طريقه أبو موسىٰ المدينيُّ بإسناد ضعيف عن أبي هريرة مرفوعًا: «**منْ صلَّى العشَاءَ الآخرةَ جماعةً في رمضانَ فقد أدْرَكَ ليلةَ القدرِ**».

وروىٰ ابنُ أبي الدُّنيا عن أبي جعفر محمَّد بن عليٍّ مرسَلًا أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ أتَى عليهِ رمضانَ صَحِيحًا مُسْلمًا صامَ نهارُه وصلَّى وِردًا منْ ليلهِ وغضَّ بصرَهُ وحفِظَ فرْجَهُ ولسَانَه ويدَهُ وحافظَ على صَلاتِه في الجماعَةِ وبكَّر إلى الجمُعةِ فقد صَامَ الشَّهْرَ واسْتكْمَلَ الأجْرَ وأدرَكَ ليلةَ القَدرِ وفازَ بجائزةِ الربِّ**». وهو حديث ضعيفٌ أيضًا.

وعلىٰ كل ففضل الله واسع ومن شهد العشاء والصُّبح في جماعة طول شهر رمضان فالرجاء ألا يحرم من ليلة القدر، وبالله التوفيق.

هل يستحبُّ الاغتسالُ ليلةَ القدرِ؟

قال ابن جريرٍ الطبري: «كانوا يستحبُّون أن يغتسِلُوا كلَّ ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان إبراهيمُ النَّخعيُّ يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيَّب في الليالي التي تكون أرْجىٰ لليلةِ القدِر، فأمر زِرُّ بن حُبَيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان.

وكان أيوبُ السختيانيُّ التابعيُّ يغتسل ليلةَ ثلاثٍ وعشرين وأربعٍ وعشرين ويلبس ثوبين جديدَيْنِ ويستجمِرُ ويقول: ليلةُ ثلاث وعشرين هي ليلةُ أهل المدينة والتي تليها ليلتنا يعني البَصْرِيِّين.

وقال حمادُ بن سلمةَ: كان ثابت البنانيُّ وحُميد الطويل يلبِسان أحسنَ ثيابهما ويتطيَّبان ويطيِّبان المسجد بالنَّضُوحِ والدُّخْنة في الليلة التي ترجىٰ فيها ليلة القدر.

وقال ثابتُ البنانيُّ: كان لتميم الداريِّ حُلّة اشتراها بألفِ درهمٍ وكان يلبسها في الليلة التي تُرجىٰ فيها ليلةُ القدر.

ورُوي عن أنس بن مالك إذا كان ليلة أربعٍ وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حُلَّة إزارًا ورداءًا، فإذا أصبحَ طواهما فلم يلبِسْهُما إلىٰ مثل ذلك من قابِلٍ».

قال الحافظُ ابنُ رجب: «تبينَ بهذا أنه يستحبُّ في الليالي التي تُرجىٰ فيها ليلةُ القدرِ التنظيفُ والتزينُ والتطيبُ بالغسلِ والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد».

قلت: ورد أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يغتسلُ في العشر الأواخر من رمضانَ وذلك لمكان ليلةِ القدرِ فأخرج ابن أبي عاصم بإسناد مقاربٍ عن عائشةَ قالت: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا كان رمضان قام ونام، فإذا دخل العشر شدَّ المئزرَ، واجتنبَ النِّساءَ، واغتسل بسن الأذانين -أي آذان المغرب والعشاء- وجعل العشاء سحورًا».

وعن عليٍّ رضي الله عنه أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يغتسل بين العشائين كل ليلة يعني من العشر الأواخر. في إسنادُه ضعف.

وروىٰ ابنُ أبي عاصم عن حذيفة أَنَّه قام مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة من رمضان فاغتسل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وستره وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفةُ وستره النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

هل للنُّفَساء والحائضِ نصيبٌ من ليلةِ القدرِ؟

قال جويبر: قلتُ للضَّحاك أرأيت النفساء والحائضَ والمسافرَ والنائمَ، لهم في ليلة القدر نصيبٌ؟ قال: نعم كل من تقبَّل الله عملَه سيعطيه نصيبَه من ليلة القدر . ومعنىٰ هذا أنَّ هؤلاء أحسنُوا العمل في شهر رمضان فتقبَّل الله منهم،

ومن تقبل الله منه لم يحرمه نصيبَه من ليلة القدر.

أيُّ العمل أفضلُ في هذه الليلة؟

قال سفيان الثوري: الدُّعاء في هذه الليلة أحبُّ إلي من كثرة الصَّلاة، قال: «وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق».اهـ

قال الحافظُ ابن رجبٍ: ومرادُه أن كثرةَ الدُّعاء أفضلُ من الصَّلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان حسنًا وقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتهجدُ في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلةً لا يمرُّ بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوَّذ فيجمعُ بين الصلاة والقراءة والتفكر».اهـ

وقالت عائشة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أرأيتَ إن وفقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: **اللهُمَّ إنكَ عَفُوٌّ تحبُّ العَفْوَ فاعفُ عنِّي**». فالدعاء مفضَّل في هذه الليلة، والله أعلم.

١١٢- حكم الله على اليهود بين الماضي والحاضر[١]

بمناسبة انتهاز الصُّهيونية فرصة الاضطراب العالمي حول مسألة القناة وعبثهم بمواثيقِ المهادنةِ وإدمانهم على الغدر والخيانة نذكر هنا حكم الله فيهم ليكون في علم المسلمين حتى ينفذُوه من بعد كما نفذه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قبل.

روى البخاريُّ ومسلمٌ في الصحيحين عن عائشةَ رضي الله عنه قالت: «أصيبَ سعدٌ يوم الخندق رماه رجلٌ من قريش في أكحَلِه فضرب عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خيمةً في المسجد ليعودَه من قريبٍ، فلما رجع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الخندقِ وضعَ السَّلاح واغتسل، فأتاه جبريلُ وهو ينفضُ رأسَه من الغبار فقال: قد وضعتَ السَّلاحَ؟والله ما وضعناه فاخرجْ إليهم، فقال: النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فإلى أينَ؟**» قال جبريلُ: ها هنا وأشار إلى بني قريظة، فأتاهُم رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحاصَرَهُم، فنزلوا على حكمه، فرد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الحكم فيهم إلى سعد، قال سعد فإنِّي أحكمُ فيهم أنْ تقتلَ المقاتلةُ، وأن تُسبى النِّساء والذريةُ، وأن تقسم أموالهم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقدْ حكمْتَ فيهمْ بحُكمِ الله عزَّ وجلَّ**».

لقد لعب بنو النضير -قبيلة من اليهود- دورًا هامًّا في غزوة الخندق، فإنهم كانوا إلى جانب إثارتهم قبائل قريش على الإسلام والمسلمين، قد أخذُوا على

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (٨) ربيع الأول ١٣٧٦.

عاتِقِهم التأثير في بني قريظة -قبيلة أخرىٰ من اليهود- كان موقفُهم من الإسلام حتىٰ تلك الغزوة موقفَ الحليف. فخرج حُيَيُّ بنُ أخطبَ النَّضِيرِيُّ حتىٰ أتىٰ كعب بن أسد القرظيَّ سيد بني قريظة وصاحب عقْدِهم وعهدِهم، فقد كان عاقد رسول الله وعاهده علىٰ أن ينصرَه إذا أصابته حربٌ، فما زال به حُيَيُّ بن أخطبَ يُغريه ويُمَنِّيه حتىٰ نقض كعبٌ عهده، وبرئ مما كان بينه وبين المسلمين.

فلما انتهىٰ الخبر إلىٰ الرسول وإلىٰ المسلمين بعث الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سعدَ بنَ معاذٍ سيِّدَ الأوس، وسعدَ بن عبادةَ سيِّدَ الخزرجِ، ليعلما له خبر بني قريظة وكان أمرهم يهمُّه أكثر مما يهمُّه أمر قريشٍ، لأنَّ هؤلاء في بلده والخيانة منهم تؤثر كثيرًا في مركز جيشه، فلما انتهىٰ السَّعدان إلىٰ بني قريظة وجدوهم علىٰ أخبثِ ما بلغهم عنهم؛ نالوا من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقالوا: من رسول الله؟ لا عهدَ بيننا وبين محمَّد! فشاتمهُم سعد بن معاذ وكان رجلاً فيه حدَّة، فقال له سعد بن عبادة: دعْ عنكَ مشاتمتَهم فما بيننا وبينهم أربىٰ من المشاتمة.

ثم جاء السَّعدان إلىٰ رسول الله وأعلماه بما عليه القومِ فعَظُم عند ذلك البلاءُ علىٰ المسلمين، حتىٰ أزاحَ الله عنهم هذه الغُمَّة الثقيلة التي علمتهم كيف يخندِقون علىٰ ديارهم إذا جاء عدوٌّ أكثرُ منهُم عددًا، وتعلَّموا من ذلك درسًا لهم استفاد منه الأناة في ملاقاة الأعداءِ، واضطروا بحكمِ ما هم فيه من الشدائد أن يستعينُوا بالخدعِ التي تفرق بين الأعداءِ الذين اعتدَوا عليهم، وعرفوا أن من عاقدوهم من بني قريظة لا عهد لهم ولا رادع عما استكن في

أنفسهم من العداءِ الشَّديدِ، فلم يكنْ هناك بدٌّ من جزائهم جزاء شديدًا، يناسب فظاعةَ جرمِهم وشناعةَ خيانتِهم.

فقد كانتْ فعلتُهم ائتمارًا على الدولة ونقضًا للعهْد، ونكثًا للحلفِ، مع أن العرب في جاهليتِهم لم يجتمِعوا على تعظيمِ شيء اجتماعَهم على تعظيم الوفاء بالعهود والمواثيق فأخذُوا به أنفسَهم في كل جيل وقبيل، ثم جاء الإسلام فزاد الأمر توثيقًا واعتنى بهذه الخَصْلة أشدَّ عناية فوردتْ في تأييدها الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] فكانَ أمرًا طبيعيًّا ومنطقيًّا بعد أن انتهت الغزوة بالغلبة والانتصار أن يَلقى بنو قريظة جزاءَهم العادل ليكونوا عبرةً لغيرِهم، فلا تكرَّر أمثال هذه الخيانات في المستقبل.

فلما رجع صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الخندقِ وكان وقتُ الظهيرة دخل بيت عائشة ووضعَ السِّلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: أوضَعْتَ السَّلاح ونحن معاشرَ الملائكةِ ما وضعْناه؟ فاخرجْ، فقال: «إلى أينَ؟» فقال جبريل: هاهنا، وأشار إلى بني قريظة، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ منْ أصْحَابي جَهْدًا فلو أنظرتَهُم أيامًا**». فقال جبريل: «انهضْ إليهم فوالله لأضَعْضِعَنَّهُم» ثم أدبرَ جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار كما روى البخاريُّ عن أنس رضي الله عنه قال: «كأني أنظرُ إلى الغبار ساطعًا في زُقاقِ بني غنْمٍ لموكبِ جبريلَ عليه السَّلام حين سار لبني قريظة».

فأتاهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه أصحابُه فحاصرَهم حصارًا شديدًا، خمسًا وعشرين ليلة حتى أجْهدهم الحصارُ وقذفَ الله في

قلوبهم الرُّعبَ، فسألوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن ينزلُوا علىٰ حكمه، فردَّهم إلىٰ النزول علىٰ حكم سَعد بنِ معاذٍ حليفِهم، فلما رضُوا بذلك أرسل رسول الله إلي سعد فأتاه علىٰ حمار، وقد كان لا يزال جريحًا فلما دنا قال عليه الصلاة والسلام للأنصار: «**قُومُوا إلى خيرِكم**» وقال لسعد: «**هؤلاءِ بنو قُرَيظةَ نزلوا على حُكْمِكَ فيهم**». فقال سعد يا رسول الله: «تقتلُ منهم مقاتلتُهم -وهم الرجال- وتُسْبىٰ ذرارِيهم -وهم النِّساء والصِّبيان- وتقسم أموالهم». فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقدْ قضيْتَ فيهمْ بحكْمِ الله عزَّ وجلَّ**».

ثم أمر عليه الصلاة والسلام ببني قُريظةَ بعد نزولهم من الحصن أن يُساقوا إلىٰ المدينة فضربتْ أعناقُهم، وكانوا أربعمائةٍ كما في حديث جابر عند الترمذيِّ والنسائيِّ وابن حِبَّان بإسنادٍ صحيحٍ، وأمر بالغنائم فجُمعتْ وقُسِمتْ بين المسلمين.

وإنما حكم فيهم سعدٌ بهذا الحكم الذي يبدو لصغار العقول أنه قاسٍ جائرٌ لأن سعدًا -وهو حليفُهم- قد أيقنَ بأنهم إن أبقىٰ علىٰ حياتِهم لم تهدأ لهمٌ نفس حتىٰ يؤلبوا الأحزابَ من جديدٍ، ويجمّعوا العربَ لقتال المسلمين ليبيدوهم جميعًا، فالحكمُ الذي أصدره علىٰ قسوته وشدته إنما كان متأثرًا فيه بالدِّفاع عن النفس واعتباره إفناءَ اليهودِ أو زوالهم مسألةَ حياة أو موتٍ بالنسبة للمسلمين والسلام العامِّ، وهذا ما يجب أن يتمَّ إن شاء الله مرة أخرىٰ في وقته.

١١٣- ذكرى الإمام الحسين(١)

بمناسبةِ قربِ مولدِ الإمامِ أبي عبد الله الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام رأينا أن نذكر نبذة موجزة عن حياته وبعضِ شمائله ومناقبِه فنقول:

هو الإمامُ أبو عبد الله الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب الهاشميّ، وأمُّه سيدة نساء أهل الجنة فاطمةُ الزَّهراء بنتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهو وأخوه الحسن سيِّدا شبابِ أهل الجنة، وُلد في شعبان سنة أربعٍ من الهجرة في قول الأكثر، وقال الواقديُّ وطائفةٌ معه: ولد سنة ثلاث، وقال قتادةُ: وُلد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر، سنة ستٍّ، وقيل: وُلد سنة سبع وهذان القولان مستبعدان لا يعتدُّ بهما.

قال جعفرُ الصَّادقُ عن أبيه محمَّد الباقر عليهما السَّلام: «لم يكنْ بين الحسن والحسين إلا طهرٌ واحدٌ». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

وروىٰ الطبراني أيضًا بسند رجاله ثقاتٌ عن الزُّبير بن بكَّار قال: وُلد الحسينُ لخمس ليال خلوْنَ من شعبان سنة أربعٍ من الهجرةِ وقُتل يومَ عاشوراء سنة إحدىٰ وستين، قتله سِنانُ بن أبي أنس وأجهز عليه خوْلي بن يزيد الأصبحيُّ من حمير وحز رأسه وأتىٰ به عبيد الله بن زياد أمير الكوفة فقال سِنانٌ:

أوْقِرْ رِكَابي فضةً وذهبًا ... إنِّي قتلتُ الملِكَ المُحَجَّبَا

قتلتُ خيرَ الناسِ أمًّا وأبًا

ولما وُلدَ الحسينُ عقَّ عنه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعقَّ عن

(١) الشرق العربي، السنة الثانية، العدد (٣٥) ١٠ ربيع الثاني ١٣٦٧.

أخيه الحسن، وكان جسدُه شبيهًا بجسدِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما جاء عن محمَّدُ بن الضَّحَّاك بن عثمانَ الحزاميُّ فيما رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ جيدٍ.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن ابن سيرين، عن أنس: أتىٰ عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن عليٍّ فجعل في طستٍ فجعل ينكتُ وقال في حسنه شيئًا.

أي قال: «ما رأيتُ مثل هذا حسنًا» كما في رواية الترمذيِّ.

فقال أنس: كان أشبهَهم برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ولا يعارض هذا قول أنس أيضًا كما في "صحيح البخاري": «لم يكن أحد أشبهَ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الحسن بن عليٍّ»، لأنَّ هذا قاله أنس في حياة الحسن وكان أشد شبهًا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أخيه الحسين فلما مات الحسن كان أشبه أهل البيت بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هو الحسين كما قال أنس، فلم يكنْ بين كلاميْهِ تعارضٌ.

كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحبُّ الحسينَ ويلاعبُه ويقبِّلُه ويقول: **«اللهُمَّ إنِّي أحبُّه فأحبَّه وأحِبَّ منْ يحبَّه»**.

وفي "مسند أبي يعلىٰ" بإسناد صحيحٍ عن جابر بن عبد الله قال: «من سره أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظرْ إلىٰ الحسين بن عليٍّ فإني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقوله».

وروىٰ الطبرانيُّ بإسناد حسن كما قال الحافظُ نور الدين عن أبي الطفيل قال: استأذن ملَكُ القطر أن يسلِّم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بيت أمِّ سلمةَ فقال: لا يدخل علينا أحدٌ، فجاءَ الحسينُ بن عليٍّ فدخل فقالت أمُّ سلمة: هو الحسين فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «دَعِيهِ» فجعل يعلو

رقبةَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويعبثُ به والملَك ينظرُ، فقال الملك: أتحبُّه يا محمَّدُ قال: «إي والله إنِّي لأحبُّه». قال: أما إنَّ أمتك ستقتُله وإن شئتَ أريتُك المكان فقال بيده فتناول كفًّا من تراب فأخذت أمُّ سلمةَ الترابَ فصرَّته في خمارِها فكانوا يرونَ أنَّ ذلك الترابَ منْ كربلاءَ.

ولهذا الحديث طرقٌ عن أمِّ سلمةَ وعليٍّ وأبي أمامة وابنِ عبَّاسٍ.

وفي "معجم الطبرانيِّ" بإسناد جيِّد عن أبي هريرة قال: سمعتْ أذناي هاتان وأبصرتْ عيناي هاتان رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو آخذٌ بكفَّيه جميعًا حسنًا أو حسينًا وهو يقول: «حُزُقَّةٌ حُزُقةٌ تَرَقَّ عينَ بقَّة». فيرقى الغلامُ فيضعُ قدميه علىٰ صدر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثم قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «افتحْ فاكَ» ثم قبله ثم قال: «اللهُمَّ أحبَّه فإنِّي أحبُّه». حزقة بضم الحاء والزاي وفتح القاف المشددة هو: الضعيفُ المتهالك.

وقال يزيد بن أبي زياد: خرج النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من بيتِ عائشة فمر علىٰ بيت فاطمة فسمع حسينًا يبكي فقال: «ألم تعلَمِي أنَّ بُكاءَهُ يُؤذِينِي؟». رواه الطبرانيُّ وهو معضل.

وفي "سنن الترمذيُّ" عن ابن عبَّاسٍ قال: كانَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حامل الحسين بن علي علىٰ عاتقِه فقال رجلٌ: نعم المركَبُ ركبتَ يا غلامُ. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ونعمَ الرَّاكبُ هُوَ».

وقد وقع مثل هذا للحسنِ والحسينِ معًا، ففي "مسند أبي يعلىٰ" بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن والحسن علىٰ عاتقي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلتُ: نعم الفرسُ تحتكما. فقال النبيُّ

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وِنِعْمَ الفارِسَانِ**».

وفي "معجم الطبرانيِّ" بإسنادٍ ضعيفٍ عن جابر رضي الله عنه: دخلتُ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يمشي علىٰ أربعةٍ وعلىٰ ظهرهِ الحسن والحسينُ وهو يقول: نعم الجمَل جملكما، ونعمَ العِدْلان أنتُما. العِدْلان بكسر العين.

وورد من طرق كثيرة بلغت حد الاستفاضة والشهرة أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».

وتواتر حبُّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لهما ودعاؤُه لمن يحبُّهما، ولهذا كان كبار الصحابة وأجلاؤُهم يعظِّمون الحسنينِ ويجلونهما لحبِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لهما، ومكانهما منه، وفي القصَّة التاليةِ دليلٌ علىٰ ذلك:

قال الحسينُ عليه السَّلام: أتيتُ عمر وهو يخطبُ علىٰ المنبر فصعِدتُ إليه فقلتُ: انزلْ عن منبر أبي واذهبْ إلىٰ منبر أبيكَ فقال عمر: لم يكنْ لأبي منبرٌ، فأخذني وأجلسَني معه أقلبُ الحصىٰ بيدي فلما نزلَ انطلق بي إلىٰ منزله فقال لي: من علمَك؟ قلتُ: والله ما علَّمني أحدٌ. قال: بأبي لو جعلتَ تغْشانا. قال: فأتيته يومًا وهو خال بمعاويةَ وابنُ عمر بالباب فرجعَ ابنُ عمر فرجعتُ معه، فلقيني بعد فقال لي: لم أركَ. قلت: يا أميرَ المؤمنين إني جئتُ وأنت خال بمعاوية فرجعتُ مع ابن عمر. فقال: أنت أحقُّ من ابنِ عمرَ، فإنَّما أنبت ما ترىٰ في رؤُوسنا الله ثمَّ أنتُم.

هذه قصة صحيحة كما قال الحافظُ ابن حجرٍ رواها الخطيبُ في "تاريخ بغداد" وغيره.

وصحَّ عن العيزار بن حُريث قال: بينما عبد الله بن عمر جالسٌ في ظل الكعبة إذ رأىٰ الحسينَ مقبلًا فقال: هذا أحبُّ أهل الأرض إلىٰ أهل السَّماء اليوم.

وفي أوسطِ معاجمِ الطبرانيِّ بسند لا بأسَ به عن رجاء ابن ربيعة قال: كنتُ في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذ مرَّ الحسينُ بن عليٍّ فسلَّم فردَّ القوم عليه السَّلام وسكت عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم رفع ابن عمرو صوته بعدما سكتَ القوم فقال: وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل علىٰ القوم فقال: ألا أخبرُكم بأحبِّ أهل الأرضِ إلىٰ أهل السَّماء قالوا: بلىٰ، قال: هو هذا المقفِّي -بكسر الفاء المشددة، أي الذَّاهب- لا والله ما كلَّمته كلمة ولا كلَّمني كلمةً منذ ليالي صفِّين ووالله لأن يرضى عنِّي أحبُّ إليَّ من أن يكون لي مثلُ أحدٍ، وذكر بقية القصة في ذهاب عبد الله إلىٰ الحسينِ واستسْماحه وعفو الحسين عنه.

وكان الحسينُ كثيرَ الصَّومِ والصَّلاةِ والحجِّ قال مصعبٌ الزُّبيريُّ: حجَّ الحسنُ خمسًا وعشرين مرة ماشيًا.

وفي "سنن الترمذيِّ" عن سلمىٰ قالتْ: دخلتُ علىٰ أمِّ سلمةَ وهيَ تبكي فقلت: ما يُبكيك؟ فقالتْ: رأيتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -تعني في المنام- وعلىٰ رأسه ولحيتِه الترابُ فقلت: مالكَ يا رسول الله؟ قال: «**شَهِدتُ قتلَ الحسَينِ آنفًا**».

ورویٰ ابن أبي شيبةَ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: رأيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما يرىٰ النائمُ نصفَ النهار وهو قائمٌ أشعثُ أغبرُ بيده

قارورة فيها دمٌ، فقلت: بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله ما هذا؟ قال: «**هذا دمُ الحسينِ لم أزلْ التقِطُه منذُ اليومَ**». فوجد قد قتل في ذلك اليوم.

وقال خلفُ بن خليفة عن أبيه: لما قُتلَ الحسينُ اسودَّت السَّماء فظهرت الكواكب نهارًا.

وقال منذرُ الثوريُّ: جاء رجلٌ يبشِّر الناسَ بقتلِ الحسينِ فرأيتُه أعمىٰ يُقاد، وقال الأعمشُ: تغوَّط رجلٌ علىٰ قبر الحسين فأصابَ أهل ذلك البيت خَبَلٌ وجنونٌ وجذامٌ وبرصٌ وفقرٌ.

وقال أبو رجاءٍ العطارديُّ: لا تسبُّوا أهلَ البيتِ فإنه كان لنا جار من بِلْهجيم قدم علينا من الكوفة قال: ألا تروْن إلىٰ هذا الفاسقِ ابنِ الفاسقِ قتله الله -يعني الحسين- فرمَاه الله بكوكبينِ في عينه فذهبَ بصره.

هذه آثار صحيحةٌ حذفنا أسانيدها اختصارًا وهي قطرةٌ من بحرِ فضائلِ الحسينِ علىٰ جدِّه وأبيه وأمِّه وأخيه وعليه أفضلُ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

١١٤- رجوع الحق إلى نصابه[١]

كان حادثُ الانقلابِ الأخيرِ في اليمن محنةً عظيمةً كادت تُودي بهذا القطرِ الشقيق وترمي به في أحضانِ الاستعمارِ البغيضِ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أراد باليمنِ وأهلِه خيرًا فقضىٰ علىٰ الفتنة في مهدِها، وأوقعَ بمُثِيرها والمروِّجين لها، وردَّ إمامةَ اليمن إلىٰ أهلها الشَّرعيين، فاستتبَّ الأمنُ هناك واستقرت الأمورُ، وانصرفَ إخوانُنا اليمنيُّون إلىٰ أعمالهم في هدوء واطمئنان مبتهجين بالقضاء علىٰ أولئك الخوارجِ الذين أرادُوا أن يثيرُوها فتنةً عمياءَ لا يعلم عاقبتها -لو تمت- إلا الله.

وقد كانتْ هذه المحنةُ امتحانًا قاسيًا خرجَ منه الشَّعب اليمنيُّ فائزًا مظفرًا وبرهنَ علىٰ أنه يرعىٰ الجميلَ ويخلص لأئمته الذين يرعون استقلاله ويحفظون كيانه، ويحافظون علىٰ القيام بمعالمِ الشَّرع وإقامة حدودِه، كما لمسَ ذلك في عهد الإمام الراحل المغفور له الإمام يحيىٰ حميد الدين؛ فلقد ظلَّ تغمَّدَه الله برضوانه محافظًا علىٰ استقلال البلاد مدة تسع وأربعين سنة رغم تقلُّب الأحداث السياسية، وتعاقب الحروب، وتوالي أطماع الدُّول الأجنبية فما سَمح لأجنبيٍّ أن يطأ بلاده ولا راجتْ عليه حيلةٌ من الحيل التي يخترعُها الأجانبُ لالتهام الشُّعوب بل وجدُوه رضوان الله عليه يقظًا حازمًا وشهْمًا هُمامًا.

أما تمسُّكه بالشرع وحرصه علىٰ المحافظة عليه فهو أخصُّ صفاته، وأظهر سماته ولعائلتنا آل الصِّدِّيق به اتصال علميٌّ وثيقٌ، يرجع إلىٰ خمسَ عشرةَ سنة

---

(١) مجلة الشرق العربي، السنة الثانية، العدد (٤٣) جمادىٰ الأولىٰ ١٣٦٧.

حصل فيه تبادلُ الإجازات العلميَّة وربط أسانيد المغاربة باليمنين والعكس.

وأهدينا إلى جلالته بعضَ مؤلفاتنا فحازَت رضاءَه السَّامي عليه رضوان الله وإنَّ من يجالسّ نجلَه حضرة صاحب السُّمُو الأمير سيف الإسلام عبد الله أو يتصل بسموِّه عن كثبٍ ليلمسُ فيه روحًا دينيَّةً عاليةً، وأخلاقًا نبيلةً ساميةً، واطلاعًا واسعًا في الشؤون العربية والإسلامية، وحرصًا على التمسُّك بأهداب الدين مع تلطف في الحديث وتواضعٍ جمٍّ ينسى الشخصُ أنه في حضرة أمير.

وهو إلى جانب انشغاله بالقضايا العربية الهامَّة التي تشغل بالَ كلِّ عربي الآن يواصل اهتمامه بالشئون العلمية وطبع الكتب النادرة النافعة تحقيقًا لرغبة والده الإمام الشهيد فهذا كتاب "البحر الزَّخَّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" يجري طبعه بتصحيحي وهو كتابٌ فذٌّ في بابه يحكي مذاهبَ الأئمة من الصحابةِ وغيرِهم ويذكر مع كل مذهبٍ دليلَه ويرجِّح هذا على ذاك بحسب مقتضى الدليل.

وهذا كتاب "شمس العلوم" في اللغة يعد للطبع وهو كتابٌ عجيبٌ يعتبر دائرةَ معارفِ عامة، وهذا كتاب "توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار" في علمِ مصطلحِ الحديث على وشكِ الانتهاء من الطَّبع، وهذا كتاب "المنية والأمل في شرح المِلَل والنِّحل" يعدُّ للطبع أيضًا إلى غير ذلك من الكتب القيمة التي يشهد طبعها بما للأمير الجليل من الأيادي البيضاء على العلم وأهله والتي ستفتح في عالم المطبوعات فتحًا جديدًا، وسينهل من معينها عشاق العلم وطلاب الحقائق.

ونحن لا يسعنا في هذه الكلمة العابرة إلا أنْ نسأل الله أنَ يُبقيَ سموَّ الأمير للعلم نصيرًا وللمكارم ظهيرًا، كما نسأله سبحانه أن يُهيِّئ لليمن أسباب الرقيِّ والتقدم في عهد أخيه جلالةِ الناصر لدين الله الإمام أحمد، أعزَّ الله نصرة وأعلى على أعاديه أمرَه، إنه سبحانه سميعُ الدعاء فعالٌ لما يشاء.

١١٥- حسن التبعُّل[١]

عن أسماءَ بنتِ يزيدَ أنها أتتِ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: إني رسول من ورائي من جماعةِ نساءِ المسلمين، كلهنَّ يقلنَ بقولي وعلىٰ مثلِ رأيي، إنَّ الله بعثَك إلىٰ الرِّجال والنساءِ فآمنَّا بك واتَّبعناك، ونحن معشرَ النِّساءِ مقصوراتٌ مخدَّراتٌ قواعدُ بيوتٍ، وإنَّ الرِّجال فُضِّلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجُوا للجهاد حفِظْنا لهم أموالهم وربَّينا لهم أولادهم، أفنشاركهم في الأجرِ يا رسول الله؟

فالتفتَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بوجهه إلىٰ أصحابه وقال: «**هلْ سَمِعْتُم مقالةَ امرأةٍ أحسنَ سؤالًا عنْ دينِها منْ هَذِه؟**» فقالوا: لا والله يا رسول، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**انْصَرِفي يا أسماءُ وأعْلِمِي من وراءَكِ من النِّساءِ أنَّ حسنَ تبعُّل إحدَاكُنَّ لزَوجِها وطلبَها لمرضاتِه واتِّباعَها لموافقتِه يَعدِلُ كلَّ ما ذكرتِ للرِّجالِ**». فانصرفتْ أسماءُ وهي تهلِّل وتُكبِّر استبشارًا بما قال لها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

أسماءُ راويةُ هذا الحديث أنصاريةٌ صحابيةٌ جليلةٌ وهي بنتُ عمٍّ معاذ بن جبل تكنىٰ أمَّ سلمة، وكانت تُسمىٰ خطيبةَ النساء لأنها كانت تتكلَّم عنهن وتقوم مقامهنَّ في مخاطبة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسؤاله عما يتعلَّق بهن لكمال عقْلها وحسنِ سؤالها، حضرتْ وقعة اليرموك فقتلتْ تسعةً من الروم بعمودِ فسطاطِها، وعاشتْ بعد ذلك دهْرًا رضيَ الله عنها.

---

(١) نشر الفضائل، السنة ١٢ العدد (١-٢) ١٢-١٩ جمادىٰ الثاني ١٣٦٣.

وهذا الحديثُ يؤخذُ منه ما كان عليه النِّساءُ في صدرِ الإسلام من حرصهنَّ على تعلُّم أحكام الدين ومنافستهنَّ للرجال في أعمال الخير حتى لا يسبقهنَّ الرجالُ في ميدان طاعة الله ورسوله، وقد علم النساءُ بما سمعنَ من كلام الله وحديث رسوله أنَّ المرأة يجب أنْ تكونَ متحجِّبةً مخدَّرةً لا تخالط الرجال ولا تغشى مجالسَهم بل لا تفارقُ منزلها إلا لقضاء مصلحة لها ثم ترجع.

وتحقيقًا لاحتجابِ المرأة وصونًا لمكانتِها أسقطَ الشَّارع عنها حضور الجماعة والجمعة، وتشييعَ الجنازة وحضورَ الجهاد، فلا تجبُ هذه الأشياء على المرأة لأنها لو حضرتْها لكان ذلك مظنَّة الاختلاطِ المحذُور أو تتناولها الأبصار والنظرة سَهمٌ مسمومٌ من سهام إبليسَ كما جاء في الحديث.

ولأنَّ في هذه الأعمال من المشقَّة والإجهادِ ما يتنافى مع تكوينِ جسمِ المرأة ويشقُّ عليها أداؤُه على الوجْهِ الأكمل، والشرع وإن أباحَ للمرأة حضور الجماعة فمع ذلك جعل صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد كما جاء في الحديث الصحيح.

علم النِّساء الصحابيَّات ما اختصَّ به الرجال من الأحكام المذكورة فلم يطلبنَ المساواة بهم كما نَسمع اليومَ أصواتًا ترتفعُ ناعقةً بوجوب مساواة المرأة للرجل في سائر الحقوقِ والواجبات، ويتجاهل أصحابُ تلك الأصوات حكم الإسلام في هذه المسائل، كأنَّ ليس بينَهم وبين الإسلامِ صلةٌ، بل قد يتجنَّوْن على الإسلام فينسبُون إليه أحكامًا على غيرِ وجهِها؛ ليؤيدوا ما يذهبُون إليه من إفساد المرأة وإخرجها عن الوضع الحكيم الذي اختاره الشرع لها.

نعم، لم يطلبِ الصحابياتُ رضي الله عنهن مساواتِهِنَّ بالرجال لأنهنَّ أكمل عقلًا وأقوىٰ إيمانًا من أن يطلبنَ تغييرَ سنَّةَ الله في خلقِه، وإنَّما طلبن أن يكون لهنَّ من الأجر مثل ما للرجال؛ لأنهنَّ يدبِّرنَ شأنَ المنزل ويقمنَ بتربية الأولاد وإعدادِهم ليكونُوا رجالًا أَكْفَاءَ يواجهون الشدائد ويذلِّلون الصِّعاب ويوجهون الأمور كما ينبغي أن توجَّه، هذا مع قيامِهنَّ بحفظِ أموال الأزواج أثناء غيابِهم ومحافظتهن علىٰ أسرارِهم، وهذه أعمال جليلةٌ لا تقلّ قيمتها وفائدتها عن عمل الرجال في ميدان الحياة الشاقِّ المتعبِ بل هي أساسُه؛ لأن الرجل لا يذهبُ لحجٍّ أو جهادٍ حتىٰ يطمئنَّ علىٰ أولادِه ومالِه وما يترتبُ بعده، فلو لم تكفِه المرأةُ ذلك لاضطربَ حالُه واختلَّ عملُه.

عرف الصحابيات قيمة ما يؤدين من أعمال عظيمةٍ تتوقف عليها أعمال الرجال فبعثنَ أسماءَ بنت يزيد تقول لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نحن معشرَ النساءِ مقصوراتٌ مخدَّراتٌ، أي مستوراتٌ محجَّباتٌ قواعدُ بيوتٍ لا نبرحُها إلا لقضاءِ حاجةٍ، وإنَّ الرِّجال فُضِّلوا علينا بالجمعَات وشهودِ الجنائزِ والجهاد وهذه الأعمال واجبةٌ علىٰ الرجال دونَ النِّساء، بل يحرُم علىٰ المرأة تشييع الجنازة، ثم قالتْ أسماءُ وإذا خرجَ الرجال للجهادِ حفِظنا لهم أموالهم وربَّينا أولادَهم أفنشاركُهم في الأجرِ؟ فأعجبَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بكلامِها الدالِّ علىٰ عقلِها وفضلِها، والتفتَ إلىٰ أصحابه يلفتُ نظرَهم إلىٰ ذلك ويُبيِّن لهم أنَّ حرصَ المرأةِ علىٰ العلمِ والدِّين لا يقلّ عن حرصِ الرجلِ، ثم قال لها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**انصَرفي يا أَسْماءُ وأعلِمِي من وراءَك مِنَ النِّساء أنَّ حُسْنَ تبعُّلِ إحدَاكنَّ لزَوْجِها**» أي حسنَ قيامِها بشؤونِه والتبعُّل -القيام

بشؤون البَعْل وهو الزَّوج- طلبها لمرضاتِه في غير ما يكون معصيةً واتباعها لموافقتِه يَعدِلُ كل ما ذكرت للرجال من جمُعاتٍ وشهودِ جنائزَ وجهادٍ، وذلك لأن المطلوبَ من المرأة أن تطيعَ زوجَها وتعينه على مشاق الحياة في دائرة اختصاصِها وفي الحديثِ الصحيحِ: «**إذا صلَّتِ المرأةُ خمسَها وصَامَتْ شَهْرَهَا وحفظَتْ فرجَها وأطاعتْ زوجَها قيلَ لها ادْخُلي منْ أيِّ أبوابِ الجنَّة شئتِ**».

نسأل الله أن يوفِّقنا جميعًا إلى ما فيه الخيرُ والرَّشادُ.

١١٦- ما ورد في ليلة النصف من شعبان(١)

بمناسبة شهر شعبانَ المبارك رأينا أنْ نتكلَّم علىٰ ما وردَ في فضْلِ ليلة النِّصف منه، وقيامِها، والدعاءِ فيها، وما يتعلق بذلك علىٰ سبيل الإيجاز.

ولم نر أن نتعرَّض لما ورد في فضل صيام الشَّهر نفسِه؛ لأنَّ استحباب ذلك وكونه من فعل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معروفٌ ومشهوٌر.

ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشةَ قالت: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصومُ حتىٰ نقول لا يفطرُ ويفطرُ حتىٰ نقول لا يصومُ، وما رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم استكمل صيامَ شهرٍ إلا شهرَ رمضانَ، وما رأيته أكثرَ صيامًا منه في شعبان.

وفيهما أيضا عنها قال: لم يكن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصومُ شهرًا أكثر من شعبان فإنَّه كان يصومُ شعبان كله وكان يقول: «**خذُوا منَ العمَلِ ما تطيقُونَ فإنَّ الله لا يمَلُّ حتَّى تملُّوا**»، وكان أحبّ الصّلاة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما دُووِم عليه وإن قلَّت، وكان إذا صلَّىٰ صلاةً داوم عليها. وعن أسامة بن زيد، وأم سلمة، وأنس رضي الله عنهم نحو ذلك بأسانيدَ جيادٍ.

فمما ورد في ليلة النصف من شعبان: ما رواه الطبراني، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يطَّلعُ الله إلى جميعِ خلْقِه ليلةَ النِّصْفِ من شَعْبانَ فيغفرُ لجميعِ خلقِه إلا لمشركٍ أو مشاحنٍ**». ورواه ابنُ ماجه من حديثِ أبي موسىٰ، وإسنادُه ضعيفٌ لأن فيه ابنَ لَهِيعة وغيره.

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الخامسة، العدد (٣٢) ١٤ شعبان ١٣٥٥.

ورواه البَزَّارُ والبيهقيُّ وابنُ زَنْجَوَيْه من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه أو عمه عن جده أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزلُ الله الى السَّماء الدنيا ليلةَ النِّصف من شَعبانَ فيغْفِرُ لكلِّ نفسٍ إلا إنسانًا في قلبِه شحناءُ أو مشركًا بالله**». أشار له الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب" وقال: «إسناده لابأس به».

وروىٰ البيهقي من طريق مكحول، عن كثير بن مرة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**في ليلةِ النِّصفِ من شَعبانَ يغفرُ الله عزَّ وجلَّ لأهلِ الأرضِ إلا مشركًا أو مُشاحنًا**». قال البيهقي: «هذا مرسل جيد».

ووصله هو والطبرانيُّ من طريق مكحول عن أبي ثعلبة الخشني: أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلعُ الله إلى عِبادِه ليلةَ النِّصفِ منْ شعبانَ فيَغفرُ للمؤمِنينَ ويُمْهِلُ الكافرين، ويدعُ أهلَ الحقدِ بحقدِهم حتَّى يدَعُوه**». أي يتركوه. قال البيهقي: «وهو أيضًا بين مكحول وأبي ثعلبة مرسلٌ جيدٌ».اهـ لأنَّ مكحولًا لم يسمعْ من أبي ثعلبة.

وروىٰ أحمد بإسناد ليَّنه الحافظ المنذري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلعُ الله عزَّ وجلَّ إلى خلقِه ليلةَ النِّصفِ من شَعبانَ فيغفرُ لعبادِه إلا اثنينِ مشاحنٍ وقاتلِ نفسٍ**».

وروىٰ البيهقي عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا كانَ ليلةُ النِّصفِ من شَعبانَ ينزلُ فيها إلى السَّماءِ الدُّنيا نادى منادٍ: هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ هل منْ سائلٍ فأعطيَه؟ فلا يسألُ أحدٌ إلا أعْطِيَ، إلا زانيةٌ بفرجِها أو مشركٌ**».

وروىٰ ابن ماجه عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا كانتْ ليلةُ النصفِ من شعبانَ فقوموا ليلَها وصُومُوا نهارَها فإن الله ينزلُ فيها لغروبِ الشَّمسِ إلى سَماءِ الدُّنيا فيقول: ألا منْ مستغفرٍ لي فأغفرَ له، ألا مسترزقٍ فأرزُقَه، ألا مُبتلًى فأعافيَه، ألا كذا ألا كذا، حتَّى يَطلُعَ الفجرُ**».

وهذا حديثٌ ضعيفٌ جدًّا في سنده ابن أبي سَبْرة ــ بفتح المهملة وسكون الموحدة ــ منكرُ الحديث بل اتُّهم بالوضع.

وروىٰ ابن أبي شيبة والترمذيُّ وابن ماجه والبيهقيُّ عن عائشة قالت: فقدتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات ليلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلىٰ السماء فقال: «**يا عائشةُ أكنتِ تخافينَ أنْ يحيفَ الله عليكِ ورسُولُه؟**» قالت: ما بي من ذلك ولكني ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ ينزلُ ليلةَ النِّصفِ من شَعبانَ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيغفرُ لأكثرَ من عددِ شَعْرِ غَنمِ كلبٍ**».

وروىٰ البيهقيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن عائشة قالتْ: دخل عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوضع عنه ثوبيْه ثم لم يستتمَّ أنْ قامَ فلبِسها فأخذتني غيرة شديدة فظننتُ أنه يأتي بعضَ صويحباتي فخرجتُ أتبعه فأدركتُه بالبقيعِ - بقيعِ الغَرْقَد- يستغفرُ للمؤمنين و المؤمناتُ و الشُّهداء فقلتُ: بأبي و أمِّي، أنت في حاجة ربِّك و أنا في حاجة الدنيا!

فانصرفتُ فدخلتُ حجرتي و لي نفَسٌ عال و لحقني رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما هذا النفَسُ يا عائشةُ؟**» قلت: بأبي و أمي أتيتني فوضعتَ عنك ثوبيْك، ثم لم تستتمَّ أن قمتَ فلبستَها فأخذتني غيرةٌ شديدةٌ

ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتىٰ رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع.

فقال: «**يا عائشةُ أكنتِ تخافينَ أن يحيفَ الله عليكِ ورسُولُه بل أتاني جبريلُ عليه السَّلام فقال: هذه ليلة النِّصفِ من شعبانَ و لله فيها عُتقاءَ منَ النَّارِ بعدد شعُورِ غَنمِ كلْب، لا ينظرُ الله فيها إلى مشركٍ، و لا إلى مُشاحنٍ، و لا إلى قاطعِ رَحِمٍ، و لا إلى مُسْبلٍ، و لا إلى عاقٍّ لوالديه، و لا إلى مُدمِنِ خمرٍ**».

قالتْ: ثم وضعَ عنه ثوبيْه فقال لي: «**يا عائشةُ تأذنينَ لي في قيامَ هذه الليلةِ؟**». قلتُ: نعم بأبي و أمِّي. فقام فسجدَ ليلًا طويلًا حتىٰ ظننتُ أنه قُبضَ، فقمتُ التمسُه ووضَعتُ يدي علىٰ باطنِ قدميه فتحرَّك ففرحتُ و سمعتُه يقول في سجوده: «**أعوذُ بعفوِكَ من عقابِكَ، و أعوذُ برِضَاكَ من سَخَطكَ، و أعوذُ بكَ منكَ، جلَّ وجهُكَ لا أحْصِي ثناءً عليكَ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ**».

فلما أصبحَ ذكرتهنَّ له فقال: «**يا عائشةُ تعلَّمِيهِنَّ و عَلِّمِيهِنَّ فإنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ علَّمنِيهِنَّ و أمَرني أن أردِّدَهنَّ في السُّجود**».

وروىٰ البيهقيُّ عن العلاء بن الحارث أن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الليل يصلِّي فأطال السُّجود حتىٰ ظننت أنه قد قُبِض، فلما رأيتُ ذلك قمتُ حتىٰ حرَّكت إبهامَه فتحرَّك فرجعتُ فسمعتُه يقول في سجوده: «**أعُوذُ بعَفوِكَ منْ عقابِكَ و أعُوذُ برضَاكَ من سَخَطِكَ و أعوذُ بكَ منكَ لا أُحْصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك**».

فلما رفع إلي رأسه من السجود و فرغ من صلاته قال: «**يا عائشةُ أو يا حميراءُ[1] أظننتِ أنَّ النبيَّ قد خَاسَ بِكَ؟**»

---

(١) بهذا ونحوه يبطل قول من زعم أنَّ كلَّ حديث ذكر فيه لفظ الحُميراء فهو باطلٌ ولا

قلتُ: لا والله يا رسول الله ولكنَّني ظننت أنك قد قُبضتَ لطول سجودك. فقال: «**أَتَدْري أيّ ليلةٍ هذِه؟**» قلت: الله و رسوله أعلم.

قال: «**هذه ليلةُ النِّصْفِ منْ شعبانَ إنَّ الله عزَّ و جلَّ يطَّلعُ على عبادِه في ليلة النِّصفِ من شعبانَ فيغفرُ للمستغفرينَ ويرحَمُ المسترحمينَ و يؤخِّرُ أهلَ الحقْدِ كما هُم**». قال البيهقي: «هذا مرسَل جيد».

يعني أنَّ العلاء لم يسمعْ من عائشة(١) قال: «ويحتمَل أن يكونَ العلاءُ أخذه من مكحول»، يعني فيكونُ متَّصلا.

وروى البيهقيُّ عن عائشةَ قالت: كانت ليلة النِّصف من شعبان ليلتي وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عندي فلما كان في جوفِ الليل فقدته فأخذني ما يأخذ النِّساء من الغَيرة، فتلفَّعتُ بمِرْطي فطلبتُه في حُجَر نسائِه فلم أجدْه، فانصرفتُ إلى حُجرتي فإذا أنا به كالثوبِ السَّاقطِ و هو يقول في سجوده: «**سجَدَ لك خَيالي و سَوادِي، و آمنَ بكَ فؤادِي، فهذِهِ يدي وما جنيتُ بها على نفسِي يا عظيمُ يُرْجَى لكلِّ عظيمٍ يا عظيمُ اغفِرِ الذنبَ العَظيمِ، سجَدَ وجْهِي للذي خلقَه و شقَّ سَمْعَهُ و بصَرَهُ**».

شكَّ أن هذا الإطلاق باطلٌ. نعم حديث: «خذُوا شطرَ دينكم عن هذه الحميراء» يعني عائشة، لا أصلَ له كما قال الحافظ وغيرُه، وإن احتجَّ به الإسنويُّ في "شرح المنهاج" وغيره ممن ليس لهم خبرة بهذا الشأن.

(١) فهم بعض من كتب في هذا الموضوع بـ"مجلة هدى الإسلام" في السَّنة الماضية من عبارة البيهقيِّ أنه يريد المرسل بمعناه المشهور فقابلته مصادفة، وأفهمته المرادَ، وأخيرًا اعترف بعد لجاجٍ وعنادٍ، ونبَّه عليه في عدد آخر لكنه لم يذكرْ من أرشدَه إليه.

ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدًا فقال: «**أعوذُ برضَاكَ منْ سَخَطِكَ و أعوذُ بعفوِكَ من عقابِكَ و أعوذُ بكَ منكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ أقولُ كما قال أخي داودُ أعفِّرُ وجْهِي في التُّرابِ لسَيِّدي وحقّ له أنْ يسْجُدَ**».

ثم رفع رأسه فقال: «**اللهمَّ ارْزُقْني قلبًا تقيًّا مِنَ الشَّرِّ نقيًّا لا جافيًا و لا شقيًّا**». ثم انصرف و دخل معي في الخميلة و لي نفس عال فقال: «**ما هذا النفَسُ يا حُمَيراءُ؟**» فأخبرته. فطفقَ يمسحُ بيده علىٰ ركبتي، و هو يقول: «**وَيْحَ هاتَيْنِ الرُّكبتَيْنِ ما لقِيتَا في هذِهِ الليلةِ ليلةِ النِّصفِ منْ شَعَبانَ ينزلُ فيها إلى السَّماءِ الدُّنيا فيغفرُ لعبادِهِ إلا المشرِكَ والمشاحِنَ**».

هذا ماحضرنا من الأحاديث الواردة في فضل قيام ليلة النصف من شعبان، وأنَّ الدعاءَ فيها مستجابٌ، وهي كما ترىٰ ليس فيها تعيينُ صفةِ ذلك القيام من كونه صلاةً أو غيرَها، وعدد ركعاتها، وما يقرأ فيها، فيسن لطالب الخير إحياء هذه الليلة بأنواعِ الطاعاتِ من صلاةٍ وتلاوةِ قرآنٍ ودراسةِ علمٍ نافعٍ ودعاء له وللمسلمين بما فيه صلاحُ دنياهم وخيرُ آخرتِهم، وغيرُ ذلك من أنواع القربات.

فأما ما رُوِي عن عليٍّ عليه السلام قال: رأيتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة النِّصف من شعبان قام فصلىٰ أربعَ عشرةَ ركعةً، ثم جلس بعد الفراغِ، فقرأ بأمِّ الكتابِ أربعَ عشرةَ مرةً، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] أربعَ عشرةَ مرةً، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق] أربعَ عشرةَ مرة، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس] أربعَ عشرةَ مرةً، وآية الكرسي مرة، و﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية، فلما فرغ من صلاته سألته عمّا رأيته من صنيعه، قال: «**منْ صنعَ مثلَ الذي رأيتَ، كانَ له ثوابُ**

عشرين حجَّةً مبرورةً، وصيام عشرين سَنَةً مقبولةً، فإذا أصبحَ في ذلك اليوم صائمًا كان له كصِيامِ سَنتينِ: سنةٍ ماضيةٍ وسنةٍ مستقبلةٍ».

فهذا حديثٌ موضوعٌ نصَّ علىٰ وضعه مخرِّجه البيهقيُّ، وغيره.

وكذا ما رُوي عن عليٍّ عليه السلام مرفوعًا: «**منْ صلَّى مائةَ ركعةٍ في ليلةِ النِّصفِ من شَعبانَ يقرأ في كلِّ ركعةٍ فاتحةَ الكتابِ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص] **إحدى عشرةَ مرةً قضى الله له كلَّ حاجةٍ يطلبُها تلكَ الليلةَ».**

قيل: يا رسول الله وإنْ كان الله كتبه شقيًّا أيجعلُه سعيدًا؟ قال: «**والذي بَعثَنِي بالحقِّ يا عليُّ إنهُ مكتوبٌ في اللوحِ فلانٌ ابن فلانٌ خُلقَ شقيًّا فيمحُوه الله ويجعلُه سَعيدًا».**

وذكر حديثًا طويلًا في فضلها، وهو أيضًا موضوعٌ نصَّ عليه ابنُ الجوزيِّ وغيره. وكذا ما ذكره الغزالي في "الإحياء" عن الحسن قال: حدثني ثلاثون من أصحابِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أنَّ من صلىٰ هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعينَ نظرةً، وقضىٰ له بكلّ نظرةٍ سبعينَ حاجةً أدناها المغفرةُ». هو أيضًا حديثٌ باطلٌ كما صرَّح به الحافظُ العراقيُّ.

وكذلك ما شاع بين الناس من الدُّعاء يوم النصفِ من شعبان بعد صلاة المغرب وقراءة يس ثلاثَ مراتٍ زاعمين أنَّ الأولىٰ للبركة في العمُر، والثانية للبركة في الرِّزق، والثالثة لحسنِ الخاتمة[1] لا أصل البتة لشيء من ذلك في كتب

---

(١) مستندين في ذلك لحديثِ: «**يس لما قُرئت له**» وهذا الحديثُ لا أصل له كما قال الحافظ السَّخاوي، وفي معناه حديث موضوع ذكرناه في مقالنا -نقد وإجابة- قال السخاوي: وهو -أي الحديث السابق- بين جماعة الشيخ إسماعيل الجبرتي باليمن قطعيٌّ للتجربة.

السنة النبوية كما جزم به خاتمة المحدثين النُّقاد السيد محمد مرتضىٰ الزبيدي الحسيني.

وقال: «إنما هوَ منْ عمَلِ المشايخ»، نعم وردتْ جمل من ذلك الدُّعاء عن بعض الصحابة موقوفة كما في "تفسير ابن جرير" وغيره عند قوله تعالىٰ في آخر (سورة الرعد): ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

والقول بأنَّ ليلة النِّصف من شعبان هي الليلة المباركة التي قال الله فيها: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣] قولٌ رُوي عن عِكرمة واحتج له بما جاء في بعض الأحاديث أن الآجال تنسخ في شعبان حتىٰ إنَّ الرجلَ يتزوجُ وقد رُفع اسمُه فيمن يموتُ، وإنَّ الرجل يحجُّ وقد رُفع اسمه فيمن يموت.

والصحيحُ الذي تظافرتْ به الرِّوايات أنَّ الليلة المباركة هي ليلةُ القدرِ بل جاء ذلك في القرآن صريحًا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وقال جل ثناؤه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فاستفدْنا من الآيتين أنَّ القرآن أُنزل في ليلة القدر من شهر رمضان وهذا قولُ الجمهور، وأما الأحاديثُ التي استدلَّ بها لقول عكرمةُ فهي أحاديثُ ضعيفةٌ لا تعارضُ النصوصَ الصحيحة، وأمثلُها حديثُ عائشةَ عند أبي يعلي فإنَّ إسناده حسنٌ أو قريبٌ منه، ومع ذلك قال الحافظُ المنذريُّ: «إن متنه غريب». وهو كما قال والله أعلم.

١١٧- دعاء الإمام جعفر الصادق عند الفزع(١)

روىٰ الديلميُّ في موضعين من "مسند الفردوس" عن الربيعِ حاجبِ المنصورِ قال: لما استقرَّتِ الخلافةُ لأبي جعفرٍ المنصور قال لي: يا ربيع ابعثْ إلىٰ جعفرِ بنِ محمَّدٍ الصادق مَن يأتيني به، ثُمَّ قال لي بعد ساعةٍ: ألم أقلْ لك أن تبعثَ إلىٰ جعفرِ بن محمدٍ فوالله لتأتينِّي به وإلَّا قتلتُك.

فلم أجد بدًّا فذهبتُ إليه فقلت: ياأبا عبدالله أجب أمير المؤمنين فقام معي.

فلما دنونا من الباب قام يُحرِّك شفتيْه ثُمَّ دخل فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه، فوقف فلمْ يُجلِسُهُ، ثُمَّ رفع رأسَه إليه فقال: يا جعفرُ أنت الذي أَلَّبتَ علينا وأكثرتَ، وحدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لكلِّ غَادِرٍ لِواءٌ يومَ القِيامَةِ يُعْرَفُ بِهِ**».

فقال جعفرٌ: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يُنادِ مُنادٍ يومَ القِيامَةِ مِن بُطْنانِ العَرْشِ ألا فليَقُمْ مَن كان أجره على الله تعالى فلا يَقُمْ إلَّا مِن عَفَا عن أخيه**».

فما زال يقولُ حتىٰ سكنَ ما به ولانَ له فقال: اجلسْ أبا عبدالله، ارتفع أبا عبدالله، ثم دعا بمُدْهُن غاليةٍ، فجعل يخلِّقُه بيده والغاليةُ تَقْطُر من بينِ أنامل أمير المؤمنين ثُمَّ قال: انصرفْ أبا عبدالله في حفظِ الله، وقال لي: يا ربيعُ أتبِعْ أبا عبدالله جائزتَه وأضعِفْ له.

قال فخرجتُ فقلتُ: أبا عبدالله تعلم محبَّتي لك؟ قال: نعم أنتَ يا ربيعُ مِنَّا، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال:

---

(١) مجلة المسلم، السنة السابعة، العدد (١١) جمادي الآخرة ١٣٧٧.

«مَوْلَى القوم مِن أَنْفُسِهِمْ».

فقلت: يا أبا عبدالله، شهدتُ ما لم تشهد وسمعتُ ما لم تسمعْ وقد دخلتَ عليه ورأيتك تُحرِّك شفتيك عند الدخول عليه، فهل هذا شيءٌ تقوله من عندك؟ أو شيء تأثره عن آبائك الطيبين؟

قال: بل حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله عنه: أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا حزبه أمر دعا بهذا الدعاء: **«اللهمَّ احْرُسْنِي بعَيْنِكَ التي لا تَنَامُ، واكْنُفْنِي بكَنَفِكَ الذي لا يُرَامُ، وارْحَمْنِي بقُدْرَتِكَ عليَّ، أنت ثِقَتي ورَجَائي، فكَمْ مِن نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بها عَلَيَّ قلَّ لك بها شُكْرِي، وكَمْ مِن بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَني بها قلَّ لك بها صَبْري، فيا مَن قلَّ عند نِعْمَتِهِ شُكْرِي فلم يَحْرِمْني، ويا مَن قلَّ عند بَلائِهِ صَبْري فلم يَخْذُلْني، ويا مَن رآني على الخَطَايا فلم يَفْضَحْني، أسألكَ أن تُصَلِّي على محمَّد وعلى آلِ محمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ وتَرَحَّمْتَ على إبراهيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهمَّ أَعِنِّي على دِيني بدُنْيَايَ، وعلى آخِرَتي بالتَّقْوَى، واحْفَظْنِي فيما غِبْتُ عنه، ولا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي فيما حَضَرْتُ، يا مَن لا تَضُرُّه الذُّنوبُ، ولا تُنْقِصُهُ المَغْفِرَةُ، هَبْ لي ما لا يُنْقِصُكَ واغْفِرْ لي ما لا يَضُرُّكَ، يا إلهي أسأَلُكَ فَرَجًا قَرِيبًا وصَبْرًا جميلًا، ورِزْقًا واسِعًا والعافيةَ مِنَ البَلايَا وشُكْر العَافيةِ»**.

وفي روايةٍ زيادة: **«وأَسْألكَ تمامَ العَافيةِ، وأَسْألكَ دوامَ العَافيةَ، وأسألك الشُّكْرَ على العافيةِ، وأسألكَ الغِنَى عن النَّاسِ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظيمِ»**.

١١٨- قصة أصحاب الأخدود[١]

استجابةً لرغبةٍ كريمةٍ وُجِّهت إلينا ننشر هذه القصة.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

أخرج مسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن حِبَّان في "صحيحه"، وابن جريرٍ، والطبرانيُّ، والبزَّار، وغيرهم، واللفظ لمسلم.

عن صهيبٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا**

---

(١) مجلة المسلم، السنة التاسعة، العدد (٥) ذي الحجة ١٣٧٨.

هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِالله دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِالله فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فأَخَذَهُ فلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، وتَفْعَلُ وتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فأَبَى، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ، فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فأَبَى فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ، فقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: باسْم الله رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي،

فإنَّكَ إذا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَني، فجَمَعَ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبْدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: باسم الله، رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ، فوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فأُتِيَ المَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أرأيتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَالله نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فأَمَرَ بالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فخُدَّتْ وأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فأَحْمُوهُ فِيهَا، أو قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، ففَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ ومَعَهَا صَبيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فيها، فقالَ لَهَا الغُلامُ: يا أُمَّهْ اصْبِرِي فإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ». والقصة المذكورة هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ١ - ٣].

١١٩- ماذا في طنجة...؟[1]

هناك في طنجةَ رهطٌ تعطَّلوا من جميع الأعمال، وتعلَّقوا بفارغ الآمال، ضُعفاء العقول سُفهاء الأحلامِ، إذا رأيتَهم تُعجِبُكَ أجسامُهم وإنْ يقولوا تسمعْ لقولهم كأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ.

لا بَأْسَ بالقَوْمِ مِن طُولٍ ومِنْ قِصَرٍ   جِسْـمُ البِغـالِ وأحْـلَامُ العَصَـافِيرِ

لا شُغْل لهم في مجالسِهم سِوىٰ التنابزُ بالألقابِ، حتَّىٰ إذا ما تزوَّدوا من آثامه انتقلُوا عنه إلىٰ التَّغامزِ والاغتيابِ، لا يرون الفضيلةَ فضيلةً فيتَّبعُوها، ولا الرَّذيلة رذيلةً فيجتَنِبُوها، ولكنهم علىٰ العكس يرون الرذيلة فضيلة فيُمْعِنون فيها، ويرون الفضيلة رذيلة فيبتعدون عنها أولئك الذين أضلَّهم الله فأصمَّهم وأعمىٰ أبصارهم، وإذا رأوا الحقَّ نَكَبوا عنه، وإذا ظهرَ لهم شيءٌ من الباطل تهافتُوا تهافتَ الفراشِ علىٰ النَّارِ: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]. ذلك بأنهم لم يأخذُوا بطرفٍ من العلمِ يثقفُ عقولهم ولا تمسَّكوا بخلق فاضل يهذِّب نفوسَهم، فهم أبعدُ الناس عن العلم وأشدُّهم عداوةً لأهله.

أمَّا الأخلاق الفاضلةُ فأئمتُهم فيها من يعرفُ أسماءَها ليس غير، تراهم ما بين مُتسَكِّعٍ في الطُّرُقات دائرٌ ومُلتصِقٌ بمقاعدِ المقاهي مشدوحٌ حائرٌ كلٌّ منهم يصدق عليه قول سيدنا عمر: «إني لأكره أنْ ألقىٰ أحدَكم سبَهْللًا لا في عمل دنيا ولا في عمَل آخرِة». نقله صاحبُ "الكشاف" في (سورة الانشارح).

---

(١) مجلة الإسلام، السنة السادسة، العدد (٦) ١٢ صفر ١٣٥٦.

وهؤلاء آفةُ المجتمعِ وداؤُه الوبيل كما يُنبئُ عن ذلك تلكَ الحكمةُ السامية التي نطلق بها عروةُ بن الزبير حيث قال: «البَطالةُ شرُّ شيءٍ في العالم».

فكَّر أولئك الرَّهْطُ أن يقومُوا برواية تمثيليَّة تدل على رُقِيِّهم وتقدُّمهم، ونسوا أنه ليس أدلّ على الرُّقِيِّ والتقدُّم مِن سُموِّ الأخلاقِ وحصافةِ الرأي وهِمَّةٍ وثَّابةٍ إلى المعالي، وأنَّ ضدَّ ذلك يدل على اطِّرادٍ في الانحطاط، وازديادٍ في التأخُّر.

وما دروا أنَّ إتقانَ اللعب والغناء على خشبةِ المَسْرح إنْ دلَّ على شيءٍ فإنما يدلّ على أنَّ اللاعبَ على المسرح خلعَ الحياءَ والوقَار قبل أن يقفَ ذلك الموقفَ الشائن، وأنه خلعَ معَ حيائه ووقارِه إيمانَه الذي به عزَّته وشرفه، والذي جعل له مكانة بين أبناء جنسه، إذ الحياءُ من الإيمان والوقارِ عماد الشرف فأي إيمانٍ لمن خلع الحياء وأي شرفٍ لمن نبذ الوقار؟!

إنهم فكَّروا أنْ يقومُوا برواية تمثيليَّة ونسُوا أنَّهم أنفسَهم روايةٌ كونيةٌ يمثلون بحالتهم المذكورة على مسرح هذه الحياة دور البطَّالين المُتعطِّلين، وكيف تُدحرِجهم البطالةُ والعطلةُ في مزَالقِ الفسَادِ ومهاوي الخسرانِ، ففي حالهم درسٌ بليغٌ من دروسِ الحياة يَعتبِر به العاقلُ اللبيبِ، إنَّ في ذلك لعبرةً لأولي الألباب.

وليتَهم فكَّروا أن يُمثِّلوا روايةَ أديبٍ من الأدباء أو مَلِكٍ من الملوك أو خليفةٍ من الخلفاء، ولو كان أحدَ الخلفاء الرَّاشدين رضي الله عنهم، فإنَّ هذا هيِّنٌ بالنسبة لما فعلُوا، وكذا المصائبُ تهُون وإن عظمتْ بالنِّسبة لما هو أشد منها، ولكنهم لم يفكِّروا في شيءٍ من ذلك ولا حامُوا حولَه، بل فكَّروا في ما هو

أدهىٰ وأمرُّ.

فكَّروا فيما يجلبُ لهم الخِزْي والنَّار والعارَ والشَّنارَ وذلك أنَّهم مثَّلوا –علىٰ ما بلغَنا– ربَّ العِزَّة سبحانه وتعالىٰ عن هزلهم عُلُوًّا كبيرًا مع ملائكته الكرام فأي وقاحةٍ تضارعُ هذا أو تقاربه سبحانَك هذا بهتانٌ عظيمٌ!!

ربَّنا إنَّا نبرأ إليك مما اقترفَه أولئك السّفلة الأندال مما يتنافىٰ معَ ما لك من عظمةٍ وجلال، فلا تُهلِكنا بما فعل السُّفهاء مِنَّا، وأدركنا بلطفِك، وعاملْنا بما عوَّدتنا من عوائد برِّك وعطفك إنك أنت البر الرَّحيم.

وقد دلَّ فعلهم ذلك علىٰ أنهم علىٰ جانبٍ كبيرٍ من الجهل بتعاليم الدين، وأنهم في حاجةٍ شديدةٍ إلىٰ دروس أولية يعرفون منها ربَّهم خالقَ كلِّ شيءٍ، ويعرفون ما يجبُ له من الصِّفاتِ وما يستحيلُ في حقِّه.

فإنهم لو عرفوا الله كما عرفه المسلمون بأنه قديمٌ لا أوَّل لوجودِه، وأنه مخالفٌ للحوادث كلها، وأنه لا تتصوَّره الأوهام ولا تكتنه كنهه العقول لأدركوا –بالبداهة– أنه يستحيل تمثيله في شخص من الأشخاص؛ إذ لا مناسبة بين قديمٍ وحادثٍ، بل كيف يمكن تمثيل من لا تتصوَّره الأوهامُ ولا تدركُه العقول؟!

ولو عرفُوا الله كما عرفه المسلمون بأنه جبَّارٌ مُتكبِّرٌ، وأنَّه قاهرٌ فوقَ عباده، وأنه لا شريكَ له، وأنه مُنتقِمٌ ممن انتهك محارمَه، وأنه يغضبُ علىٰ من تسوَّر مقام ربوبيته، ويقصمه ثُمَّ يلقيه في النَّار دار البوار لخافوا انتقامه، وتحاموا غضبه، ولمنعهم خوفه من تمثيله إذ ما يؤمنهم أنَّه يأخذُهم وهمّ في حالتهم تلك أخذ عزيزٍ مُقتدرٍ، فيخسفُ بهم جانبَ الأرضِ أو يرسِل عليهم حاصبًا من

السَّماء؟ ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وما لهم من الله مِن وَاقٍ.

ولو عرفوا الله بأنه ذو الجلال والإكرام، وأنه المُتفضِّل بالإنعامِ، وأنه المُتفرِّد بالعِزَّة، وأنَّ رداءه الكبرياء وإزاره العظمة لهابوه وأجلُّوه عن أن يُمثِّله شخصٌ وضيعٌ حقيرٌ بوَّالٌ علىٰ عقبيْه، لا فرقَ بينَه وبينَ الحيوانِ الأعجمِ إلَّا أنه مُتكلِّمٌ وذاك أبكمٌ فهو كالنِّسْناسِ.

نعم لو عرفوا الله ولو ببعضِ هذه الصفحاتِ لما حصلتْ منهم تلك المُخزياتُ المُحزناتُ، ولكنَّهم ما عرفوا الله ولا قدَّروه حقَّ قَدْرِه، فجهلُوا فوق جهل الجاهلينَ ودخلوا تحت رِقَّة المارقينَ!

وقد دلَّ فعلُهم ذلك أيضًا علىٰ أنَّهم ما أتقنُوا فنَّ التمثيلِ، ولا عرفُوا الغرض المقصود مِن وضعه، وذلك أنَّ الغرض الأصليَّ من بدعةِ فنِّ التمثيل هو إمَّا الكشفُ عن مغزًىٰ تاريخيٍّ يحرِّك الهِمم العوالي لاسترجاع مجدِ الآباءِ في عِزَّةٍ وإباءٍ، وإمَّا عرض داءٍ اجتماعيٍّ علىٰ أنظار الجمهور وتصويرِه لهم بصورَته البشعة ليعملوا علىٰ علاجه وتلافيه، وإمَّا إثارة محاورة أدبية تفيد السامعين وتُغذِّي عقول المُتفرِّجين إلىٰ غير ذلك مما يعودُ علىٰ المجتمع بفائدةٍ.

ولم يكنْ قطّ الغرضُ مِن فنِّ التمثيل خلْعَ ربقةِ الإيمان والخروجَ عن الأديان، ولم يكن قطُّ الغرضُ من التمثيل الاستهزاءَ بربِّ العالمين وملائكته المُكرَمين، ولم يكن قطُّ الغرض مِن فنِّ التمثيل نبذ التقاليد الدينية والتلاعب بأصل عقائدها الصحيحة الثابتة.

فقد رأيتَ كيف دلَّ فعل أولئك السّفلةُ علىٰ خطئِهم من حيثُ الفنّ كما دل علىٰ جهلهم بخالقهم وجرأتهم علىٰ مقام ربوبيته؟! فلا دينهم أبقَوا عليه ولا

فن التمثيل أتقنُوه؛ فباءوا بالخسارتَين ورجعُوا بالفضيحتين وكانوا أسوأ حالًا من ذلك الذي رجع بخُفَّي حُنينٍ. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

فالحكمُ في هؤلاء أن يضربُوا على قُذَالهم بالنِّعال، ويُصفَعوا على أقفِيتِهم بأكفِّ الرجال، ولا تأخذ أحدٌ بهم رحمةٌ ولا رأفةٌ، حتى يكونوا نكالًا لمن على شاكلتِهم وموعظةً للمتقين، ولكنَّهم لم يفعلْ بهم شيءٌ من هذا بل بلغنا -ويا للأسف- أنَّ أعيانًا من البلد وكبراءها حضروا فِسقَهم راضين مسرورين، والعجب فيمن من حضروا من يدَّعي العلم ويمتُّ إليه بسبب!!

فلا أدري أين كان عقلُ هؤلاء الحاضرين وأينَ دينُهم، وأينَ ضاعَ علم من يدَّعي العلم منهم؟! تالله لقد عمَّ الداء وطمَّ البلاء. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

هذه عجالةُ مُسْتَوفزٍ أبديناها استنكارًا لذلك الحادثِ المؤلم، وإجابةً للرغبة المُلِحَّة من كثير من الإخوان والأصدقاء، وإلَّا فمذهَبُنا تنزيه القلمِ عن الكتابة في مثل هذه السَّفاسف السَّاقطة، لاسيما وأولئك السّفلة أغبياء لا يقبلون إرشادًا، ولا يستمعون لنصحية ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤] قد تعب -من قبل- في إرشادهم وإصلاحِهم مصلحون وجهد في تعليمِهم وتقويمِهم مرشدون فكان نصيبُهم الفشلُ وتولَّى كلّ منهم يخاطبُ نفسَه متمثِّلًا:

لقد أَسْمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكن لا حياةَ لِمَن تُنادي

(٩) مُقدِّمات السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق لبعضِ الكُتبِ العِلْمِيَّة

مقدمة كتاب
الجَناحُ المحلّق في سماءِ المشرِق(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلهِ الأكرمين، ورضي الله عن صحابتِه الأبرارِ الذين فتحُوا الدنيا وجابُوا الأقطارَ، وملأوها علمًا وزهدًا وهديًا ونورًا.

وبعدُ: فإنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقولُ جلَّ شأنُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ [الروم: ٢٢]

أخبرَنا الله في الآية الأولى أنَّه خلقَ بني آدمَ وجعلَهم شُعوبًا وقبائلَ ليحصُل بينهم التعارفُ والتآزُرُ والتعاونُ، حِكْمةً أساسيةً في إيجاد المخلوقات على ظهْر الكرةِ الأرضيَّة.

ودينُ الإسلام إنَّما أتى ليقوِّي هذا التعاونَ بين أبنائِه في سائرِ بقاعِ الأرضِ، وإنَّك لتجِدُ هذا المقصدَ ظاهرًا فيما شرعَه الإسلامُ من عباداتٍ حثَّ فيها على الاجتماع والتعارف.

فأوجبَ صلاةَ الجمُعة في المساجد الجامعة، وأوجبَ السَّعي إليها، وجعلها مرَّة في الأسبوع ليجتمعَ الناسُ في مكانٍ واحدٍ ويجدِّدوا العهدَ بينهم فيما وُكِل

---

(١) هذا تقديم لكتاب: "الجناح المحلِّق في سماء المشرق" للسيد أحمد محمد الشرماني اليماني من علماء الأزهر، والكتاب طبع بإدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٦٩ هـ.

إليهم من أعمالٍ تعاونيةٍ بينهم.

كما سنَّ لهم صلاةَ العيد مرَّتَين في العام للغرضِ نفسِه، وحثَّ على شُهُودها ورغَّب في حضُور النِّساء والعَوَاتِق لصلاة العيدَيْنِ ليَشْهَدْنَ الخيرَ ويَقُمْنَ بقِسْطِهِنَّ في إقامةِ هذه الشَّعِيرة، مع أمرِهِنَّ بأنْ يكُنَّ في آخرِ الصُّفوف ويحتفِظْنَ بحجابهن وعِفَّتِهِنَّ.

ثم دعا إلى اجتماعٍ عامٍّ وهو الحجُّ فجعَله ركنًا من أركانِ الإسلامِ ليجتمعَ المسلمون من سائر البقاعِ في مكانٍ واحدٍ، قِبْلتُهم واحدةٌ، يستفيدُ بعضُهم من بعضٍ في شُئون العلمِ والتِّجارة والدِّين والدُّنيا.

فهذه وسائلُ قَصد بها الإسلامُ تعارُفَ المسلمين وتآلفَهُم واتِّحادَهم في كُتلة واحدةٍ كأنَّهم أبناءُ قُطرٍ واحدٍ.

كذلك أخبرَنا الله في الآيةِ الثَّانية أنَّه خلقَنا مختلفين في الألسنةِ والألوانِ فمنَّا العربيُّ والعجميُّ، ومنَّا الأبيضُ والأسودُ، وبالضَّرورة لا يمكنُ للشَّخصِ أنْ يحقِّقَ حكمةَ التَّعارفِ ولا يقف على اختلافِ الألسنةِ والألوان على نِطاقٍ واسعٍ إلا بالرِّحلة إلى الأقطارِ النَّائيةِ والوقوفِ على ما فيها من عاداتٍ وتقاليدَ، والاتصالِ بأهلِها على اختلاف مشاربِهم وتبايُنِ مُيُولهم ومذاهبِهم.

لذلك عُنِيَ المسْلمُون قديمًا وحديثًا بالرحلات، وتسجيل ما شاهدوه في رحلاتِهم ليُفيدُوا أبناءَ جِلْدَتِهم ما شاهدُوه من عجائبِ مخلوقاتِ الله، وليَبعثُوا في أنفسِهم حبَّ السَّفَرِ والاسْتِطلاعِ فيتحقَّقُ بذلك مبدأُ التَّعارفِ والاتِّصالِ بينَ أبناءِ المسلمين وتتجاوبُ أصداؤُهم ويقفُ كلّ منهم على ما عند الآخرِ من آمالٍ وآلامٍ.

ومن أشهر الرَّحَّالة المتقدمين: ابنُ بَطُّوطَة اللَّواتيُّ الطَّنجيُّ، فقد رحل رحلةً واسعةً في ربُوع الشَّرقِ وآسيا حتىٰ وصلَ إلىٰ آخر بلاد الصِّين، وأخذتْ رحلتُه شهرةً واسعةً حتىٰ تُرجِمتْ إلىٰ عدَّةِ لُغاتٍ، واختُصرتْ وقرَّرتْها بعضُ الحكومات تدرَّسُ في مدارِسها ليقفَ التَّلاميذُ علىٰ ما فيها من معلوماتٍ شائقةٍ.

وكذلك الرَّحَّالة ابنُ جُبَير الأندلسيُّ، فإنَّ له رحلةً إلىٰ المشرقِ والحِجازِ سجَّل فيها ما رآه، وأخذتْ رحلَتُه شهرةً بين الرَّحلاتِ.

وكذلك العلَّامة أبو سالمٍ الجياشيُّ له رحلة إلىٰ الحجاز في مجلدين سجَّل فيها مباحثَ علميَّةً وغيرَها مما صادفَهُ في طريقِهِ، إلىٰ غير هذا من الرحلات التي يعسُر استقصاؤُها.

وقد سَمَت همَّة الأستاذِ الفاضل الشيخ أحمد محمَّد الشرمانيِّ اليمانيِّ إلىٰ ما سمَتْ إليه همَّةُ أولئك العلماءِ الرَّحَّالين، فقام برحلةٍ واسعةٍ ابتدأها بفلسطينَ، فلبنانَ، فسُوريَّا، فالعراق، فالخليج الفارسيِّ، فالسِّند والهند، فسِيلان، فعدَن، فاليمن.

وهي كما ترىٰ رحلةٌ واسعةٌ قلَّ من يقومُ بمثلها في سنةٍ، وقد اكتسبَ بهذه الرِّحلة معلوماتٍ واسعةٍ سجَّلها فيما سجَّل من مشاهدات ليطَّلع عليها من لم يُسعدْه الحظّ برؤيةِ تلك الجِهات.

وقد رأيتُ صفَحَاتٍ من تلك الرِّحلةِ وهي مخطوطةٌ، فوجدتُها سهلةَ الأسلوبِ، واضحةَ المعنىٰ، خاليَةً من التعقيدِ والحشْوِ والخيال.

بل هي تُعبِّر عن الحقيقةِ المشاهدةِ بدون تزيُّدٍ فشكرْنا له هذه الهمَّة ورجوْنا

له التَّوفيقَ في إخراجِها إخراجًا لائقًا بمثْلِها ثمَّ في عرْضِها عرضًا شائقًا يستهوي نفوسَ قارئِيها حتى تُؤتيَ ثمرتَها المرجُوَّةَ وتبلغَ أمنيَّتَها المنشُودةَ.

وفي الختامِ أهنِّئُ الأستاذَ الفاضلَ بتوفيقه في رحلته راجيًا له سَدادًا وتوفيقًا.

عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ الحَسنيُّ

خادمُ الحديثِ

كلمة عن كتاب "الإكليل في استنباط آي التنزيل"

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصَّلاة والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه الأكرمِينَ.

وبعدُ: فقد تمَّ طبعُ هذا الكتابِ النَّفيسِ المسمَّى بـ"الإكليلُ في اسْتِنباطِ آي التَّنزيل" تأليفُ الإمامِ العلَّامةِ خاتمةِ الحفَّاظِ جلالِ الدِّين عبدِالرَّحمنِ بنِ كمال الدِّين أبي بكرٍ السُّيوطيِّ الشَّافعيِّ المولودِ سنةَ (٨٤٩) والمتوفَّى سنةَ (٩١١) هجريَّة، رحمه الله ورضي عنه.

وقدْ جرى طبعُه على نُسخةٍ من مكتبةِ وقفِ المدرسَةِ المحموديَّة وهيَ نُسْخَةٌ كثيرةُ التَّصحيفِ، معَ نقصٍ في كثيرٍ منَ المواضعِ، واستَعنَّا في التصحيح بنُسْخةٍ منْ مكتبتِنا الصِّديقيَّة استحضرْناها من طنْجةَ، وهيَ نُسخةٌ جيدةٌ صحيحَةٌ في أغلبِ الأحوالِ، ورجعْنا في بعضِ المواضعِ إلى نسْخةٍ ثالثةٍ في المكتبةِ التَّيمُوريَّة فلمْ تُغنِ شيئًا لتَصْحيفِها ورداءَةِ خطِّها.

ونسألُ الله أنْ يوفقَنا في أعمالِنا كلِّها، وأنْ يجزيَ بالخيرِ الكثيرِ صديقَنا المفْضالَ السيِّدَ أسعد درابزوني الحسَينيَّ الذي قامَ بطبعِ هذا الكتابِ على نفقتِه الخاصَّة، خدمةً للقرآنِ الكريمِ، وأنْ يُثيبَه الثوابَ الجزيلَ.

أبو الفضل عبدالله محمَّد الصِّدِّيق

الغماريُّ الحسنيُّ

مقدمة المجلد السابع من "التمهيد"

تقديم:

الحمدُ لله حمدًا يَليقُ بكمالِه، والشكرُ له على تواتِرِ إفْضالِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه.

وبعد: فقَد عهِدَتْ إلي وزارةُ الأوقافِ والشُّؤونِ الإسلاميَّةِ بتحقيقِ الجزءِ السَّابعِ منْ كتابِ "التَّمهيدِ".

فقمتُ بهِ على النَّحوِ الآتي:

١ - عزْوُ مُتونِ "الموطأ" إلى منْ أخْرَجَها منْ صاحبَيْ "الصحيحَيْنِ"، أو غيرِهما مِنْ أصْحابِ الكُتُبِ السِّتة.

٢ - تخريجُ الأحاديثِ التي يذكرُها المؤلِّفُ -مُسنَدةً أو معلَّقةً- ليُعرَفَ مَنْ أخْرجَها منْ أصحابِ الكتُبِ المعروفةِ كالصِّحَاحِ، والسُّننِ، والمصنَّفاتِ، والمسانيدِ.

والمؤلِّفُ كان واسعَ الحفظِ يُسنِدُ عنْ طريقِ كتبٍ غريبةٍ، غيرِ معروفةٍ لكثيرٍ من أهلِ العلمِ، مثلِ كتبِ بَقِيٍّ بنِ مَخْلَدٍ، وقاسمِ بنِ أصْبَغَ، وابن سنجر، والحسنِ بنِ رشِيقٍ.

٣- تصحيحُ الأسماءِ المحرَّفَةِ والمصحَّفةِ، وضبطُ ما يشتبِهُ منها.

٤ - شرحُ كلماتٍ لُغَويَّةٍ.

٥ - تراجمُ بعضِ الرُّواةِ وبيانُ رُتَبِهم منْ حيثُ العدالةِ والجرْحِ.

٦ - تعليقاتٌ أوضحتُ فيها استدلالًا أشارَ إليه المؤلفُ، أو بسطتُ بحثًا أوجزَه، أو أتمَمْتُ موضعًا اختصرَه.

ولستُ بحاجةٍ إلىٰ توضيحِ ما لقيتُ منْ تَعبٍ ومشقَّةٍ في تحقيقِ هذا الجزءِ؛ لأنَّه لمْ يكنْ لديَّ نُسخٌ متعدِّدةٌ أستعينُ بها، وإنَّما كانَ عندي نُسْخةٌ واحدةٌ جرىٰ عليها التحقيقُ منْ أوَّلِ الجزءِ إلىٰ نهايةِ حديثٍ ثانٍ لابنِ شهابٍ عنْ حُمَيدٍ، وهي نُسْخةٌ كثيرةُ التَّصحيفِ، وفيها نقصٌ، ومنْ أوَّلِ حديثٍ ثالثٍ لابنِ شهابٍ عنْ حُميدٍ، إلىٰ الآخِرِ وهو أقلُّ منَ النِّصفِ كانتْ معها نُسخةٌ أُخْرىٰ جيِّدةٌ صحيحةٌ في الغالبِ، وفيها جُمَلٌ أكملتُ بها النَّقصَ الموجودَ في النُّسخةِ السَّابقةِ وجعلتُها بينَ قوسَينِ ( ) ونبَّهتُ عليها في أسفَلِ الصَّفْحَةِ.

وما كانَ منْ نقْصٍ في النُّسخةِ المنفردةِ أكملتُه منَ "الاسْتذكارِ" تارةً ومنْ "فتح الباري" تارةً أخرىٰ؛ لأنَّه نقلَ عن المؤلِّفِ كثيرًا بعضَ عباراتِه، وكاتبُ هذه النُّسْخَةِ كانَ يُعلِّمُ علىٰ النَّقصِ بثلاثِ نُقَطٍ في الهامشِ هكذا [.˙.] كأنَّه كانَ يريدُ أنْ يكْمِلَه، ثمَّ نسيَ، أو لمْ يجدْ أصلًا يكمِلُ منه.

وسيجدُ القارئُ تَكرارًا في بعضِ التَّعاليقِ، سببُه تطاولُ العهْدِ، وطُروءُ النِّسْيانِ ذلك أنِّي حققتُ القسْمَ الأخيرَ وأتممْتُه، وتأخَّرَ القسْمُ الأوَّلُ الذي كانَ يُطبَعُ علىٰ الآلةِ الكاتبةِ لُظروفٍ وأسْبابٍ فلمْ أتوصَّلْ به إلَّا بعدَ مرورِ سنةٍ أو قريبٍ منها منذُ أتممْتُ القِسْمَ السَّابق.

هذا وإنِّي أرْوي كتابَ "التمهيد" عنْ أبي حفصٍ عمرَ بنِ حمدانَ المحرسيِّ المدنيِّ قال: أنبأنا نصرُالله بنُ عبدِالقادر الخطيبِ الدِّمَشْقِيِّ: أنبأنا المعمَّر عبدُالله التَّل: أنبأنا عبدُالغنيِّ بنُ إسماعيلَ النَّابُلسيُّ: أنبأنا نجْمُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ بدرِ الدين محمَّد بنُ رضي الدِّين الغَزِّيُّ: أنبأنا أبي: أنبأنا شيخُ الإسلامِ زكريَّا بنُ محمَّد الأنصاريِّ: أنبأنا عزُّ الدِّين عبدُالرَّحيمِ بنُ الفُراتِ: أنبأنا عبدُالعزيز بنُ

جَماعةَ: أنبأنا أبوجعفر أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الزّبير: أنا أحمد بنُ محمَّد السِّراج: أنبأنا خالي أبوبكر محمَّد بنُ خيرٍ الحافظُ: أخبرني الشَّيخُ أبومحمَّد بنُ عتَّابٍ والشَّيخُ أبوالحسن عليُّ بنُ عبدالله بنِ وهبٍ، عنِ الحافظِ أبي عمرَ بنِ عبدالبرِّ رحمه الله تعالىٰ.

وأروِيه عنْ شيخِنا عبدالباقي الأنصَاريِّ المدنيِّ: أنبأنا فضلُ الرحمن بنُ أهلِ الله: أنبأنا عبدُالعزيز بنُ أحمدَ بنِ عبدِالرَّحيم الدَّهْلويُّ: أنبأنا أبي عنْ محمَّد بنِ إبراهيمَ بنِ حسن الكرديُّ: أنبأنا أبي: أنبأنا النَّجم الغَزيُّ، عن والدِه البدر الغزيِّ: أنبأنا أبو الفتحِ السَّكندريُّ: أنبأنا الشَّهابُ الرَّسامُ، وعليُّ بنُ صالحٍ، عن العباس أحمدَ بنِ أبي طالب الحجَّار، عن جعفرِ بنِ عليٍّ الهمدانيِّ، عنْ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمد بن محمَّد السِّلَفيِّ، عن أبي عمران موسىٰ بنِ عبدالرحمن بن أبي تليدٍ، عن ابنِ عبدالبرِّ.

وأروِيه أيضًا عن شيوخِنا المغاربةِ منهم العلَّامةُ المحدِّثُ أبوعبدالله محمَّدُ بنُ إدريسَ القادريِّ، والعلَّامةُ المحقّقُ الأديبُ الشيخُ محمَّد المكيُّ البطاوريُّ والعلامةُ القاضي عبدُالحفيظِ الفاسيُّ.

واقتصرتُ علىٰ الطريقَينِ المذكورَين لعلوِّهما نِسْبيًّا.

ومما ينبغي أنْ نلفتَ الأنظارَ إليه أنَّ علمَ الحديثِ ينقسمُ عند أهلِه إلىٰ قسمين:

١-علم الحديثِ روايةً:

وهو: علمُ المصطلحِ إذ يُبحثُ فيه عن السَّند والمتنِ من حيثُ الصِّفاتِ التي تعرضُ لهما وتقتضي قَبولَهُما، أو ردَّهما كالصحَّة والضَّعفِ، والوصْلِ

والانقطاعِ، والإرسالِ والشُّذوذِ والنَّكارةِ والرفْعِ والوقْفِ والتَّعديلِ والتَّجريحِ ونحوِ ذلك، وفيه ألَّف الحافظُ الخطيبُ كتابَ "الكفايةُ في علمِ الرِّوايةِ".

٢- علمُ الحديثِ درايةً:

وهو علمٌ يَبحثُ في معنىٰ الحديثِ، وفهْمِ ما يدلُّ عليه منْ أحكامٍ وآدابٍ وفضائلَ وأخلاقٍ، ويُسمَّىٰ أيضًا: فقهَ الحديثِ.

والكتبُ المؤلَّفةُ فيه كثيرةٌ تتمثَّلُ فيما كُتبَ علىٰ "الموطأ" و"الصَّحيحَين" والسُّنن وغيرِهما.

وليس فيما كُتبَ علىٰ"الموطأ"من شروحٍ ما يضاهِي كتابَ "التَّمهيد"، أو يوازِيه لاشتمالِه علىٰ خصائصَ لم تجتمعْ في غيرِه:

منْها: إشباعُ الكلامِ علىٰ طرُقِ الحديثِ ورواياتِه المحفوظِ منها وغيرِ المحفوظِ مع التَّنبيهِ علىٰ ذلك .

ومنها: مذاهبُ الصَّحابةِ والتَّابعين وأئمةِ المذاهب.

ومنها: ترجيحُ ما يراه راجحًا والاستدلالُ عليه.

ومنها: التَّنبيهُ علىٰ الأقوالِ الضَّعيفة وبيانُ وجهِ ضعفِها.

ومنها: التَّعرضُ لما في الحديثِ من بحوثٍ لُغويةٍ وفوائدَ تتعلَّق بمكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الأعمالِ.

ومنها: إسنادُ أحاديثَ لم توجدْ في غيرِه مُسندةً، بحيثُ إنَّ الحفَّاظَ يَعْزُونها إليه كما يَعزُون إلىٰ الدَّارَقُطنيِّ أو البيهقيِّ.

ومنها: بسطُ العبارةِ ونُصوعُ لفظِها ووضوحُ معناها.

كلّه كلامٌ سَلِسٌ عذبٌ خالٍ من الحشْوِ والتعْقيدِ سالمٌ من الخلَل والاضْطراب.

ومنْ أجملِ ما فيه -وكلُّه جميلٌ- أنَّه حين يردُّ القولَ الضَّعيفَ أو الرَّأيَ الشَّاذَّ لا يخدِشُ صاحبَه بكلمةٍ نابيةٍ، أو لفظةٍ قاسيةٍ، ويمكنُ أن تقولَ إنَّ "شرحَ الموطأ" كان دَيْنًا على المالكيَّةِ أدَّاه عنهم الحافظُ ابنُ عبدالبرِّ بكتابِ "التمهيد".

وإذا قال الشَّافعيَّة في حقِّ البيهقيِّ: إنَّ له مِنَّةً على الإمامِ الشَّافعيِّ؛ لأنَّه خدَم كتبَه وخرَّج أحاديثَها وأيَّد مذهبَه.

فلنا أنْ نقولَ: لابنِ عبدالبرِّ مِنَّةٌ على الإمامِ مالكٍ لأنَّه خدَم "موطَّأه" ووصلَ منقطِعاتِه ومرسَلاتِه، وأسندَ بلاغاتِه، وعيَّن مبهماتِه، وعدَّدَ طرقَ موصولاتِه. حتَّى أظهرَه بالوجْهِ اللائقِ بمقامِ الإمامِ مالكٍ وعلوِّ رُتْبتِه.

ومنْ أجلِ ذلك كان طبعُ هذا الكتابِ منْ مفاخرِ عهْدِ جلالةِ الحسنِ الثاني الملكِ الرَّائدِ والقائدِ الملْهَمِ موحِّدِ بلاد المغرب وجامعِ أطرافِه منْ أدناه لأقصاه، أطال الله عمرَه وجعل اليُمْنَ نديمَه والنَّصرَ حليفَه والتَّوفيقَ رفيقَه وأقرَّ عينَه بوليِّ عهدِه الأمير المحبوبِ سيدي محمَّد وصِنْوِه الأميرِ مولاي رشيد والأميراتِ الكريماتِ وبقيَّة الأسرةِ العلويَّة الشَّريفة.

السيد عبدالله بن الصِّدِّيق

خرِّيج جامعة القرويين ومن علماء الأزهر

مقدمة كتاب "البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار"

للإمام أحمد بن يحيى المرتضى

اللهمَّ لك الحمدُ حمدًا كثيرًا دائمًا بدوامِك، ولك الحمدُ حمدًا باقيًا ببقائِك، ولك الحمدُ حمدًا لامُنتَهى له دونَ علمِك، ولك الحمدُ حمدًا لا جزاءَ لقائِلِه إلا رضاك، ونسألُكَ اللهمَّ أنْ تصليَ أفضلَ الصَّلواتِ، وتسلِّمَ أكملَ التسليماتِ على منْ جعلْتَ وجودَه نعمةً، ورسالتَه رحمةً، وفضَّلتَه على جميعِ المخلوقاتِ، وشرَّفتَ به عالمَ الأرضِ والسَّماواتِ، سيِّدِنا محمَّدٍ عبدِك النبيِّ الأمِّيِّ الطاهرِ الزكيِّ، وارضَ اللهمَّ عنْ آلِه بحورِ النَّدى ولُيوثِ العِدى الذين طهَّرتَهم من الرِّجس تطهيرًا وحبَوتَهم فضلًا كبيرًا فكانوا سادةَ الأئمةِ وهداةَ الأمَّة.

إنْ عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئِمَّتَهم ... أو قيلَ مَنْ خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ همُو

وأصْحابه الذين ناصرُوه ونصرُوه، وآزرُوه وعزَّروه، وحفِظوا حرمتَه، وبلَّغوا شريعتَه، ففازُوا بالعزَّةِ في الأولى، والسَعادةِ في الآخرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أمَّا بعدُ: فإنَّ الله -جلَّ شأنُه وعزَّ سلطانُه- جعلَ العلمَ أفضلَ نسْبةً وأكملَ رتبةً وأكرم منزلةً وأعظم محمَدةً وأبقى لصاحبه ذكرًا وأسْمى موهبةً وذُخرًا نوَّه الله بفضلِه في عدَّة آياتٍ منها قولُه تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١]، وشرَّف حمَلَته حيثُ قرَنَ ذكرَهم بذكرِه وذكرِ ملائكتِه في قولِه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فجعلهم شهداءَ علىٰ توحيدِه، وأدِلَّاءَ علىٰ معرفتِه وتمجيدِه، وفي ذلك تعديلٌ لهم وتزكيةٌ، وتمييزٌ لهم ما بعده مزيَّةٌ، كما نفىٰ التَّسوية بينهم وبينَ سائرِ النَّاس في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [الزمر: ٩].

وبالعلمِ أبانَ الله فضْل آدمَ علىٰ ملائكتِه وأظهرَ أنَّه أهلٌ لخلافتِه كما امتنَّ به علىٰ خاتمِ الأنبياءِ وسيدِ الأصفياءِ فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] وأمره بالاسْتزادةِ منه فقال عزَّ شأنُه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

هذا بعض ما في القرآن الكريمِ مما يدلُّ علىٰ شُفوفِ العلمِ وإنافةِ رتبتِه وتمييزِ أهلِه بالفضلِ وعمومِ نقلَتِه، وعلىٰ هذه الوتيرة وردَتِ السُّنة المطهَّرةُ فأعلَتْ شأنَه وحضَّتْ عليه ورغبَتْ فيه، ففي "صحيح مسلمٍ" وغيرِه من حديثِ أبي هريرة: «**ومَنْ سَلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيه علمًا سهَّلَ الله لهُ بهِ طريقًا إلى الجنَّةِ**».

وفي "سُنن التِّرمذيِّ"، وصحيحَي ابنِ حِبَّانَ والحاكمِ: عنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قال: أتيتُ صفوانَ بنَ عسَّال المراديَّ فقال: ما جاء بك؟ قلتُ جئتُ أَنبِطُ العلمَ قال: فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقولُ: «**ما مِنْ خارجٍ خرجَ من بيتِه في طلبِ العلمِ إلا وضَعَتْ له الملائكةُ أجنِحَتَها رضًا بما يصْنَعُ**».

وورد من عدَّة طرُقٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**طلبُ العلمِ**

فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ». إلى غير ذلك منَ الأحاديث التي أُفرِدَتْ بالتأليفِ وفيها للعلمِ وأهلِه أكبرُ تفضيلٍ وتشريفٍ.

ثم إنَّ العلومَ وإن تعدَّدتْ أنواعُها وتنوَّعتْ فروعُها فعلومُ الشَّريعةِ منها بمنزلةِ الإنسانِ من العينِ، والعينِ من الإنسانِ لا سيما علمَ الفقهِ العظيمِ القدرِ والشَّأن إذ هو منارُ الأحكامِ والمميِّزُ بين الحلال والحرام، به تصحُّ العباداتُ وتنتظمُ أمورُ المعاملاتِ، من عرفَه عظُمَ قدرُه ونبُه ذكرُه، ورنَتْ أبصارُ الناسِ إليه واعتمدوا في معرفة دينِهم عليه، يشيرُ إلى ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال الصَّادقُ الأمينُ: «مَنْ يُرِدُ اللهُ بهِ خيرًا يفقِّه في الدِّين».

من أجلِ ذلك كثُرتِ العنايةُ بهذا العلمِ في عصورِ الإسلام الأولى، عصورِ العلم والخير والنور، وكثُر الفقهاءُ المفْتُون، والأئمةُ المجتهدون منَ الصَّحابةِ والتابعينَ وتابعِيهم منْ أهلِ القرونِ الفاضلةِ، وكان في فقهاء الصَّحابة -كما في غيرهم- مكثِرُون منَ الفتوى ومُقِلُّون، فمن مكثريهم: عليٌّ وعمرُ وابنُ عباس وابنُ مسعود وزيدُ بن ثابت وابنُ عُمرَ.

وكان أكثرَ هؤلاء اجتهادًا وفتوى وأعظمَهم في العلم فائدةً وجدوى: عليُّ بن أبي طالب عليه السَّلام، لا يختلفُ أحدٌ من الصَّحابة في ذلك ولا ينازِعُ فيه، قال ابنُ عباس: «والله لقدْ أُعْطي عليُّ بنُ أبي طالب تسعةَ أعشارِ العلم وايمُ الله لقد شارَكَكم في العُشرِ العاشِرِ». رواه ابنُ عبدالبرِّ.

وروى الطبرانيُّ في "الصغير" وأبو نُعَيم في "الحلية" عنه قال: «كنا نتحدَّثُ

أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عهِدَ إلىٰ عليٍّ سبعين عهْدًا لم يعهدْها إلىٰ غيرِه».

وقال عبدالله بن مسعود: «إنَّ القرآنَ أُنزل علىٰ سبعةِ أحرفٍ، ما منها حرفٌ إلا له ظهْرٌ وبطنٌ، وإنَّ عليَّ ابنَ أبي طالب عنده علمُ الظَّاهرِ والباطنِ».

وروىٰ ابنُ عساكر بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي إسحاقَ قال: «سألتُ قُثَمَ بنَ العباس: كيف ورِث عليٌّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دونَكم؟ - يعني: في العلم- قال: لأنَّه كان أوَّلَنا به لحُوقًا، وأكثرَنا به لزُوقًا».

وقال عمرو بن سعيد بن العاص: قلتُ لعبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة: يا عمّ لم كان صَغْوُ النَّاس إلىٰ عليٍّ؟ قال: «يا ابن أخي إنَّ عليًّا كان له ما شئتَ من ضِرْسٍ قاطعٍ في العلمِ، وكان له البَسطةُ في العشيرةِ، والقِدمُ في الإسلام، والصِّهرُ لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والفقهُ في السُّنة، والنَّجدةُ في الحربِ والجودُ في الماعونِ».

واستفاضَ عن عُمرَ رجوعُه إلىٰ عليٍّ في عَوِيصاتِ المسائلِ وتعوُّذُه بالله من قضيَّة ليسَ لها أبو الحسن، وقوله: «لولا عليٌّ لهلَكَ عمرُ»، وقوله أيضًا: «لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن».

وذكر المناويُّ في "فيض القدير" أنَّ عمرَ رضي الله عنه لم يولِّ عليًّا عليه السَّلام شيئًا من البعوث أيام خلافتِه احتياجًا إلىٰ علمِه وتوقفًا عليه في حلِّ المشكلات وفكِّ المعْضِلاتِ.

وقال ابنُ دُرَيدٍ في كتابِ "المجتبىٰ": حدَّثنا العُكليُّ، عن ابنِ عائشةَ، عن حمَّادٍ، عن حُميدٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: «أقبلَ يهوديٌّ بعد وفاةِ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ دخلَ المسجدَ فقال أينَ وصيُّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم ؟ فأشار القومُ إلى أبي بكر فقال: أريدُ أنْ أسألَك عنْ أشياءَ لا يعلمُها إلَّا نبيٌّ أو وصيُّ نبيٍّ، قال سَلْ عمَّا بدا لك فقال اليهوديُّ: أخبرْني عمَّا ليس لله؟ وعماَّ ليس عند الله؟ وعمَّا لا يعلمُه الله؟ فقال أبو بكر: رضي الله عنه هذه مسائلُ الزَّنادقةِ يا يهوديُّ، وهمَّ أبوبكر والمسلمون باليهوديِّ، فقال ابنُ عباس: ما أنصفْتُموه، أجيبُوه إنْ كان عندَكم جوابُه وإلا فاذهبُوا به إلى عليٍّ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقولُ لعليٍّ: **«اللهمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وثبِّتْ لسانَهُ»**.

فأَتَوْا عليًّا في بيتِه فسأله اليهوديُّ فقال عليٌّ عليه السَّلام: أمَّا ما لا يعلمُه الله فذلك قولُكم يا معشرَ اليهودِ: العُزَيرُ ابنُ الله، والله لا يعلمُ أنَّ له ولدًا، وأمَّا ما ليس عندالله فليسَ عنده ظلمُ العبادِ، وأمَّا ما ليس لله فليس لله شريكٌ فأسلمَ اليهوديُّ فقال أبو بكر والمسلمون لعليٍّ: «يا مفرِّجَ الكُرُوبِ».

وقال ابنُ الأثير في "أُسْد الغابةِ" بعد إيرادِ آثارٍ في علم عليٍّ عليه السَّلام ما لفظُه: «ولو ذكرنا الصَّحابةَ مثلَ عُمرَ وغيره رضي الله عنهم لأطلْنا».اهـ

وبالجملةِ فأعلميَّةُ عليٍّ عليه السَّلام ورجاحَةُ فكرِه وغَوصُه على دقائقِ الاسْتنباطات ورجوعُ الصَّحابةِ إليه كلمَّا حزَبَهم أمرٌ، ممَّا لا يُرتابُ فيه.

ولا ريْب أنَّ السِّبْطيْنِ السَّعْدَينِ كانا أكبرَ الناسِ حظًّا وأوفرَهم نصيبًا من تعهُّد مثلِ هذا الوالد الفذِّ، ومن تعليمِه وتهذيبِه وتقويمِه وتدريبِه، فوَرِثا منه علمًا غزيرًا.

وهذا ولدُه محمَّدُ بنُ الحنفيَّة كان الصحابة يستفتُونه اعترافًا منهم بغزارة علمِه وعِظَمِ فهمِه، أما عليٌّ زينُ العابدينَ وابناه الإمامان العظيمان: زيدُ الشهيدُ، ومحمَّدُ الباقرُ، وابنُ الأخير جعْفرُ الصَّادقُ عليهم السَّلامُ فمعترفٌ لهم

بالإمامةِ في العلمِ والفقهِ في الدينِ، والقدوةِ في الورعِ، والسَّبقِ في الفضلِ.

وقد كان عند هؤلاءِ السَّادة الأئمةِ علومٌ جمَّةٌ فاضتْ منْ بابِ مدينةِ العلمِ فتوارثُوها وارتَوَوْا منها أيَّما ارتواءٍ، غير أنَّ تقلُّبَ الأحداثِ السياسيَّة وما لاقىٰ أهلُ البيتِ النبويِّ من بلاءٍ وتشريدٍ وتطريدٍ -حسبما أخبر به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث ابن مسعود- أضاع كثيرًا من تلك العلومِ، وكاد يقضي عليها لولا نُخْبةٌ من أهل البيتِ الطاهر أتباعِ الإمام زيدِ بنِ عليٍّ عليهما السَّلام ظلُّوا في اليمن الميمونِ محْتفِظين بتراث هذا الإمام متمسِّكين بقواعدِ مذهبِه، ووجدوا في أهلِ القُطْر نُصَراءَ وأعوانًا، بل وجدوا فيهم أصدقاءَ وإخوانًا ولعلَّ إخلاصَ اليمنيِّين لأهل البيتِ يكشفُ لنا سرَّ قولِه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حقِّهم أثناءَ حديثٍ: «**فإنَّهُم منِّي وأنا منْهم**».

وقوله أيضًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا إنَّ الإيمانُ يَمانٍ، والحكمةُ يمانيَّةٌ وأجدُ نَفَسَ ربِّكم منْ قِبَلِ اليَمَنِ**». وما المراد بالنَّفَس في الحديثِ إلَّا النَّصرُ والإعانةُ .

مبدأ المذهبِ الزَّيدي باليَمنِ:

سَعِدَ اليمنُ بطائفةٍ من أهلِ البيتِ النبويِّ من أولادِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، قاموا بالدَّعوة إلىٰ الله عزَّ وجلَّ والأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر وبذلِ النَّصيحةِ للمسلمين، وتعليمِهم معالمَ الهدىٰ، وإرشادِهم إلىٰ الصِّراطِ المستقيمِ، وذلك من آخرِ القرْنِ الثالثِ للهجرة إلىٰ العصر الحاضر.

وزعيمُ هذه الطائفة ومقدَّمُها الإمامُ الهادي إلىٰ الحقِّ يحيىٰ بنِ الحسين بن القاسم الرسِّي بن إبراهيم بن إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن طباطبا بن الحسنِ بن

الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب. كان مولدُه بالمدينة المنوَّرة سنة ٢٤٥، ونشأ بحِجْر جدِّه القاسم واشتهرتْ فضائلُه فاستدعاه جماعةٌ من أهلِ اليمنِ لإحياءِ معالمِ الدِّين بها فخرجَ إليهم سنة ٢٨٠.

وخرجَ معه العلَّامةُ عليُّ بنُ العباس بنِ إبراهيمَ بنِ عليٍّ بنِ عبدالرحمن بنِ القاسمِ بنِ الحسن بنِ عليٍّ بن أبي طالب -وهو الذي يرْوِي إجماعاتِ أهلِ البيتِ فأقام مدَّة ثم عاد إلى الحجاز لأسبابٍ دعتْ إلى ذلك، ثمَّ وصلتْ كتبُ اليمنيِّين يستدعونَه ثانيًا ويستشْفِعُون بأهله فعاد إليهم سنةَ ٢٨٤ فظهرَ أمرُه بمدينةِ صَعْدَةَ، ونشَرَ فيها معالمَ الشَّرعِ وقاتل البدعَ والأهواءَ، وامتدَّ نفوذُه إلى صنعاءَ ثم وقعتْ فتنٌ وحروبٌ أصيبَ عليه السَّلامُ في بعضِها وتوفي بصَعْدَةَ في ختامِ سنة ٢٩٨.

وللإمامِ الهادي كتبٌ في الفقهِ وغيرِه قيِّمةٌ منها: كتاب "الأحكام" على نمَطِ كتاب "الموطأ" للإمامِ مالكٍ حيثُ يذكُر اجتهاداتِه ووجوهَها، ويربطُ أكثرَ المسائلِ بالأدلة ويلتَقي إسنادُه غالبًا بإسنادِ الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ ويوافقُه في كثيرٍ من المسائلِ الفقهيَّةِ وقلَّدَه في اجتهادِه كثيرٌ من أهل اليمن.

ثم قام أولادُه والعلماءُ المعاصرون لهم بخدمةِ مذهبِه واستخرجوا من نصوصِه تخريجاتٍ مذهبيَّةٍ على طريقةِ علماءِ المذاهبِ الأربعةِ وظهرت مؤلفاتُه في بلادِ جيلانَ وديلمانَ وكان الاتصالُ بين اليمنِ وتلكَ الأقطارِ بالمراسلةِ وغيرِها من الطرق المعهودة للمواصلة في ذلك التاريخ.

وقام بخدمة مؤلفاتِه الواصلة إلى تلكَ البلاد، جماعةٌ من علماءِ أهلِ الجيل والديلمِ، منهم الإمامُ المؤيَّد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الهارونيُّ الآمليُّ، وصِنْوُه الإمام أبوطالب يحيى بن الحسين، وخالُهما أبوالعباس الحسنيُّ،

وسلكوا معه مسْلكَ الفقهاء المخرِّجين من نصوصِ الأئمةِ وألَّفوا في ذلك المؤلفاتِ الحسان كـ"شرح التجريد"، و"التفريعات" للمؤيد بالله، وكـ"التحرير" وشرحه و"التذكرة" لصنوه أبي طالب الناطقِ بالحقِّ وغير ذلك.

ثم لم يزلِ التأليفُ في الفقهِ وغيره منتَشِرًا بين علماءِ الزيدية في اليمن فللإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمَّد بن المطهَّر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى السابق كتاب "أصول الأحكام"، جمعَ فيه ثلاثةَ آلافِ حديثٍ وثلثمائةَ واثنَي عشرَ حديثًا، وللإمام محمَّد بن المطهَّر الحسنيِّ مجدِّدِ المائة السَّابعة: كتاب "المنهاجُ الجليّ في فقهِ زيدِ بنِ عليّ" رجَّح فيه مذهبَه وانتصرَ له، وللإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن عليٍّ الحسينيِّ المتوفى سنة ٧٤٩ كتاب "الانتصار"، وهو كتابٌ حافلٌ يقعُ في عدَّة مجلدات جمع فيه مذاهبَ كثيرٍ من العلماء واستوفى الخلافَ، وحُجَجَ كلِّ قائلٍ، ثم يقول بعد حكايةِ الأقوال والمذاهبِ: الانتصار لكذا.. ولهذا سمَّاه "الانتصار"، وكان مؤلِّفه الإمام يحيى عالمًا متبحِّرًا، رُزق كثرةَ التأليف حتى قيل إنَّ ما كتبه لو وُزِّع على أيامِ حياته لخصَّ كلَّ يومٍ كرَّاسٌ، كما قال بعضهم في ذلك:

لو عُمره عُدَّ والتأليفُ منه أتى ... لكلِّ يومٍ كما قالوا بكرَّاسِ

وهكذا استمرَّ أئمةُ اليمن وعلماؤُه، دأبُهم التحصيلُ والمدارسةُ والتأليفُ، حتى جاء الإمامُ مهدي أحمد بن يحيى، وهو ممن نال الحظَّ الوافرَ في حسن التأليف، وألف كتاب "البحر الزَّخَّار الجامعُ لمذاهبِ علماءِ الأمصار"، فكان من أحسن المؤلَّفات، بل لم يؤلَّفْ باليمن مثلُه في الفقه المرتبطِ بالدليل، يذكر المسألةَ وينبه على ما فيها من إجماعٍ أو اختلافٍ، ثم يحكي أقاويلَ العلماء من

الصَّحابة والتابعين وأئمة أهل البيتِ وسائر الفقهاء، ويذكر دليلَ كلِّ قول وتعليلَه، مع الإشارة إلىٰ ترجيحِ الراجحِ وتضعيفِ غيرِه، سالكًا في ذلك طريقَ الإنصافِ، تاركًا سبيلَ التعصُّبِ والاعْتسافِ، فلا غَرْو أنْ أُعجِبَ اليمنيُّون به وكثُر إقبالُهم عليه، واعتمدُوه وقاموا بخدمتِه في شتَّىٰ نواحيه، ومما قيل في مدحِه قول بعضهم:

هــذا كتــابٌ فيــه كــلّ عقيــدةٍ ... مــذكورةٍ وصــحيحِها وســقيمِها
ومذاهبُ الفُقَهـا ومـا احتَجُّـوا بـه ... في متْنِـه معوجُّهـا وقويمُهـا
بحــرٌ ســفينتُه تُبلِّــغُ أهلَهــا ... جنـاتِ عـدْنٍ لا يـزولُ نعيمُهـا

وقول الآخر:

هـذا كتـابٌ جليـلٌ قـد حَـوىٰ كتبًا ... فـأكثرن لمـا أملىٰ بـه العجبـا
لله درُّك مــنْ بحــرٍ حــوىٰ دُرَرًا ... مثقبــات ودُرُّ البحْــرِ مــا ثُقِبــا

إلىٰ غير ذلـك.

وهذا الكتابُ هو عمدةُ المتأخِّرينَ من أهلِ اليمنِ فما يحكونَه منَ المذاهبِ -خصوصًا مذاهب أهلِ اليمنِ- كالسَّيد محمَّد بن إسماعيل الأمير صاحب "سبل السَّلام"، والشَّوكانيِّ صاحب "نيل الأوطار " وغيرِهما، ولطالما اشتاقَ أهلُ العلم إلىٰ الارْتواءِ من مَعينِ هذا البحرِ ورغِبوا في الارتشافِ من موردِه العذْبِ الصَّافي، وكان يحولُ دون أمنيتِهم ندرةُ الكتابِ، وقلَّةُ نسَخِه المخطوطةِ، فهذه دار الكتب المصريَّة -علىٰ كبَرِها- لا يوجدُ فيها إلَّا قسْمٌ منه لعلَّه لا يبلغُ نصفَ الكتاب.

حتىٰ حرَّك الله له همَّةَ ذي الهمَّةِ القَعْساءِ، وصاحبِ الرُّتبةِ العلياءِ عالم الأئمَّة وإمام العلماء أمير المؤمنين المتوكل علىٰ ربِّ العالمين الإمام يحيىٰ حميد

الدين فأمر -تغمَّده الله برضوانه- نجلَه حضرة صاحب السُّموِّ الأمير الجليل سيف الإسلام عبدالله حفظه الله وأبقاه، بطبعِ هذا الكتاب معَ تخريجِ أحاديثه لابنِ بهرانَ، ليعمَّ به الانتفاعُ وتمتلئَ بمحاسنِه الأبصارَ والأسماعُ، وتفضل فبعث بأصلَين للكتابين يجري الطّبعُ عليهما.

وهذه يد الإمامِ الراحل صحبتْها أيادٍ بيضاءَ في خدمةِ العلمِ، وطبعِ كتبه النافعةِ النادرةِ فقد أمر -حفه الله بالكرامة لديه- بطبعِ كتاب "شمسُ العلومِ" في اللّغة للعلَّامة الأميرِ أبي سعيد نشوان بن سعيد الحِمْيريِّ، وكتاب "شرحُ رسالةِ الحُور العِين" له أيضًا، و"توضيحُ الأفكارِ شَرحِ تنقيحِ الأنظار" في مصطلحِ الحديثِ، وكتاب "المنية والأمَل في شرحِ الملَلِ والنِّحَل" لمؤلِّف "البحر"، وقد طُبعت منه قطعةٌ بالهند، والجزء العاشر من كتابِ "الإكليل" للهمداني، وبَعثَ بأصول هذه الكتب من مكتبتِه العامرة، فطوَّق أهل العلمِ مِننًا عَظُم قدرُها، وجلّ أثرُها وخلَّدتْ ذكرَه الطيبَ، مقرونًا بالحمدِ والثناءِ مع ما ادَّخر الله له عليها من عظيمِ الجزاء.

ولا يسعُنا في هذا المقام إلا أن نتقدَّم إلى حضرة صاحب السُّموِّ الملكيِّ سيف الإسلام عبدالله بالشكر على هذا العمل المبرور والسَّعْي المشكور، ونسأل الله أن يبقيَه للعلم نصيرًا وللمكارم ظهيرًا، كما نرجو أن يهيِّيء الله لليمنِ أسباب الرُّقيِّ والتقدُّمِ في عهد عاهلِه الجديد جلالة الناصر لدين الله الإمام أحمد أعزَّ الله نصرَه، وأعلى على أعادِيه أمرَه، وجعله على أثرِ الغُرِّ الميامين من أسلافِه الطَّاهرين، إنَّه سبحانه سميعُ الدعاء فعَّال لما يشاء.

أبو الفضل عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغماريِّ الحسنيِّ

مقدمة جزء ابن الصلاح
في وصل البلاغات الأربعة التي بـ"الموطأ"

ممَّا هو معلومٌ عند أهلِ الحديثِ: أنَّ في "موطأ الإمامِ مالكٍ" مراسيل وبلاغات رواها كما سمِعها ولم تقعْ له موصلة، وقد وصلها الحافظُ ابن عبدالبرِّ في كتاب "التمهيد" إلَّا أربعةَ بلاغاتٍ لم يجد لها إسنادًا ولا رآها في كتاب غير "الموطأ".

وكان مولانا الشيخُ الإمام الوالدُ رحمه الله ورضي عنه ونفعني برضاه أخبرني أيامَ الطَّلب حينَ حدَّثني عن كتاب "الموطأ" كما حدَّثني عن غيره من الكتبِ الحديثيَّةِ وغيرها، أنَّ الحافظَ ابنَ الصَّلاحِ وصل تلك البلاغات في رسالةٍ خاصَّةٍ فمنذ سمعتُ ذلك منه وأنا متشوقٌ إلى الوقوف على تلك الرسالة، إلى أن يسَّر الله العثورَ عليها فقمتُ بتحقيقِها ونشرِها.

وهي تحفةٌ نادرةٌ أقدِّمُها للمشتغلين بعلمِ الحديث عامةً، وللمهتمِّين بـ"الموطأ" خاصَّة وأحبُّ أنْ أشير إلى أمور:

-١-

كثيرٌ من النَّاس اعتقدوا أنَّ تلك البلاغاتِ صحيحةٌ بمجرَّد أن سمعوا أنَّ الحافظَ ابنَ الصلاح وصلَها، وبنَوا على اعتقادهم: أنَّ أحاديثَ "الموطأ" كلَّها صحيحةٌ بمرسلاتِها وبلاغاتِها ليس فيها حديثٌ ضعيفٌ.

وممَّن صرَّحَ بذلك المرحومُ الشيخُ محمَّد حبيب الله الشِّنقيطيُّ، فإنَّه نقل في كتابه "دليلُ السَّالك إلى موطأ مالك" عن الشَّيخ صالحٍ الفلاني أنه ردَّ قولَ الحافظ العراقيِّ: أنَّ مالكًا لم يفردِ الصَّحيحَ في "الموطأ" بل أدخلَ فيه المرسَلَ

والمنقطعَ والبلاغاتِ، ومن بلاغاته أحاديثُ لا تُعرفُ كما ذكرَه ابنُ عبد البرِّ.

وهو كلامٌ سليمٌ، فبماذا ردَّه الشيخُ صالح؟

قال: «وما ذكره العراقيُّ أنَّ من بلاغاتِه ومراسيلِه ومنقطعاتِه كلّها موصولة بطرقٍ صحاحٍ إلا أربعةَ أحاديثَ، وقد وصل ابنُ الصلاح الأربعةَ في تأليفٍ مستقلٍّ وهو عندي وعليه خطُّه فظهر بهذا أنَّه لا فرق بين البخاريِّ و"الموطأ" وصحَّ أنَّ مالكًا أول من صنَّف في الصَّحيح».اهـ

وعقَّب عليه الشَّيخ الشَّنقيطيُّ بقوله: «والعجبُ من ابن الصَّلاح رحمه الله كيف يطَّلع على اتصال جميع أحاديث "الموطأ" حتى أنه وصلَ الأربعةَ التي اعترفَ ابنُ البرِّ بعدم الوقوفِ على طرق اتِّصالها، ومع هذا لم يزلْ مقدمًا للصَّحيحين في الصَّحة!! مع أنَّ الموطأ هو أصلُها وقد انتهجا منهجَه في سائر صنيعِه».اهـ

وكل هذا خطأ كبير يتبين بالوجوه الآتية:

١- ذكر محمَّد فؤاد عبدالباقي أنَّه عرضَ الكلامَ السابقَ على المحدِّث المرحوم الشيخ أحمد شاكر فأملى عليه ما يأتي: «لكنَّه لم يذكر الأسانيد التي قال الفلانيُّ: أنَّ ابن الصلاح وصل بها هذه الأحاديثَ، فلا يستطيعُ أهلُ العلم بالحديثِ أن يحكموا باتِّصالها إلا إذا وُجدتِ الأسانيد وفُحصت، حتى يتبين إن كانت متصلةً أو لا، وصحيحةً أو لا».اهـ

وهذا كلامُ خبيرٍ بالصناعة الحديثيَّة عارفٍ بقواعدها ولا شكَّ أنَّ الشَّيخ أحمد شاكر أعلمُ بالحديث من الشيخ الشِّنقيطيِّ بمراحلَ بل لا نِسبة بينَهما فيه.

٢- دعوى الفلَّانيِّ أنَّ عنده تأليفَ ابنِ الصَّلاح وعليه خطُّه، دعوى غيرُ صحيحةٍ بل هو لم ير ذلك التأليفَ فضلًا عن أن يمتلكَه، والدليلُ على ذلك أنَّه

لم يذكرْ تلك الأحاديثَ في ردِّه لكلام العراقيِّ حافظِ الدنيا وشيخِ حفاظِها، ولو كانتْ عنده لبادَر بذكر تلك الأسانيدِ ليُسندَ ردَّه بالدليلِ.

وأيضًا فإنَّ ابنَ الصَّلاح قال في تأليفِه ذلك ما نصُّه: «والقولُ الفصلُ عندي في ذلك كلِّه ما أنا ذاكره، وهو أنَّ هذه الأحاديثَ الأربعةَ لم تردْ بهذا اللَّفظِ المذكورِ في "الموطأ" إلا في "الموطأ"، ولا وردَ ما هو في معنى واحدٍ منها بتمامِه في غير "الموطأ" إلا حديثُ «إذا أنشَأَتْ بَحْرِيَّة» مِّن وجهٍ لا يثبتُ.

والثلاثةُ الأُخَر؛ واحدٌ -وهو حديثُ ليلة القدر- وردَ بعضُ معناه من وجهٍ غير صحيحٍ، واثنان منها ورد بعضُ معناهما من وجهٍ جيِّدٍ، أحدُهما صحيحٌ -وهو حديثُ النِّسيان- والآخرُ حسنٌ وهو وصيةُ معاذٍ رضي الله عنه».اهـ كلامُه بحروفِه.

وهو يصرِّح بأنَّ حديثَينِ من الأربعةِ ضعيفانِ ولو رآه الفلاني لما قال في ردِّه: «فظهر بهذا أنَّه لا فرقَ بين البخاريِّ والموطأ...» إلخ.

وأنا أقول: ظهر بهذا أنَّ الفلاني لم يرَ تأليفَ ابنِ الصلاحِ وأنَّ دعواه غيرُ صحيحةٍ غفر الله لنا وله.

٣- ولو فرضْنا جدليًا أنَّ تلك الأحاديثَ الأربعة صحيحةٌ، لم يكن "الموطأ" في درجة "البخاريِّ" لأمور:

(١)- أنَّ تلك الأحاديثَ إنَّما وردَ ما يُصحِّح معناها فقط، ولفظُها غيرُ واردٍ إطلاقًا، وأحاديثُ البخاريِّ صحيحةٌ بلفظِها ومعناها.

(٢)- أنَّ البخاريَّ صحيحٌ في ذاته لا يحتاجُ إلى منْ يصلُ بعضَ أحاديثه بخلافِ "الموطأ" فإنَّه محتاجٌ إلى من يصِل منقطعاتِه ومرسلاتِه وبلاغاتِه،

بحيث لا نطمئنُّ إلىٰ شيءٍ منها حتَّىٰ نقفَ علىٰ أسانيدها في "التمهيد" أو غيره.

(٣)- أنَّ "الموطأ" فيه أحاديثُ مسنده لم تبلغْ درجةَ الصِّحةِ ولم يخرِّجْها البخاريُّ، فكيف يكونُ "الموطأ" في درجته؟!

-٢-

ابنُ الصَّلاحِ هو الحافظُ تقيُّ الدين أبوعمرو عثمانُ بنُ صلاح الدين عبدالرحمن بنِ عثمانَ بنِ موسىٰ الكرديُّ الشَّهرزُوريُّ الشَّافعيُّ المفتي ابن المفتي. ولد سنة سنة ٥٧٧، وتفقَّه علىٰ والده بشهرزور، قال ابنُ خَلِّكان: «كان أحدَ فضلاء عصرِه في التفسيرِ والحديثِ والفقهِ وأسماءِ الرِّجالِ وما يتعلَّقُ بعلم الحديثِ ونقل اللغة، وكانت له مشاركةٌ في فنونٍ عديدةٍ وكانت فتاويه مسدَّدةً، وهو أحدُ أشياخي الذين انتفعتُ بهم».اهـ

وذكر أنَّه رحل إلىٰ خراسان وبها حصَّل علمَ الحديث، ورحل إلىٰ نيسابورَ وهمذانَ ومرْوَ وحرَّانَ وبغدادَ ودِمَشقَ وحلبَ والقدسِ وغيرها.

قال الذَّهبيُّ: «قدم دمشق ودرس بالرواحية ثمَّ ولي مشيخةَ دار الحديثِ الأشرفيَّة وصنَّف وأفتىٰ وتخرَّج به الأصحاب وكان من أعلامِ الدِّين».

قال أيضًا: «وكان سلفيًّا حسنَ الاعتقاد كافًّا عن تأويل المتكلِّمين مؤمنًا بما ثبتَ من النُّصوص غير خائض ولا متعمِّق، وكان وافرَ الجلالة، حسنَ البزَّة، كثير الهيْبة، موقَّرًا عند السلطانِ والأمراء.

انتقل إلىٰ رحمةِ الله في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٤٣ وكثر التأسُّف لفقده وحُمل نعشُه علىٰ الرؤوسِ وكان علىٰ جنازتِه هيبةٌ وخشوعٌ، فصلوا عليه بجامع دِمَشقَ، ودفنوه بمقابرِ الصُّوفية، وقبره ظاهرٌ يُزار، وعاشَ

ستًّا وستِّين سنةً رحمة الله عليه».اهـ كلام الذَّهبيِّ.

- ٣ -

أرْوي هذه الرسالةَ عن الشيخِ محمَّد دويدار الكفراوي عن الشيخ إبراهيمَ الباجوري عن الشيخ محمَّد السنباوي عن أبي الحسن علىٰ بن محمَّد العربي، عن الشيخ إبراهيمَ الفيوميِّ، عن الشيخ أحمد الغرقاويِّ، عن الشَّيخ عليٍّ الأجهوريِّ، عن نور الدين عليٍّ بن أبي بكر القرافيِّ، عن الحافظ جلال الدين السُّيوطيِّ، عن القاضي علم الدين البلقينيِّ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التَّنوخيِّ، عن أبي الحسن بن العطار الدمشقيِّ، عن الحافظ الزاهد أبي زكريا النوويِّ، عن الحافظ أبي عمرو عثمان بن الصَّلاح رحمه الله تعالىٰ.

أبو الفضل

عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ

مقدمة كتاب "بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ"
للعز بن عبدالسَّلام

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والشكرُ له على ما أولى من نعمَ سابغةٍ وأسدى، نحمدُه سبحانَه وهو الوليُّ الحميد ونتوبُ إليه جلَّ شأنُه وهو التَّوابُ الرشيدُ، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً نستجلبُ بها نِعَمَه، ونستدفعُ بها نِقمَه وندَّخرُها عُدَّةً لنا يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا منْ أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

ونشهد أنَّ سيِّدَنا محمَّدا عبدُه ورسولُه وصفيُّه من خلقِه وخليلُه، جعله نبيًّا وآدم منجدلٌ في طينتِه، ونوَّرَ الوجودَ يومَ مولدِه بنور طلعتِه، وعمَّ برحمتِه العالَمَ حين بعثته، واختصَّه بالشفاعة العظمى لإظهارِ فضله في ذلك الموقفِ العظيم صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله نُجومِ المهتدين، ورُجومِ المعتدين، وغُيوث النَّدى للطالبين، ورضي الله عن الأبرارِ الذين قامُوا بحقِّ صُحبتِه وحفظِ شريعتِه وتبليغِ دينِه إلى أسرارِ أمَّته، وكانوا خيرَ أمَّة أخرجتْ للناسِ كما وصفَهم القرآنُ الكريمُ.

أما بعدُ: فهذه تعليقاتٌ وجيزةٌ مفيدةٌ كتبناها على رسالة "بدايةُ السُّول في تفضيلِ الرسول" تأليف الإمام المجتهد شيخِ الإسلام سلطان العلماء عزِّ الدين عبدالعزيز بن عبدالسَّلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمَّد مهذَّب السُّلمِيِّ أبي محمَّد.

ترجمه الذَّهبيُّ في "العبر" وقال في حقِّه: «بلغَ رتبةَ الاجتهاد، قدِم إلى مصرَ من الشَّام فأقامَ بها أكثر من عشرين سنةً آمرًا بالمعروفِ ناهيًا عن المنكرِ، يُغْلظُ

علىٰ الملوكِ فمن دونَهم، وله في ذلك مواقفُ مشهودةٌ ولما دخل مصرَ بالغَ الحافظُ المنذريُّ في الأدبِ معه وامتنَعَ عن الإفتاء لأجلِه وقال: كنا نُفتي قبل حضورِه أما بعدَ حضوره فمنصبُ الفُتْيا متعيَّنٌ فيه.اهـ

وقال ابنُ كثير: انتهتْ إليه رياسةُ المذهبِ -الشَّافعيِّ- وقُصد بالفتوىٰ من سائرِ الآفاقِ، وكان في آخرِ عُمُرِه لا يتقيَّد بالمذهبِ، بل اتَّسعَ نطاقُه وأفتىٰ بما أدَّىٰ إليه اجتهادُه، وقال جمالُ الدين بنُ الحاجبِ إمام المالكيَّة: ابنُ عبدالسَّلام أفقهُ من الغزاليِّ، لبس خرقةَ التصوُّفِ من الشهابِ السَّهْرَوَرْدِيِّ، وكان يحضرُ عند الشيخ أبي الحسن الشَّاذليِّ، ويسمعُ كلامَه في الحقيقةِ ويعظِّمُه.

وقال الشَّاذليُّ: قيل لي: ما علىٰ وجهِ الأرض مجلسٌ في الفقه أبهىٰ من مجلس الشيخِ عزِّ الدين بن عبدالسَّلام، وما علىٰ وجه الأرضِ مجلسٌ في الحديثِ أبهىٰ من مجلس الشيخ زكيِّ الدين عبدالعظيم، وما علىٰ وجه الأرض مجلسٌ في الحقائق أبهىٰ من مجلسِك.

قلت: هذا من الإلهام المؤيَّدِ بالواقعِ الملموسِ فإنَّه لم يكنْ ذلك في العصر من يماثلُ هؤلاء فيما اختصَّهم الله به، وللشَّيخ عزِّ الدين كراماتٌ كثيرةٌ، وألَّف كتبًا لم يُسبقْ إلىٰ كثير منها، ناهيك بقواعده الكبرىٰ فإنَّها تدلُّ علىٰ تبحُّرِه في الشريعة وغوْصِه علىٰ دقائِقها، وهي أكبرُ دليلٍ علىٰ بلوغِه رتبةَ الاجتهاد المطلقِ، وُلد سنةَ سبعٍ أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائة، وتُوفِّي بمصرَ عاشر جُمادىٰ الأولىٰ سنةَ ستٍّ وستمائة.

قال القطبُ البونيُّ: «كان مع شدَّته وصلابته حسنَ المحاضرة بالنوادر والأشعار، يحضرُ السماع ويرقصُ فيه».

وقال ابنُ كثير: «كان لطيفًا ظريفًا يستشهدُ بالأشعار».اهـ

رضي الله عنه وأرضاه وأنزلَه منزلةَ الصِّدِّقين الأبرار ونفعَنا ببركة خدمةِ رسالتِه هذه وغيرها من رسائِله التي اعتزمْنا نشرَها، والله الموفقُ لا ربَّ غيرُه وهو الهادي إلى سواءِ السَّبِيل.

أبو الفضل

عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ الحسنيُّ

عفى الله عنه

مقدمة كتاب "أخلاق النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم" لأبي الشيخ الأصبهاني

-١-

نحمدُ الله على جميلِ إفضالِه، ونشكرُه على جزيلِ نوالِه، ونصلِّي على رسوله المبعوثِ رحمةً للعالمين والمبعوث بالنِّعمةِ المهْداة للمؤمنين، وبعدُ:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى تولَّى تربيةَ نبيِّه عليه السَّلام منذ نشأتِه باللّطف والعنايةِ والإلهامِ، نزعَ عنه حظَّ النفسِ والشَّيطانِ، وغمَر قلبَه بمعاني الحكمَة والإيمانِ، يؤهِّله بذلك لتحمُّلِ أعظمِ رسالةٍ ظهرتْ على وجه الأرضِ منذ خلقَ الله الدنيا ومَن عليها إلى أن يأذنَ بفنائِها قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

شبَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بينَ عشيرتِه وقومِه كأكملِ ما يكون الشابُّ العفيفُ المثقَّف من صدقِ لهجةٍ وصفاءِ نفسٍ وعفةِ يدٍ وترفُّعٍ عن سفاسِفِ الأمورِ وعلوِّ همَّةٍ إلى آفاقٍ بعيدةٍ من السُّمُوِّ الرُّوحيِّ، لم تُعرفْ عنه نزوةٌ من نزواتِ الصِّبا، ولا أُثِرتْ عنه هفْوةٌ من هفواتِ الشبابِ، لا جرَمَ أن أطبقَ أهل مكَّة بتسميتِه بالأمين؛ لأنَّهم خَبرُوا فيه صفاتٍ لا تكونُ إلا للملائكةِ الأطهار.

ثمَّ أكرمَه الله بالوحْي وزانَه بالنبوَّة فكمُلتْ صفاتُه وتمتْ حسْنًا خلالُه وامتُحن في تبليغِ الرسالة بأنواعِ منَ الإيذاء، كما امتُحن إخوانُه من الأنبياء فقابل ذلك كلَّه بصبرٍ لا يعتريه وهنٌ، وحزمٍ لا تشوبُه خُشونه، وحِلمٍ تطيشُ دونه الأحلامُ، ومثابرةٍ على مدافعةِ سفاهةِ قومه بالحجَّة البليغة والمنطقِ

السَّليم، ولو شاء دعا عليهم كما دعا النبيُّون من قبله وأُجِيبَ فيهم كما أُجِيبوا، لكنَّه لم يكنْ ليفعل؛ لأنَّه أُرسل رحمةً للعالمين، وهو إلى هذا بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ حتى أُذِن له في الجهاد حيثُ لم تنجحِ الحُجَّة في نفوسٍ عزَّ عليها تركُ الباطل، وأبدى في معاملةِ أعدائِه الجاهدين في إيذائِه منتهى السَّماحة والكرم، ناهيك بقولِه عليه السَّلام لأهلِ مكة عام الفتحِ وهم يرْسُفُون في قيُود الذّلّ خاشعين ينظرون من طرْفٍ خفيٍّ: «**أقولُ كما قالَ أخي يوسفُ: لا تثْريبَ عليكم اليومَ اذهبُوا فأنتمُ الطّلَقاءُ**».

ذلك أنَّه لم يتَّخذْ الجهادَ أداةً للانتقام، لكنَّه السَّبيلُ الأخيرُ للعلاجِ، وآخِرُ الدواءِ الكيُّ، فهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الإنسانُ الكاملُ، والمثلُ الأعلى للخُلقِ الكاملِ، سُئلتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقه؟ فقالت: «كان خُلُقه القرآن». تعني: أنَّه كان المظهرَ العمليَّ لما في القرآنِ من معاني الكمال، والآدابِ وصالحِ الأخلاق، وهذا يفسِّر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأيُّ عِظَمٍ يوازي عِظَمَ التخلُّق بالقرآن؟ وهو عليه السَّلامُ حين يقول: «**بعثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**». يحدِّدُ هدفَ بعثِه ويعلنُ أنَّ مدارَها على هذا المقصد النبيل.

- ٢ -

أنزل الله رسولَه المنزلَ الأرفعَ الأسْمى، وجعل جنابَه الأعزَّ الأحمى، فشرحَ صدرَه، ورفعَ ذكرَه، وأعلى على جميعِ المخلوقات قدرَه، وطهَّر علانيتَه وسرَّه، كمَّله بالعظمةِ، وجمَّله بالحكمةِ، واختصَّ عقلَه بالرَّجاحة، ونفسَه بالسَّماحةِ، وهبَه كمال الفطنة ونهايةَ الذَّكاء، ورقَّاه في العلومِ والمعارفِ أقصى درجاتِ

الارتقاءِ، زكَّاه روحًا وجسمًا، وحاشاه عيبًا ووصمًا، فرضَ طاعتَه علىٰ جميعِ خلْقِه، وألزمَهم عرفانَ قدرِه وحقِّه، نفىٰ الإيمان عمَّن لم يُسلِّم لحكمه تسليمًا، وتوعَّد مخالفَ أمرِه عذابًا أليمًا، فهو أمينُ الله علىٰ رسالتِه وحُجَّتُه علىٰ خليقَتِه، قولُه فصلٌ وحكمُه عدلٌ، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ – ٤].

- ٣ -

ثم حضَّ علىٰ الاقتداءِ في هديِه وسمْتِه حيثُ قال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكان ذلك باعثًا للمسلمين علىٰ تتبُّع أخلاقه وتقصِّي شمائله وكان الصحابةُ يقتدون به عن مشاهدةٍ وعيانٍ، وتلقَّىٰ عنهم التَّابِعون ما شاهدوه من ذلك وغيرِه، ثم بدأ تدوينُ الأحاديثِ والآثارِ في كتبٍ ومصنَّفاتٍ، فكان ممَّن صنَّف في هذا النَّوعَ من السُّنةِ كثيرون، فلكلٍّ من التِّرمذيِّ صاحبِ "السُّنن" وأبي بكر بن المقريِّ وأبي العباس المستغفريِّ، كتاب "الشمائل"، ولأبي الشيخِ كتاب "أخلاقُ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم" ولأبي محمَّد الحسين بن مسعود البغويِّ كتاب "الأنوارُ في شمائلِ النبيِّ المخْتار" رتَّبه علىٰ أحدٍ ومائةِ بابٍ وهو كتابٌ مسنَد، هذا غير ما جاء في كتب المغازي ودلائل النبوَّة، فإنَّ ذلك كثيرٌ يفوقُ الحصْر، وبعضُ تلك الكتبِ مطبوعٌ، وأغلبُها مخطوطٌ نادرٌ، بل منها ما كان يُظنُّ فقدانُه وعدمُ وجوده.

وكتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه" من أمْتَع الكتبِ في هذا البابِ وأغزرِها مادَّةً وهو أوسعُ من كتاب "الشَّمائل" للتِّرمذيِّ، إلا أنَّه علىٰ نفاستِه ظلَّ

مغْمورًا في زوايا النِّسْيان، مطْمورًا في بطونِ المكتبات، لا يُعرفُ عنه شيءٌ إلَّا ما يوجدُ من نقْلٍ عنه في بعضِ المؤلَّفاتِ، وإذ أذِن الله لهُ أنْ يظهَر، وأرادَ لكنوزِه وجواهرِه أنْ تُنشرَ يسَّر لذلك أسبابًا وإذا أرادَ الله أمرًا هيَّأ أسبابَه.

- ٤ -

وللعثورِ على هذا الكتابِ النَّفيسِ بل الكنزِ الثَّمينِ قصةٌ نجمُلها فيما يلي:

كان شقيقي الحافظُ أبو الفيض أحمدُ بن الصِّدِّيق يشتغلُ بوضعِ الاستخراجِ على كتابِ "الشَّمائل" للترمذيِّ، والاستخراجِ غير التَّخريج[1]، فكان يبحثُ عن المخَرِّجين لأحاديثِ "الشَّمائل" ليُسنِدَها من طريقِهم ولم يجدْ لتلك الأحاديثِ في بعضِ الأحيانِ -مخرِّجين- غيرَ المؤلف إلا القليلَ النادرَ، وكان يجدُ الحافظَ العراقيَّ يُكثر في تخريجِ أحاديثِ "الإحياءِ" منْ عزْوِ الأحاديثِ الغريبةِ النَّادرةِ في الأخلاقِ النَّبويةِ والشَّمائلِ المحمَّديةِ إلى هذا الكتاب وإلى كتاب "الشَّمائل" لابن الضَّحَّاك، فتشوقَتْ نفسُه للوقوفِ على هذين الكتابَينِ العظيمَينِ، وأكثرَ من البحثِ والتنقيبِ لعله يُوفَّق إلى العثورِ عليهما أو على أحدِهما على الأقلِّ، وكاد ييأسُ، وبدأ يتسربُ إلى ظنِّه فقدُ الكتابَين ودخولهما في

(١) الاستخراجُ: هو أن يأتي المؤلِّفُ إلى كتاب "صحيح البخاري" مثلًا فيسند أحاديثه من غير طريقِ صاحبِ الكتابِ بحيثُ يجتمع معه في شيخِه، أو شيخِ شيخِه، أو من فوقَه إلى الصحابيِّ بشرط ألا يصلَ إلى شيخٍ أبعدَ حتى يفقد السَّند إلى شيخٍ أقربَ.

والتخريج: هو عزْوُ الحديثِ إلى مَنْ أخرجه مِنْ أصحابِ الأحاديث المسندةِ وكتب التخريج كثيرة مثل تخريج "أحاديث الإحياء" للعراقيِّ و"نصب الراية" للزَّيْلعيِّ و"التلخيص الحبير" للحافظِ بنِ حجر.

حكمِ المعدومِ كما حصل في غيرِهما من بعضِ كتب الحديث، مثل "صحيح ابن خزيمة"، و"صحيح ابن حبَّان"، وما في مقدِّمة "تحفة الأحوذي" من وجود "صحيح ابن حبان" بمكتبة برلين غيرُ صحيحٍ نعم يوجدُ ترتيبُه لابن بلبان تامًّا في تسعِ مجلَّداتٍ وهو بدار الكتبِ المصريةِ.

ثمَّ وَقف علىٰ فهرست مكتبة الاسكوريال المطبوعةِ في مجلَّدين باللغة العربية، والإسبانية جمَعها المستشرقُ الأسبانيُّ كديره فوجد من محتوياتِها هذا الكتاب فشدَّ الرِّحلةَ إلىٰ مدريد، ووَقف عليه في المكتبة المذكورة، كما وَقف علىٰ غيره من النَّفائس، وعزَم علىٰ تصويرِه لكنْ عاقَه عدم وجود ورقٍ للتصوير، إذ كان ذلك في أعقابِ الحرب العالمية الأخيرة فعاد، وأتمَّ "المستخرج علىٰ الشَّمائل".

وفي سنة ١٣٧٧ هجريَّة هيَّأ الله الأسباب ويسَّر تصويرَ هذا الكتاب مع ثلاثةِ كتبٍ أخرىٰ من نفائسِ كتبِ السُّنة المطهَّرة، تمَّ تصويرُها بمكتبةِ الاسكوريال في بضعةِ أيامٍ فغمَرنا فرحٌ بهذه التُّحفِ الثَّمينةِ، لا نقدرُ علىٰ تصويره والتعبير عنه واعتبرنا تيسيرَ الحصول عليها إذنًا في نشرِها بالطبعِ وتعميمِها بينَ علماء المسلمين ومتعلمِيهم؛ لاستنهاضِ هِمَمِهم وإيقاظِ عزائمِهم إلىٰ التَّمسُّك بدينِهم السَّمحِ المتين من غير تعصُّبٍ شائنٍ ولا تفريطٍ مهينٍ، إذ لا صلاح لحالنا إلا بذلك ولا طريق لاستعادة مجدِنا واستردادِ قوَّتنا إلا هذا الطريقُ، ويرحمُ الله الإمامَ مالكًا حيثُ يقول: «لنْ يُصْلحَ آخرَ هذه الأمَّةِ إلا ما أصْلحَ أوَّلها» ورأينا البدْءَ بهذا الكتاب؛ لأنَّه الأصلُ واللبابُ.

وسيتبعه -بحول الله- طبعُ كتبٍ قيمةٍ نافعةٍ مثلِ كتاب "التمهيد" للحافظِ ابن عبدالبرِّ وكتابِ "الأحكام الكبرىٰ" للحافظ عبدالحقِّ الأشبيليِّ، وكتاب

"الوهم والإيهام" للحافظِ ابنِ القطَّان وكتاب "الصَّلاة" للحافظِ محمَّد بن نصر المروزيِّ وهو كتابٌ نفيسٌ ما نعلمُ كتابًا أُلِّفَ في موضوعه مثلَه، فضلًا عن أحسنَ منه.

ونرجو مخلصين أنْ توجدَ بمصر نهضةٌ قويَّةٌ لطبعِ كتبِ السُّنة النبويَّةِ وتحقيقِها؛ لأنَّ في ذلك الخيرَ الكثيرَ والنفعَ الوفيرَ.

- ٥ -

والنُّسخةُ المصوَّرةُ التي جرىٰ عليها التَّصحيحُ، يرجعُ تاريخُ أصلها إلىٰ ربيع الآخر من شهور سنةَ ستٍّ وستين وخمسمائةٍ هجرية وعددُ صفحاتِها (٢١٠) في كل صفحةٍ ١٦ سطرًا، وفي بعضها ١٤، وعدد كلمات السطر ١٥ كلمةً في المتوسط، وعليها سماعات بتواريخ ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ، وشوال سنة ٥٦٦، وربيع الأول سنة ٥٧٠، وإجازة بتاريخ سنة ٧٦٥ هـ، والنسخةُ رغمَ قِدَمِها وجودتِها يوجدُ بها تصحيفاتٌ نبَّهنا عليها في تعليقاتٍ وجيزةٍ، كما ضبطنا بعضَ الألفاظ العَويصة والأسماءَ المشْكِلة.

- ٦ -

ومؤلِّف الكتابِ هو الإمامُ الحافظُ أبومحمَّد، وأبو الشيخِ عبدالله بنُ محمَّد بنِ جعفر بنِ حيان الأنصاريُّ الأصبهانيُّ، وُلد سنةَ أربعٍ وستين ومائتين، وسمعَ الحديثَ وهو ابنُ عشر سنين وكتبَ العالي والنَّازل، ولقيَ الكبار.

شيوخه: منهم جدُّه لأمِّه الزاهدُ محمود بنُ الفرج، وإبراهيم بن سعدان، وأبو بكر بن أبي عاصم، وأبويعلىٰ، وغيرُهم كثيرٌ.

تلامذتُه: منهم أبو بكر بن مرْدَوَيه الحافظُ، والحافظُ أبوسعد الماليني،

والحافظُ أبونُعيم الأصبهانيُّ، وقد أكثرَ من الرِّواية عنه في "الحلية" و"دلائل النبوة" وسائرِ كتبه، وخلقٌ كثير.

مؤلفاتُه: منها "التفسير"، "الأحكام"، "العظمة"، "الأذان"، "أخلاق النبيِّ وآدابه"، "ثواب الأعمال"، "التَّوبيخ"، "النَّوادر" و"النتف"، وله غيرُ ذلك كثيرٌ جدًّا.

ثناءُ العلماءِ عليه: قال ابن منْده: أبو الشيخِ ثقةٌ مأمونٌ صنَّف التفسيرَ، والكتبَ الكثيرةَ في الأحكامِ وغير ذلك، وقال أبوبكر الخطيب الحافظُ: كان حافظًا ثبْتًا متقنًا وروىٰ عن بعضِ العلماء قال: «ما دخلْنا علىٰ أبي الشيخ إلَّا وهو يصلِّي».

وقال أبو نُعيم: «كان أحدَ الأعلامِ صنَّف التفسيرَ والأحكامَ، وكان يفيدُ الشيوخَ ويصنِّفُ لهم ستين سنةً، وكان ثقةً». وقال الذهبيُّ: «كان مع سَعةِ علمِه وغزارةِ حفظه صالحًا خيرًا قانتًا لله صدوقًا».

وأسند الذهبيُّ في "تذكرة الحفَّاظ" عن الحافظُ يوسفُ بنُ خليل قال: «رأيتُ في النومِ كأنِّي دخلتُ مسجد الكوفَة، فرأيتُ شيخًا طُوالًا لم أرَ شيخًا أحسنَ منه فقيل لي: هذا أبومحمَّدِ بنِ حيَّانَ فتبِعْته، وقلتُ له: أنت أبو محمَّدِ بنِ حيان؟ قال: نعم، قلتُ: أليس قد مِتَّ؟ قال: بلىٰ قلتُ: فبالله ما فعلَ الله بكَ؟ قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤] الآية فقلتُ: أنا يوسفُ بنُ خليل جئتُ لأسمعَ حديثَك وأُحصِّل كتبَك فقال: سلَّمَك الله ثُمَّ صافحتُه فلم أر شيئًا ألينَ من كفِّه فقبَّلتُها ووضعتُها علىٰ عينيَّ». وبالجملةِ فهو علىٰ إمامتِه وحفظِه واتقانِه وعدالتِه.

وفاتُه: قال تلميذُه الحافظُ أبونُعيم: «توفِّي في سلْخِ المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة فيكونُ قد عاش نحو خمسٍ وتسعين، رضي الله عنه وأرضاه وأكرمَ في الجنة نزلَه ومثواه».

- ٧ -

روايتُنا لهذا الكتاب:

نروي هذا الكتابَ عن شقيقِنا أبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري، عن محمَّد النَّيفر التونسيِّ، عن محمَّد بن عليٍّ السنوسيِّ، وعن شيخنا محمَّد إمام، عن والده إبراهيم السَّقَّا، كلاهما عن ثُعيلبٍ، عن الجوهريِّ والملَّويِّ، عن عبدالله بن سالمٍ البصريِّ، عن البرهان الكورانيِّ، عن الصفيِّ المدنيِّ، عن الشمس الرمليِّ، عن الزين زكريا الأنصاريِّ، عن الحافظِ ابنِ حجرِ العسقلانيِّ، عن الصَّلاح بن أبي عمر، عن الفخر ابن البخاريِّ، عن ابن اللبان، عن الحدادِ، عن الحافظ أبي نُعيم، عن الحافظِ أبي الشيخِ بن حيان الأصبهانيِّ.

وبهذا السَّند نروي سائرَ مؤلفاتِه والحمدُ لله، وقد أجزتُ بها من شاء روايتِها بشرطِ الأهليَّة والتثبتِ.

ملحوظةٌ: سيمرُّ بالقارئ في هذا الكتاب لفظُ: «نا» هو مقتضبٌ من حدثنا، ولفظُ: «أنا» مقتضبٌ من أخبرنا: ولفظ: «ح» وهو مقتضبٌ من: تحويل.

أبوالفضل عبدالله محمَّد الصِّدِّيق

في ٨ شعبان سنة ١٣٧٨ هجرية

مقدمة كتاب: "الحسبة على من جوز صلاة الجُمعة بلا خطبة"

للحافظ المجتهد السيد أحمد بن الصديق الغماري

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد ابتلينا بمُبتدِع ضَؤُلَ علمه، وعَظُم جهله، مرن على السفاهة لسانه، وعري عن التحقيق بيانه، إذا تكلَّم سلح من فيه، وأبدى من الحقد ما هو كامن فيه، وإذا كتب فإنما يكتب جهالات لا تصدر إلَّا عن البلداء، وشتائم تتنزَّه عنها ألسنة السُّفهاء.

يزعم العمل بالدليل وهو في التقليد غريق، ويرمي مخالفيه بالبِدَع وهو بها خَلِيق، يُقلِّد الألبانيَّ في استنباطاته، وكلها مخالفة لقواعد الأصول، كتقليده إياه في تحريم الذهب على المرأة، وتعليل تحريم حَلْقِ اللِّحية بتغيير خَلْقِ الله[1] وتطبيق قاعدة تأخير البيان عن وقت الحاجة على قراءة القرآن على المقابر.

فإذا ارتقى في التقليد، ذهب إلى "المحلَّى" يقلب صفحاته، لكنه لخذلانه لا يأخذ منه إلَّا الشاذ من أقوال ابن حزمٍ، والمهجور من آرائه، كأخذه منه وجوب قصر المسافر خلف المقيم، وهو رأي باطلٌ كما بيَّنته في كتاب: "الرأي القويم"، ذلك الكتاب الذي جاء الثناء عليه من علماء بمصر وسوريا.

---

(١) قلت في مقالي المنشور بمجلة «الكلمة» ما نصه: «ما علَّل به صاحب رسالة: "الحجة الواضحة" تحريم حلق اللحية ولعن حالقها مأخوذٌ من رسالة: "أدب الزفاف في السنة المطهرة"».اهـ وكلامي واضحٌ، يفيد أنَّ المبتدع أخذ تعليل التحريم، لكنه لبلادته فهم أني قلت: أخذ التحريم نفسه، فكتب وريقات سمَّاها: «كشف الحجاب» كشف بها بلادته التامَّة، وكذبه المستور فكان كالباحث على حَتْفِهِ بظَلْفِهِ، والجادِعِ مارن أنفه بكَفِّه.

وسأثبت ثناءهم بحول الله في كتاب: "البدر السافر في تحقيق صلاة المسافر ومناقشة العنيد العاثر".

وقد ردَّ علىٰ "الرأي القويم" فلم يصنع شيئًا إلَّا أنه سبَّ أباه، واتهمني كذبًا أني أحتقر الأذان بسبب شطر بيتٍ نشرته بمجلة «الإسلام» سنة ١٣٥٦!!.

مع أنه وقع في أسوأ مما اتهمني به؛ حيث احتقر كتاب "الرؤيا في القرآن والسُّنَّة" وكتاب "سمير الصالحين" وهو يعلم أنهما مليئان بآيات قرآنية وأحاديث نبوية[1]. ومن احتقر ذلك فحاله معروفٌ. ويرحم الله بعض الظرفاء إذ يقول: إذا رأيت شخصًا يخرج عن موضوع المناظرة، ويبسط لسانه بفاحش القول، فاعلم أنه لا علم عنده وأنه مغلوبٌ لخصمه.

ورغم ما أكثر من شتم وسباب، لم يستطع -ولن يستطيع- التخلُّص من حديث: **«إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّوْمَ وشَطْرَ الصَّلاةِ»**. ولا من حديث: **«أيها النَّاسُ، إنِّي إمَامُكُمْ فلا تَسْبِقُوني بالرُّكُوعِ ولا بالسُّجُودِ ولا بالقِيامِ ولا بالقُعُودِ ولا بالانصِرافِ»**. ولا من حديث إمامة جبريل، وهو حديثٌ صحيحٌ له ستة طرقٍ[2].

---

(١) واحتقر صحابيًّا جليلًا بقوله: «ابن عمر وابن زمر» واحتقر الإمام مالكًا بقوله علىٰ المنبر: «طز في مالك »، واحتقر جماعة من علماء المسلمين وصلحائهم، وفي الحديث الصحيح: **«بحسب امرئٍ مِن الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلمَ»**.

(٢) أثبتُّها في "البدر السافر"، وأثبتُّ فيه أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ الظهر أربع ركعات في سفر بعسفان، وأبطلت دعوىٰ ابن تيمية وابن القيِّم أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما أتم في سفر قط. وما أكثر ما يهولان بمثل هذه الإطلاقات الجوفاء.

ومن وقاحته أنه صحَّحَ رواية عبدالله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر، مع مخالفتها لرواية عبيد الله ومالك عن نافع عن ابن عمر وهو لا يعرف علم الحديث، ولا شروط الصحة عند أهله. ولو سأل عن تلك الرواية إمامه الألبانيَّ -وهو يعرف الحديث- لأجابه فيها بمثل قولي، لكن ما الحيلة في جاهلٍ يتوقَّح، وعنيدٍ يتبجَّح؟!!

وكذب -وما أكثر كذبه- فزعم أني لم أجبه على سؤاله الذي يتعلَّق برؤية الهلال، مع أنه يتكلَّم على صلاة المسافر!! أليس هذا مِن أدلَّة عَجْزه؟!!

ولو أنه رجع إلى جزء "التنصل والانفصال" لوجد فيه جواب السؤال واضحًا لا يعتريه إشكال، ولو فرض أني لم أجب عنه لم يكن بأس؛ لأنه سؤال لا معنى له ولا يؤثِّر في الحكم شيئًا.

ومما تمسَّك به المبتدِع من شواذِّ ابن حزمٍ: دعوى أن خطبة الجمعة ليست بواجبةٍ!! وهذه الدعوى من الشذوذ بمكان، والدلائل على بطلانها كثيرةٌ.

منها: أن الآية أوجبت السعي إلى الخطبة وترك البيع الشاغل عنها، كما يُستفاد من قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

فإن قيل: يحتمل أن يراد بذكر الله: «الصلاة»، كما فسَّرها البغويُّ.

قلنا: هذا الاحتمال باطلٌ جدًّا، وبيان بطلانه من وجوه:

أحدها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين ذكر الله بالخطبة، كما ثبت في الصحيحين، وليس بعد بيانه بيان، وإذا جاء نهر الله، بطل نهر معقل.

ثانيها: لو كان المراد الصلاة، لقيل: (فاسعوا إليها) فإنه أوضح وأوجز، وليس

هذا من المواضع التي يُستحسَن فيها الإطناب، كما يعلم لمن درس علم المعاني.

ثالثها: تقرَّر في علم الأصول أنَّ الكلام إذا احتمل تأسيسًا وتأكيدًا، وجب حمله على الأول، لما فيه من زيادة الفائدة.

وإذا حملنا ذكر الله على الصلاة، كانت الآية مؤكِّدة لآياتٍ كثيرةٍ دلَّت على وجوب الصلاة، وحتى لو ادَّعى مُدَّعٍ أنها أفردت بالذِّكر اعتناءًا بها، فإن الاعتناء تأكيد أيضًا، بخلاف ما لو فسَّرناه بالخطبة، فإن الآية حينئذٍ تفيد معنى جديدًا وتؤسِّسه وهو وجوب الخطبة، فوجب تفسير الآية به.

رابعها: تقرَّر في علم الأصول أيضًا: أنَّ الصلاة واجبٌ مُوسَّعٌ وليس مُضيَّقًا كالصوم، والواجب الموسَّع لا يجب السعي إليه ولا فعله في أول وقته بالإجماع، وبدليل أن الله لم يوجب السعي إلى صلاة الظهر في بقية أيام الأسبوع، فلما أوجب السعي عند نداء الجمعة خاصَّة علمنا أنَّ السعي لأمر غير الصلاة، وهو الخطبة.

خامسها: أنَّ الجماعة في الصلاة مطلوبةٌ دائمًا، ندبًا أو وجوبًا على الخلاف، ولما أوجبت الآية السعي عند نداء الجمعة علمنا بالضرورة أن السعي ليس لأجل الجماعة، ولا للصلاة، ولكن لاستماع الخطبة.

سادسها: أن الصلاة متماثلةٌ في سائر أيام الأسبوع، ولكن لَمَّا كان يوم الجمعة يختص بالخطبة؛ أوجب الله السعي إليها لأنها لا تكون إلا في ذلك اليوم.

سابعها: أنَّ القرآن أثبت تغاير الصلاة والذِّكر. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]. ولو كانت الصلاة ذكرًا لكان معنى الآية: «وأقم الذكر لذكري»، وهذا معنى ركيكٌ، يجب تنزيه القرآن عنه.

وقال سبحانه: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:

٣٧]. ولو كانت ذكرًا لكان المعنى: «لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام ذكر الله»، وهذا معنى سخيف.

وحيث ثبت تغايرهما علمنا أنَّ قوله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] إيجاب للسعي إلى الخطبة لا الصلاة .

ثامنها: أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]وهذا مع إفادته تغايرهما أيضًا يفيد أن الذكر أقوى من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر لأن الذكر يشتمل على وعظ وتذكير وترهيب وتحذير، لا جرم أنَّ الله دعا المصلين يوم الجمعة إلى استماع الخطبة لأنهم يستفيدون منها ما لا يستفيدون من مجرد الصلاة.

تاسعها: أنَّ الصلاة لها حقيقتها الشرعية، فهي عبادةٌ ذات أقوال وأفعال مفتتَحةٌ بالتكبير مختتمةٌ بالتسليم، لكن لما كانت مشتملة على ذكرٍ، صحَّ أن يطلق عليها لفظ: «الذكر» مجازًا مرسلًا، والمقرَّر في علم الأصول أنَّ آيات الأحكام يتعيَّن حملها على الحقيقة ولا يجوز حملها على المجاز إلا لصارفٍ مع قرينةٍ، وبذلك يجب حمل الآية على الخطبة؛ لأنها ذكرٌ حقيقة.

عاشرها: أن الأحاديث التي أخبرت بكتابة الملائكة لأسماء الذاهبين إلى الجمعة صرَّحت بأنهم يطوون الصحف حين خروج الإمام ويستمعون الخطبة ولو كان المراد بذكر الله الصلاة لاستمروا في كتابة الأسماء إلى حين الإقامة.

حادي عشرها: ثبت في الصحيحين أنَّ عثمان تأخَّر يوم الجمعة فلم يحضر حتى شرع في الخطبة، فسأله عمر سؤال توبيخ وإنكار: أي ساعة هذه؟ مع أنه أدرك الصلاة جزمًا، لكن أنكر عليه لأنه فوَّت بعض الخطبة المقصودة

بالسعي، ولو لم تكن الخطبة واجبةٌ لما صحَّ لعمر أن ينكِر عليه، ولكان لعثمان أن يجيبه بأنه لم يقصِّر في واجبٍ فلا يستحق اللوم الموجَّه إليه على رؤوس الأشهاد، وقول عمر رضي الله عنه: «صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمام من غير قصر»، لا يدل على نفي وجوب الخطبة إلا بدلالة الاقتران، وهي ضعيفةٌ عند الأصوليين، فلا تمسُّك فيه للمبتدِع.

وروى عبد الرزَّاق عن ابن التيمي، عن قرة بن خالد قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] حتى ختم الآية، قال: فكانت أول صلاة صلاها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: الظهر، فأتاه جبريل فقال: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦]. فقام جبريل، ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خلفه، ثم الناس خلف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: فصلى بهم الظهر أربعًا حتى إذا كان العصر قام جبريل ففعل مثلها، ثم جاء جبريل حين غابت الشمس فصلى بهم ثلاثًا، يقرأ في الركعتين الأوليين يجهر فيهما، ولم يسمع في الثالثة، قال الحسن: وهي وتر صلاة النهار، قال: حتى إذا كان عند العشاء وغاب الشفق وأَعْتَمَ جاء جبريل فقام بين يديه فصلَّى بالناس أربع ركعات، يجهر بالقراءة في الركعتين، حتى إذا أصبح من ليلته فصلَّى به والناس معه كنحو ما فعل، فصلَّى بهم ركعتين يقرأ فيهما ويطيل القراءة، فلم يمت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى حَدَّ للناس صلاتهم، ثم ذكر الحسن الجمعة، قال: فصلَّى بهم ركعتين ووضع عنهم ركعتين لاجتماع الناس يومئذٍ وللخطبة.

وكذا جاء عن عمر أنَّ صلاة الجمعة شُرعت ركعتين لأجل الخطبة.

وهذا كتاب: "الحسبة على من جوز صلاة الجمعة بدون خطبة". ردَّ به شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى على ذلك المبتدع وبَسَط الأدلة بسطًا وافيًا، وأتى بمرهم القواعد فكان لداء الجهل شافيًا، ألحَّ عليَّ بعض الإخوان في نشره وتقديمه، فلبَّيتُ طِلْبَتهم ليظهر الحق ويختفي الباطل، وليعرف القرَّاء مدى جناية ذلك المبتدِع على العلم، ويتحقَّقوا جرأته على القول في دين الله وأحكامه بدون تثبُّتٍ ولا رويَّةٍ، لكن بالهوى والعناد والعصبيَّة، نسأل الله العفو والعافية.

عبد الله بن محمد بن الصِّدِّيق
من علماء الأزهر، وخادم الحديث الشريف
وشيخ الطائفة الدرقاوية الصِّدِّيقيَّة

مقدمة كتاب
"إتحاف ذوي الهمم العالية بشرح متن العشماوية"

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلامُ علىٰ أشرفِ المرسلين سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله الأكرمين، ورضي الله عن خيارِ صحابتِه من الأنصار والمهاجرين، وعمَّن تبعهُم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

وبعد: فإنَّ "متنَ العشماويَّة" في مذهبِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنه سار عند المالكيَّة مسيرَ الشمسِ في الفُلْكِ واشتهر بينهم اشتهارَ «قِفا نبْكِ» وكثر قارِئُوه ودارِسُوه، وتعدَّد شارِحوه ومحشُّوه.

لكنْ مع ذلك لم نجدْ واحدًا منهم اتَّجه إلىٰ تدليل أحكامِه وتعليلِ مسائله بل ساروا علىٰ نهجهم الذي انفردوا به دونَ سائر المذاهبِ، من ذكر الأحكامُ مجرَّدةٌ عن دليلها والاقتصارُ علىٰ استظهار ابنِ رشد، وترجيحِ ابن يونسَ وتشهير ابن أبي زمنين، فإنَّ ذكر أحدُهم في مسألةٍ قولَ ابنِ القاسم، أو ترقَّىٰ إلىٰ نقْل قول الإمام، رأىٰ أنَّه أتىٰ بما لم يأتِ به غيرُه من الأنام.

وهذ كما ترىٰ لا يكفي في ميدانِ الحِجَاج والاستدلال؛ لأنَّ الإمام وإن كان عالمَ الحجاز وشيخَ السُّنة بدون منازعٍ لا تكون أقوالُه واجتهادتُه حُجَّةً إلَّا إذا عُرف دليلُها وصحَّ في النظر تعليلُها.

والإمامُ نفسُه رضي الله عنه كان يقولُ وهو يشير إلىٰ الحجرة الشَّريفة: «كلّ كلامٍ يؤخذُ منه ويردُّ إلَّا كلامَ صاحبِ هذا القبر صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

فلهذا كان "متنُ العشماويَّة" في حاجةٍ شديدةٍ إلىٰ شرح يدلِّل أحكامَه، ويعلِّل مسائلَه، ويُلبسه ثوبًا علميًّا نضيرًا يتباهىٰ به بين أمثاله من المتونِ، وهذا

الشرحُ الذي نقدِّمه اليومَ وافٍ بهذا المقصد زعيمٌ بتحقيقِه، كتبَه شقيقُنا الأصغرُ العلَّامةُ السيِّد عبدُالعزيز بن الصِّدِّيقِ الغُماريُّ، وهو ثاني كتاب في هذا الباب بعد كتاب "مسالكُ الدّلالةِ في شرحِ الرِّسَالةِ" لشقيقِنا الأكبر الحافظ أبي الفيض.

ولعلَّنا نكونُ نحنُ آلَ الصِّدِّيق خدمْنا مذهبَ الإمام مالك خدمةً لا تجد لها نظيرًا إلا في كتبِ المتقدِّمين كابن عبدالبرِّ والباجي وابنِ رشد والقاضي عبدالوهَّاب، ولعلَّ في عملِنا هذا ما يحفِّز مالكيَّة العصر إلى نفض غبارِ التَّقليد البحثِ عن آذانهم، والمشي في ركْبِ العلماء أهلِ الاستدلال والاحتِجاجِ وبالله التوفيق.

أبو الفضل

عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ

كلمة عن كتاب "الإكليل شرح مختصر خليل"

هذا آخرُ ما يسَّره الله من هذه التعليقاتِ الوجيزةِ على الشَّرحِ الذي يشبه في وَجازتِه ودقَّة تعبيرِه شرحَ الجلال المحليِّ على "جمع الجوامع" إذ يحذفُ الحرفَ أو يزيدُه بحسابٍ، ويدمجُ عدَّةً من المعاني المحتمَلةِ في كلماتٍ مختَصراتٍ ويشيرُ إلى الاعتراضِ على المصنَّف أو غيرِه من الشُّراحِ بأسلوبٍ خفيٍّ يَتفطنُ له أولو الألباب، إلى غير ذلك من دقائقِها التي يتذوقُها من مارسَه وعرفَ لطائفَه، ولم نألُ جُهدًا في تصحيحِه وتحريره إلا ما نبَا عنه البصرُ أو زلَّ به القلمُ مما لعلَّه لا يخفى عن فطنةِ القرَّاءِ.

هذا وقد أخذتُ فقهَ المالكيَّة عن جماعةٍ من العلماءِ أوَّلُهم وأولاهُم بالتَّقديم والدي الشيخُ الإمامُ العلامةُ الحافظُ الهُمام شيخُ الإسلام والمسلمين أبوعبدالله سيدي محمَّد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ قُدِّس سرُّه، وثانيهم العلَّامةُ الفقيهُ المرحومُ الشيخ محمَّد الصِّنْهاجيُّ، وثالثهم العلامةُ الفقيهُ الشريفُ السيد الحبيبُ المهاجيُّ، ورابعُهم العلامةُ الفقيهُ الشريفُ مولاي عبدُالسَّلام العلويُّ، وخامسُهم العلامةُ المحققُ المرحومُ مولاي أحمد القادريُّ.

كما أخذتُ هذا الشَّرع عن جماعةٍ بالإجازة منهم الشيخُ محمَّد إبراهيم بنُ عليٍّ الحميديُّ المالكيُّ، عن الشيخ محمَّد عليش شيخ المالكية، عن الشيخ محمَّد الأمير الصغير، عن والده الشيخ الأمير الكبير.

والحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

كلمة عن كتاب "مسالك الدلالة في شرح الرسالة"

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ سيِّدِ المرسلين وعلىٰ آله الأكرمين ورضي الله عن الصحابة والتَّابعين.

وبعدُ: فقد تمَّ طبعُ هذا الشَّرح الجليل الذي ليس له في فقهِ المالكيَّةِ نظيرٌ ولا مثيلٌ، المسمَّىٰ: "مسالكُ الدّلالةِ في شرحِ الرَّسالةِ" تأليفُ الإمامِ الحافظِ النَّاقدِ أبي الفيضِ أحمد ابنِ الإمام المجتهدِ الرَّباني والقطبِ الصَّمداني بحرِ العلومِ والمعارفِ ومعدنِ الدَّقائقِ واللَّطائف أبي عبدالله شمسِ الدين محمَّد ابن الوليِّ الكبير، والعارف الشَّهير محمَّد الصِّدِّيقِ ابن العلَّامةِ الفقيهِ أستاذ القراءات والعربيَّة في وقتهِ القطبِ الفردِ الجامعِ أبي العباس أحمد بن عبدالمؤمن الغُماريِّ الحسنيِّ الإدريسيِّ رضي الله عنهم ونفعَ المسلمين بفُيوضاتِ علومِهم آمين.

وهو شرحٌ بديعُ الصُّنع، عديمُ المثال، عالي الكعبِ، استوعبَ مسائل "رسالة الإمام ابن أبي زيد القيروانيِّ" بالتَّدليل والتَّعديل، واستعرضَ ما في بعضِها من وجُوه الاحتمال الكثيرِ والقليلِ فخدمَ بذلك متنَ "الرسالة" خاصَّةً والفقهَ المالكيَّ عامَّةً خدمةً عظيمةً يذكرها أهلُ المذهبِ بالشُّكرِ والامتنانِ؛ لأنَّه نفضَ عنْهم غبارَ التقليدِ الأصَمِّ، وفتحَ أعينَهم علىٰ آفاقٍ من العلمِ الصَّحيحِ، يهتدونَ بها في ميادينِ النَّظرِ والاستدلال، فيعرفُون مداركَ الإمامِ في استنباطاتِه، ومآخذِه في اجتهادته، فيرتفعون عن حَضيضِ العوامِّ إلىٰ صفوفِ العلماءِ، كما أنَّه نفىٰ عيبًا طالما ردَّده أهلُ المذاهبِ الأخرىٰ؛ وهو خلوُّ كتبِ المالكيَّة عنْ ذكرِ الدَّليل علىٰ حين أنَّك لا تجدُ كتابًا في فقهَ الشَّافعيَّةِ أو الحنفيَّة أو الحنابلةِ أو الزيديَّةِ أو الشِّيعةِ، خاليًا عن ذكر دليلٍ لكلِّ مسألةٍ فيه واضحةً

كانت أو خفيَّةً، وهذا يَلْفتُ النَّظر، ويحزُّ في القلبِ، ويؤلِم النَّفسَ.

مالكٌ إمامُ أهل السُّنة وشيخُ الحفَّاظِ، بحيث سمَّاه يحيى بنُ سعيد القطَّان ويحيى بنُ معين: أميرالمؤمنين في الحديث، تخلُو كتبُ مذهبه عن الدَّليل فلا يجدُ القارئ لها والنَّاظرُ فيها إلَّا آراء مجرَّدةً وأقوالًا متناقضةً، يشعرُ المالكيَّة أنفسهم بتناقضها فلا يجيبُون عن ذلك بأكثرَ من قولهم: الفقهُ مسلَّمٌ!!

ولقد بلغَ من إعراضهم عن الدليل، أنَّهم يضعِّفون أقوالَ أئمةِ المذهب المعروفين بالميلِ إليه، والعملِ بما يقتضيه كابنِ عبدالبرِّ والباجِي وابنِ العربيِّ، فأقوالُ هؤلاءِ وأمثالهم لا تذكر في كتب المتأخرين، إلَّا مشفوعةً بالتضعيف غالبًا، لا لشيءٍ إلَّا لأنَّ أصحابَها يتَّبعون الدَّليل عملًا بوصيَّة الإمام مالك نفسِه حين أمر أصحابه أنْ يعرضُوا كلامَه على كتابِ الله وسنَّة رسولِه فإنْ خالفهما فلْيضربُوا به عرضَ الحائط.

بل بلغَ المتأخِّرون في الغلوِّ إلى حدٍّ أنَّ بعضَ شُرَّاح "تحفة ابن عاصم" قال أثناءِ كلامِه على مسألةٍ ما نصُّه: «خلافًا لما في الحديثِ»!!

فيالله ويالَلْمسلمين، إذا خُولفَ الحديثُ بهذه الصَّراحة فيعتبرُ وِفاقُ مَنْ؟!!

والمقصود أنَّ هذا الشَّرح سدَّ فراغًا كبيرًا وجبر نقصًا خطيرًا، فلمؤلِّفه على المذهب مِنَّةٌ لا تُنسى وجميلٌ لا يُنكر، جزاه الله عن صنيعِه خيرَ الجزاءِ وأكثَر مثلَه في العلماء.

هذا وقد بذلْنا الجهدَ في تصحيحِه حتَّى جاء بحمدِ الله صحيحًا سليمًا إلَّا فيما يكونُ منْ أشياءَ نبَا عنها البصرُ أو سهَا عنها القلمُ، وهي لوضوحِها وقلَّتِها لا تخْفى عنْ فطنةِ القُرَّاء.

وكان تمامُ طبعِه في شهر جمادىٰ الأولىٰ سنةَ (١٢٩١) هجريَّة الموافقِ شهر يوليه سنة ١٩٧١ ميلادية.

ولا يفوتُنا أنْ نشكُرَ حضرة الفاضل الهُمام الحاجّ علىٰ يوسف سليمان صاحبَ مكتبةِ القاهرةِ حيثُ قام بطبْعِ هذا الكتابِ النَّفيسِ علىٰ نفقتِه الخاصَّةِ، أجزَلَ الله جزاءَه ووفَّقَه، وصلَّىٰ الله سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِه وسلَّمَ تسليمًا والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

مقدمة كتاب: "الموسوعة الإسلامية في المعجزات والخصائص والفضائل النبوية في السنة الصحيحة" - لجامعه عبد الله التليدي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ أشرف المرسلين، وآله الاكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أما بعد: فقد اطَّلعتُ علىٰ هذا الكتاب الذي أسميته: «دفع النقائص باختصار وتهذيب الخصائص»؛ لأنه دفع كثيرًا من الاعتراضات علىٰ الحافظ السيوطيِّ لإيراده كثيرًا من الموضوعات والواهيات والمنكرات بل أورد كثيرًا من الأقوال السَّاقِطات.

فوجدته كتابًا جيِّد الفائدة حسن العائدة؛ قام مؤلِّفه بعملٍ كان واجبًا علىٰ أهل العِلْم أن يقوموا به لتنقية سيرة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مما أُدخِلَ فيها مِن شوائب شوَّهَت جمالها ونقصت كمالها.

وكنت وأنا بمصر شرعت في اختصار "الخصائص" بالاقتصار علىٰ الصحيح والحسن، وحذف أقوال وروايات عن أهل الكتاب لا تليق بالجناب النبويِّ، وقطعت فيه شوطًا غير قليلٍ لكن حال دون إتمامه ظروفٌ وشواغل.

وكأنَّ الله تعالىٰ ادَّخَرَهُ لهذا المؤلِّفٍ الفاضل فقام به وأتمَّه علىٰ ما يرام، وإن كان قد تبع السيوطيَّ في بعض الهنات، ويغترُّ أحيانًا بصحَّة السَّندِ وإن كان المتن في المُنكَرات(١).

---

(١) وذلك قليل، منها أثر ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] في باب شرف نسبه صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلَّم، ومنها حديث أبي موسىٰ في سفره صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلَّم مع عمه إلىٰ الشام ولا أعلم لهما ثالثًا علىٰ أنني

ولكن هذا لا يقدح فيما قام به من هذا العمل الجليل، سوف ينال عليه الثواب الجليل وسيبقى له ذخرًا يجري عليه أجره بعد وفاته، ثُمَّ يجده عند الله في ميزان حسناته. والله لا يُضيع أَجْرَ مَن أحسن عَمَلًا.

وكتب عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماريُّ

عفى الله عنه

في ١١ ربيع الأول الأبرك عام ١٣٠٢هـ

نبهت عليهما.اهـ المؤلف

حولَ كتابِ: إزالةُ الشُّبُهاتِ عن قولِ الشيخِ الأكبرِ: «كنَّا حروفًا عالياتٍ»

قال أحمد خيري المصري: وكتب السيد عبدالله بن الصديق الغماريُّ الإدريسي المحدث الجليل، وسِبْط ابن عجيبة شارح "الحكم"(١):

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوًا أحدٌ.

سبقتْ غضبَه رحمتُه، وعمَّتْ كلَّ شيءٍ قدرتُه، وقهَرَتْ كلَّ جبَّارٍ سطوتُه، وسبغَتْ على الوجودِ نعمتُه، كانَ ولا مكانَ ولا زمانَ ولا قُطرَ ولا أوانَ وهو الآنَ على ما عليه كانَ، لا ابتداءَ لأوليَّتِه، كما لا انتهاءَ لآخريَّتِه، هو الأوَّلُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على قطْبِ الكمالِ، ونُقْطةِ دائرةِ الاتِّصالِ، سرِّ الله السَّاري في الكائناتِ، ونورِه المضيءِ لحوالِك الموجوداتِ؛ سيِّدنا محمَّدٍ الإنسانِ الكاملِ، المبَرَّأ من جميعِ العيوبِ، والمشفَّعِ في يوم القيامةِ في أصحابِ الذُّنوبِ، وعلى آله عيونِ الأعيانِ، وسفينةِ النَّجاةِ لمن تمسَّكَ بحبْلِهم وحبّهم دان.

ورضي الله عن صحابتِه نجومِ الهدى، ورجومِ العِدا، وبعد:

فقد قرأتُ جملةً وافرةً من كتابِ "إزالة الشُّبُهاتِ عن قول الأستاذ الأكبر: كنَّا حروفًا عالياتٍ" لمؤلِّفِه الحسيبِ النسيبِ والكاتبِ الأديبِ السيد أحمد خيري

(١) هذه كلمةٌ حولَ كتابِ أحمد خيري المصريِّ، والذي تناول فيه أبيات الشيخ الأكبر:

كُنَّا حُروفًا عالياتٍ لمْ نُقَلْ ... مُتعلِّقاتٍ في ذُرَى أعلى القُلَلْ

أَنَا أَنْتَ فيهِ ونَحنُ أَنتَ وأَنتَ هُوَ ... والكلُّ في هو هُوَ فَسلْ عَمَّنْ وَصَلْ

ابن المرحوم الحاج أحمد خيري باشا.

فوجدتُه كتابًا جليلًا، ومؤلِّفًا حافلًا نبيلًا، يشهدُ لمؤلِّفِه بالبراعةِ في هذه الصِّناعة، فلقد أماط -حفظَه الله- فيه عن بيتَي الشيخِ الأكبر اللِّثام، ووضعَ شواردَهما على طرَفِ الثّمامِ، واستنبطَ ما فيهما من نفائسِ الغُرَرِ وجواهر الدُّرَر في أسلوب رائقٍ وتعبيرٍ سهْل شائقٍ.

غير أنِّي كنتُ أودُّ ألَّا يتعرضَ لبعضِ المسائلِ التي لم يحسُن تحريرُها كمسألة اطِّلاع الأولياء على الغيبِ فإنَّه تعرَّض لها عند نقلِه لقولِ محيي الدين: «إذا دخلَ السِّينُ في الشِّينِ يظهرُ قبرُ محيي الدين».

وهذا إخبارٌ من الشيخِ بغيبٍ حصلَ بعده بمائتين وأربعةٍ وثمانين سنةً، فوقَفَ المؤلِّفُ من هذه الكرامةِ الظَّاهرةِ موقفَ المُستَشْكِل المحتار لتعارُضِها في رأيه بالآياتِ التي تنفي علمَ الغيبِ عن غيرِ الله تعالى، مع أنَّه لا تعارضَ عند إعمال النَّظر وإمعانِ الفكرِ كما يُعلمُ ذلك من محلِّه.

على أنَّ مثلَ هذه المؤاخذاتِ لا تمنعُني أنْ أقولَ: إنَّ الكتابَ في مجموعِه حسنٌ جميلٌ جمَع طُرَفَ الغرائبِ وغرائبَ الطُّرَفِ، عليه مَسْحَةٌ من نورِ الشيخِ الأكبر، وفيه نفْخَةٌ من عِلمِه الأنورِ.

نفعَ اللهُ به وفتحَ على مؤلِّفه ورقَّاه في مدارِجِ السَّالكين ورفَعَه إلى منازل العارفينَ، آمين.

وكتبهُ الفقيرُ عبدالله بنُ محمَّد الصِّدِّيق الغماريُّ الإدريسيُّ عُفِيَ عنهُ.

تحريرًا بروضَةِ خَيْري ليلة الثّلاثاء ٢٢ من ذي القَعْدة سنة ١٣٥٨.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

(١) مقالات في علم الكلام والمنطق

(٢) مقالات في القرآن الكريم وعلومه

(٣) مقالات في الحديث الشريف وعلومه

(٤) مقالات في الفقه الإسلامي

(٥) مقالات في التصوف الإسلامي

(٦) مقالات في فضائل النبيِّ ﷺ

(٧) مباحثات مع المعاصرين

(٨) مقالات متنوعة

(٩) مقدمات لبعض الكتب العلمية